سلة الرسائل الجامعية (٤٠)

الحرب النفسية

(أضواء إسلامية)

د/ فهمي النجار

دار الفضيلة
الرياض - السعودية

سلسلة الرسائل الجامعية (٤٠)

الحرب النفسية

(أضواء إسلامية)

د / فهمي النجار

دار الفضيلة
الرياض - السعودية

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ... وبعد:

تجتاز الأمة الإسلامية في هذه الفترة التاريخية مرحلة خطيرة في حياتها لم تشهدها أمة من أمم الأرض.. فقد تداعى عليها الأعداء من كل جانب، وتناهبوا أرضها وشعبها وفكرها ومقدساتها، وفرقوا شملها، وداسوا كرامتها، وسلطوا عليها شذاذ الآفاق، بعد أن صنعوا منهم دولة، وزودوهم بأفتك الأسلحة لينهشوا من لحمها، كلما شعروا بالجوع.. دون أن يجرأ أحد من هذه الأمة على رد العدوان، واسترداد المقدسات، واسترجاع الكرامات..

وما هو أشد وأدهى ، تعرض هذه الأمة إلى حرب نفسية رهيبة من قبل أعدائها العريقين في عداوتهم، والذي يمثلهم الثالوث اليهودي والصليبي والشيوعي، مستخدمين وسائل الإعلام كافة، وبكافة أنواع الأسلحة من دعاية كاذبة ، أو شائعة مغرضة، أو ضغط اقتصادي، أو تخويف وإرهاب، حتى عمليات غسيل الدماغ لم ينسها هذا العدو البغيض، وهدفه الأول والأخير تحطيم عقيدة هذه الأمة، وقطع العرى التي تربطها بدينها وقيمها وأخلاقها، ومن ثم تمزيق شملها ووحدها وإضعافها وضمان تبعيتها له في كل أمر من الأمور السياسية أو الاقتصادية أو الفكرية.

لذا نحن أبناء هذه الأمة في أشد الحاجة إلى فهم طبيعة هذه الحرب النفسية ومعرفة أساليبها وأسلحتها، وتقويم خطرها تقويماً صحيحاً لنستطيع – بإذن الله –

أن نفوت على العدو أهدافه، ونحبط مخططاته، وشن عليه حرباً نفسية مضادة لرد كيده في نحره.

ولقد كان اختياري لهذا الموضوع منبعثاً من هذه الحاجة الماسة إلى فهم هذه الحرب، وعلى الرغم من وعورة الطريق، وصعوبة المسلك ووحشته، سرت فيه أتلمس مواضع الخطى كمن يسير في ليل دامس دون سراج ولا دليل..

وليس مثل هذا الموضوع سهل التهيئة، ولا يسير المعالجة، وذلك لقلة الباحثين فيه بشكل عام، وندرة أو عدم الباحثين فيه من خلال التصور الإسلامي وموازينه.

وقد التجأت إلى القرآن وإلى السنة النبوية الشريفة، وإلى كتب السيرة والتاريخ، وفيها وجدت بعض ما أصبوا إليه، مما دفعني إلى متابعة الطريق، حتى نهايته بإذن الله وتوفيقه ورعايته.

وقد وجدت من خلال تهيئة لهذا الموضوع أن الحرب النفسية تهدف أول ما تهدف إلى تغيير سلوك الإنسان، فرأيت أنه لابد من دراسة هذا السلوك والقوى المؤثرة فيه، وإمكانية تغيره وتوجيهه وتعديله؛ فكانت بداية البحث دراسة علم النفس الاجتماعي بصفته القاعدة النظرية للحرب النفسية، وأتبعته بدراسة قصيرة لعلم النفس العسكري بصفته أحد الفروع التطبيقية لعلم النفس الاجتماعي، وتوصلت بعد ذلك إلى ماهية الحرب النفسية وتعريفاتها وأهدافها.. وهذا هو موضوع الفصل الأول من الرسالة.

- وهل الحرب النفسية حديثة العهد أم لها جذور في الماضي؟

وللإجابة عن هذا السؤال ألقيت نظرة تاريخية على الحرب النفسية قبل الإسلام، وفي العهد الإسلامي الأول، وفي حياة الرسول ﷺ في مكة ثم في المدينة وما لاقاه ﷺ من المشركين والمنافقين واليهود، من دعاية كاذبة وشائعة وإرهاب

وتخويف، ثم ألقيت نظرة على الحرب النفسية عبر التاريخ الحديث والمعاصر... وهذا موضوع الفصل الثاني من الرسالة.

والحرب النفسية لا تحارب بالمدافع والأسلحة المادية المختلفة، وإنما تحارب بأسلحة أمضى وأشد.. إنها تحارب بسلاح الدعاية والشائعة وغسيل الدماغ، وهناك أسلحة أخرى ، إلا أن هذه أخطرها وأشدها ضراوة، وإن طعنتها لا يرأب صدعها، ولا يرتق فتقها .. وهذا هو موضوع الفصل الثالث من الرسالة، أسلحة الحرب النفسية.

- وحتى يطّلع القارئ على نماذج تطبيقية للحرب النفسية العدوة بسلاح الدعاية ليقوّم المسلم خطرها ويعد العدة لها، أسهبت في تحليل الدعاية العدوة لما نعانيه نحن المسلمين اليوم منه، ولما نكتوي يومياً من ناره، ونحترق من أواره.

- وقد بينت كيف أن الدعاية اليهودية استطاعت بتخطيط رهيب أن تنشئ من شذاذ الآفاق أمة، وتقيم لهم دولة، وسار هذا المخطط في خمس مراحل، كل مرحلة تؤدي إلى التي بعدها حتى الوقت الحاضر .. وقد سيطرت على فلسطين كلها وأصبحت قوة يحسب لها حساب في ميزان الحروب.

- ووضحت المرتكزات الأساسية للتخطيط الدعائي اليهودي وموقف اليهودية من الإسلام على أنه عقيدة، فلجأت إلى التحريف والتشويه، فلجأ مفكروهم إلى تحريف الإسلام وتعاليمه في داخل فلسطين المحتلة من طريق كتب التعليم، وخارجها عن طريق المؤلفات الفكرية العامة .. وكذلك بينت كيف أن اليهودية سخرت النصرانية لمصالحها، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية.. وأخيراً بينت وسائل الدعاية اليهودية وسيطرتها في الداخل والخارج على الإعلام الدولي ووكالات الأنباء.

- والنموذج الثاني للدعاية هو الدعاية الشيوعية .. نشأتها، وأسلوبها الخبيث، ووسائلها، وموقفها من الإسلام منذ بداية الثورة الشيوعية في روسيا عام ١٩١٧م وحتى الوقت الحاضر.. وكيف استطاعت هذه الدعاية بتخطيط خبيث القضاء على معالم الإسلام، وحاولت القضاء على العقيدة الإسلامية في البلاد الإسلامية الواقعة تحت سيطرتها إلا أن محاولاتها باءت بالفشل، وتحررت الدول الإسلامية، بعد القضاء على الاتحاد السوفيتي وتفككه.

- والنموذج الثالث الذي بحثته هو الدعاية الغربية أو الصليبية، وقد بينت أسسها وموقفها من الإسلام، ومراحلها، قبل الحروب الصليبية وبعدها، وفي الوقت الحاضر، ودور كل من الاستشراق والتبشير في هذه الدعاية، ووسائلها الخبيثة في هذا المجال، وسيطرتها على وكالات الأنباء التي تزود العالم أجمع بالأخبار من خلال تفسيرها وتشويهها وتزييفها للحقائق، ودس السم في الدسم ، وما إلى ذلك من أساليب حاقدة.

وفي الفصل الرابع من البحث بينت أن الحروب النفسية العدوة لم تتوقف ضد أمتنا، لا في سنينها السمان، سنين العزة والكرامة، ولا في سنينها العجاف، سنين الذل والمهانة.

فالحرب النفسية أضافت إلى حربها ضد عقيدة الأمة وفكرها وكيانها حرباً نفسية خاصة ضد الدعوة الإسلامية في الوقت الحاضر وضد دعاتها ورجالها فحاولت تشويه صورتهم وتلطيخ سمعتهم في نظر الناس جميعاً، وحرضت عليهم الأنظمة، وبينت خطة أعداء الإسلام في الحرب النفسية ضد الدعوة الإسلامية.

وفي هذا الفصل أيضاً وضحت المبادئ الأولية للحرب النفسية من خلال التصور الإسلامي، مبيناً أسسها وأهدافها وأسلحتها، وكيفية مقاومة الحرب النفسية

العدوة. معتمداً في كل هذا على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وسيرة الصحابة الكرام.. رضي الله عنهم.. والتاريخ الإسلامي ..

ولا أدعي أنني أوفيت الموضوع حقه من الدراسة والبحث.. فهو لا يزال محتاجاً إلى مزيد من الجهد والعرق حتى تعم فائدته بإذن الله.. إلا أنني قد أكون ولله الحمد فتحت باباً للداخلين فيه وحركت الهمم للبحث فيه.. وكل ما أرجوه أن يزيد هذا البحث في وعي أبناء هذه الأمة ويزيد في اهتمامهم بقضاياها.

وإنني أقدم شكري وتقديري للأستاذ الدكتور محمد أديب الصالح رئيس قسم السنة بالجامعة. والمشرف على الرسالة، وكل من الدكتور مالك بدري أستاذ علم النفس الاجتماعي بالجامعة، والدكتور محمد فريد عزت أستاذ الإعلام بجامعة الملك عبد العزيز اللذين تفضلا بقبول مناقشة هذه الرسالة..

وكذلك أقدم شكري وامتناني لكل من الأستاذ عبد الرحمن النحلاوي والأستاذ عبد الرحمن ألباني اللذين استفدت من توجيهاتهما التربوية والنفسية وفتحا لي بيتهما ومكتبتهما لتزويدي بالمراجع اللازمة فلهما مني الشكر والعرفان.. والحمد لله رب العالمين .

د. فهمي النجار

الفصل الأول:

ماهية الحرب النفسية؟؟ .

المبحث الأول: علم النفس الاجتماعي.

- مفهوم علم النفس الاجتماعي.
- السلوك الاجتماعي.
- السلوك عند الغزالي والمدرسة السلوكية.
- الدوافع الاجتماعية للسلوك .
- الغرائز عند مكدوجال وفرويد.
- الغريزة في الإسلام .
- تعديل الدوافع.

المبحث الثاني: العوامل المؤثرة في السلوك:

١- التربية.   ٢- العقيدة.

٣- الرأي العام.   ٤- الإعلام.

المبحث الثالث: أولاً- علم النفس العسكري.

ثانياً- الحرب النفسية .

الفصل الأول

ماهية الحرب النفسية

المبحث الأول – علم النفس الاجتماعي:

يعد علم النفس الاجتماعي القاعدة النظرية والتطبيقية للحرب النفسية، لذلك رأيت أن أجعله المبحث الأول لي: حتى أستند على أساس متين من العلم النظري.. وحتى يكوّن القارئ الكريم صورة واضحة للحرب النفسية وأسسها النظرية والعملية.

مفهوم علم النفس الاجتماعي:

إن دراسة الإنسان من حيث علاقته بالمجتمع، وتأثره وتأثيره فيه. كانت متأخرة نسبياً عن دراسة الظواهر النفسية لهذا الإنسان وما وراء هذه الظواهر من عمليات عقلية، مما عرف بعلم النفس النظري.

ولقد سار علماء النفس شَوْطاً بعيدًا في دراسة الإنسان دراسة اجتماعية لأهميتها ولا تصال علم النفس الاجتماعي بعلم الاجتماع أولاً، من حيث تداخل موضوعاتهما، « بالإضافة إلى قرابة علم النفس الاجتماعي من علم الشعوب «الأثنولجي» وتداخله مع علم السياسة وارتباطه بالفلسفة وعلم الإنسان «انثروبولوجي» . ولكن بينما نجد المتخصص في هذه العلوم يهتم بالنتائج النهائية للتفاعل الاجتماعي أو بالتعميمات الخاصة بالتفاعل الاجتماعي والمواقف الاجتماعية، بصرف النظر عن السلوك الفردي للأشخاص، فإن المتخصص في علم النفس الاجتماعي يركز اهتمامه في مبادئ السلوك الإنساني»[1].

---

(١) علم النفس الاجتماعي – حامد زهران – ص ١٩ ط ١ ١٩٧٧م.

ولعلنا من خلال التعريفات العديدة لعلم النفس الاجتماعي، نستطيع التوصل إلى مفهومه وإلى تبيان أهميته في الحياة المعاصرة، ومن هذه التعريفات: أن « علم النفس الاجتماعي هو ذلك الميدان من علم النفس الذي يتناول الكائنات الحية من حيث هي تؤثر في أقرانها وتتأثر بها، وأن عالم النفس الاجتماعي يركز اهتمامه في مبادئ السلوك الاجتماعي كما يقع في الأحداث الاجتماعية المختلفة» [١] .

وأيضاً : « إن علم النفس الاجتماعي هو العلم الذي يدرس سلوك الفرد كما يتشكل من خلال المواقف الاجتماعية المختلفة» [٢] .

ولكن ألا يهتم علم الاجتماع أيضاً بالسلوك الاجتماعي، ويحاول فهمه وتفسيره؟ نجيب : أنه على الرغم من أن علم الاجتماع الغربي قد توصل إلى تفسيرات ظنية، وعمّم أموراً بناها على استقراءات جزئية ناقصة خلال ملاحظته ودراسته للشعوب وليس هذا موضوع بحثنا إلا أنه اهتم بالإنسان وسلوكه، فهو إذا يقترب في تعريفه من علم النفس الاجتماعي.

فعلم الاجتماع يعرفه « جنزبرغ » أنه هو « الذي يدرس التأثيرات والعلاقات – الإنسانية المتبادلة وما يتحكم فيها من شروط وما ينشأ عنها من نتائج» [٣] .

إلا أن « أو للريخ » حاول تحديد ميدان علم الاجتماع وتمييزه عن علم النفس الاجتماعي فقال: « إن علم الاجتماع يدرس الظواهر الاجتماعية فهو لا يهتم بالسؤال عن كيفية تأثير الظواهر الاجتماعية على الفرد ولا عن استجاباته للتأثيرات الاجتماعية، وإنما يتركز انتباه علم الاجتماع حول التشابه والانتظام في حالة العقل والسلوك وإنتاج الفرد» [٤] .

---

(١) ميادين علم النفس – ج جيلفورد – ترجمة يوسف مراد – مجلد ١ ص ٢٩٩ .

(٢) مقدمة لعلم النفس الاجتماعي – مصطفى سويف ص ٤٤ .

(٣) علم الاجتماع – موريس جنزبرغ – ترجمة فؤاد زكريا ص ١٠.

(٤) علم النفس الاجتماعي – عبد الحميد عبد الرحيم ص ١٤-١٥ .

ومع ذلك لا يمكن عزل علم الاجتماع عن علم النفس الاجتماعي كما يرى الدكتور صلاح مخيمر «وأن مجال علم النفس الاجتماعي هو كمجال سائر العلوم الإنسانية الأخرى، ينصب على الحقيقة الإنسانية في كل مظاهرها»[١] .

ونخلص إلى تعريف جامع كما هو عند الدكتور عبد السلام زهران: «وعلم النفس الاجتماعي يمكن تعريفه بأنه فرع من فروع علم النفس يدرس السلوك الاجتماعي للفرد والجماعة كاستجابات لمثيرات اجتماعية، وهو يهتم بدراسة التفاعل الاجتماعي ونتائج هذا التفاعل - وهدفه هو بناء مجتمع أفضل قائم على فهم سلوك الفرد والجماعة»[٢] .

وبإلقائنا نظرة على هذه التعريفات العديدة لعلم النفس الاجتماعي نجدها من حيث المنهج والاهتمامات يمكن الاستفادة منها في التصور الإسلامي للفرد والجماعة، ولكن الحذر الشديد من نتائج هذه الدراسات، لأنها نبتت، في الأساس، في الحياة الغربية المادية، ومبنية على آراء (دوركهايم) ونظرياته الظنية في الفرد والمجتمع، وفي الدين والعقائد، وآراء «فرويد» في علم النفس.. وما زال فكر هذين الاثنين يتغلغل في فكر أكثر علماء الاجتماع وعلماء النفس الغربيين.. وإن صورة المجتمع الغربي الحالي وما فيها من تحلل للأسرة والأخلاق لروح المنفعة .. والروح العدائية لغيرهم من الشعوب، بالإضافة إلى الاستغلال السيِّئ لعلم النفس الاجتماعي في الإعلام خاصة، والأسلوب «المكيافيلي» في الدعاية والحرب النفسية، إن هذه الصورة المقيتة لن تكون أساساً لمجتمع صالح.

وبإلقائنا نظرة على تعريفات علم النفس الاجتماعي من خلال التصور الإسلامي، نجد أن الإسلام يدرس سلوك أو أخلاق الإنسان لا تبعاً لاستجابات

---

(١) المدخل إلى علم النفس الاجتماعي - د. صلاح مخيمر وعبد ورزق ص ٢٠.

(٢) علم النفس الاجتماعي - زهران - ص ٩ و ١٠ .

لمثيرات فقط بل تبعاً لبواعث اعتقادية.. فالأخلاق في الإسلام مبنية على مبادئ من القرآن والسنة.. والتزام المسلم بهذه المبادئ تدفعه إلى التحرك والعمل وفق هذه المبادئ ولا يحتاج إلى مثير خارجي، ولا مانع من وجود المثير للسلوك. فالمسلم قد يثيره منظر فقير فيتصدق عليه ، أو منظر عاجز فيعينه. ولكن تصدقه على الفقير وإعانته للعاجز، هذا السلوك يستند على مبادئ الإسلام وخلق القرآن وإلا لما كان الفعل موجوداً .. إذاً حتى المثيرات لا تحرك الإنسان بفعل إيجابي إذا لم تستند على مبادئ .. وقد لا تكون هناك استجابة مطلقاً إذا تعارض المثير مع هذه المبادئ، فالمسلم الصائم يثيره منظر الطعام ولكنه لا يستجيب له. لأن عقيدته تنهاه عن تناول الطعام أثناء الصيام .

والنظرة الإسلامية تتميز عن المفهوم الماركسي أيضاً لعلم النفس الاجتماعي.

فعلم النفس الاجتماعي – كما يقول يوري شيركوفين – « يدرس ذلك الجزء من الوعي الاجتماعي، الذي يتكون ويؤدي وظيفته كنتيجة إجمالية للانعكاس المباشر لحقائق الواقع الاجتماعي في وعي الناس أو لتفسيرهم النفسي للمعلومات عن هذه الحقائق»[١] .

وهذا التعريف ينبثق من التصور الماركسي المادي للأفكار والعقائد.. فالوعي الاجتماعي يتكون من الانعكاس المباشر لحقائق الواقع. والظواهر المادية في وعي الناس... أما الحقائق الإلهية .. وآيات الله عز وجل .. وتأثيرها في النفس البشرية.. وأثر ذلك في الأخلاق والسلوك – وهذا ما نجده واضحاً في التاريخ الإسلامي .. في حياة الصحابة والتابعين، والفتوحات الإسلامية – كل هذه الحقائق الواقعية عموا عنها وصمّوا آذانهم منها.

---

(١) علم النفس الاجتماعي وقضايا الإعلام والدعاية – يوري شيركوفين – ص ٢٤ – دار دمشق ٩٧٨ ترجمة – نزار عيون السود.

ففي التصور الإسلامي: الخلق أو السلوك أو الواقع الاجتماعي ينبعث من مبادئ الإسلام وهدي القرآن، أو هو نتيجة إيجابية لهذه المبادئ، وليس الواقع الاجتماعي مكوّن هذه المبادئ.. ولا حاجة للتدليل على هذا. إذ الحياة الواقعية في الإسلام .. لكي تسمى حياة إسلامية يجب أن تصاغ وفق مبادئ الإسلام.. وابتعادها عن هذه المبادئ يُبعدها عن الإسلام ذاته .. ويبعدها عن الحياة الحقيقية، وعن الحضارة الصحيحة التي يريدها الإسلام، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال ٢٤] والذين لا يطيعون الله ورسوله هم بمرتبة الدواب .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنفال ٢٠-٢٢] .

وأن القرآن كان هو الهادي إلى سبيل الأخلاق، والسلوك اليومي.. كما في حديث عائشة – رضي الله عنها – عندما سئلت عن خلق رسول الله ﷺ أجابت: « كان خلقه القرآن» [(١)] .

ولاشك أن دراستنا للتفاعل الاجتماعي المبني على الكتاب والسنة، ونتائج هذا التفاعل يبين لنا عظمة هذه المبادئ، وكذلك ينير لنا الطريق في دراستنا للرأي العام الإسلامي وتكونه. والدعوة فيه.. وكذلك يجعلنا ندرك كيف استطاع أعداء الإسلام، عندما درسوا المجتمع الإسلامي، ودرسوا المحرك الأساسي لهذا المجتمع، عَرفوا كيف يستخدمون هذا المجتمع.. من الداخل.. عندما يئسوا من تدميره من الخارج عن طريق القوة العسكرية.

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم بطوله باب « صلاة الليل والوتر» .

السلوك الاجتماعي:

رأينا في تعريفات علم النفس الاجتماعي . اهتمامه بالتفاعل الاجتماعي بين الفرد والفرد الآخر في المجتمع، وبين الفرد والمجتمع، وبين المجتمع والمجتمعات الأخرى. وما يتبع ذلك من تأثر وتأثير، والسلوك الفردي والاجتماعي هو مظهر هذا التفاعل، ولهذا لابد من دراسة هذا السلوك، وتبيان ماهيته، وكيف يتكون؟ وما هي القوى المحركة له؟ وما هي العوامل المؤثرة فيه؟

يُعرَّف السلوك بـ « أنه المظهر الخارجي لنشاط الكائن الحي» و« إن الخاصية الضرورية له هي الحركة التي توجد في أغلب الحيوانات وفي بعض النباتات، هذه الحركة نتيجة تغيرات داخلية وخارجية يقال لها المنبهات»[١] .

ويعرف بعضهم السلوك بشيء من التفصيل قائلاً: « هو أي نشاط جسمي أو عقلي اجتماعي أو انفعالي يصدر من الكائن الحيّ نتيجة لعلاقة « دينامية » وتفاعل بينه وبين البيئة المحيطة به. والسلوك عبارة عن استجابة أو استجابات لمثيرات معينة ويجب التفريق بين السلوك على أنه استجابة كلية وبين النشاط (الفسيولوجي) كاستجابات جزئية. والسلوك خاصية أولية من خصائص الكائن الحي، ويتدرج السلوك بين البساطة والتعقيد، وأبسط أنواع السلوك « السلوك الانعكاسي ومن أعقد أنماطه « السلوك الاجتماعي » فالسلوك الانعكاسي محصور في الفرد ولا يحتاج إلى استخدام المراكز العقلية الأولي في الجهاز العصبي، ومعظمه وراثي، ولا إرادي وغير اجتماعي، أما السلوك الاجتماعي فإنه يتضمن علاقات بين أفراد الجماعة وبين الفرد والبيئة الاجتماعية، ويحتاج إلى تشغيل المراكز العقلية العليا. وهذا السلوك مُتعلم عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية. ويتضمن اتصالاً اجتماعياً، وهو إرادي ومحدود اجتماعياً»[٢] .

---

(١) الحرب النفسية – صلاح نصر ج ١ ص ٣١ (نقلاً عن دائرة المعارف البريطانية).

(٢) علم النفس الاجتماعي – زهران – ص ٦ .

من هذين التعريفين للسلوك نتبين أن السلوك: نشاط جسمي أو عقلي أو انفعالي أو اجتماعي. وخاصيته الأساسية هي الحركة.. وبكلمة أخرى السلوك: عمل يصدر من الكائن الحي نتيجة منبهات، وهذه المنبهات إما أن تكون منبهات خارجية من المجتمع. وإما منبهات داخلية من ذات الإنسان. وما المنبه في الواقع سوى الباعث على العمل، وهذا الباعث يتكون في البيئة الاجتماعية عن طريق التنشئة الاجتماعية، وكيفما يكون المجتمع يكون سلوك الأفراد، فإن كان المجتمع أخلاقياً ويسير وفق مبادئ الخير والصلاح نشأ الأفراد خيّرين صالحين في سلوكهم في المجتمع، وإن كان المجتمع جاهلياً لا يسير على مبادئ الهداية، والوحي الإلهي نشأ الأفراد ذوي سلوك جاهلي غير أخلاقي..

فالطفل مثلاً في المجتمع الإسلامي ينشأ منذ صغره في البيت والمدرسة والحي.. على الأخلاق الإسلامية، التي تسير على هدى الله، أو على مبادئ السلوك الأساسية مثل الصدق والعدل والاحسان وايتاء ذي القربى والوفاء بالوعد والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي .. فينشأ في هذه البيئة النظيفة على هذه الأخلاق، صادقاً عادلاً وفياً.... إلخ .

ومقابل ذلك إذا نشأ هذا الطفل في مجتمع جاهلي، بعيداً عن وحي الله بعيداً عن الأخلاق الأساسية للخير والصلاح .. هذا الطفل سينشأ إنساناً أنانياً تسيره المنافع المادية والغرائز الحيوانية والهوى البغيض.. سينشأ متحللاً أخلاقياً، يعيش كالبهائم الضالة لا يعرف له وجهة ..

ونخلص إلى القول إلى أن السلوك في تصورنا الإسلامي عمل، أو حركة لها هدف وتنبع من مبادئ العقيدة والخير المستمدة من هدى الله.. في القرآن الكريم والسنة المطهرة. التي وفقها يصوغ المسلم حياته، وسلوكه فيها، ويتحرك وفق

مبادئها.. وإن خرج على هذه المبادئ، لا يعد مسلماً صادقاً في إسلامه ولا مؤمناً مخلصاً في إيمانه.

وفي التأثير على هذا السلوك يمكن التحكم بالإنسان، وبما أن الحرب النفسية تسعى إلى تغيير سلوك الفرد بعوامل نفسية واجتماعية مختلفة كالدعاية والشائعة وغيرهما .. وبما أن السلوك أساسه عقل الإنسان ونفسه، لذا كان هدف الحرب النفسية هو عقل الإنسان وقلبه وليس جسمه، فهي تسعى إلى الهزيمة الداخلية للعدو وهزيمة نفسه وروحه قبل هزيمة جسمه.

السلوك عند الغزالي والمدرسة السلوكية:

رأينا أن علماء النفس يُميزون بين نوعين من السلوك وهما:

١- السلوك العقلي الراقي (وهو يتضمن السلوك الاجتماعي).

٢- السلوك الآلي أو الانعكاسي.

أما الغزالي – رحمه الله – فقد ميز بين ثلاثة أنواع من السلوك وهي:

١- الفعل الطبيعي: وهو مجرد التغيير الآلي.. وذلك كانخراق الماء إذا وقف الإنسان فيه بجسمه[١] .

٢- الفعل الضروري : وهو التغيير الحيوي (البيولوجي)والآلي وذلك كالرَعَد أو التَّنَفس، وهو يعطي هذا الفعل أحياناً الصفة الإرادية ولكنه ينزعها عنه غالباً فيبين أنه في الواقع ليس إلا سلوكاً آلياً لا إرادة أو عقل فيه، ويشرح ذلك بقوله: «فلو قصد عين إنسان بإبرة طبق الأجفان اضطراراً ولو أراد أن يتركها مفتوحة لم يقدر»[٢] .

---

(١) إحياء علوم الدين – الغزالي ج ٤ ص ٢٤٨.

(٢) المرجع السابق –الجزء والصفحة نفسها.

٣- السلوك العقلي الإرادي، وذلك كالكتابة والمشي والنطق .. ويشرح الغزالي الفرق بين نوعي الفعل الاضطراري والإرادي، بمثل ما يشرح به علماء النفس الفرق بين السلوك الآلي والعقلي، ذلك أن الفرق بينهما في نظره يبدو « في أن الأفعال الاضطرارية تصدر عن الإنسان دون سابق إرادة أو علم ودون قدرة على ردّها، أما الأفعال الاختيارية فإنها تصدر بعد سابق معرفة واختيار»(١) .

وكذلك نجد ابن تيمية – رحمه الله – يقسم السلوك أو الحركة إلى ثلاثة أنواع:

١- الحركة القسرية : وهي التي مبدؤها من غير المتحرك.

٢- الحركة الطبيعية: وهي التي مبدؤها من المتحرك ولكن دون شعور منه.

٣- والحركة الإرادية وهي التي مبدؤها من المتحرك وبشعور منه ويتضح هذا التقسيم بقوله: « الحركة إما أن يكون مبدؤها من المتحرك، وإما من غيره، فما كان مبدؤها من غير المتحرك فهي القسرية الكرهية، وما كان مبدؤها من المتحرك، فإن كان على شعور منه فهي الإرادة، وإلا فهي الطبيعية»(٢) .

ويؤكد الغزالي وابن تيمية أن للسلوك دوافع وبواعث وغايات وأهداف.. وأن هذه الدوافع داخلية تنبع من ذات الإنسان إلا أنها تستثار بمثيرات خارجية أو بمثيرات داخلية تتعلق بالحاجات الجسدية والميول الطبيعية.. مثل الجوع، والميل الجنسي، والخوف من الله، والمحبة وغير ذلك .

وهكذا نجد أن السلوك عند الغزالي وابن تيمية حركة لها هدف، وليس سلوكاً ساكناً من النوع الذي حددته بعض المدارس السلوكية الارتباطية.

---

(١) المرجع السابق ص ٢٤٨.

(٢) درء تعارض العقل والنقل – لابن تيمية ج ٩ ص ٣٧٣، ٣٧٤ – طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – وكذلك انظر فتاوى ابن تيمية (ط الرياض) ج ١٠ ص ٤٩٥، وانظر أيضاً كتاب: العقل، للمؤلف . وهو الكتاب الأول من سلسلة الدراسات النفسية عند الإمام ابن تيمية ص ١٦١- ط ١٤٢٥هـ بالرياض.

فالمذاهب السلوكية ترى أن الكائن الحي ما هو إلا آلة معقدة، وتدرس سلوكه كما تدرس آلة لا عقل بها ولا شعور، أما العوامل النفسية الباطنية كالإرادة والرغبة والتفكير فلا أثر لها في العقل أو النتائج، وبعبارة أخرى فالكائن الحي لا تحركه عوامل داخلية بل منبهات خارجية[١] .

وهناك أمور أخرى يخالف فيها الغزالي المدرسة السلوكية التي يتزعمها « جون بردوس وطسن » ومفتاح مذهبه « إذا عرفت المنبه فيمكنك أن تتنبأ بالاستجابة»[٢] .

فالإنسان في نظر المدرسة السلوكية آلة يمكن التنبؤ بحركاتها عندما نعرف تركيبها، ويؤكد علم النفس السلوكي دراسة الحركات المقابلة للقياس في الكائن الحي من حيث علاقتها بالمؤثر الذي يسبقها، ويعتقد السلوكيون أن حقائق علم النفس يمكن بحثها موضوعياً ، وأن وصف الشعور ليس أمراً جوهرياً.

بينما نجد الغزالي وابن تيمية يؤكدان أن السلوك فردي يختلف من إنسان لآخر باختلاف العوامل الفطرية والاكتسابية . ونشاط النفس عند الغزالي أو صفاتها ليست منفصلة عنها « وهيئاتها لا تتماثل ولو تماثلت لاشتبه علينا زيد بعمرو»[٣] .

والغزالي يؤكد التصور الإسلامي في الإنسان من حيث إمكانية تعديل سلوكه أو تهذيبه أو السمو به في مجال الأخلاق ليصل بالإنسان إلى ما يرضي الله تعالى.

لذلك كان تعريف السلوك عند الغزالي بأنه « تهذيب الأخلاق والأعمال بالمعارف عن طريق الاشتغال بعمارة الظاهر والباطن»[٤] .

---

(١) الدراسات النفسية عند المسلمين – عبد الكريم العثمان – ص ١٦٣ مكتبة وهبة ط ١ – ١٣٨٢هـ.

(٢) ميادين علم النفس – ج – جيلفورد – المجلد الثاني – ص ٩٧٦ – دار المعارف ط ١٩٦٢م.

(٣) إحياء علوم الدين – الغزالي ج ٤ ص ٥ – وكذلك : رسالة: مسألة فيما إذا كان في العبد محبة لما هو خير وحق ومحمود في نفسه – تحقيق د. محمد رشاد سالم – ضمن كتاب ، دراسات وبحوث إسلامية – القاهرة – ١٤٠٣ هـ ١٩٨٢م .

(٤) الروضة الندية – الغزالي – ص ١٣٨.

لذا فإن السلوك الإنساني عند أبي حامد على مستويين: مستوى يقترب فيه من باقي الكائنات الحية. ومستوى آخر يحقق فيه مثله العليا ويقترب فيه من المعاني الربانية والسلوك الملائكي ، ويتميز المستوى الأول بتحكم الدوافع والعوامل الاندفاعية، بينما يتميز السلوك الثاني بتحكم الإرادة وسيطرة العقل[١] .

الدوافع الاجتماعيية للسلوك:

يعد موضوع الدوافع أو القوى الدافعة للسلوك الاجتماعي بصفة عامة من الموضوعات المهمة في علم النفس، لأن دوافع السلوك بطبيعة الحال تفسره[٢] .

لذلك فإن دراستنا للدوافع الاجتماعية تساعدنا على أمور أهمها[٣]:

أ) فهم السلوك الاجتماعي للفرد وللجماعة.

ب) توجيه السلوك البشري الوجهة التي نريدها.

ج) وضع معايير اجتماعية للسلوك تتضمن التعاليم الدينية والقيم الأخلاقية والحرص على بنائها من خلال عملية التربية.

د) تحصين الأفراد والجماعات ضد الحرب النفسية وتعريفهم بأساليبها.

هـ) تخطيط الإعلام وجميع وسائله السمعية والبصرية، بشكل يؤدي دوره كاملاً في التأثير المرغوب في سلوك الفرد والجماعة .

وقد مر معنا أن السلوك حركة تنتج عن منبهات داخلية وخارجية .. وما هذه المنبهات سوى الدوافع أو القوى الدافعة للسلوك، وتشمل الغرائز الفردية والاجتماعية.. أما المنبهات الخارجية فتشمل جميع المؤثرات الاجتماعية، أو العوامل الاجتماعية المؤثرة في السلوك .

---

(١) الدراسات النفسية – عبد الكريم العثمان ص ١٦٤.

(٢) علم النفس الاجتماعي – زهران – ص ١٠٩.

(٣) انظر المصدر السابق ص ١٠٩.

ومن هنا كان اهتمام خبراء الحرب النفسية بموضوع الدوافع الاجتماعية، واستغلالها وتوجيهها الوجهة المطلوبة عن طريق أسلحة الحرب النفسية المتعددة.. وبوساطة وسائل الإعلام المتعددة.

إن اهتمام علماء النفس في الدوافع ومحاولة دراسة هذا الجزء المهم من الحياة النفسية لم يبدأ إلا حديثاً عند علماء الغرب.. بينما نجد الغزالي ومن بعده ابن تيمية كانا من أوائل علماء الإسلام في دراسة الدوافع وتأثيرها في الفرد، وتعديلها وإعلائها، وسبقا بها العلماء المحدثين بقرون عديدة(١) ، وإن دلَّ هذا على شيء، فإنه يدل على أن للغزالي ولابن تيمية خبرة عميقة بالنفس البشرية وأحوالها.

والدوافع عند الغزالي هو كل ما يدفع إلى النشاط النفسي أو السلوك مهما كان نوعه حركياً أو ذهنياً، وإذا كان الغالب على الدوافع أن يكون غير مشعور به، فإن شعرنا به كان رغبة، وإذا قوي واستقر بتأثير التجارب الانفعالية كان عاطفة فإن الغزالي يستعمل الدوافع بالمعنى الشعوري غالباً(٢) ودوافع السلوك عند الغزالي على نوعين :

١- مثيرات خارجية: وذلك كهيجان الرغبة لصورة امرأة(٣) أو هيجان الشهوة بسبب كثرة الأكل، ومداخل هذه المثيرات هي الحواس الخمس(٤) .

٢- بواعث داخلية تتمثل في الخواطر وحركاتها والخيالات الحاصلة التي تبقى في النفس إذ ينتقل الخيال من شيء إلى شيء، وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال إلى حال(٥) .

---

(١) عاش الغزالي في القرن الخامس الهجري ٤٥٠ – ٥٠٥هـ (الحادي عشر الميلادي) ، وعاش ابن تيمية في القرن السابع الهجري ٦٦١ – ٧٢٨هـ (الثالث عشر الميلادي).

(٢) الدراسات النفسية – عبد الكريم العثمان ص ١٧٠ .

(٣) الإحياء ج ٣ ص ٤٠ .

(٤) الإحياء ج ٣ ص ٢٥.

(٥) الإحياء ج ٣ ص ٢٥.

وإن مطالعتنا لكتاب الإحياء تبين لنا أن الغزالي يتكلم عن نوعين من الدوافع الأساسية:

أ) دوافع فطرية: مغروزة في الإنسان منذ أن خلقه الله.. مثل شهوة النساء والطعام والزينة.

ب) دوافع مكتسبة : وهي دوافع يكتسبها الإنسان في الحياة . مثل شهوة المال والرياسة والجاه والاجتماع.

والتقسيم نفسه نجده عند ابن تيمية أيضاً حيث قسم الدوافع إلى فطرية ومكتسبة. وقد استفاض في تبيان الدوافع الفطرية أو الغرائز في الإنسان في كتابيه الفتاوى ودرء تعارض العقل والنقل[١] .

والدوافع المكتسبة عند الغزالي لا تقل أهمية عن الدوافع الفطرية، يقول « ومهما أحب الإنسان شهوة البطن والفرج وأنس بهما، أحب الدنيا ولم يتمكن منها إلا بالمال والجاه وإذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياسة. وإذا ظهر ذلك لم تسمح له نفسه بترك الدنيا رأساً وتمسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور»[٢] .

وتحدث الغزالي عن قوة بعض الدوافع وترتيب ظهورها في الإنسان بقوله: « أما الإنسان فإنه خلق في ابتداء الصبا ناقصاً مثل البهيمة، لم يخلق فيه إلا شهوة الغذاء الذي هو يحتاج إليه، ثم تظهر شهوة اللعب والزينة، ثم شهوة النكاح، على الترتيب » ثم يظهر فيه، مميزاً عن البهائم ، العقل والإرادة – والقدرة على دفع الشهوات[٣] .

---

(١) انظر : الفتاوى ١٠/ ٧٢ ، ٥٧١، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٦٠٧، ٥٨٨و ١٤/ ٣٨ ، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ودرء تعارض العقل والنقل ٨/ ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١.

(٢) الإحياء ج ٣ ص ٧٦.

(٣) الإحياء ج ٤ ص ٦٢.

ومن هذا النص نفهم أن الغزالي يشير إلى أن الدوافع فطرية في الإنسان وتظهر خلال مراحل العمر من الصبا وحتى الرشد.

والمحور الذي تدور حوله دوافع الإنسان هو حب البقاء . وكلما اقترب الدافع من هذه الحاجة كلما كان أشد ضرورة وأكثر إلحاحاً ، والغزالي يشرح ذلك فيقول: « ولذلك كان أغلب أحوال النفس، الشره والشهوة والجماع على اعتبار أنها الأصلح للحياة»[١] .

وكما يقول في مكان آخر : « وكانت شهوة البطن والفرج أهم ميول الدنيا[٢] على اعتبار أنها الأصلح والألصق ببقاء الحياة وكل ما سواهما فهو تبع لهما.

والغزالي يعد الميل إلى الطعام أساساً للميول والدوافع لصلته الوثيقة بحب البقاء وكذلك يقول : « أعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن»[٣] .

ويظهر لنا واضحاً أن الميول لا تقصد لذاتها وإنما تقصد لغيرها أي لتحقيق البقاء، فالميل إلى التملك والميل إلى الاجتماع، وكذلك باقي الشهوات الدنيوية إنما يشتغل القلب بها « لبقاء المركب الذي هو البدن»[٤] .

الغرائز عند مكدوجال وفرويد:

لقد درس الغرائز كثير من علماء النفس الغربيين أمثال مكدوجال وفرويد، إلا أن ما يجب أن ننبه إليه أن هؤلاء حينما يعرضون هذه الغرائز يعدونها حقائق موجودة في الكائن الحي الإنساني، وهذا جيد، ولكن السيئ في دراستهم أن هذه الغرائز يجب أن تترك دون ضبط، طليقة من كل قيد يقيدها، مثل الدين والمجتمع والعقل، لأن هذا هو واقع الحياة، وأن أي كف لهذه الغرائز يعرض الإنسان للأمراض النفسية، وهذا ما سنراه عند « فرويد » بشكل خاص.

---

(١) الإحياء ج ٣ ص ٩٣.
(٢) الإحياء ج ٣ ص ٣٤٣.
(٣) الإحياء ج ٣ ص ٧٧ .
(٤) الإحياء ج ٣ ص ٢٢٩.

ونود التنويه إلى أن ما نعرضه من آراء « مكدوجال وفرويد» في حاجة إلى أن يُتلقى بانتباه شديد لأنه ليس إلا حدوساً أو افتراضات يحكمها الهوى وتدفعها الرغبة وتتحرك من خلال غرض مرسوم. فهي ليست خالصة للعلم وحده، لأن العلم في هذه الأمور ما زال قاصراً في ميادين كثيرة وخاصة ما يتعلق منها بالنفس البشرية[١] يقول الكسيس كاريل في كتابه المشهور « الإنسان ذلك المجهول » :
« وواقع الأمر أن جهلنا مطبق. فأغلب الأسئلة التي يلقيها على أنفسهم أولئك الذين يدرسون الجنس البشري تظل بلا جواب لأن هناك مناطق غير محدودة في دنيانا الباطنة مازالت غير معروفة»[٢] إذاً ليس أمامنا من حقائق إلا ما قدمه لنا الدين الحق في مفهوم الفطرة وقوانينها والسنن الثابتة التي لا تتغير.
قال تعالى:﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الروم ٣٠]
وقال تعالى: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ ﴾ [النجم ٣٢]

وسنتعرض لرأي الإسلام في الغرائز بعد عرض رأي كل من مكدوجال وفرويد.

يُعرف مكدوجال الغريزة بقوله: « إنها استعداد فطري نفسي يحمل الكائن الحي على الانتباه إلى مثير معين يدركه إدراكاً حسياً، ويشعر بانفعال خاص عند إدراكه، وعلى العمل أخيراً، أو الشعور بدافع إلى العمل يأخذ شكل سلوك معين تجاه هذا المثير، وعلى هذا فللغريزة ثلاثة مظاهر: مظهر معرفي، ومظهر انفعالي، ومظهر نزوعي[٣] .

---

(١) ارجع كتاب «الإنسان بين المادية والإسلام» د. محمد قطب.
(٢) الإنسان ذلك المجهول – الكسيس كاريل – ص ١٧ تعريف شفيق أسعد فريد.
(٣) علم النفس الاجتماعي – زهران – ص ١٠٩.

وقد صنف مكدوجال الغرائز إلى:

(أ) غرائز فردية .

(ب) غرائز اجتماعية.

أ – الغرائز الفردية : وتتلخص في غريزة البحث عن الطعام وانفعالها الجوع ، وغريزة التملك وانفعالها لذة التملك، وغريزة الاستغاثة وانفعالها الشعور بالعجز، وغريزة الهرب وانفعالها الخوف، وغريزة النفور وانفعالها الاشمئزاز ، وغريزة الضحك وانفعالها الشعور بالمرح والتسلية، وغريزة الحل والتركيب وانفعالها لذة الابتكار، وهي تتصل بغريزة الاستطلاع [١] .

ب – الغرائز الاجتماعية: وتتلخص في الغريزة الجنسية وانفعالها الشهوة، وغريزة الوالدية وانفعالها الحنو وترتبط بالغريزة الجنسية، وغريزة السيطرة وانفعالها الزهو، وغريزة الخنوع وانفعالها الشعور بالنقص، وهي تتصل اتصالاً عكسياً بغريزة السيطرة، وغريزة المقاتلة وانفعالها الغضب، وغريزة التجمع وانفعالها الشعور بالوحدة والعزلة[٢] .

وقد فسّر فرويد الدوافع على أساس الغريزة، والغريزة عنده قوة تفرض وجودها وراء التوترات المتأصلة في حاجات الكائن العضوي (أو حاجات الهُوَ)[٣].

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٩ – ١١٠.

(٢) المرجع السابق ص ١١٠.

(٣) «الهو» هو الجزء اللاشعوري العميق من النفس والذي يضم الدوافع الغريزية ومختلف الرغبات المكبوتة، وتسيطر عليه الميول الاندفاعية العمياء وهو خاضع لمبدأ اللذة . و«الأنا» هو الجزء السطحي الشعوري من النفس ووظائفه أن يفحص الواقع وأن يتقبل ، عن طريق الاختيار والضبط، بعض المطالب والرغبات التي تمثلها الدوافع الصادرة عن «الهو» وهو خاضع لمبدأ الواقع. (معجم مصطلحات علم النفس – منير وجيه الخازن – مادة: الأنا).

ومصدر الغريزة هو حالة من التوتر داخل الجسم، وهدفها هو القضاء على هذا التوتر، وموضوعها هو الأداة التي تحقق الإشباع أو توصل إليه، وهناك عدد كبير من الغرائز، إلا أن معظمها يستنتج من عدد قليل من الغرائز الأساسية[١] .

ومن الغرائز التي قال بها فرويد: غريزة الحياة أو غريزة الحب أو القوى البناءة في النفس وتهدف إلى البقاء، ويدخل في إطارها غرائز حفظ الذات وحفظ النوع وحب الذات، ويقابلها غريزة الموت أو غريزة الهدم أو القوى التدميرية في النفس، وتهدف إلى الفناء. ويوجد صراع دائم بين هاتين الغريزتين الأساسيتين والسلوك حسب هذه الآراء هو مزيج متوافق أو متعارض من غرائز الحياة وغرائز الموت، ويؤدي فساد هذا المزيج إلى اضطرابات في السلوك[٢] .

ويميز فرويد بين غرائز (الأنا) وبين الغريزة الجنسية ، فغرائز (الأنا) هي القوى المعارضة للنزعات الجنسية وهي القوى التي تعمل على حفظ (الأنا) والصراع بين الغرائز الجنسية وبين غرائز (الأنا) يؤدي إلى الصراع العصابي ، والكبت[*] هو نتيجة تفوق غرائز (الأنا) .

ويرى « فرويد» أن الغريزة الجنسية تؤدي دوراً مهماً في حياة الفرد، وقد لاحظ أن المشكلات الجنسية تكمن وراء الكثير من الاضطرابات النفسية وقام ببحوث أدت إلى الكشف عن علاقة اضطرابات الغريزة الجنسية بالأمراض النفسية[٣] .

(*) الكبت : هو عملية لا شعورية مقتضاها منع الميول والدوافع الكائنة في اللاشعور من أن تظهر في حيز الشعور.. (معجم مصطلحات علم النفس مادة: الكبت، الكبح، الكظم) وهو في مفهوم فرويد ليس مجرد الامتناع عن إتيان العمل الغريزي التي تدفع إليه الطاقة الشهوية – كما هو شائع – وإنما استقذار العمل الغريزي هو الذي يولد الكبت .

(١) علم النفس الاجتماعي – زهران – ص ١١٠ و١١١ .

(٢) المرجع نفسه .

(٣) المرجع نفسه.

ويُلاحظ أن فرويد استخدم اصطلاح (جنسي) بمعناه الواسع مشيراً إلى أي نوع من النشاط الجسمي الذي يجلب اللذة بإشباع الحاجات الجسمية، واعتقد فرويد أن النشاط البشري ينبع من دافع غريزي جنسي في طبيعته، وهو الطاقة الجنسية أو ما أسماه الليبيدو[١] الذي يدل على المظاهر الدينامية للغريزة الجنسية ويلاحظ أيضاً أن فرويد قد أكد أن كثيراً من العوامل الاجتماعية ترجع إلى دوافع غريزية، فالاضطرابات العاطفية ترجع إلى الغريزة الجنسية، والإبداع يرجع إلى إعلاء الغريزة الجنسية، والعدوان والحرب يرجعان إلى غريزة الموت[٢] .

نقد نظرية فرويد:

هذا موجز لآراء فرويد في الغرائز – الغريزة الجنسية بشكل خاص – وقد نقد فرويد كثيراً من علماء النفس والاجتماع، واهتمامنا بنقد آرائه، ينطلق من أن هذه الآراء والنظريات أخذت صفة الحقائق، وأثرت تأثيراً كبيراً في الفكر الغربي أولاً وفي مجتمعاتنا الإسلامية ثانياً.. ولأثرها الكبير في التحلل الأخلاقي وتفكك الأسرة والمجتمع في الغرب.. ويمكننا إيجاز نقاط النقد فيما يلي:

١ – إن نظرية فروية محدودة، ولا تمثل الحقيقة كلها، يقول « الكسيس كاريل» إن ملاحظاته (أي فرويد) تتعلق بالمرضى على الأخص، ومن ثم يجب ألا تعمم استنتاجاته بحيث تشمل الأشخاص العاديين، وبخاصة أولئك الذين وهبوا جهازاً عصبياً قوياً وسيطرة على أنفسهم، وبينما يصبح الضعفاء المعتلوا الأعصاب غير المتزنين أكثر شذوذاً عندما تكبت شهواتهم الجنسية فإن الأقوياء يصيرون أكثر قوة بممارسة هذا الشكل من الزهد»[٣] .

---

(١) الليبيدو: أو الطاقة الحيوة أو الجنسية أو الدافع الحيوي (موسوعة علم النفس – عبد المنعم الحفني) .

(٢) علم النفس الاجتماعي – زهران – ص ١١١.

(٣) الإنسان ذلك المجهول ، الكسيس كاريل ص ١٦٧.

إذاً فإن نظريات فرويد في الغريزة الجنسية خاصة استمدَّها من تجاربه على المرضى ، ولم يستمدها من الأصحاء . ولا صحة لقوله أن المرض حاصل في نفس الإنسان من كبت نزعات « الليبيدو» وتحت ضغط المجتمع .. إذ إن كبت الشهوات الجنسية عند الأقوياء يصيرون بها أكثر قوة كما يقول (كاريل).

٢- إن الليبيدو وأصل معناه عند فرويد « الحب » قد وسع فرويد نفسه دلالته حتى جعله يضم مختلف مظاهر النشاط الفردي والاجتماعي .. وهذا شبيه ببعض النظريات الميتافيزيقية (ما وراء الطبيعة) التي تحاول أن تشرح كل شيء بالاستناد إلى فكرة واحدة، كما صنع قديماً (طاليس[*]) حين رد أصول الأشياء إلى الماء. وكما صنع أمبدوقل حين فسر كل شيء بالبغض[1] .

٣- حصر المحللون النفسيون – ومنهم فرويْد – جميع أبحاثهم في كهوف مظلمة من اللاشعور. فبقيت معظم أفكارهم غامضة وغير مقنعة. يقول العالم النفسي السويسري « كلا باديد » في ذلك : « يلوح لي كأن علماء التحليل النفساني في مجال علم النفس أشبه ما يكونون بالبوم، إنهم يرون في الظلام فلهم في ذلك ميزة كبيرة ، إذ يرون ما لا يرى غيرهم، ولكن هذه الميزة مقترنة بعيب وهو أنهم اعتادوا الظلام، فهم في بعض الأحيان لا يطيقون مواجهة النور، ولا يستطيعون أن يعرضوا أفكارهم بجلاء عرضاً منطقياً يقنع الذين على خلافهم، ولم يسبق الاقتناع إلى قلوبهم، وقد ضيَّعوا حس التفريق بين الألوان المتقاربة فلا يميزون الفرضية الغريبة من الاستنتاج الجائر»[2] .

٤- تأثر فرويد بأساطير اليونان القدماء، وبالأساطير والقصص الإسرائيلية الإباحية التي تلصق العار حتى ببعض أنبيائهم زوراً وبهتاناً، وجعل من هذه

(*) طاليس وامبدوقل من فلاسفة اليونان القدماء .

(١) تمهيد في علم الاجتماع – د. عبد الكريم اليافي ص ٣٦٤ – ٣٦٥.

(٢) المرجع نفسه .

الأساطير أساساً بنى عليه جانباً من نظريته.. كأسطورة أوديب التي جعل منها عقيدة موجودة عند كل إنسان حسب زعمه يكره بسببها أباه كرها لا شعورياً، وما قيمة علم أقيم على الأساطير والقصص الكاذبة»[١] .

٥- تقوم مدرسة التحليل النفسي على افتراض وجود (حرب) لا شعورية، أو صراع وخلاف عميق بين نزوات الإنسان الغريزية أو مطامعه الفردية.. والأخلاق والنظم الاجتماعية . وهذا الخلاف إما أن يؤدي - في زعمهم - إلى صراع نفسي وكبت وعقد وأمراض نفسية، وإما أن يؤدي إلى التواء أو انحراف أو نفاق يظهر في اتخاذ (قناع) كاذب يصطنعه الفرد لكي يتقنع به تجاه المجتمع. مع أن الفرد هو الذي أقر هذه النظم الاجتماعية، فالمسلم مثلاً هو الذي اقتنع بالعقيدة التي تنظم حياة المجتمع برغبة، ودافع عنها لأنها تدافع عن مصالح المجموعة التي ينتمي إليها. وبها صلاحه وصلاح المجتمع وتنظم علاقاته الجنسية وغير الجنسية. فكأن مدرسة التحليل النفسي أقامت الحياة النفسية برمتها على افتراض وجود التناقض بين الفرد والمجتمع، فكان من حصادها، في أوروبا، أن أقامت صراعاً، بل ثورة عارمة، ضد الفضيلة والأخلاق، وجعلت زمام المبادهة في هذا الصراع بيد النزعات الحيوانية الغريزية، وأيدها العلم، حسب زعمهم، العلم الكاذب، الذي قام كما رأينا على الأحلام والأساطير والأوهام ونبت في تربة المرض والأسقام، وفي مجتمع منحل منهار[٢] .

٦- وإن مما يؤسف له أن تنتقل نظرية فرويد إلى الفكر الإسلامي وأن تكون مادة تدرس في الجامعات والمعاهد.. وهي بهذا الشكل الذي يعتورها النقص من كل جانب، وتحيط بها الشبهات من كل جانب، مع أن دراسات متعددة قد خرجت تكشف زيف فروض كثيرة مما طرحه فرويد واستسلم الفكر الغربي له:

---

(١) مدخل إلى علم النفس - الأستاذ النحلاوي - ود. عرقسوسي ص ١٠٦.

(٢) المرجع نفسه .

أ) من ذلك ما ذكره الدكتور « ناتان كلامين » من أن نظرية فرويد في العلاج النفسي والعقلي (وهي النظرية التي ترجع جميع الاضطرابات النفسية إلى أسس جنسية بحتة) هذه النظرية ليست سوى مِعْوَل هدام لعقول الشباب، ومخدر مميت للنفوس، ورجح الدكتور كلامين إلى أن البيئة هي المسؤول الأول عما يصيب الإنسان من انحراف نفسي وعقلي[١] .

ب) وكذلك أجرى الدكتور إسكندر توماس عدداً من البحوث بوساطة فريق من الأطباء النفسيين، انتهى منها إلى أن نظرية فروِيْد لم تكن مطلقة وأن إقبال رجال التربية على لوم الآباء بشأن توجيه أبنائهم كان من أكبر الأخطاء ، ويقول العلماء في تقريرهم: إنهم درسوا حياة ١٥٨ طفلاً غير منحرفين بينهم الفقراء والأغنياء فوجدوا أن الأولاد أصحاء مستقيمين بالرغم من قيود النظم القاسية في تربيتهم وذلك يدلك على أن مسلك الطفل يتأثر بعدد كبير من العوامل[٢] .

ج) وحتى العلاج النفسي المبني على نظرية فرويد في التحليل النفسي[٣] أثبت العلماء عدم فاعليته وجدواه. فالدكتور « هاري وانيستوك » وهو من اللجنة الأمريكية للتحليل النفسي كتب يقول : « إن الجمعية لا تزعم شيئاً يتعلق بالفائدة العلاجية للتحليل ، ونحن غير مسؤولين عن المزاعم التي تصدر من أفراد قد تتغلب حماستهم على معرفتهم » ويضع الدكتور « إدوارد جلوف » – وهو من أكبر المحللين النفسانيين في بريطانيا – « القوة العلاجية للتحليل ضمن قائمة الافتراضات

---

(١) مفاهيم العلوم الاجتماعية – أنور الجندي – ص ١٧١ (دار الاعتصام ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م).

(٢) المصدر السابق ص ١٧١ أيضاً .

(٣) إن التحليل النفسي الذي ينبثق من (سيجموند فرويد) يقوم على أساس النظرية القائلة إن كثيراً من السلوك الإنساني له دوافع كامنة في النفس، وإن التدريب الطويل كفيل بأن يجعل المحلل النفساني بارعاً في استخلاص وتفسير هذه الدوافع الكامنة عن طريق تداعي المعاني . إذاً فالعلاج النفسي مبني على (بحث أسباب السلوك) .

غير الجائزة » وإن (هـ . ايسنك) أستاذ علم النفس بجامعة لندن يقول: لم يقدم التحليل النفسي أي دليل عملي لا يقبل الشك على أنه نجح في علاج الأمراض النفسية.. وأن فرويد نفسه في أواخر أيامه أخذ تشاؤمه يزداد حيال الإمكانيات العلاجية للفنون التي وضعها هو بنفسه»[١] .

٧ – وأخيراً تتضح الصورة لنظرية فرويد، عندما يتبين لكل ذي بصيرة أن غاية فرويد البعيدة هو إفساد المجتمع، وانهيار أخلاقه وذلك بتمجيده للإباحية وإطلاقه عنان الشهوات البشرية للرجل والمرأة تنفيذاً لمخططات يهودية خبيثة. ويشهد على ذلك أحد كتاب الغرب هو « لوكهارت» في كتابه « اليهود المعاصرون» إذ يقول: « إن الأدب العالمي قد يكون مديناً لبعض كتاب اليهود، ولكن شرهم أكثر من نفعهم وإثمهم أكثر من خيرهم.. وأن فرويد قد أوجد الإباحية الحديثة على نمط الوثنية الإغريقية، ومجّد الغريزة بحيث أطلق عنان الشهوات البشرية ورخص للرجل والمرأة أن يفعلا بجسدهما ما شاء»[٢] .

الغريزة في الإسلام:

ما زال العلم الإنساني قاصراً على التوصل إلى حقيقة الغرائز ودورها في حياة الإنسان، وما الآراء التي أشرنا إليها آنفاً لكل من (مكدوجل) و(فرويد) إلا حدوس أو افتراضات شخصية يحكمها الهوى..

إذاً ليس أمام الإنسان من حقائق حول هذه الأمور النفسية إلا ما قدمه الدين الحق في مفهوم الفطرة وقوانينها، والسنن الثابتة التي لا تتغير ..لأن الله – عز وجل– مصدر هذه الحقائق ... والله أعلم بمخلوقاته وما غرز فيها من قوى باطنة كي تستطيع الحياة، وتحقق مفهوم الخلافة الصحيحة في هذه الأرض قال تعالى:

---

(١) مجلة المختار من ريدرز دايجست – آذار ١٩٦٠ – مقال: اعرف عن التحليل النفسي.

(٢) مفاهيم العلوم الاجتماعية – أنور الجندي – ص ١٦٥.

﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾ [النجم ٣٢] وقال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك ١٤] وقال تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الروم ٣٠]

فالله – عز وجل – خلق الإنسان، وخلق فيه من الغرائز ما يحفظ ذاته ونوعه وقد أشار القرآن إلى بعض هذه الغرائز الفطرية .. قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ [آل عمران ١٤]

من هذه الآية الكريمة نتبين أن هناك بواعث فطرية خفية ، فطر الله الناس عليها لتؤدي دوراً أساسياً في حفظ الحياة وامتدادها، وصياغة الفعل للمجهول « زين للناس» تشير إلى أن تركيبهم الفطري قد تضمن هذا الميل(١) ، وأن المزيِّن هو الله تعالى لا الشيطان كما هو عند بعض المفسرين(٢) ، والغرائز في الإنسان كثيرة ومتنوعة. ومنها الأساسية ومها الفرعية المرتبطة بالأساسية.. والمتولدة عنها.. ومن خلال استقرائنا لموضوع الغرائز . نرى أن نصنف الغرائز في الإنسان إلى خمس غرائز أصلية وأساسية، تتفرع منها مجموعة من الغرائز الأخرى.. وهي كما يلي:

أولاً: غريزة البحث عن الطعام: وهي من أقوى الغرائز العضوية والحيوية (البيولوجية) في الإنسان. خلقها الله – عز وجل – في الإنسان ليحافظ على ذاته.. تولد هذه الغريزة مع ولادة الإنسان، وتموت بموته، وهي أقوى من الغريزة الجنسية، إذ إن الإنسان قد يصبر على عدم إشباع الغريزة الجنسية، ولكنه لا يستطع أن يصبر

---

(١) ارجع إلى الظلال ج ٣/ ٣٧٣ ط دار الشروق.

(٢) أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ، لما نزلت « زين للناس حب الشهوات» قلت: الآن يا رب حين زينتها لنا ، فنزلت « قل أؤنبئكم بخير من ذلكم» الآيات . (ارجع إلى تفسير الطبري المجلد الثالث ص ١٣٤) (تفسير سورة آل عمران).

عن الطعام .. بالإضافة إلى أن الصوم عن الطعام وسيلة من وسائل القضاء على الشهوة الجنسية أو التخفيف من حدتها مؤقتاً إلى أن يتيسر للإنسان الزواج وإشباع هذه الغريزة .

قال رسول الله ﷺ : « **يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء** »(١) .

ثانياً – غريزة الحياة: وهي من الغرائز التي خلقها الله – عز وجل – في الإنسان ليحافظ بها على ذاته ، ويتفرع منها غريزة المقاتلة، وغريزة الخوف، وغريزة الهرب. وغريزة الحياة غريزة قوية في الإنسان، وتستيقظ هذه الغريزة عندما يهدد حياة الإنسان خطر ما ، من إنسان آخر أو حيوان.

ثالثاً– الغريزة الجنسية: وهذه الغريزة في الإنسان تهدف إلى حفظ النوع الإنساني، وعن طريق إشباعها يتكاثر البشر.. وهي تستيقظ في سن البلوغ عند الإنسان، وقد شرع الإسلام إشباع هذه الغريزة عن طريق الزواج .. لذلك حضّ الإسلام على الزواج المبكر.. وعدم هدر هذه الطاقة الحيوية في الإنسان.

رابعاً – غريزة التملك وحب المال: ويتفرع عنها غريزة السيطرة ، والطمع ، والبخل، وحب الظهور والزينة، والسلطان ، والجاه ... إلخ.

والآية الكريمة المذكورة آنفاً « زُيِّن للناس » تبين هذه الغريزة في الإنسان قال تعالى: ﴿ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾ [آل عمران ١٤]

وقال تعالى:﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ [العاديات ٨]

وقال تعالى: ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الفجر ٢٠]

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي .. ارجع إلى جامع الأصول ج ١١/ ٤٢٦ واللفظ لمسلم (كتاب النكاح – باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ...) .

إلا أن الإسلام سما بهذه الغرائز . كما سنرى في الفقرة الآتية.

خامساً – غريزة الاستعداد للتسامي: وهي الغريزة التي توازي جميع الغرائز السابقة في فطرة الإنسان، وتعمل حارسة للإنسان لئلا يستغرق في جانب واحد من حياته ويفقد قوة النفحة الإلهية ومدلولها وإيحاءها.

« والاستعداد للتسامي هو الاستعداد لضبط النفس ووقفها عند الحد السليم من مزاولة إشباع الغرائز في الإنسان؛ الحد الباني للنفس والحياة، مع التطلع المستمر إلى ترقية الحياة ورفعها إلى الأفق الذي تهدف إليه النفحة العلوية، وربط القلب البشري بالملأ الأعلى والدار الآخرة ورضوان الله ، هذا الاستعداد يهذب الغرائز الأخرى وينفي عنها الشوائب، ويجعلها في الحدود المأمونة التي لا يطغى فيها جانب اللذة الحسية على الروح الإنسانية»[1] .

قال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾ [آل عمران ١٥]

تعديل الدوافع:

إن مسألة تعديل الدوافع أو إبدالها، أو إعلائها أصبحت لها أهمية كبيرة في الوقت الحاضر، وخاصة في مجال علم النفس الاجتماعي الذي هو بدوره أساس مهم من أسس الحرب النفسية، التي تهدف أول ما تهدف إلى تغيير سلوك الفرد والجماعة، وتوظيف ذلك لصالح من يشنها.. ومن المعلوم في علم النفس أن السلوك الغريزي لا يبقى ثابتاً عند الإنسان كما يبقى عند الحيوان – بل يخضع لكثير من التعديل ، حتى إن أفراد الجنس الواحد يَرْوون حاجة غريزية واحدة بأساليب كثيرة متنوعة بعضها مكتسب وبعضها مخترع وبعضها خاضع للظروف المتجددة بتجدد المدنية والحضارة[2] .

---

(١) ارجع إلى في ظلال القرآن ، لسيد قطب ج ٣ / ٣٧٣ ط دار الشروق .

(٢) ارجع إلى « المدخل إلى علم النفس » النحلاوي وعرقسوسي ج ٢ ص ٢٣.

ويمكن ، للتيسير، عرض أنواع التعديل للدوافع كالآتي[١] :

١- تعديل من الناحية الإدراكية، فبعد أن كانت الدوافع الغريزية تستثار بمثيرات طبيعية يمكن استشعارها بمثيرات غير طبيعية.. أو أن يفقد المثير الطبيعي كالظلمة مثلاً قدرته على إثارة الخوف ويحل محله مثير آخر غير فطري هو الخوف من العار مثلاً ، لإدراك الإنسان أنه ليس في الظلمة ما يخاف منه. وكذلك الخوف من الأصوات العالية فإن إدراك الإنسان لعدم ضرر الأصوات العالية في المناجم والمعامل الصاخبة يجعله لا يخاف هذه الأصوات.

٢- تعديل من الناحية النزوعية.. وهذا النوع من التعديل واضح في حياة الإنسان، الذي ينزع بفطرته إلى نوع من السلوك لتحقيق دافع ما، لكن هذا السلوك لا يبقى ثابتاً عنده، فبدلاً من أن يروي الإنسان غضبه بالمقاتلة أصبح يرويه بالحيلة أو الاستهزاء أو الحطّ من قدر عدوه، أو بالحصار الاقتصادي أو بتدبير المؤامرات.. أو بأي سلاح من أسلحة الحرب النفسية كالشائعات والدعايات وغيرهما.. ومثل هذا يقال في باقي الغرائز ..

٣- تعديل بسبب استثارة غرائز مختلفة في آن واحد، فنجد السلوك الغريزي يتعدل بسبب ما يستثار معه من دافع أو دوافع أخرى في الوقت نفسه ، فمثلاً إذا وجدت ابنك قد أتلف شيئاً عزيزاً على نفسك، فالإتلاف يثير الغضب والمقاتلة، والابن يثير الوالديه والحنو ، فيكون السلوك في هذا الموقف سلوك عتب وتأديب لا سلوك ضرب أو توبيخ ..

---

(١) للإطلاع أكثر على موضوع تعديل الدوافع يراجع ما يلي:

أ- علم النفس وأسسه التطبيقية والتربوية – للدكتور عبد العزيز القوصي. ص ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ٢٦٥.

ب- علم النفس – للدكتور محمد خير عرقسوي وعبد الرحمن النحلاوي وعبد الكريم العثمان (ص ١٣١، ١٣٢، ١٣٣) ١٣٩٣هـ .

ت- لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها للدكتور محمد أمين المصري (ص ٥٨، ٥٩).

٤ - تعديل ناشيء من ينظم الاستعدادات الغريزية وانفعالاتها حول شيء لتكوّن ما يسمى بالعواطف .. فيحول الإنسان دوافعه الغريزية إلى عواطف نبيلة سامية موجهة .. فالعاطفة استعداد مكتسب للانفعال تجاه موضوع معين والقيام نحوه بسلوك يتطلبه الموقف لإرواء الرغبات المنبثقة عن العاطفة.

وأبو حامد الغزالي - رحمه الله - له نظرات عميقة في هذا المجال، فهو لا يعترف بكبت الغرائز والدوافع، وإنما يقول بإمكان تعديلها وإعلائها، وذلك لأنه يعتبر مختلف الدوافع أساسية في الإنسان، ويعترف بكل ما في المرء من دوافع وميول.

ويبين الغزالي أن الشهوة والغضب والحسد والطمع والشهرة وغيرها من دوافع، لا تنقطع ما دام الإنسان حياً[(١)] .

وليس المطلوبُ القضاءَ على الغرائز وإماتتها بل ضَبَطِها وتسييرها بمسار الشرع، وإن الشهوةَ والغضبَ لم يخلقْهما الله - عز وجل - كما يقول الغزالي « لتكونَ أسيرَهما ولكن خلقهما ليكونا من أسراك فتسخرهما للسفر الذي أمامك، تجعل أحَدهما مركبك والآخر سلاحك حتى تصيد سعادتَك»[(٢)] .

واعترافُ الغزالي بدوافع الإنسان يتفق مع الإسلام، الذي يأخذ مما غلَّبناه من أن معنى الفطرة[(٣)] : هو وجود الاستعدادات المختلفة في الإنسان وذلك استناداً

---

(١) الإحياء ج ٣ ص ٢٩.
(٢) كيمياء السعادة للغزالي ص ٥٠٤.
(٣) إن كلمة الفطرة تأخذ عند الغزالي مفاهيم متعددة قد تبدو متعارضة . فهو أحياناً :
أ) قد يقصد بها التصديق بالربوبية ، بمعنى أن يولد الإنسان وهو بالفطرة مقيد بالرغبة لمعرفة الله وهو المعنى الذي يقصده الفقهاء حين يعرفون الإسلام بأنه دين الفطرة « كل مولود يولد على الفطرة ... الحديث» .
ب) وقد يقصد بالفطرة قبول الخير والشر وخلو القلب عن كل نقش .
ت) كما قد يقصد بها الاعتدال ، لأنه الغالب على أهل المزاج . ومهما يكن من أمر فإن هذه الأقوال لا تناقض القول بأن في النفس مجموعة من الميول والدوافع الفطرية والمكتسبة (الدراسات النفسية ، عبد الكريم العثمان ص ١٦٨ حاشية). والفطرة عند ابن تيمية هي الإسلام، أو هي الاستعداد للإسلام، وقد استفاض في الحديث عن الفطرة في كتابه: (درء تعارض العقل والنقل).

على أن الإنسان تألف من طبيعة أرضية وأخرى سماوية لقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحجر ٢٨-٢٩]

فالأصل الأرضي يتمثل بالطين، أما الأصل العلوي فإنه روح الله[١] .

والدوافع التي تقوم على كل من هاتين الطبيعتين مطلوبة، لأن كيان الإنسان مجموع جسمه وعقله وروحه، إذا صح لنا أن نفصل بينها ، فهي كيان مترابط واحد ممتزج اسمه الإنسان .

والعقل يقوم بمهمته في مساعدة الإنسان من أجل حصوله على المعرفة، والوسائل الصحيحة، للإجابة على نوازع الغريزة، كما يمثل النزعة الدائمة إلى المعرفة والتي يبدو كأنها في ذاتها هدف مقصود، عن طريقها ترتقي الحياة وتتقدم . وهي تحقق أهدافها الأصلية في الوقت ذاته، وهكذا يكون الرقي باعثاً أصيلاً في الإنسان وينزع إليه نزوعاً ذاتياً[٢].

ويلح الغزالي على أن للدوافع مهما نزلت درجتها طبيعة مزدوجة ، أي أنها: إما أن تكون وسيلة لارتقاء الإنسان وإما أن تكون سبباً في ضياعه. وذلك إنها إما أن تسير متزنة يُوَجِّهُهَا هدفٌ واحد، فتقوم بمهمتها على وجه صحيح ولا يكون هنالك ما يدعو إلى محاولة للتعديل أو للتصعيد، وإما أن يُسيطرَ أحدُ الدوافع على الأخرى، فيفرض سلطانه عليها، وتنحرف الميول عن الهدف الصحيح، وتكون مسوقة لعمارة الدنيا دون الآخرة[٣] ، ويصبح المرء عبداً لها مؤتمراً بأمرها[٤] ، كما يصبح العقل خادماً لها[٥] .

---

(١) الدراسات النفسية – ١٩٦.

(٢) الإنسان بين المادية والإسلام – محمد قطب – ص ٨٤.

(٣) الإحياء ج ٣ ص ٩.

(٤) الإحياء ج ٣ ص ٦٤.

(٥) الحياء ج ٣ ص ٤٥.

فالميلُ إلى الطعام إذا انقلب إلى شهوة للطعام، فإنه يستعبد الإنسان ويسيطر على تفكيره وسلوكه ويقعد به عن الارتفاع، وكذلك الأمر بالنسبة لشهوة الجنس وغيرها.

والخطر الشديد أن هذه الدوافع إذا استحكمت يرتبط بعضها ببعض وتتآزر كلها لتحطيم الإنسان؛ إذ تَتْبَعُ شهوة الطعام «شهوةَ الفرج وشدةَ الشبق إلى المنكوحات، ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح شدة الرغبة في الجاه والمال اللذين هما وسيلة إلى التوسع في المنكوحات والمطعومات. ثم يتبع استكثارُ المالِ والجاه أنواعَ الرعوناتِ وضروب المنافسات والمحاسدات»[1].

وحين تصبح الشهوات على هذا الشكل من السيطرة فإنها تصرف الإنسان عن كل خير، وليس هَم الحياة في نظر الغزالي مجرد أداء المطالب الحيوية وما يتعلق بها من رغبات وشهوات، فهو لا يرضى للإنسان أن يكون كالحيوان، مقيداً بحدود غريزته التي تفرض عليه كل حركاته وسكناته، فالإنسان حر إن لم يكن بالدوافع الغريزية المفروضة عليه، فبالطريقة التي يستجيب بها لتلك الدوافع والمدى الذي يذهب إليه حين يستجيب لها[2].

وهكذا فالإسلام ينكر خروج الدوافع عن طريقها الذي رسمه الله لها؛ طريق حفظ الإنسان وحفظ الحياة، ودفع كل أسباب الهلاك والوصول إلى الله تعالى.

وقد ذم رسول الله ﷺ عبودية الغرائز للإنسان ومنها عبودية المال والشهوة وحب المظاهر الفارغة، وحَضَّ على الجهاد في سبيل الله. عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «**تَعِسَ عبد الدينار، وعبدُ الدرهم، وعبدُ الخميصة، إنْ**

---

(١) الأحياء ج ٣ ص ٧٧.

(٢) الدراسات النفسية ص ١٩٩ عبد الكريم العثمان.

أعطِيَ رَضيَ وإنْ لَم يُعطَ سَخِطَ، تَعِس وانْتَكَس، وإذا شيك فلا انتقش، طُوبى لعبدٍ آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسُه مغبرةٌ قدماه..»(١).

ثم إن الإسلام يقيم توازناً دقيقاً بين مختلف الدوافع. ويكره التطرف فلا هو يكبتها ويقضي عليها، ولا هو يرضى باستعبادها للإنسان.

فالقرآن الكريم يوصي الإنسان بحالة الوسط بين الإفراط والتفريط قال تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف ٣١] ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان ٦٧]

وكذلك يبين القرآن الكريم، أن الدوافع فطرية ومغروزة في الإنسان منذ أن خُلق . قال تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الروم ٣٠] وقال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ [آل عمران ١٤] وقال تعالى:﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات ٨].

إلا أن الله – عز وجل – بالإضافة إلى تقرير هذا، يوجه الإنسان إلى الملأ الأعلى حتى لا يسرف فيما فُطرَ عليه، وإن الآخرة هي الحياة الحقة. قال الله تعالى: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف ٤٦] ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ ﴾ [القصص ٦٠] ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [الأعلى ١٦-١٧] .

وهكذا يوجه الإنسان المؤمن غرائزه ودوافعه فيما يرضي الله تعالى: وفي الطريق المستقيم الذي رسمه الله تعالى للناس أجمعين.. طريق الإسلام العظيم، وقلنا إن الإسلام يكره التطرف في كل شيء، ولو إلى أعلى ، كما يظن البعض ، لذلك منع الرهبانية التي تقوم على القضاء على كل نوازع الجسد. قال تعالى: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ ﴾ [الحديد ٢٧] .

---

(١) رواه البخاري – باب الحراسة في الغزو في سبيل الله – فتح الباري (ج ٦ ص ٨١ السلفية).

ورد رسول الله ﷺ على نفر من الصحابة أرادوا القضاء على بعض دوافع الإنسان في الطعام والنساء، قولهم، مبيناً لهم طريق الإسلام الصحيح كما ورد في الحديث الشريف: « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أُخبروا كأنهم تقالّوها فقالوا، وأين نحن من النبي ﷺ ؟ قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدُهم، أما أنا فإن أصلى الليل أبدًا ، وقال آخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا .. فجاء رسولُ الله ﷺ إليهم فقال: **أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساءَ فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[(١)].

ومما لاريب فيه أن أفضل أسلوب تربوي لإعلاء الدوافع هو « ربط سلوك الإنسان بأهداف عليا للحياة الإنسانية، وتذكير الناس دائماً بهذه الأهداف كلما انحرفوا عنها. أو حطت بهم شهوات الجسد عن التوجه إليها.. إذ لابد من غاية أو بتعبير الغزالي من هَمّ يسيطر على القوى كلها، وبذلك تضطبع حياة الإنسان بهذه الأهداف وتتوجه الدوافع كلها في سبيل تحقيقها، وهذا ما يحقق رقياً وسمواً وتصعيداً دائماً»[(٢)].

« من أجل هذا يربط الغزالي الإنسان بغاية أساسية وهي الوصول إلى الله – عز وجل – ويذكره بهذا الهدف الأعلى دائماً، حتى يُوجه جميع إمكانياته وطاقاته ودوافعه من أجل تحقيقه»[(٣)].

وهكذا يكون الغزالي بتأكيده هذا على الهدف من السلوك قد سبق الكثير من علماء النفس الذين ألحوا على وجوب دراسة السلوك من خلال الأغراض والغايات، ويتجه البحث حينئذ إلى الغاية من السلوك وليس إلى سببه.

---

(١) متفق عليه – واللفظ للبخاري – كتاب النكاح – باب الترغيب في النكاح.

(٢) الدراسات النفسية – عبد الكريم العثمان – ص ٢٠٠.

(٣) المرجع السابق ص ٢٠٠.

والغزالي في هذا كله يبدو بعيداً عن عملية الكبت، ويمكن أن نُسمي طريقته في معالجة الدوافع باسم عملية الضبط، وهي تختلف عن الكبت. لأن هذا الاخير عملية قمع لا شعورية، في حين أن عملية الضبط عملية إرادية، وسلوك الإنسان هنا سلوك إرادي، يتميز بالقدرة على الكف – وتركيز الانتباه في اتجاه معين مرسوم، وذلك لتحقيق إعلاء الميول، وعناصر هذا الضبط حاضرة في شعورنا ولذلك لا يترتب عليه كبت ما، وهو عملية واعية لا تتعرض للشهوة في منبتها – والمهمة الأساسية لها التنظيم والتصعيد[١].

بالإضافة إلى ذلك فإن الكبت يتولد لا شعورياً من استقذار العمل الغريزي نفسه، بينما عملية الضبط في الإسلام، فإنها تُسيّر العمل الغريزي في مسراه الصحيح، ولا تستقذره، بل ويثيب الإسلام عليه أيضاً.

قال ﷺ : « .. وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدُنا شهوتَه ويكونُ فيها أجر، قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وِزْر فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»[٢].

وهكذا جعل الإسلام للعبد المؤمن ثواباً على تهذيب دوافعه وإروائها بالطريقة الشرعية، وما يقال عن الغريزة الجنسية يقال عن شهوة الطعام، وشهوة المال وغيرها من الغرائز والدوافع.

فالإسلام لم يكبت الدوافع بل صعّدها ووجهها، بل حرص على تحقيقها بشكل كامل غير قابل للفناء في الجنة التي وعد الله المتقين الذين يوجهون دوافعهم لإرضاء الله تعالى ويستعملونها في حدود شريعة.. قال تعالى بعد أن قرر وجود هذه

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠١.

(٢) وهو جزء من حديث رواه مسلم بطوله في « كتاب الزكاة » باب « كل نوع من المعروف صدقة».

الشهوات في الإنسان:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ﴾[آل عمران ١٤] قال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران ١٥]

على هذا الأسلوب النفسي الرائع في تجميع الدوافع الإنسانية والطاقات البشرية وتوجيهها واستسلامها لله – جل جلاله – تربى الجيل الأول من المسلمين بحيث أصبحوا جيلاً قرآنياً فريداً ، لم ينشأ مثله في قرون القرون.

عن عمران بن حصين – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ : «**فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثاً – ثم إن بعدكم قوماً يَشهَدون ولا يُستَشْهَدون، يَخونون ولا يُؤْتَمنون، ويُنْذرون ولا يَفون، ويَظْهَر فيهم السِّمن**»[(١)].

والصور الواقعية التي تشهد بذلك كثيرة جداً، لمن يقلب صفحات التاريخ وتاريخ الصحابة بشكل خاص.. باعتبارهم – رضي الله عنهم – هم النقلة الأولى. والصورة الثانية للإنسان الجاهلي بعد أن آمن وأسلم لله.

أما ما نشاهده اليوم من استيقاظ الشهوات، واستعبادها للإنسان بحيث أصبحت وثناً يعبد من دون الله، فهو بسبب بُعْدنا عن مبادئ الإسلام العظيم، وعن المحجة البيضاء التي تركنا رسول الله ﷺ عليها.. كتاب الله وسنة نبيه ... فكان هلاكنا... وذُلَنا الذي نعيش في ظلاله.

---

(١) رواه البخاري – فتح الباري – كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ – ج ٧ ص ٣ رقم ٣٦٥٠ (ط السلفية).

المبحث الثاني

العوامل المؤثرة في السلوك:

عرفنا آنفاً أن السلوك حركة أو عمل يتكون في البيئة الاجتماعية.. وفي هذه البيئة مؤثرات كثيرة تؤثر فيه. وتدفعه إلى تحقيق هدفه. وقد يستجيب الفرد لهذه المؤثرات أو لا يستجيب، تبعاً لقوة المؤثر، وكذلك تبعاً لوعي الفرد، ونُضجه.

ومن هذه العوامل المؤثرة في سلوك الفرد، على سبيل المثال لا الحصر، التربية التي يُنشَّأ عليها الفرد ، ثم العقيدة والثقافة، ثم الرأي العام وأخيراً الإعلام وأشكاله المختلفة من إذاعة ورائي (تلفزيون)، وكتاب، وصحافة.. إلخ وسنرى أن هذه العوامل مجتمعة تستعملها الحرب النفسية الحديثة لتحقيق مآربها في تغيير سلوك من توجه لهم.

١- التربية: في المعجم الفلسفي .. تعرف التربية بما يلي: « التربية هي تبليغ الشيء إلى كماله. أو هي كما يقول المحدثون : تنمية الوظائف النفسية بالتمرين حتى تبلغ كمالها شيئاً فشيئاً.

تقول : ربّيتُ الولد، إذا قويت ملكاته ، ونميت قدراته، وهذبت سلوكه، حتى يصبح صالحاً للحياة في بيئة معينة.

وتقول : تَربّى الرجلُ إذا أحكمته التجارب ونَشّأ نفسه بنفسه، ومن شروط التربية الصحيحة أن تنمّى شخصية الطفل من الناحية الجسمية والعقلية والخلقية، حتى يصبح قادراً على مؤالفه الطبيعة، ويجاوز ذاته، ويعمل على إسعاد نفسه وإسعاد الناس.

وتعد التربية ظاهرة اجتماعية تخضع لما تخضع له الظواهر الأخرى في نموها وتطورها»[(١)].

---

(١) المعجم الفلسفي – جميل صليبا – (١/ ٢٦٦) وقد أقر هذا التعريف مجمع اللغة العربية بمصر. ولزيادة الإطلاع على معاني التربية ارجع إلى مدخل إلى التربية في ضوء الإسلامية للأستاذ عبد الرحمن الباني (ص ١٥) نشر المكتب الإسلامي.

والمجتمع هو الذي يقوم بمهمة التربية، ويُعِدُّ الفردَ سلوكياً وفكرياً للحياة، وأصغر خلية اجتماعية الأسرة، لذا كان للأبوين الدور الكبير في هذه المهمة الخطيرة.

يقول الإمام الغزالي: «الصبيُّ أمانةٌ عند والديه، وقلبُه الطاهرُ جوهرة نفسية ساذجة خالية من كلِّ نقش وصورة، وهو قابل لكل نقش ، ومائل إلى كل ما يُمال به إليه، فإن عُوِّد الخيرَ وعُلمه نشأ عليه، وسعِد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب، وإن عُوِّد الشر وأُهمل إهمال البهائم شَقي وهَلَك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له وقد قال الله – عز وجل - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ [التحريم ٦]»[1].

ويقول ابن قيِّم الجوزية: « ومما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج الاعتناء بأمر خُلقه فإنه ينشأ على ما عوّده المربي في صغره، ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم وذلك من قبل التربية التي نشأ عليها»[2].

والتربية لابد لها من أساس فكري يقررها، وعقيدة توجهها وباختلاف المجتمعات البشرية تختلف عمليات التربية، وهذا مشاهد في سائر العصور ولدى الشعوب والأمم كافة.

والعقائد تتفاوت في صحتها، فالعقيدة السليمة أساس للتربية الصحيحة، ومن هنا صح أن نقول إن للتربية أساساً دينياً، وحديث رسول الله ﷺ يقودنا إلى هذه الحقيقة العلمية التربوية، وذلك حيث يقول: « ما من مولود إلا ويولد على الفطرة،

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٦٩) ط دار إحياء الكتب العربية.

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود ص ٢٤٠-٢٤٤ تحقيق الشيخ عبد القادر الأناؤوط – مكتبة دار البيان بدمشق ١٣٩١/ ١٩٧١ دار الفكر ط ٢ – ١٣٩٢هـ.

فأبواه يهوِّدانه وينصرانه ويمجّسانه، كما تُنتجُ البهيمةُ بهيمةً جمعاءَ، هل تُحِسُّون فيها من جَدعاء؟»[١].

« فالمولود يولد على الفطرة السليمة وهي الاستعداد للإسلام، ولكن أبوية، إذا كانا مجوسيين - يعبدان البقرة أو النار -ما يزالان يأخذانه بتربية تُمجّسُه، وبتعبير آخر إن فكرتهما المجوسية توجه تربيتهما لطفلهما، وكذلك إذا كانا يهوديين فإنهما ينحرفان به بنوع آخر من التربية إلى اليهودية، وهكذا الأبوان النصرانيان... وهكذا كلُ أسرة، تُنشِئ أولادها على عقيدتها ودينها»[٢].

ولأهمية دور التربية في التأثير على سلوك الأفراد والمجتمعات، لجأ الغرب الصليبي في أوائل هذا القرن إلى التربية لتغيير سلوك الفرد في المجتمعات الإسلامية، وإبعاد المسلمين عن دينهم ليسهل السيطرة عليهم بعد ذلك. وما مهمة المدارس والجامعات التبشيرية في البلاد الإسلامية إلا هذه المهمة.

يقول « محمد أسد »[٣] في كتابه القيم « الإسلام على مفترق الطرق» : « إن التنشئة الغربية لأحداث المسلمين ستفضي حتماً إلى زعزعة إرادتهم في أن يعتقدوا أو أن ينظروا إلى أنفسهم على أنهم هم ممثلوا الحضارة الإلهية الخاصة التي جاء بها الإسلام»[٤].

---

(١) الحديث أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه كتاب القدر – باب معنى كل مولود يولد على الفطرة – ومعنى تنتج (بفتح التاء الثانية) تولد.
وانظر مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام – عبد الرحمن الباني – ص ٣١- المكتب الإسلامي – ط ١٤٠٠هـ .

(٢) المرجع السابق.

(٣) محمد أسد – مهتدي مسلم، نمساوي الأصل، كان يدعي ليوبولد فايس، ومن مؤلفاته أيضاً الطريق إلى مكة (وفي طبيعته الحديثة: الطريق إلى الإسلام) نشر دار العلم للملايين – بيروت.

(٤) ص ٦٧ – ترجمة عمر فروخ – دار العلم للملايين ١٩٧٧م.

ويقول أيضاً: « إن تعليم الأدب الأوروبي على الشكل الذي يسود اليوم الكثير من المؤسسات الإسلامية يقود إلى جعل الإسلام غريباً في عيون الناشئة المسلمة. ومثل هذا – ولكن إلى حد أبعد – يصدق على التعليل الأوربي للتاريخ العام، إذ لا يزال الموقف القديم فيه « رومانيون وبرابرة» يظهر بجلاءٌ ثم إن لمثل هذا العرض في التاريخ هدفاً خفياً ، ذلك أن يدلل على أن الشعوب الغربية ومدنيتها أرقى من كل شيء، جاء أو يمكن أن يجيء إلى هذا العالم، وهكذا يمكن خلق نوع من التبرير الأدبي لسعي الأوروبيين إلى السيطرة وإلى القوة المادية»[١].

وليس هدفنا هنا تبيان الغزو الفكري الغربي للمجتمعات الإسلامية ومراميه البعيدة لأن هناك كتباً توسعت في هذا الأمر، ولكننا نريد أن نوضح الأهمية الكبيرة التي أولاها الغرب الصليبي للتربية والتعليم في البلاد الإسلامية، والتأثير على الأفراد والمجتمعات فكرياً وعقيدياً.. مما لا نزال نعاني من ويلاته حتى الآن.

وقد زاد أوار المعركة الفكرية بين الغرب وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية والعالم الإسلامي بعد أحداث الحادي عشر من « إيلول عام ٢٠٠٠ وغزو الأخيرة العراق ، باسم الحرب على الإرهاب ، وتحاول فرض سياستها في التغيير الثقافي والتعليمي في الدول العربية عامة وفي المملكة العربية السعودية خاصة .. حيث تعتقد أن المناهج الحالية هي التي ولدت الإرهاب الذي غزا أمريكا في عقر دارها.. وهي تعلم جيداً أن المملكة لا يد لها في تفجير مبنى التجارة العالمية في الولايات المتحدة الأمريكية.. ولكن العداء للإسلام والتربية، هو الدافع الحقيقي للحرب النفسية التي تشنها ضد العالم العربي والإسلامي.. وللمملكة خاصة بصفتها بلد الحرمين الشريفين .. ومركز وحدة العالم الإسلامي .. فهي تريد ضرب الإسلام في عقر داره، وسلب المسلمين عقيدتهم وشريعتهم، ليسهل عليها الهيمنة

---

(١) المصدر نفسه ص (٧٤، ٧٥).

عليهم، وسلب ثرواتهم وعقولهم، وسنورد تصريحات المسؤولين حول هذا الموضوع في المكان المناسب من هذه الدراسة[١].

٢- العقيدة: مر معنا آنفاً حديث رسول الله ﷺ « ما من مولود إلا يولد على الفطرة.. الحديث».

هذا الحديث العظيم يبين لنا مقدار تأثير عقيدة الأبوين على سلوك الفرد في الحياة، وما يقال عن تأثير المجوسية واليهودية والنصرانية، يقال عن تأثير العقائد الحديثة مثل الشيوعية والمادية ومذاهب المنفعة واللذة وغيرها.. فكل عقيدة من هذه العقائد لها الأثر الكبير على سلوك الأفراد، وأخلاقهم في الحياة الاجتماعية.

ومما لا شك فيه أن العقائد الجاهلية – غير الإسلام – تسعى دائماً بوسائلها المختلفة من إعلامية وتربوية إلى تطبيع حياة أفرادها وتوجيه سلوكهم.

وسنرى، بإذن الله، وبشكل مفصل، كيف أن الشيوعية جندت كل وسائلها ومؤسساتها الواسعة الإعلامية والتربوية في توجيه سلوك الأفراد داخل البلاد الشيوعية وخارجها، وكيف أن هذا التوجيه يبدأ من رياض الأطفال، بوساطة التعليم المشبع بالعقيدة الشيوعية الملحدة، حتى يصبح الفرد عضواً في الحزب الشيوعي. وحتى إن جهاز التعليم في روسيا أطلق عليه « جهاز دعاية».

وكذلك العقائد الغربية المعاصرة: من مادية، ومنفعة وذرائعية (برجماتزم) ووجودية، وغيرها.. كلها أسهمت بصياغة الفرد الغربي الحديث وطبعت سلوكه وفق أهوائها الزائفة عن الخير والحق.

وإن أهم الأحداث التاريخية والفكرية التي أثرت في الإنسان الغربي منذ مطلع هذا القرن الأخير، وأثرت في سلوكه وأخلاقه نقولها بإيجاز وهي:

---

(١) انظر التقرير المعنون: أمريكا تريد فرض التغيير الثقافي والتعليمي – وكالة الأنباء السعودية (واس) في ٣١/ ١٠/ ٢٠٠٢م.

١- الصراع بين العلم والكنيسة .. وانتصار العلم على خرافات الكنيسة، وكان من نتيجة ذلك ابتعاد الفرد الغربي عن الكنيسة، ولم يبق لها مكان في قلبه عدا الآثار الشكلية غير المجدية في حياته وسلوكه.

٢- نظرية فرويد في علم النفس.. هذه النظرية الباطلة قد أثرت تأثيراً عميقاً في فكر الإنسان الغربي وروحه، وساعدت على التحلل الأخلاقي وهبوط المجتمع في حمأة الفساد والإباحية.

٣- نظرية دارون في أصل الأنواع والتطور والآثار غير الأخلاقية المترتبة عليها، وخاصة ما روجه اليهود حول مذهبه، من تأويلات ما خطرت لدارون على بال « واستخدموه في القضاء على الأديان والقوميات والقوانين والفنون، مظهرين أن كل شيء بدأ ناقصاً شائها يثير السخرية والاحتقار ثم تطور. فلا قداسة إذا لديه ولا وطنية ولا قانون ولا فن ولا لمقدس من المقدسات»[1].

٤- الوجودية الملحدة التي أشاعت روح الانحلال والإباحية في أوروبا وفي فرنسا بشكل خاص على يد اليهودي أو نصف اليهودي (سارتر) ورفيقة عمره (زوجته غير الشرعية) « سيمون دي بوفوار» والتي لا تزال آثارها تنخر في أخلاق الإنسان الأوروبي حتى اليوم.

٥- مذهب المنفعة والذرايعية (البراجماتزم) كما نادى بها كل من وليم جيمس وجون ديوي وما ترتب على هذا المذهب من ترسيخ روح الأنانية الفردية، ومن تكالب على الدنيا، وابتعاد الإنسان الغربي عن معنى التعاون والإنسانية، والإخاء ... فأصبح كل إنسان لا يهمه إلا نفسه.. وتنمية أمواله ورفاهيته.

وكذلك العقيدة الإسلامية .. وتأثيرها في سلوك الإنسان الجاهلي عندما آمن بها مما لا يخفى على أي إنسان، فهي قد قلبت حياته كلها.. وأصبح إنساناً متميزاً

---

(١) انظر بروتوكولات حكماء صهيون – ترجمة محمد خليفة التونسي – (المقدمة ص ٨٢) ط١٩٦١م.

بسلوكه، وأخلاقه، وعاداته، وما أبلغ تلك الكلمة التي قالها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي، يرد بها على كفار قريش الذي لحقوهم إلى الحبشة محاولين إرجاعهم إلى الكفر بعد أن آمنوا مبيناً كيف كان سلوكهم الجاهلي وكيف أصبح سلوكهم الإسلامي.

قال رضي الله عنه « أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيءُ الجوار ويأكل القويُ منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بَعَثَ الله إلينا رسولاً منا نعرف نسَبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحِّده، ونعبده ونخلعَ ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة وصلة الرحم، وحسن الجوار. والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً...»[١].

كل هذه النماذج تدلل لنا على تأثير العقيدة في الفرد والجماعة..

٣- **الرأي العام:** قبل أن نعرف تأثير الرأي العام في السلوك لابد من إلقاء نظرة قصيرة على مفهوم الرأي العام هذا.. وقيمته في الحياة المعاصرة، والذي أصبح موضوعاً مهماً للكثيرين من السياسيين ورجال الدولة والعسكريين وعلماء الاجتماع وعلماء النفس وغيرهم، وخاصة في الدول الغربية .

- تعريف الرأي العام: للرأي العام تعريفات كثيرة ومختلفة، وسأختار أهمها، منعاً للإطالة:

- تعريف دوب: « الرأي العام ميل الناس نحو قضية ما، لو كان هؤلاء الناس من فئة اجتماعية واحدة»[٢].

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٣٥٨) دار الفكر بيروت.

(٢) الرأي العام وتأثره بالدعاية والإعلام – عبد القادر حاتم (ج ٢ ص ١٢٣).

- ويرى (فلويد ألبورت) « إن الرأي العام تعبير جمع كبير من الأفراد عن آرائهم في موقف معين يهم غالبية لها تأثير في الموقف» .

وهذا التعريف يختلف عن رأي (دوب الذي يلتفت إلى ميول الناس بينما (ألبورت) يتحدث عن التعبير العملي لميول الناس، سواء كان هذا التعبير رأياً أو سلوكاً صريحاً واضحاً»[١] .

- ويرى آخرون[٢] إن « الرأي العام هو الحُكم الذي تصل إليه الجماعة في قضية ما ذات اعتبار ما».

وحتى تصل الجماعة إلى هذا الحكم لابد من شروط أهمها:

أ- أن تكون هناك مناقشات وافية حول القضية المطروحة.

ب- أن تكون القضية مثارة بكل حقائقها عن طريق القادة أو أجهزة الإعلام والدعاية أو عن طريق الجماعات والهيئات العامة.

جـ- أن يكون الاتجاه الذي تتخذه الجماعة في هذه القضية متفقة تماماً مع المعتقدات العامة للناس[٣] .

ويتكون الرأي العام نتيجة لعناصر كثيرة هي في الأصل مقومات تكون الرأي الفردي، والإنسان الفرد يتكون رأيه بعد انصهار العناصر التي تَصنع أفكاره وعواطفه، وقد وصل علماء الإعلام إلى أن هذا الرأي يتكون خاضعاً للعوامل الآتية:

١- نتيجة النشأة والبيئة.

٢- أهمية تأثير الدين.

---

(١) المصدر السابق الصفحة نفسها.

(٢) محمد عبد القادر حاتم – وزير الإعلام بعد الثورة المصرية عام ١٩٥٢م.

(٣) المصدر السابق ص ١٢٣.

٣- نوعية الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد.

٤- نوعية الثقافة.

٥- تأثير وسائل الاتصال.

٦- أهمية المدرسة والبيت.

٧- أهمية التجارب الإنسانية الماضية.

٨- الظروف التي يعيش ويفكر فيها للمستقبل[1].

وهذه العوامل المكونة للرأي العام يمكن اختصارها إلى ثلاثة عوامل أساسية هي:

١ - العقيدة وهي التي ترسم الضوابط والحدود والسلوكيات للأمة.

٢- البيئة – وتضم البيت والمدرسة والمجتمع بشكل عام، ومدى تأثيرها على الفرد.

٣- وسائل الاتصال ومدى قابلية الفرد للتأثر لها..

والذي يهمنا هنا أثر الرأي العام في سلوك الفرد والجماعة.. في المجتمعات الدولية بشكل عام ومن ثم أثره في المجتمع الإسلامي بشكل خاص.

أما ما يتعلق بالنقطة الأولى، فإن أثر الرأي العام في سلوك الفرد والجماعة يتضح بما يلي:

١ - يحدد الرأي العام نشاط الفرد والجماعة وسلوكهما في المجتمع ، ويوحد بين الأفراد في السلوك الاجتماعي، نظراً لأنه ينبع عن عقيدة واحدة. وهذا الأثر يتضح أيضاً في المجتمع الإسلامي .. الذي يسير وفق العقيدة الصافية.

---

(١) المصدر السابق ص ١٢٨.

٢- يتأثر سلوك القادة في المجتمعات الغربية باتجاه الرأي العام (إرادة الشعب).

٣- يحدد الرأي العام حدود التحريم والتجريم ويحدد المسؤولية الفردية والجماعية ويستلهم المشرع من الرأي العام أساس القانون وقواعد تنظيم الحياة وأساليبها في الجماعة.. وهذا الأثر يُرى في المجتمعات غير الإسلامية.. بينما في المجتمعات الإسلامية يعد القرآن والسنة هي أساس التحريم والتجريم والقانون وغير ذلك..

٥- يؤثر الرأي العام في تدعيم السلوك الجماعي السوي ومقاومة السلوك الجماعي المنحرف.

٦- يؤدي الرأي العام دوراً مهماً في عملية التغيير الاجتماعي.

٧- يحافظ الرأي العام على الروح المعنوية للجماعة ويرفعها، إذا كان قوياً متماسكاً يعبر عن الاتفاق الجماعي والوحدة العقيدية داخل الجماعة أو يثبطها إذا كان عكس ذلك[1].

ولكننا بهذا التصور، لأثر الرأي العام على سلوك الفرد والجماعة، نلغي الفرد واتجاهاته ودوافعه الخاصة ونمطه الفريد في الخبرة والشخصية، ولو كان هذا التصور صحيحاً .. ومطلقاً لما كان هناك مصلحون يُؤثِّرون في المجتمع ويغيرون اتجاهه الفاسد إلى الصالح، خصوصاً إذا علمنا أن الرأي العام معرض للانحراف والأهواء، لذا كان من ميزة التصور الإسلامي أن هناك ضابطاً ثابتاً يوجه الرأي العام ويخضع له الجميع.. إنه سلطان الشريعة – وبمقدار ما يبعد الإنسان عن هدى الله وشريعة يخضع للأهواء والبدع الاجتماعية الصادرة عن الرأي العام الجاهلي.

أما إذا كان الرأي العام مهتدياً بهدي الله ، وسائراً في طريق شريعته فإنه يصبح قوة للمسلم، يشده إذا ضعف ويُقوّمه إذا أعوج – ويأخذ بيده إذا تاه عن الطريق.

---

(١) علم النفس الاجتماعي – حامد زهران ص ١٩٥ – ١٩٦.

لذا كانت قوة الفرد في المجتمع الإسلامي تعادل قوة الجميع وتعبير «البنيان المرصوص» في القرآن الكريم يوحي بهذه القوة الفردية الجماعية قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴾ [الصف ٤]، وكذلك قول الرسول الكريم ﷺ « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»[1].

أما إذا انحرف المجتمع عن طريق الله – فعلى الفرد المسلم أن يهتدي بهدى الله في قرآنه، وبسنة نبيه محمد ﷺ، فهما الميزان الدقيق يزن به كل أمر يحتذى به في حياته الاجتماعية. قال ﷺ « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتابَ الله وسنة رسوله»[2].

والحديث الشريف الذي ينهى المسلم أن يكون إمَّعَة يعبر عن هذه الفردية في المجتمع الضال « أو المنحرف عن هدى الله ..» .

قال ﷺ : «**لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنَّا وإن ظَلموا ظَلَمْنا، ولكن وطِّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أنْ تحسنوا وإنْ أساؤوا فلا تَظْلموا**»[3].

وقد تكون هناك استجابة للتأثيرات الجماعية، إلا أن هذه الاستجابة ليست مطلقة، ولها حدود تقف عندها وبمقدار وَعْي المسلم وفَهْمِه لدينه، والتزامه في القول والعمل، بمقدار ما تكون استجابته ضعيفة أو معدومة لأيِّ تأثيرات أخرى مخالفة لتصوره الإسلامي.

٤- الإعلام: الإعلام هو عملية نشر وتقديم معلومات صحيحة وحقائق واضحة وأخبار صادقة، وموضوعات دقيقة. ووقائع محدودة، وأفكار منطقية وآراء راجحة، للجماهير مع ذكر مصادرها خدمة للصالح العام.

---

(١) رواه (البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي موسى) – ارجع إلى الجامع الصغير ج ٥/ ٦ الألباني.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ في القدر رقم / ٣ باب النهي عن القول بالقدر بلاغاً.

(٣) رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه – سنن الترمذي جـ ٣ ص ٢٤٤ باب البر والصلة.

والإعلام يخاطب عقول الجماهير وعواطفهم السامية، ويقوم على المناقشة والحوار والإقناع وينزع نزعة « ديمقراطية» وعلى هذا لابد أن تتسم العملية الإعلامية بالأمانة والموضوعية.

ويهدف الإعلام إلى النمو واليقظة والتوافق الثقافي والحضاري والارتقاء بمستوى الرأي العام بتنويره وتثقيفه[1].

وهكذا نجد أن الإعلام عملية يترتب عليها تأثير فعلي في سلوك الفرد والجماعة.

والإعلام ظاهرة اجتماعية نشأت منذ أقدم العصور وفي شتى المجتمعات القديمة والحديثة.

ولقد تطورت وسائل الإعلام وفقاً لتطور هذه المجتمعات فانتقل الإعلام من مرحلة التبليغ من شخص إلى شخص إلى مرحلة التبليغ المتبادل من جماعات منظمة، ثم لمرحلة التبليغ الجماعي عن طريق وسائل الاتصال الجماهيري. أي الصحافة والمطبوعات والإذاعة والرائي وغيرها..

وإن عملية الإعلام تعد عملية اتصال بالجماهير، وقد حدد الدكتور « إبراهيم إمام» خمسة عناصر رئيسة لهذه العملية وهي:

١- المرسل: الذي يصوغ فكرته في رموز معينة وقد تكون الفكرة واضحة أولا تكون.

٢- التعبير الشكلي أو الصياغة. ووضع الرسالة في شكل معين متعارف عليه.

٣- تفسير المستقيل لهذه الرسالة وفك رموزها.

٤- استجابة المستقبل للرسالة، ومدى تأثره بها وتقبله لها.

---

(١) علم النفس الاجتماعي – زهران – ص ٢٩٧.

٥- يتمثل في الردود والأصداء الراجعة من المستقبل إلى المرسل[١].

والذي يهمنا في هذا المجال: هل للعملية الإعلامية تأثير مطلق في الفرد والجماعة، بحيث تغير سلوكهم، وأفكارهم؟ أم أن تأثيرها يتوقف على عوامل معينة؟

والواقع أن الفرد المستقيل للرسالة الإعلامية، ليس مجرد وعاء سلبي يفرغ فيه المرسل أفكاره ومعلوماته، ولكنه إنسان إيجابي يدرك ويفهم ويفسر ويقارن ويزن المعلومات التي تصله بميزان العقائد التي يؤمن بها، ومن ثم يحكم عليها، فقد يقبلها أو يهملها.

وعامل آخريهمّ في تقبل الرسالة الإعلامية وهو مدى ثقة الناس في مصدر الرسالة.. هل عرف بالكذب أم بالصدق؟ هل يبث أخبارًا بشكل موضوعي؟ أم عرف عنه اتجاهه المعروف، في تفسير الأنباء والظواهر بمنظار معين ؟. كل هذه الأمور تؤدي دوراً مهماً في مدى تأثير الإعلام على السلوك الفردي والجماعي.

وحتى يكون للرسالة الإعلامية أثر فعلي في السلوك، لابد من صفات مهمة أو عوامل تجعل الرسالة متيمزة عن غيرها في عصر انتشرت فيه وسائل الإعلام المختلفة. والتي تبث الغث والسمين، ويختلط فيها الحق مع الباطل، وتدس السم في الدسم .. وهذه الصفات هي:

١- **المضمون الحق والمنهج الصادق**: ونقصد بالمضمون الحق. هو الذي يستند على العقائد الصحيحة والمبادئ السليمة الواضحة، وليس ضرورياً أن يكون الإعلام معبراً عن عقلية الجماهير(٢) إذ إنَّ هذه الجماهير قد تضل عن الحق، إذا كانت

---

(١) الإعلام والاتصال بالجماهير د. إبراهيم إمام ص (٣٠، ٣١، ٧٠).

(٢) يعرف « أتوكروت» الألماني الإعلام بقوله: « الإعلام هو التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في الوقت نفسه» ارجع إلى « الإعلام والاتصال بالجماهير» إبراهيم إمام ص ١١و «الإعلام له تاريخه ومذاهبه» عبد اللطيف حمزة ص ٢٣ (ط ١٩٦٥).

بعيدة عن هدى الله.. وبعيدة عن وحيه تعالى.. ولا نحتاج أن نُدلّل على هذه النقطة ويكفينا نظرة على المجتمعات الغربية وما آلت إليه من الفساد والانحلال الخُلقي . والتفكك الأسري حتى نستطيع الحكم على ما فعله الإنسان في نَفْسِهِ.. وفي مجتمعه.

وإن المضمون الحق للإعلام لا يتمثل واقعاً إلا في الإعلام الإسلامي الذي أسس على العقيدة الإلهية الحقة[1]، قال تعالى: ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾ [الإسراء ١٠٥] وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [البقرة ١١٩] .

فالإعلام الإسلامي ينطق بالحق. ويسعى من وراء ذلك إلى الخير للفرد وللمجتمع ومنهجه الصدق والعدل، فهو لا يلجأ إلى الكذب والبهتان لتأييد وجهة نظره، حتى لو كان موجهاً إلى الأعداء.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة ١١٩] وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المائدة ٨].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأحزاب ٧٠]

وقال ﷺ : «رأيت رجلين أتياني قالا: الذي رأيتَه يُشَقّ شدقه فكذاب يكذب بالكذبة فتُحمَل عنه حتى تبلغَ الآفاقَ فيصنَعُ به إلى يوم القيامة»[2] .

ويلحق بهذه النقطة القاعدة الإعلامية الإسلامية العظيمة: هو التَّثَبُّت من الأنباء وعدم إذاعة الخبر أو تقبله إلا بعد تبيان حقيقته.

---

(١) «الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية» مجموعة محاضرات . في أسبوع نظمته الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض – محاضرة الأستاذ زيد العابدين الركابي – ط ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

(٢) رواه البخاري من (كتاب الأدب، باب قول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين» وما ينهى عن الكذب « ج١٠ ص ٥٠٧ رقم ٦٠٩٦») (فتح الباري) وهو جزء من حديث طويل رواه البخاري في كتاب الجنائز.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾ [الحجرات ٦][(١)].

٢- **الوسيلة الناجحة:** وهي من عوامل نجاح الرسالة الإعلامية، والإعلام المعاصر أصبح مجموعة أجهزة ووسائل اختصرت مساحات المكان ومسافات الزمان، وخاطب أكبر عدد من الناس في أسرع وقت ممكن.. ومن هذه الأجهزة، المذياع والرائي (التلفزيون) والصحافة، والكتاب، والبريد، وغيرها ولا يكون استخدام هذه الوسائل سليماً إلا بشرطين[(٢)] :

(أ) الكفاءة التِقنيّة.

(ب) القضية المختارة بعناية.

في الكفاءة لابد من التخصص الفني بمعناه العلمي والجمالي، واختيار القضية يجب أن يتلاءم مع المجتمع ومستواه الثقافي، والفكري، وكذلك عدم نسيان القضايا التي تهم الناس في الحياة المعاصرة.

بالإضافة إلى النواحي الجمالية في عرض المضمون الإعلامي، وجذب انتباه الجمهور وإثارته، وتحريك الإحساس الجمالي، الذي هو فطرة في الإنسان للدخول إلى نفوس الناس وعقولهم وأفكارهم.

٣- **ربط الرسالة الإعلامية بالحياة حاضراً ومستقبلاً..** وتشمل هذه النقطة ما يلي:

أ) بحث مشكلات الإنسان الواقعية، ومحاولة إيجاد حلول لها.

---

(١) ارجع إلى الظلال ج ٢٦ ص ١٣٢ تفسير سورة الحجرات (ط دار الشروق).

(٢) زين العابدين الركابي - ((الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية)) مجموعة محاضرات أسبوع نظمته ((الندوة العالمية للشباب الإسلامي)) ط/ ١٣٩٩ - ١٩٧٩/ ص ٣١٢.

ب) الاستفادة من الدراسات المستقبلية في مجال الاقتصاد والتعليم والسكان والصحة، وإقامة الصلة بين حاضر الناس ومستقبلهم لفتح آفاق جديدة أمام عقل الإنسان ونفسه وطموحه.

ج) استعمال الرموز المفهومة من قبل الجمهور، وعدم الغموض، وقد قال علي ابن أبي طالب – رضي الله عنه – « حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب اللهُ ورسولُه؟»[(١)].

وقال ابن مسعود: «ما أنتَ محدِّثاً قوماً حديثاً لا تبلُغُه عقولُهم إلا كان لبعضهم فتنة»[(٢)].

د) مراعاة الحالة النفسية للمستقبل، ومراعاة الدقة في اختيار الوقت المناسب والمكان الملائم والوسيلة المجدية حسب نوع وقدرة المستقبل[(٣)].

هـ) مخاطبة السلوك الإنساني على أساس الفرصة المفتوحة، ذلك أن التيئيس والقرارات المطلقة والأحكام النهائية، والطرق المسدودة اتجاهات لا يقرها الإعلام الإسلامي، لأنها تحجُر ما وسعه الله، وتحبس الناس في سجن الواقع، وتخيب آمالهم[(٤)].

و) إشباع الحاجات النفسية للناس وتلبية رغباتهم في حدود العقيدة والشريعة وهذه تحقق فائدة ملموسة في حياتهم اليومية ومن أهم هذه الحاجات التي يجب أن يشبعها الإعلام ما يأتي:

---

(١) رواه البخاري في باب «من خَصَّ بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا» رقم ٤٩ حديث رقم ١٢٧ – فتح الباري.

(٢) قول ابن مسعود رواه مسلم ج ١ ص ٧٦ (باب النهي عن الحديث بكل ما سمع).

(٣) إبراهيم إمام (الإعلام والاتصال بالجماهير (ص ٢٢٥).

(٤) زين العابدين بن الركابي « الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية» ص / ٣٢٥.

- الحاجة إلى المعلومات والتسلية والترفيه.
- الحاجة إلى الأخبار حول مشكلات الساعة.
- الحاجة إلى رفع مستوى المعارف والثقافة العامة.
- الحاجة إلى دعم الاتجاهات النفسية وتعزيز المعايير والقيم والمعتقدات(١).

ويلخص إبراهيم إمام بعض الملاحظات على المضمون الإعلامي وأثره في الجماهير مسترشداً بالبحوث التي أجريت حول مضمون الرسالة الإعلامية ومحتوى الاتصال ويمكن إجمال نتائج هذه البحوث فيما يلي:

أ) في حالة عرض قضية ما على جمهور مثقف ثقافة عالية، يجب تقديم وجهتي النظر المختلفتين، أما في حالة الجمهور الأمي أو قليل الحظ من الثقافة والذي يميل إلى القضية أصلاً فيكفي عرض وجهة النظر المستهدفة فقط.

ب) يجب أن يلتزم الإعلامي بالموضوعية، وأن يبتعد عن الحياد الظاهري والانحياز المستتر لوجهة نظر واحدة، لأن الحياد الظاهري والانحياز المستتر يؤديان إلى خداع الجمهور وانصرافه عن الرسالة الإعلامية وشكه في مضمونها.

ج) يعتبر عرض وجهتي النظر معاً (أي وجهة النظر المعضدة، ووجهة النظر المعارضة) بمثابة «تحصين» للجمهور ضد التحول إلى وجهة النظر الأخرى حين تعرض عليه. أما إذا التزم الجمهور علنا بوجهة نظر تم الاقتناع بها في إطار من الحرية فإن تعريض الجمهور لوجهة نظر واحدة يصبح كافياً.

د) تزداد قوة تأثير المضمون الإعلامي في تحول الرأي عند الشرح والتصريح بالاستنتاجات أكثر منها عند العرض والتلميح فقط .

هـ) وكلما كان طريق تحقيق الأهداف واضحاً محدداً أمام الجمهور كان تحول الرأي إلى سلوك أسهل وأيسر.

---

(١) حامد زهران (علم النفس الاجتماعي) ص ٣٠٣.

و) وكلما زاد استخدام التهديد والتخويف كأداة للتأثير في الرأي وتحويله أحدثَ أثراً قليلاً، وكلما قل استخدامه فإن ذلك يحدث تأثراً أكبر. لذلك وجد أن التهديد الشديد يعوق عملية التعلم ويقلل التأثر بالمعلومات نظراً للاستغراق في عناصر التهديد الشديد.

ز) يؤثر التكرار تأثيراً قوياً في إقناع الجماهير بالرسالة الإعلامية بشرط أن يكون متغيراً متنوعاً وألا يصل إلى حد الإلحاح والمضايقة والمطاردة حتى لا يحدث أثراً عكسياً.

ح) يؤدي الإعلان عن الاستجابات الناجحة للرسالة الإعلامية إلى مزيد من الاستجابات الناجحة الجديدة.

ط) الاستناد إلى الحاجات النفسية وإشباعُها، والدوافع النفسية للسلوك البشري ومقابلتها يسهل العملية الإعلامية، أمَّا خَلْقُ حاجات نفسية جديدة والحثّ على اكتسابها وتَعَلُّمها فإنه يكون أصعب بكثير.

ي) استغلال الاتجاهات النفسية السائدة وأنماط السلوك الحالية يساعد في التحول إلى أهداف جديدة[١].

وبهذه الفقرة .. نكتفي من العوامل المؤثرة في السلوك، وهناك عوامل أخرى كثيرة، مثل الإدراك، والتعليم وغير ذلك من العوامل، والتي منها ما كان في أبواب هذا البحث مثل الدعاية، والشائعة، وغسيل الدماغ (أي أسلحة الحرب النفسية الشهيرة) وما ذكرناه على سبيل المثال لا الحصر، لأن كل فقرة من هذه العوامل تحتاج إلى بحث بمفرده.. وأرجو أن أكون قد أعطيت تصوراً واضحاً لهذه النقطة.

---

(١) علم النفس الاجتماعي د. زهران ص ٣٠١ – ٣٠٢ (نقلاً الإعلام والاتصال بالجماهير د. إبراهيم إمام).

المبحث الثالث

علم النفس العسكري والحرب النفسية

أولاً: علم النفس العسكري:

علم النفس العسكري أحد الفروع التطبيقية لعلم النفس الاجتماعي، ولابد من إلقاء نظرة عليه لأهميته البالغة في دراسة أسس السلوك والتفاعل الاجتماعي بين الأفراد والجماعات والوحدات العسكرية في وقت السلم ووقت الحرب، وفي عملية التعليم وفي تصميم المواقف التدريبية، وفي العلاج النفسي للحالات المرضية التي يمكن أن تصيب رجال القوات المسلحة أثناء المواقف التدريبية أو في المعارك الحربية[١].

وبإلقاء نظرة على اهتمامات علم النفس العسكري الآنفة نستطيع التوصل إلى المدلول الحقيقي له، وإن كان لنا بعض الملاحظات على هذه الاهتمامات وتقويمها فستكون بإذن الله من خلال دراستها بإيجاز. والدخول بعد ذلك في موضوعنا « الحرب النفسية » بعد أن نكون قد حددنا القاعدة النظرية لهذه الحرب.

فعلم النفس العسكري يهتم بـ:

أ) دراسة السلوك الاجتماعي للأفراد في الجماعة الصغيرة والوحدة الكبيرة، ومن ثم إكساب الفرد الأساليب السلوكية الجديدة التي عليه أن يلتزم بها في الحياة العسكرية التي تختلف عن أساليب السلوك في الحياة المدنية. وإن كان لنا نقد للسلوك العسكري في بعض الأنظمة العربية، والمأخوذة ابتداء من الأنظمة الغربية، « الانكليزية والفرنسية بشكل خاص»، هذا السلوك الذي ظاهره النظام والطاعة للقائد، وباطنه التحلل من كل قيم الأخلاق والدين.. إذ إن مبدأ الطاعة العمياء للقائد، أو للأمر العسكري لا محل له في التصور الإسلامي. إذ « لا طاعة لمخلوق

---

(١) علم النفس الاجتماعي – زهران – ص ٢٨.

في معصية الخالق» والجانب الإيجابي في الطاعة هو الطاعة في الخير، وهو أمر إلهي: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء ٥٩].

أما النظام والتدريب، والجندية الدائمة في السلم والحرب، فيعطيها الإسلام الأهمية الكبيرة لبقاء شعلة الجهاد في المسلم مستمرة.

ب) دراسة الجماعة العسكرية، وأهمية هذه الجماعة في القتال، إذ تَعطى الفرد قوةً كبيرةً .. وهو لا يتحمل ضغط المعركة بمفرده، لذا حض الإسلام على القتال في الجماعة المتراصة، وشبّهها بالبنيان المرصوص الذي لا خلل فيه ولا فجوة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الصف ٤] وتقوم الجماعة بتزكية الفرد إن زلَّ عن الطريق، وتأخذْ بيده وتعينه على مواجهة فِتن الحياة.

ج) دراسة التفاعل الاجتماعي بين أفراد الجماعة والقيادة وبين الجماعة والجماعات الأخرى، كيف تكون علاقة الأفراد بالقائد؟ هل هناك معايير سلوكية محددة منضبطة أم أن العلاقات تختلف حسب الأفكار والعقائد المختلفة...؟

وإن علماء النفس العسكري يقولون إن دراسة التفاعل الاجتماعي بين الفرد والجماعة لابد أن تقوم على أساس علمي وليس على أساس الارتجال، فنحن نحتاج إلى معرفة النظريات العلمية التي تعدل وتهذب وتوجه تفاعلنا مع الآخرين سواء كانوا قادة أو رفاق جهاد. إن مثل هذه المعرفة تفيد في فهم السلوك الحاضر والتنبؤ بالسلوك في المستقبل. إنَّ الفرد في تفاعله مع الجماعة يجد نفسه أمام مسائل عديدة منها علاقاته مع الأفراد الآخرين في الجماعة سواء كان جندياً أو ضابطاً أو قائداً، وعليه أن يشترك مع الجماعة في كثير من أوجه السلوك في التدريب وفي الميدان وفي الحياة اليومية وحتى في الترفيه[1].

(١) المصدر نفسه ص ٢٩.

د) دراسة نفسية « سيكولوجية » القيادة: فيجب على الضابط باعتباره قائداً دراسة نظريات القيادة ومبادئها بأنواعها، وعليه أن يعرف دوره في الجماعة ووظائفه القيادية، وإعداد وتدريب القادة. ويجب أن يعمل القائد جهد طاقته حتى تصبح الحياة العسكرية حياة محبة إلى نفوس الأفراد[1] إن القيادة الحقيقية هي الإحساس بمشاعر الأفراد ومطالبهم والتعبير عنها وإيجاد الوسائل لتحقيقها وتجميع القوى وراء الجهود المحققة لها. لذلك فلابد للقيادات أن تعي دورها الاجتماعي، في التوجيه والتدريب، وحسن القدوة، ولعل في تاريخنا الإسلامي العظيم أمثلة حية لهذه القيادة الفاضلة.

هـ) دراسة الروح المعنوية للفرد المقاتل ودورها في النصر والهزيمة ، ويقصد بالروح المعنوية المقدرة على البقاء والاستمرار، والجهاد الطويل عن تصميم ورغبة .. وإن علماء النفس العسكري فطنوا إلى أهمية الروح المعنوية بعد تجارب أظهرت لهم أن الجنود ذوي الروح المعنوية المنخفضة، يحاربون بضعف ويهزمون بسرعة ويتكبدون نسبياً إصابات أكثر من الجنود ذوي الروح العالية.. إلا أن الصخرة القاسية التي وقفت في طريق علماء النفس العسكري والقادة العسكريين هي كيفية تنمية الروح المعنوية لدى المقاتل؟ وكيف نجعله ذا روح قتالية مستمرة، وصلبة؟ وإنَّ ما توصلوا إليه يبدو جزئياً في هذا المجال، وعمدوا إلى أمور سطحية ومادية، لا تسمن ولا تغني من جوع.. اللهم إلا في مواجهة قوات من صنف القوات المقاتلة لها من حيث الفراغ الروحي والاعتماد على القوة المادية فقط.

يرى بعض الباحثين أن « تنمية الروح المعنوية وتطويرها من أهم المشكلات التي تواجه القيادات العسكرية وأصعبها، فهي تعتمد على عدد كبير من العوامل بعضها خفي ولا يمكن قياسه بدقة. ولكن يبدو أن تقوية الروح المعنوية عمل يعتمد

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٩.

أساساً على عوامل حيوية لدى الجنود وعلى الدافعية والثقة بالنفس وقوة الإرادة»[(١)].

ونتساءل نحن: ما هي هذه العوامل الحيوية والدافعية، ومن أين تتولد؟ هل من القوة الجسمية أم من مصادر أخرى كالعقيدة والمبادئ الفكرية؟ ولو رجع هذا الباحث إلى التاريخ الإسلامي .. ودرس قوة الروح المعنوية عند جند الله في فتوحاتهم. وغزواتهم.. وما يتمتعون به من الثبات والصبر وقوة البأس، على قلة عددهم وعُددهم، في مواجهة قوى كبيرة وكبيرة جداً كقوى الفرس والروم.. ومع ذلك انتصروا .. لعرف أن الإيمان هو سبب ذلك كله، الإيمان الصادق بالله.. والجهاد في سبيله، والاندفاع لتحقيق النصر أو الشهادة.. ولا أريد أن أسترسل في هذا المجال لأن تاريخ الإسلام يفيض بهذه البطولات.

والذي لاريب فيه، أن الخوف هو العدو الأول للروح المعنوية العالية، وأنه لا تنمية للروح المعنوية ولا تقوية لها إلا بنزع الخوف من القلوب، والرعب من النفوس، وقد حقق الله – عز وجل – ذلك للمؤمنين. قال تعالى: ﴿ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ ﴾ [المائدة ٥٤] وقد بين الله تعالى أن الشيطان هو مصدر الخوف: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران ١٧٥]

والحرب النفسية من غاياتها الكبرى قبيل المعركة زرع الخوف في قلوب الأعداء قال تعالى: ﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ ﴾ [الزمر ٣٦] ﴿ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ ﴾ [طه ٦٨] وقال تعالى في إعداد القوة لزرع الخوف في قلوب الكفار: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ﴾ [الأنفال ٦٠]

---

(١) الحرب النفسية – مقال في مجلة العربي العدد / ١١٧/، د. عبد الله ناصر – (عدد جماد الأولى ١٣٨٨هـ – ١٩٦٧م).

فالمؤمن الصادق المجاهد عندما يعتقد يقيناً أن الله معه، وهو ناصره على أعدائه، وإن استشهد فهو حي في الجنة، فكيف له بعد ذلك أن يخاف ويرهب الأعداء، ويهرب من المعركة. كيف لا تكون روحه المعنوية عالية.

أما التوصيات العديدة التي ينصح بها القادة لرفع الروح المعنوية لجنودهم ما هي إلا أمور ثانوية، لا بأس بها من حيث حسن سلوك القائد مع جنوده؛ كالإغراء المادي، والثناء الشخصي، وعدم احتقاره وإهانته، والتدريب المستمر، والعمل مع الجماعة، كل هذه الأمور حسنة، ولكن ليست هي الأساس في رفع الروح المعنوية كما ذكرنا آنفاً..

هذه هي الاهتمامات الرئيسة لعلم النفس العسكري، ولقد قام علماء النفس بأبحاث عديدة أثناء الحرب العالمية الثانية لاكتشاف اتجاهات الجنود وميولهم، واستخدموا مقاييس عديدة تستخدم في انتقاء أفراد القوات المسلحة من جنود وطلاب وضباط وتدريبهم وتوزيعهم على الوحدات والأسلحة المختلفة، ومن أمثلة الدراسات في هذا الصدد ما قام به « فرنون وباري » عام (١٩٤٩) في القوات المسلحة البريطانية[١].

ولقد أخذت الدول بأحدث الأساليب في انتقاء وتوزيع وتدريب الأفراد في القوات المسلحة فأنشأت معمل علم النفس العسكري لتحقيق مبدأ وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، على أساس الاختبارات النفسية المقننة، ليعمل كل وفرد في القوات المسلحة العمل الذي يتلاءم مع استعداده النفسي، وقدراته العقلية والجسمية[٢].

وهكذا نجد أن علم النفس العسكري لم يتم، إلا أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية وتستفيد منه الدول المتحاربة في الحرب النفسية بشكل علمي ومدروس، وسنرى هذا أثناء كلامنا عن تاريخ الحرب النفسية بإذن الله.

---

(١) علم النفس الاجتماعي (زهران) ص ٢٨.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٨.

ثانياً: الحرب النفسية:

بعد أن ألقينا نظرة على علم النفس الاجتماعي، وعرفنا اهتمامه بالسلوك الاجتماعي والتفاعل الاجتماعي، وتفسير السلوك بالدوافع، والقدرة على تعديل الدوافع وتوجيهها، وانحرافها إن فتحت لها سبل الانحراف، ورأينا العوامل المؤثرة على هذا السلوك، وعرفنا علم النفس العسكري بصفته أحد الفروع التطبيقية لعلم النفس الاجتماعي، نستطيع الدخول في صميم الموضوع، موضوع الحرب النفسية، علماً بأنه ليس إلا موضوعاً مهماً من موضوعات كل من علم النفس الاجتماعي وعلم النفس العسكري، وعندما نعرف أن الحرب النفسية هي حرب غايتها تغيير السلوك وميدانها هو الشخصية، يظهر جلياً أهمية دراستنا للسلوك والدوافع قبل ذلك.

ولكي نتوصل إلى المدلول الواضح للحرب النفسية، لابد من دراسة تطورها من قبل الحرب العالمية الثانية حتى اليوم، أي منذ وجود الحرب النفسية كفن وتطبيق واصطلاح .. أما عن وجودها الفعلي فهي موجودة منذ فجر التاريخ وبصور مختلفة، وسنبسط بحثها في الفصل الثاني من هذه الدراسة بإذن الله .

وقبل بدء البحث يجب أن نعرف أن الحروب نوعان:

- حروب تقليدية تستخدم السلاح.
- وحروب لا تستخدم السلاح مثل: الحروب السياسية والاقتصادية والنفسية.

ولقد قال ﷺ « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[1].

والحرب النفسية أخطر أنواع الحروب، فهي حرب تغيير السلوك، وميدان الحرب النفسية هو الشخصية، ولهذا فإن هذه الحرب تستخدم علم النفس بصفة

---

(١) حديث صحيح (مسند أحمد، أبو داود، والنسائي وابن حبان والحاكم) عن أنس رضي الله عنه (ارجع إلى صحيح الجامع الصغير ج (٣، ٤) للألباني.

عامة، وعلى النفس العسكري بصفة خاصة لإحراز النصر. وتعتبر الحرب النفسية أضمن سلاح تستخدمه الدول في الحرب الحديثة لأنها تقوم بالدور الفاعل في قتل إرادة الخصم وتحطيم معنوياته والحصول على استسلامه[١] .. ومعرفتنا للحرب النفسية ومدلولها تعطينا درساً في الحرب النفسية الدفاعية لئلا يكون سلاح العدو مؤثراً فينا.

ولكن تعريفات الحرب النفسية اختلفت، وذلك حسب الغاية التي تسعى إليها، بالإضافة إلى تطور مدلولها على مر السنين وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية.

وقد وردت عبارة « الحرب النفسية» لأول مرة في مؤلف لكاتب ألماني وهو (الكولونيل بلاو) وكان رئيساً للمعمل النفسي بوزارة الدفاع وقد أصدره عام ١٩٣٥م بعنوان «Propaganda ale wathe» وقد وضعت فيه أسس الحرب النفسية[٢].

ثم شاعت عبارة « الحرب النفسية » خلال الحرب العالمية الثانية من قبل الحلفاء ودول المحور على السواء، وكانت تعبر عن الدعاية المبنية على الاستفادة من دروس علم النفس، وفي أمريكا أول من استخدم هذه التسمية بصفة رسمية عنوان الكتابة هو (بول لا ينبارجر) ثم (دانيل يدنر) في كتابه « الحرب النفسية ألمانيا » في عام ١٩٥٤م[٣].

ومن بين أول التعريفات للحرب النفسية في الجيش الأمريكي: « هي استخدام أي وسيلة بقصد التأثير على الروح المعنوية وعلى سلوك أي جماعة لغرض عسكري معين»[٤] ، ثم عرفت في معجم المصطلحات الحربية للجيش نفسه: « الحرب النفسية: هي استخدام مخطط من جانب الدولة في وقت الحرب أو في

---

(١) علم النفس الاجتماعي – زهران – ص ٣٥٣ – ٣٥٣.
(٢) مجلة السياسة الدولية – ٦ أكتوبر ١٩٦٦ – القاهرة – مقال بعنوان « الرأي العام الدولي والسلوك السياسي» د. حامد ربيع . أستاذ العلوم السياسية المساعد في جامعة القاهرة.
(٣) الحرب النفسية – صلاح نصر – ج ١ ص ٩٠ – دار القاهرة ط ١/ ١٩٦٧م.
(٤) المصدر السابق ص ٩٢.

وقت الطوارئ لإجراءات دعائية بقصد التأثير على آراء وعواطف ومواقف وسلوك جماعات أجنبية عدائية أو محايدة أو صديقة بطريقة تعين على تحقيق سياسة الدولة وأهدافها»[١] .

وقد عدل هذا التعريف في طبعة المعجم اللاحقة بحذف كلمتي «في وقت الحرب أو في وقت الطوارئ» لأن مجال الحرب النفسية لا يقتصر على هذه الأوقات[٢] .

وهناك نسخة خطية للبحرية الأمريكية أعدت عام ١٩٤٦م وأعيدت كتابتها عام ١٩٥٠ جاء فيها « إنَّ المهمة الأساسية للحرب النفسية هي فرض إرادتنا على إرادة العدو بغرض التحكم في أعماله بطرق غير الطرق العسكرية، ووسائل غير الوسائل الاقتصادية.

وعمليات الحرب النفسية قد تكون قصيرة المدى وقد تكون بعيدة المدى وأنواع نشاطها القصير المدى يشمل :

أ) الدعاية الإستراتيجية.

ب) دعاية القتال.

جـ) نشر الأخبار .

د) خداع العدو بطريقة منظمة محكمة.

هـ) دعاية سرية. وتتضمن الحرب النفسية البعيدة المدى: «نَشْر الأنباء بطريقة مستمرة وبوسائل شتى بغرض مساعدة السياسة الخارجية للدولة ورفع سمعتها والحصول على العطف والتأييد»[٣] .

وعندما نجمع بين التعريفين السابقين مع التعديل الذي طرأ على التعريف الأول يتضح أمامنا:

---

(١) نفس المصدر ص ٩٢.

(٢) نفس المصدر ص ٩٢.

(٣) المصدر السابق ص ٩٤.

أ) أن من بين عناصر الحرب النفسية خداع العدو بطريقة منظمة ومحكمة، في الحرب والسلم على السواء.. وقد يكون الخداع سائغاً في الحرب. أما في السلم فلا تجيزه شريعة من الشرائع، ولا أمة عندها أخلاق إلا إذا كانت هذه الأمة تتبع سبيل: « الغاية تبرر الوسيلة » على مذهب مكيافيلي[(١)].

ب) أن الحرب النفسية كانت مرتبطة بالقتال المسلح، ثم أصبحت إحدى خصائص العالم المعاصر بعد عام ١٩٤٨م بالرغم من عدم وجود قتال مسلح. وأخذت أسماء متعددة: مثل الحرب الباردة أو الحرب السياسية أو حرب الدعاية.

جـ) أن الحرب النفسية تقوم على الدعاية، ولذا كان تعريف الدعاية في تصور هؤلاء يماثل تعريف الحرب النفسية، ولهذا كانت الدعاية إحدى أسلحة الحرب النفسية.. كما سنرى مستقبلاً بإذن الله، لأن مضمون الدعاية هو مضمون الحرب النفسية من حيث اعتماده على الخداع والتمويه؛ فالدعاية تقوم على أساس فكرة « الاستخدام المنظم لوسائل الاتصال لتوجيه شخص أو أكثر وتغيير رأيه أو التعديل فيه استناداً إلى حجج أو أساليب تتضمن نوعاً من التمويه والتضليل في الحقيقة المجردة»[(٢)].

د) أن الدعاية قد تسعى للإقناع ولو بأساليب غير نظيفة. إلا أن الحرب النفسية تعد من أسوأ الصور للدعاية السياسية.. فهي:

١- لا تسعى للإقناع ولكن غايتها الوحيدة تحطيم القوة المعنوية للخصم موضع الهجوم.

٢- أنها لا تتوجه إلا إلى خصم، سواء كان الخصم محلياً أو أجنبياً، على أن الصورة العادية للحرب النفسي هي الخصم الأجنبي[(٣)].

---

(١) مكيافيلي صاحب كتاب « الأمير» المشهور.

(٢) الرأي العام والسلوك السياسي « مقال حامد ربيع في مجلة : السياسة الدولية» ص ٩٤.

(٣) المصدر السابق ص ٩٥.

بالإضافة إلى ما تقدم في تعريفات الحرب النفسية، نجد أنها تتخذ صوراً كثيرة في الحياة المعاصرة، وخاصة بعد الصراع العقائدي بين الشرق والغرب، وهذا ما يجعل تعريفاتها تتسع وتضيق حسب الغاية المرجوة منها، وحسب المواقف والعلاقات الدولية.

ومن الأسماء المتعددة للحرب النفسية، الحرب العقائدية، حرب الأعصاب، الحرب السياسية، الحرب الباردة، حرب الأفكار، الحصول على عقول الرجال وإرادتهم، التسميم السياسي.. إلخ .

واسم الحرب السياسية بالذات تسمية بريطانية للحرب النفسية: فتعريف الحرب السياسية في الصحيفة الرسمية التي تصدرها الحكومة البريطانية « بأنها شكل من أشكال الصراع بين الدول يسعى كل جانب منه أن يفرض إرادته على خصمه بطريق غير طريقة القوات المسلحة، ومن الناحية العملية يمكن أن نقول: إن السلاح الرئيسي للحرب السياسية هو عملية مشتركة بين الدبلوماسية والدعاية»[(١)] .

وكتب جون سكوت وهو مؤلف أمريكي كتاباً أسماه « الحرب السياسية دليل للتعايش التنافسي» يعرف الحرب السياسية فيه: « إنها تتضمن الأنشطة التي يطلق عليها الجيش حرباً غير تقليدية» ويبين هدف الحرب السياسية والذي لا يخرج في كثير ولا قليل عن هدف الحرب النفسية يقول: « إن الهدف الأساسي للحرب السياسية المدمرة هو إضعاف العدو وإذا أمكن تدميره بواسطة استخدام المناورات الدبلوماسية والضغط الاقتصادي والمعلومات الصحيحة والمضللة والإثارة والتخويف والتخريب والإرهاب وعزل العدو عن أصدقائه ومؤيديه»[(٢)] .

ويقول في هذا الكتاب: « ومن الوسائل الكبرى التي تستخدم عند شن حرب سياسية نقل الأفكار»[(٣)] ويوضح لنا هذا التعريف الهدف من الحرب السياسية أو

---

(١) الحرب النفسية – صلاح نصر ج ١ ص ٩٦.

(٢) المصدر السابق ص ٩٧.

(٣) المصدر السابق ص ٩٧ أيضاً.

النفسية وأساليبها، دور التخويف والإرهاب والكذب، والتضليل في هذه الحرب، بالإضافة إلى دور الغزو الفكري في تمهيد الطريق لهذه الحرب، ولعل المسلمين الذين عانوا من الغزو الفكري أكثر مما تعانيه شعوب الأرض على الإطلاق، أكثر وعياً لهذه الحرب التي تشن عليهم بشكل دائم من الشرق والغرب على السواء.

أما مصطلح « الحرب من أجل السيطرة على عقول الرجال» الذي هو اسم آخر للحرب النفسية فلا يتم هذا إلا بتغيير سلوك الإنسان الذي هو هدف الحرب أما كيف يتم هذا التغيير، فقد رأى البعض أنه لا يتم إلا بعملية « غسيل المخ » أو عمليات تغيير الشخصية بوسائل « فسيولوجية » أو غيرها من الوسائل المباشرة أو غير المباشرة أو إعادة البناء الذهني أو « التكنيك السيكولوجي » .. وفكرة غسيل المخ سنبحثها بإذن الله كسلاح من أسلحة الحرب النفسية مفصلاً.

أهداف الحرب النفسية: يتضح مفهوم الحرب النفسية أكثر، من خلال تبيان غايات الحرب النفسية وأهدافها في الحياة المعاصرة.. وهذه الأهداف لا يمكن أن تتعدى واحداً من أربع وهي[1]:

١- تحطيم إيمان الخصم بعقيدته السياسية.

٢- تحطيم الوحدة النفسية للخصم العقائدي.

٣- استغلال بعض الانتصارات التي توصل إليها الطرف المهاجم، واتخاذ هذا النجاح الذي لم يستطع الخصم الوصول إليه وسيلة لإضعاف الثقة في عقيدة هذا الأخير التي لم تسمح له بمثل هذا النجاح.

٤- رفض دعاية أو حملة مخالفة[1].

ولتحقيق هذه الأهداف يلجأ الخصم إلى وسائل مختلفة، وقد ساعدت وسائل الاتصال الحديثة في ذلك.. ومن هذه الوسائل الدعاية والشائعة.. وليس ضرورياً

---

(١) مقال : الرأي العام الدولي والسلوك السياسي د. حامد ربيع ص ٩٥ مجلة السياسة الدولية – أكتوبر ١٩٦٦ القاهرة.

نجاح الخصم في أهدافه، بل قد تؤدي الدعاية إلى عكس ما يراد لها كما سنرى في بحثنا للدعاية. وخاصة إذا كان الخصم أمة داعية مؤمنة بمبادئها، محصنة ضد الحرب النفسية الموجهة من عدوها، روحها المعنوية عالية بإيمانها وثباتها على الحق.

الفصل الثاني

نظرة تاريخية

المبحث الأول – ظاهرة الحرب النفسية قبل الإسلام وفي العهد النبوي .

أولاً – ظاهرة الحرب النفسية قبل الإسلام.

ثانياً – الرسول ﷺ والحرب النفسية.

المبحث الثاني – صور من الحرب النفسية:

أولاً: صور من الحرب النفسية على مر التاريخ.

ثانياً: الحرب النفسية في الحربين العالميتين وما بينهما .

ثالثاً: الحرب النفسية المعاصرة.

المبحث الأول

ظاهرة الحرب النفسية قبل الإسلام وفي العهد النبوي

أولاً- ظاهرة الحرب النفسية قبل الإسلام : إن ظاهـرة الحرب النفسية ليست جديدة، إن قلـنا إنها ليست إلا الجانب المعنوي من القتال بين الشعوب، فمنذ أقدم العصور عـرف قواد المعارك أهمية إطلاق الشائعات لإضعاف الروح المعنوية أو على الأقل لخلـق صـورة مـن الارتـباك الـتي كـثيراً ما توجد عدم الثقة بالنفس والإيحاء مقدماً بالهزيمة، ومن ثم يكون نصف المعركة قد تم دون إراقة أي نقطة من الدماء(١).

وكذلك استخدام القادة الخداع والحيل المختلفة لإثارة الفتن، وتفريق المجتمعات بعضها عن بعض، والظهور بمظهر القوة لإرهاب الآخرين.

وهـذا الأسـلوب في الحـرب النفسـية في صـوره القديمـة مـا زال حتى الآن هو أسـلوب الحرب النفسية في الوقت الحاضر، إلا أن الوسائل ترقت وتعددت بوجود وسائل الإعلام المتعددة المسموعة والمرئية والمكتوبة.

وإن أهـم هـدف تسـعى إلـيه الحـرب النفسية قديماً وحديثاً هو زرع الخوف في نفوس من توجه إليهم، لأن انفعال الخوف نفسياً متعلق بغريزة حب الحياة وكراهية المـوت.... ويترتـب على الخوف الهرب في المعارك، وفي غيرها عدم الشعور بالأمن والاستقرار والحياة بقلق دائم..

لذلك كان من نعم الله عز وجل على قريش - وحتى في حالة إشراكهم بالله - نعمة الأمن من الخوف، لأنهم أهل الحرم﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ

---

(١) ارجع إلى مقـال الـرأي العـام الدولي والسلوك السياسي - د. حامد ربيع، مجلة السياسة الدولية ٦ أكتوبر ١٩٦٦.

﴿ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش ٣-٤] استجابة لدعاء إبراهيم عليه السلام عقب بناء البيت وتطهيره ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [البقرة ١٢٦] ومن نعم الله عز وجل التي أنعمها على المؤمنين نعمة الأمن بعد الخوف: قال تعالى: ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور ٥٥] وأن أولياء الله لا خوف عليهم مادام الله معهم: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس ٦٢] .

وبالمقابل أذاق الله عز وجل الكافرين والظالمين أنفسهم لباس الجوع والخوف: ﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل ١١٢] . وفي قصص الأمم السابقة صور لاستخدام الحرب النفسية في هزيمة الأعداء، وهي كثيرة ولا ندري مدى صحتها وقد تناولها بعض الكتاب بشكل مفصل ومطول[1] دون أن يرجعنا إلى سند تاريخي، وبعضها يرجعها إلى التوراة، والتوراة بصورتها الحالية لا تعد سنداً تاريخياً موثقاً لما أصابها من التحريف على يد أحبار اليهود.

وإن القرآن الكريم هو أصح مرجع صحيح يمكننا الاعتماد عليه، حيث إنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد حفظه الله عز وجل على مر القرون من التبديل والتحريف.

ومن القصص القرآني التي تدل دلالة واضحة على تأثير الخوف في النفوس التي لم يكتمل إيمانها ، ومن ثم ترتد على أدبارها خاسرة، من هؤلاء قوم موسى عليه السلام في فترة من فتراتهم، وذلك عندما أمرهم نبيهم بدخول الأرض المقدسة، فامتنعوا من دخولها لخوفهم من سكانها الجبارين ذوي القوة الجسمية الكبيرة، .. قال تعالى يصف هذه الحادثة : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ۝ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ

(١) ارجع إلى الحرب النفسية – صلاح نصر ج ١ ص ٥٥ .

فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المائدة ٢١-٢٦] .

وإن القصة التي يوردها ابن كثير لتوضيح سبب خوف بني إسرائيل من القوم الجبارين، وإن كانت القصة رواية إسرائيلية « في سندها نظر» على حد تعبير ابن كثير – رحمه الله – إلا أنها تبين تأثير الرمز في النفس الإنسانية، والرمز يُغني عن الكلمات الكثيرة في مجال الحرب النفسية.

«أُمر موسى أن يَدخل مدينةَ الجبَّارين فسار موسى بمن معه حتى نَزَل قريباً من المدينة وهي (أريحاء) فبعث إليهم اثني عشر عَيْناً من كل سِبط منهم عَيْن ليأتوهُ بخبر القوم فدخلوا المدينة فرأوا أمراً عظيماً من هيئتهم وجسمهم وعظمهم، فدخلوا حائطاً لبعضهم فجاء صاحب الحائط ليجتنى الثمار من حائطه فجعل يجتني الثمار وينظر إلى آثارهم فتتبعهم فكلما أصاب واحداً منهم أخذه فجعله في كمه مع الفاكهة حتى التقط الاثني عشر كلهم فجعلهم في كمه مع الفاكهة وذهب بهم إلى ملكهم فنثرهم بين يديه، فقال لهم الملك: قد رأيتم شأننا وأمرنا فاذهبوا فأخبروا صاحبكم. فرجعوا إلى موسى فأخبروه بما عاينوا من أمرهم». وفي رواية أخرى «فأعطوهم حبة من عنب تكفي الرجل فقالوا لهم: اذهبوا إلى موسى وقومه فقولوا لهم: هذا قدر فاكهتهم « وطبعاً ، فإن كِبَر حجم الفاكهة رمز يدل على قوتهم وعظمتهم.. « فرجعوا إلى موسى فأخبروه بما رأوا فلما أمرهم موسى عليه السلام بالدخول عليهم وقتالهم، قالوا: يا موسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا

قاعدون[١] وقولهم هذا كان نتيجة الخوف الذي زرعه العيون الذين أُرسلوا وكانوا وسائل لدعاية العدو. وهكذا نجد أنه عندما يضعف الإيمان يضعف الإنسان تجاه أعدائه، ويتحكم به الخوف، فيجبن ويولي مدبراً ، مؤثراً السلامة المؤقتة على السعادة الأبدية والأمان الزائف على النصر والعزة.

وفي مقابل هذه القصة، نجد أن الحربَ النفسية تصبح كلماتٍ جوفاءَ بوجود الإيمان الصادق والعزيمة الثابتة في قصة أصحاب الرسول ﷺ قبل وقعة بدر الكبرى. « قال ابن إسحاق: ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش أنكم إذا خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا، فقال أبو جهل بن هشام:والله لا نرجع حتى نَرِدَ بَدْراً (وكان بَدر موسماً من مواسم العرب تجتمع لهم به سوقٌ كلَّ عام) فنقيمَ عليه ثلاثاً فننحر الجُزُرَ، ونطْعم الطعام، ونَسْقي الخمر وتعزف علينا القيان، وتسمعُ بنا العرب وبمسيرنا وجَمْعِنا، فلا يزالون يَهَابوننا أبداً بعدها فامضوا»[٢] .ولم يرهب صحابة رسول الله ﷺ من قوله هذا.. وهذا يظهر واضحاً من قول المقداد بن عمرو رضي الله عنه لرسول الله ﷺ ، والرسول يستشير أصحابه وقد علم بخروج قريش والجمع الذي جمعوه..

« يا رسولَ الله اِمضِ لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقولُ لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: « فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون » ولكن اِذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سِرْتَ بنا إلى بَرْكِ الغِمَاد[٣] لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له»[٤].

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٨ تفسير سورة المائدة .

(٢) سيرة ابن هشام ص ٢٥٨ج ٢ – دار الفكر.

(٣) برك الغماد: موضع في اليمن .

(٤) سيرة بن هشام ج ٢ ص ٢٥٣ وكذلك البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ٢٦٢.

وفي قصة موسى عليه السلام مع فرعون، نتلمس أيضاً بعض أسلحة الحرب النفسية مثل الدعاية الكاذبة والمكر والسحر، وإن كانت الوسائل بدائية تختلف عن الوسائل الإعلامية الحديثة، إلا أنها كانت تؤدي الغرض المرسوم لها، فَرُدَّ مكرُهم وسحرهم وبالاً عليهم ونهايةُ فرعون تعبر عن نهاية الطغاة على مر العصور.

هذه الأسلحة التي أشرنا إليها نستطيع إيجازها بما يلي:

١- **الدعاية والإدعاء الكاذبان**: فرعون مصر على ظلمه وجبروته واستعباده لعباد الله يرى أنه على الحق، وأنه يهدي قومه سبيل الرشاد، والخير والصلاح.﴿ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [غافر ٢٩] .

وهل طغاة اليوم البعيدون عن شريعة الله وهداه، إلا صورة مكررة من فرعون موسى عليه السلام ، الذين يظنون أنفسهم على حق وغيرهم على باطل.. وأنهم هم المصلحون وغيرهم المفسدون.

٢- **مقابلة الحق والهدى بالضلال والخداع والسحر**: وفرعون يقابل الحقائق الإلهية التي أتى بها موسى عليه السلام ومعجزاته بسحر خادع للعيون، ووهم تخيلي لاسترهاب الآخرين، وصرفهم عن الحق، وما أكثر ما استعملت أشكال الحرب النفسية لإرهاب الآخرين، وتخويفهم بأساليب هي أعتى من السحر، وخداع الرأي العام بالشعارات البراقة التي لا مضمون لها لصرف الناس عن الحق.﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ ﴾ [طه ٥٦-٥٨]

٣- **التخويف والإرهاب**: إدخال الخوف والرعب في نفوس الآخرين من أهم غايات الحرب النفسية قديماً وحديثاً، وهو سبيل الطغاة والظالمين في كل زمان، لأن الظالم لا يحب مَنْ يعترض عليه في ظلمه، ولا مَنْ ينطق بكلمة الحق، فهذا فرعون

مصر يهدد ويتوعد السحرة الذين آمنوا بموسى بعدما انكشف لهم الحق.﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾ [طه ٧١] فكان ردّ المؤمنين، والذين لا يخيفهم من أحد إلا الله، مهما كانت قوة الطاغية وقسوة تعذيبه.﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾ [طه ٧٢] ولعل في هذه القصة درساً بليغًا لأجيال المؤمنين.. فالإيمان هو أقوى من كل حرب نفسية أو مادية، وأن الإيمان هو الصخرة الصلدة التي تقف في وجه الطغاة.

وفي قصة يوسف عليه السلام ملامح من الحرب النفسية أيضاً وأساليبها وبعض أشكالها نستطيع إيجازها فيما يلي:

١- **المكر والخديعة**، وإظهار النصح والحب، مع أن القلوب مُلئت حقداً وغيظاً وذلك بفعل إخوة يوسف عليه السلام الذين بيتوا ليوسف وأرادوا إبعاده عن أبيه، والتقرب إلى أبيهم وأن يحلوا محله:﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [يوسف ١١-١٢]

٢- **الظهور بمظهر البرئ من الذنب لإبعاد التهمة:** ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [يوسف ١٦-١٧]

٣- **إلصاق التهم الباطلة بالآخرين** ، وستر الخيانة بستار من الدعاية الكاذبة المباشرة (الدعاية السوداء كما يطلق عليها حديثاً) - وهو ما كان من امرأة العزيز تجاه يوسف عليه السلام عندما حاولت إغواءه فأبى..﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يوسف ٢٥]

٤- **الشائعة وسرعة انتشارها في المجتمع**، وهي من أخطر أسلحة الحرب النفسية وموضوع الشائعة هنا « امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه » وأنها تحب فتاها.. ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [يوسف ٣٠] ومادام الأمر يتعلق بامرأة العزيز والحديث علاقة حب وغير ذلك كان انتشار الشائعة بين النساء أكثر من الرجال.

٥- **التهديد والإرهاب للضغط على الآخرين**، وهنا امرأة العزيز على الرغم من انتشار خبرها في المدينة، وعلى الرغم من انكشاف أمرها، فإنها لا تزال مصرة على موقفها حتى تحقق رغبتها.. وها هي تخاطب النسوة اللواتي شاعت بينهم فضيحتها تقول لهم بدون حياء مهددة متوعدة:﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يوسف ٣٢]

وفي قصص الأنبياء عليهم السلام أمثلة حية وبينة لأشكال مختلفة من هذه الحرب النفسية، بين الأنبياء وأقوامهم، كمثل الدعايات الكاذبة والاتهامات الباطلة وتهديدهم بالقتل والسجن..

وإن كلمة « الملأ » التي تتردد في القرآن الكريم وإن كانت تعني الأشراف والكبراء وأهل الرأي، ولكنها تعبر عن الرأي العام – في المصطلح الحديث – أو من يمثل الرأي العام الكافر في عهد الأنبياء عليهم السلام.. الذي وقف في صراع مع أنبياء الله، ومع المؤمنين الذين هداهم الله. هذا الملأ هو الذي شَنَّ الحرب النفسية على الأنبياء الذين ما أرسلوا إلا لهدايته إلى الطريق المستقيم، وإلى صراطه الحميد. وهي صورة واحدة تتكرر مع جميع أنبياء الله عليهم السلام – .

الملأ مع نوح عليه السلام – يتهمه بالضلال وهو الرسول من رب العالمين: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأعراف ٦٠-٦١]

- ويتهمه بالكذب .. حاشاه: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [هود ٢٧]

- والسخرية منه للإقلال من شأنه ونزع هيبته من الناس:﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ ﴾ [هود ٣٨]

- ومع صالح عليه السلام، يظهر الملأ بصورة المتكبرين على المؤمنين الضعفاء، ويجاهرون بكفرهم « لصالح » وهم الأقوياء المتكبرين: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الأعراف ٧٥-٧٦]

- ومع شعيب عليه السلام، الملأ من قومه يهددونه بالنفي من المدينة إن لم يرجع عن دينه الذي يدعو له وكذلك كل من يؤمن به:﴿ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأعراف ٨٨]

وتهديد كل من يتبع شعيباً عليه السلام بالهلاك والخسران:﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأعراف ٩٠]

- وقد تقدم موقف فرعون من موسى عليه السلام، وهنا يتكرر الموقف مع الملأ من قومه؛ الافتراء، والكذب والمؤامرة والهمّ بالقتل، والاستكبار في الأرض والفساد، لذا فهم شركاء فرعون في الكفر، ورفاقه في النار ومن أجل هذا جعلهم الله عز وجل سواء في المسؤولية: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ ﴾ (القصص ٨) .

هؤلاء الملأ يتهمون موسى عليه السلام بالسحر: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الأعراف ١٠٩] .

وكذلك فإن هؤلاء الملأ يدفعون فرعون للتخلص من موسى عليه السلام بحجة الإفساد في الأرض وهم المفسدون ولكن لا يشعرون: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [الأعراف ١٢٧] .

والملأ يأتمرون بموسى عليه السلام ليقتلوه: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [القصص ٢٠] .

وفي نهاية المطاف، فرعون الذي استخف قومه فأطاعوه، يستخف بهذا الملأ ويستخف بعقولهم، ويستخدم الميزان المادي ، ليعرف دعوة موسى عليه السلام أصادقة هي أم كاذبة .. فيصدقونه وقد عميت أبصارهم عن الحقيقة: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [القصص ٣٨] هذه صورة من صور الرأي العام الكافر وموقفهم من الأنبياء وأتباعهم من المؤمنين.

وصورة أخرى من صور الحرب النفسية « حرب العقيدة »؛ ومن التاريخ القديم ومن قصص الحق قصة «الراهب والغلام» التي قصها رسول الله ﷺ على الصحابة الكرام ليظهر لهم مقدار صبر المؤمنين في سبيل الله، ومقدار ما تعرضوا له من تخويف وتهديد وتقتيل، وما ردّهم هذا من دينهم الحق.

عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال: « كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك إني قد كبرت فابعث إليّ غلاماً أعلمه السحر فبعث

إليه غلاماً يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه، وسمع كلامه فأعجبه. فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه فشكى ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذا أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل علي، وكان الغلام يبرئ الأكمه[1] والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحداً إنما الله فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك: من ردّ عليك بصرك قال: ربي. قال: ولك رب غيري. قال: ربي وربك الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك: أي بني: قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك- فأبى، فدعا بالمئشار[2] فوضع المئشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى، فوضع المئشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقه، ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فأصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به

---

(١) الأكمه: الذي خلق أعمى.

(٢) المئشار: رواية الأكثرين ويجوز تخفيف الهمزة بقلبها ياء وروى بالمنشار بالنون وهما لغتان صحيحتان (ارجع إلى شرح النووي).

الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بم شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك ما فعل أصحابك قال: كفانيهم الله – فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور[١] فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه ، فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بم شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك ؟ قال: كفانيهم الله فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهما من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل باسم الله رب الغلام، ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع، ثم أخذ سهماً من كنانته، ثم وضع السهم في كبد السيف، ثم قال: باسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات فقال الناس. آمنا برب الغلام! آمنا برب الغلام! آمنا برب الغلام! فأتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود في أفواه السكك، فخدت وأضرم النار.. وقال: من لم يرجع عن دينه فاحموه فيها أو قيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تضع فيها فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق»[٢].

وقصة « الراهب والغلام» تعبر عن روح الطواغيت في كل زمان ومكان، هذه الروح التي لا تطيق رؤية من يخالفها في عقائدها وإن كانت باطلة، ولا ترغب بالتخلي عن استعبادها لعباد الله، وما تلجأ إليه من أساليب متنوعة في معاملة من يخرج عن خطها الفاسد الكافر من تخويف وإرهاب وتهديد، حتى لا تكون هناك عقيدة إلا عقيدتها، ولا نظام إلا نظامها.

---

(١) قرقور : بضم القافين السفينة الصغيرة (ارجع إلى شرح النووي).

(٢) رواه مسلم: ارجع إلى « صحيح مسلم بشرح النووي » ج ١٨ ص ١٣٠ باب « قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام».

وفي القصة نجد الملك الجائر يهدد الغلام بإلقائه من فوق الجبل فيموت، أو إلقائه في البحر فيغرق، ويهدد المؤمنين بالإحراق بالنار إن لم يرجعوا عن دينهم..

وهي صورة متكررة للطغاة وحربهم للمؤمنين والدعاة الصالحين في السجون المملوءة بأدوات التعذيب المختلفة الأشكال.

وإن استشهاد الغلام في نهاية القصة، وبالأسلوب الذي اختاره هو إذ قال للملك « إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به . قال: ما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل بسم الله رب الغلام ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني».

هذا التدبير من قبل الغلام، كان أسلوباً إعلامياً ودعائياً عظيماً، كان من أهم آثاره إيمان الناس الذي جُمعوا لمشاهدة مصرع الغلام، وكان بمثابة برهان ساطع على صدق دعوته.. إذ إن الناس كانوا في حيرة من أمره، أيصدقونه وقد ظهرت على يديه الآيات، أم يكذبونه ويكونون مع الرأي العام الكافر ومع الملك.. وكانت الساعة الحاسمة في حياتهم أن رأوا الحقيقة في إبَّانها.. لم يستطع الملك قتل الغلام إلا عندما نطق: « باسم الله رب الغلام» فما كان منهم إلا أن قالوا جميعاً وبصوت واحد: « آمنا برب الغلام» .

وكان موت الغلام حياة للناس أجمعين.. وكان انتصاره على الخوف والإرهاب والتهديد بإيمانه وصدقه. وإننا لا نزال نكرر أن الإيمان الصادق وحده، هو الصخرة الصماء التي تتكسر عليها الحرب النفسية الموجهة من أعداء الله والإنسان.

ثانياً: الرسول ﷺ والحرب النفسية:

إن ما تعرض له رسول الله ﷺ من المشركين والمنافقين والكفار واليهود؛ ليعد من أشد ما تعرض له صاحب دعوة .. وأشكال محاربته ﷺ تعددت من حرب مادية إلى حرب نفسية، ويهمنا في هذا المجال ما تعرض له ﷺ وصحابته من حرب

نفسية بأسلحتها المختلفة من دعاية وشائعة وتكذيب وهُزء ، ومحاولات عديدة لإيقاف دعوته، بالإغراء بالمال والجاه والملك ثم بالتخويف والإرهاب. ونرى أن نقسم بحثنا إلى مرحلتين: المرحلة المكية ، والمرحلة المدنية.

المرحلة المكية:

نستطيع أن نوجز أسلحة الحرب النفسية التي استعملت من قبل المشركين بما يلي:

١ - **الدعاية الكاذبة والتكذيب:** بدأت حرب قريش الدعائية بعد أن أمر الله عز وجل رسوله الكريم محمداً ﷺ بالجهر بالدعوة وإظهار الدين ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الحجر ٩٤] .

فأظهر المسلمون صلاتهم بعد أن كانوا يستخفون فيها، فأخذ المشركين يعيبون على المسلمين صلاتهم وينكرونها عليهم(١) وأغروا برسول الله ﷺ سفهاءهم فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون، وصور لنا القرآن الكريم هذه الحملة الدعائية، داعياً الرسول ﷺ إلى عدم الالتفات إليها باعتبارها دعاية كاذبة، وليمضي في دعوته مادام على الحق. قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الطور ٢٩-٣٠] ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الأنبياء ٥] ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ ﴾ (الصافات ٣٦) .

والرد على الدعاية الكاذبة لا يكون إلا بالإعلام الصادق، من القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.. والله عز وجل يُبرئ رسوله الكريم من هذه التهم الباطلة فيقول:﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ ١ ص ٢٧٥. دار الفكر.

شَاعِرٍ ۚ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (الحاقة ٤٠-٤٣) .

ويقول الله تعالى مُسلياً نبيّه ﷺ في تكذيب قومه له ومخالفتهم إياه: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنعام ٣٣] أي لا يتهموك بالكذب في الأمر نفسه ، ولكنهم يعاندون الحق ويدفعونه بصدودهم[1]. ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأنعام ٣٤] .

وهذا من جملة التسلية لرسول الله ﷺ أي أن هذا الذي وقع من هؤلاء إليك ليس هو بأول ما صنعه الكفار مع من أرسله الله إليهم، بل قد وقع التكذيب لكثير من الرسل والمرسلين من قبلك فاقتد بهم، ولا تحزن، واصبر كما صبروا على ما كذبوا به، وأوذوا حتى يأتيك نصرنا كما أتاهم فإنّا لا نخلف الميعاد[2].

وهكذا نجد أن معاندة الحق من قبل مشركي قريش، مع علمهم بصدق الرسول ﷺ، وهو الصادق الأمين كما عرفوه، ولم يعلموا عنه كذبة واحدة في حياته الطويلة بينهم قبل الرسالة، هذه الصورة تتكرر دائماً في كل زمان ومكان مع أصحاب الدعوات الحقة والمعاندين من الطغاة البعيدين عن هدى الله .

٢- **السخرية والاستهزاء** : ولجأت قريش إلى أسلوب آخر من أساليب الحرب النفسية كثيراً ما اتبع حديثاً بصور مختلفة وهو أسلوب الهزء والسخرية من رسول الله ﷺ ومن آيات الله المنزلة عليه. ومن معجزاته ﷺ .

وأسلوب السخرية والاستهزاء يُتّبع لإسقاط الهيبة من الخصم في نفوس الناس فضلاً عن تغليف الحقائق بخلاف من عدم الجدية، لتمييع هذه الحقائق وإبعاد الناس

---

(١) تفسير ابن كثير – تفسير الآية (٣٣) من سورة الأنعام.

(٢) فتح القدير للشوكاني – تفسير الآية (٣٤) من سورة الأنعام.

عن احترامها أو التفكير فيها، وفي كلا الحالين ابتعاد الناس عمن توجه إليهم الحرب النفسية...

وقد اتبعت قريش[١] هذا الأسلوب، وقص علينا القرآن في كثير من آياته حالهم هذا: فهم يسخرون من الرسول ﷺ حين رؤيته، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ ﴾ [الفرقان ٤١] وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأنبياء ٢٦] .

وكذلك هم يستهزئون بآيات الله: قال تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الكهف ٥٦] وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ ﴾ [الجاثية ٩] .

والله عز وجل لن يترك المستهزئين ، ولن يفلتوا من يده، والله كاف عبده محمداً ﷺ: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الحجر ٩٥][٢] .

ولن يفرح المشركون كثيراً بما عندهم من العلم، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [غافر ٨٣] ...

وفي آية أخرى يترك مصير المستهزئين غير محدد إلا أن العذاب واقع بهم لا محالة، نتيجة استهزائهم : ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [الشعراء ٥-٦] يقول الشوكاني رحمه الله في تفسيره مبيناً تسلسل موقف المشركين في مكة من النبي

---

(١) المستهزئون كانوا خمسة من رؤساء أهل مكة هم: «الوليد بن المغيرة – والعاص بن وائل – والأسود بن المطّلب بن أسد – والأسود ابن عبد يغوث – والحرث بن الطلاطله» .
انظر تفصيل ترجمتهم : البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ١٠٥، سيرة ابن هشام ٢/ ١٥-١٦، فتح القدير للشوكاني. تفسير سورة الحجر (٣/ ٤٤).

(٢) المرجع السابق – للإطلاع على ما أصاب المستهزئين في الدنيا كما روت كتب السيرة.

ﷺ : « ... فالإعراض عن الشيء عدم الالتفاف إليه، ثم انتقلوا عن هذا على ما هو أشد منه وهو التصريح بالتكذيب، ثم انتقلوا عن التكذيب إلى ما هو أشد منه وهو الاستهزاء كما يدل عليه قوله (فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون) والأنباء هي ما يستحقونه من العقوبة آجلاً وعاجلاً. وسميت أنباء لكونها مما أنبأ عنه القرآن وقال: « ما كانوا به يستهزئون » ولم يقل ما كانوا عنه معرضين أو ما كانوا به يكذبون، لأن الاستهزاء أشد منهما ومستلزم لهما وفي هذا وعيد شديد[1].

٣- التشهير والشتم: ولجأت قريش أيضاً إلى شتم رسول الله ﷺ . وذلك للتقليل من شأنه وإظهار ضعفه أمام الناس في مكة.

يروي ابن إسحاق، أن أم جميل[*] « حمالة الحطب» كانت تهجو النبي ﷺ بعد ما نزل فيها من القرآن الكريم وعرفت ما ينتظرها من سوء المصير.. فقد كانت ترتجز: «مُذَمَّماً عَصَينا، وأَمْرَه أَبَيْنَا ، ودينه قَلَينا ».

وكانت قريش إنما تسمي رسول الله ﷺ مُذَمَّماً ، ثم يسبونه، فكان رسول الله ﷺ يقول: « ألا تعجبون لـمَّا صرفَ الله عني أذى قريش يَسُبون ويهجُون مُذَمّماً وأنا محمد»[2].

وأن أمية بن خلف كان إذا رأى رسول الله ﷺ هَمَزَهُ ولَمَزَه ، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ﴾ [الهمزة ١][3].

وكذلك أطلقت قريش على الرسول الكريم ﷺ لقَب الأَبْتر، وذلك لما مات إبراهيم بن رسول الله ﷺ خرج أبو جهل إلى أصحابه فقال بُتِر محمد فنزلت الآية:

---

(١) فتح القدير – جـ ٤ ص ١٩٤ (تفسير سورة الشعراء).

(*)أم جميل أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان زوجها أبولهب: عبد العزى ابن عبد المطلب.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام – ج١ ص ٣٧٨ (رجل مذمم: مذموم ج١ القاموس مادة : ذمه).

(٣) المرجع السابق: وقال ابن هشام: والهُمُزة الذي يشتم الرجل علانية ويكسر عينه، واللمزة الذي يعيب الناس سراً ويؤذيهم.

﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴾ [الكوثر ١-٣] وقيل القائل هو عقبة بن أبي معيط»[١].

ويروى الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما « قوله: إن شانئك هو الأبتر قال هو العاص بن وائل»[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالت قريش، ليس له ولد، وسيموت وينقطع أثره فأنزل الله تعالى سورة الكوثر إلى: «إن شانئك هو الأبتر» يعني شانئ محمد ﷺ هو الأبتر»[٣].

٤- **التعتيم والتشويش**[٤]: حينما يئست قريش من غلبة رسول الله ﷺ بالحجة والبرهان لجأت إلى ما يسمى اليوم « بالتعتيم الإعلامي» و«التشويش الإعلامي».

وهذا الأسلوب كثيراً ما تلجأ إليه الدول المتخاصمة، أو يلجأ إليه الحاكم المستبد، حتى لا تصل الحقائق إلى الآخرين، والتشويش على الحقائق الذي يذيعها الخصم...

ومعروف لدينا أجهزة التشويش الحديثة التي تستخدمها الدول الآن – وخاصة أثناء الحروب..

وما صنعته قريش لا يخرج عن هذا الإطار ، وذلك بعد ان لَجُّوا في كفرهم وعنادهم.﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ

---

(١) فتح القدير للشوكاني (تفسير سورة الكوثر).

(٢) تفسير الطبري . تفسير سيرة الكوثر.

(٣) أخرجه رزين – جامع الأصول ٢/ ٤٣٦.

(٤) جاء في مختار الصحاح « مادة : شوش » : (التشويش : التخليط ، وقد (تشوّش عليه الأمر). إلا أن صاحب القاموس يقول : « مادة شاش»: (والتشويش والمشوّش والتشوش كلها لحن والصواب: التهويش والمهوّش والتهوُّش).
وفي مادة: هوش هوش تهويشاً: خلط ... انتهى.
وآثرنا استخدام التشويش لاشتهارها على أنها مصطلح إعلامي فضلاً عن أن لها أصل.

﴿٢٦﴾ [فصلت ٢٦] «أي إذا تُلي لا تستمعوا له – كما قال مجاهد – والغَوا فيه بالمُكاء والصَفير والتخليط في المنطق»[١].

وهكذا نجد أن هذه الآية تبين أسلوب الكفار في التعتيم والتشويش.. ففي قوله تعالى: « وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن» التعتيم على القرآن الكريم في عدم سماعه والإنصات إليه.. حتى لا يؤثر فيهم.

وفي قوله تعالى: «والغَوْا فيه » أي ارفعوا أصواتكم ليتشوش القارئ له.. وقال الضحاك، أكثروا الكلام ليختلط عليه ما يقول»[٢].

بالإضافة إلى قول مجاهد: إلْغَوا فيه بالمكاء والتصدية والتصفيق والتخليط في الكلام حتى يصير لغوا»[٣].

وكل هذه المعاني تعبر عن مفهوم التشويش الواضح الدقيق في الوقت الحاضر...

ولكن هذا كله ذهب أدراج الرياح وغَلَب القرآن الكريم، لأنه يحمل سر الغَلب، إنه الحق، والحق غالب مهما جَهِدَ الـمُبطلون.

٥- **التيئيس والتعجيز:** ولجأت قريش إلى ملاحقة خطوات الرسول ﷺ وهو يدعوا إلى الله، لينفروا الناس من حوله، وليعبدوهم ما استطاعوا عن دعوته.. لعله يفتر ويمل وييئس، وأنى لهم هذا وهو رسول رب العالمين.. المؤيد بالآيات والذكر الحكيم..

- أخرج ابن إسحاق عن ربيعة بن عباد رضي الله عنه قال: إني لغلام شاب مع أبي بمنى ورسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب فيقول « يا بني

(١) تفسير ابن كثير (تفسير الآية ٢٦ من سورة فصلت).

(٢) فتح القدير – تفسير الآية..

(٣) فتح القدير – تفسير الآية ٢٦ من سورة فصلت.

فلان، إني رسولُ الله إليكم آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي وتصدقوا بي، وتمنعوني حتى أبَيِّن عن الله ما بعثني به» قال: وخَلْفه رجل أحْوَل وضيء له غديرتان عليه حُلة عَدَنة. فإذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله وما دعا إليه، قال ذلك الرجل: يا بني فلان: إنَّ هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم وحلفائكم من الجن من بني مالك ابن أُقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه.

قال: فقلت لأبي: يا أبت... من هذا الرجل الذي يتبعه ويرد عليه ما يقول؟. قال هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب أبو لهب[١].

وأخرج أبو نعيم في الدلائل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لقد كان رسول الله ﷺ يخرج في المواسم فيدعو القبائل، ما أحد من الناس يستجيب له ويقبل منه دعاءه فقد كان يأتي القبائلَ بِمِجِنّةٍ وعُكاظ وبمنى[٢] حتى يستقبلَ القبائلَ يعودُ إليهم سنة بعد سنة حتى أن القبائلَ مِنْهم مَنْ قال: ما آن لك أن تيئس؟.

ويقص علينا القرآن محاولة تعجيز الرسول ﷺ من قبل الملأ من قريش وأنهم عَلّقوا إيمانهم حتى يُجيبهم إلى طلبهم، وما كان هدفهم الإيمان، وإنما العناد والتعجيز، ومحاولة إثْنَاء الرسول ﷺ عن تبليغ رسالته، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلاً ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً ﴿٩٣﴾ ﴾ [الإسراء ٩٠-٩٣] .

---

(١) البداية والنهاية ٣/ ١٣٨.

(٢) مجنة وعكاظ ومنى مواضع قرب مكة المكرمة.

وقريش غفلت عن المعجزة الباقية في القرآن ، فراحوا يطلبون تلك الخوارق المادية، ويتعنتون في اقتراحاتهم.

« والخارقة ليست من صنع الرسول، ولا هي من شأنه، إنما هي من أمر الله سبحانه وفق تقديره وحكمته، فأدب الرسالة وإدراك حكمة الله في تدبيره يمنعان الرسول أن يقترح على ربه ما لم يصرح له به « قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً» يقف عند حدود بشريته، ويعمل وفق تكاليف رسالته، لا يقترح على الله ولا يتزيد فيما كلفَّه إيَّاه»[1].

وفي أول سورة فصلت يصور لنا الله عز وجل أسلوب التيئيس الذي اتبعته قريش مع الرسول ﷺ ليكف عن دعوتهم..

قال تعالى: ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٌ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥ ﴾ (فصلت ١-٥) .

وقول كفار قريش في الآية الأخيرة آنفاً، إمعاناً في العناد، وتيئيساً للرسول ﷺ ليكف عن دعوتهم، لما كانوا يجدونه في قلوبهم من وقع كلماته، على حين يريدون عامدين ألا يكونوا مؤمنين.

قالوا: قلوبنا في أغطية فلا تصل إليها كلماتك، وفي آذاننا صمم فلا تسمع دعوتك. ومن بيننا وبينك حجاب، فلا اتصال بيننا وبينك، فدعنا واعمل لنفسك فإننا عاملون لأنفسنا، أو أنهم قالوا غير مبالين: نحن لا نبالي قولك وفعلك وإنذارك ووعيدك، فإن شئت فامض في طريقك فإنا ماضون في طريقنا، لا نسمع لك وافعل ما أنت فاعل، وهات وعيدك الذي تهددنا به فإننا غير مبالين.

---

(١) ارجع إلى « في ظلال القرآن » جـ ٤ ص ٢٢٥٠ (تفسير الآيات في سورة الإسراء).

هذا نموذج مما كان يلقاه صاحب الدعوة الأول ﷺ ثم يمضي في طريقة يدعو ويدعو لا يكف عن الدعوة. ولا ييئس ولا يستبطئ وعدَ الله له ولا وعيده للمكذبين..»[١].

٦- **الضغط العائلي** : وحاولت قريش الضغط على رسول الله ﷺ حتى يكف عن دعوته، وتسفيه أصنامهم، فاستعانت بعمه أبي طالب وقالوا « يا أبا طالب، إن ابن أخيك يأتينا في أفنيتنا وفي نادينا فيسمعنا ما يؤذينا به، فإن رأيت أن تكفه فافعل».

فقال أبو طالب للنبي ﷺ : « يا ابن أخي: والله ما علمتُ إنْ كُنت لي مطاعاً وقد جاء قومك يزعُمون أنك تأتيهم في كعبتهم وفي ناديهم تُسمعهم ما يؤذيهم، فإن رأيت أن تكف عنهم. فحلق ببصره إلى السماء فقال: والله ما أنا بأقْدرِ أن أدع ما بُعِثْتُ به من أن يُشعل أحدُكم من هذه الشمس شعلة من نار. فقال أبو طالب: والله ما كذَبَ ابنُ أخي قط ارجعوا راشدين»[٢].

وفي رواية أخرى أن أبا طالب قال له ﷺ : يا ابن أخي إن قومك قد جاؤوني وقالوا كذا وكذا فابق علي وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك.

فظن رسول الله ﷺ أن قد بدا لعمه فيه، وأنه خاذله ومسلمه، وضعف عن القيام معه. فقال رسول الله ﷺ : « **يا عم لو وضعت الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه**»، ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى...

---

(١) في ظلال القرآن (تفسير الآيات الأول من سورة فصلت).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط والكبير.. وقال الهيثمي (ج ٦ ص ١٤) : رواه الطبراني وأبو يعلي باختصار يسير من أهله، ورجال أبي يعلي رجال الصحيح . انتهى.
وأخرجه البخاري في التاريخ بنحوه كما في البداية (ج٣ ص ٤٣).

حين ذاك قال أبو طالب « امض على أمرك وافعل ما أحببت ، فو الله لا أسلمك لشيء أبداً»[١].

وهل تظن قريش أن المسألة خلاف شخصي يمكن أن يحل بتوسط كبير العائلة أو القبيلة.. إنها دعوةُ الله .. التي هي أكبر من أي عرف ومن كل ضغط، وموقفه ﷺ نموذج لمواقف الثبات على الحق والصلابة في الرأي.. والتي يجب أن يسير على منوالها الدعاة إلى الله على مر التاريخ.

٧- **الإغراء بالمال والملك:** واتبعت قريش مع الرسول ﷺ أسلوب الإغراء بالمال والملك لتحويل الرسول الكريم عن وجهته، بتبليغ دعوته وتسفيه أحلامهم وعقائدهم؛ وهذا الأسلوب طالما اتبع حديثاً في الحرب النفسية التي تشن على الدعاة والمخلصين، وإغرائهم بالمال والوظائف العالية، وقد يستجيب أصحاب النفوس المريضة لهم ويتخلوا عن مبادئهم..

واتبعت قريش أسلوب الإغراء هذا.. مع الرسول ﷺ ظانة أن الأمر قضية شخصية، أو دعوة لآرائه وأفكاره.. ! لننظر إلى محاولة الإغراء عند أهل السيرة: «قال ابن إسحاق: إن عتبة بن ربيعة، وكان سيداً ، قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش ألا أقومُ إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيَّما شاء ويكفُّ عنا، وذلك حين أسلم حمزة، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون فقالوا : بلى يا أبا الوليد، قم إليه فَكَلّمه، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ . فقال: يا ابن أخي، إنّك منا حيث قد علمت من السِطَة[٢] في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم، وعبت

---

(١) رواه البيهقي – كذا في البداية (ج٣ ص ٤٢).

(٢) السِطَة بكسر السين وفتح الطاء مخففة: المنزلة الرفيعة.

به آلهتهم ودينهم، وكفّرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. قال: فقال رسول الله ﷺ : « قل يا أبا الوليد أسمع» قال: « يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئتَ به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكونَ أكثرَنا مالاً، وإن كنت تريد بما جئت به شرفاً سوَّدناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رأياً تراه لا تستطيع ردّه عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبريك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه، أو كما قال له، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال: « أقد فرغت يا أبا الوليد»؟ قال: نعم. قال: « فاستمع مني» قال: افعل فقال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥ ﴾ [فصلت ١-٥] .

ثم مضى رسول الله ﷺ يقرؤها عليه كلما سمعها عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد ثم قال: « قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك».

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولاً ما سمعتُ مثلَه قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني ، واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه،فاعتزلوه فوالله ليكونَنَّ لقولِهِ الذي سمعتُ منه نبأ عَظيم.

فإن تصبه العربُ فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فمُلكُه ملكُكُم وعزُهُ عِزُكم، وكنتم أسعدَ الناسِ به. قالوا: سَحَرَكَ واللهِ يا أبا الوليد بلسانه، قال هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم»[١].

٨ - **المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية**: ولجأت قريش إلى سلاح المقاطعة، وذلك عندما رأت أن الإسلام ينمو بين القبائل.. ولم ينفع ملاحقة المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة وأن حمزة أسلم وكذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فقررت قريش مقاطعة الرسول ﷺ اقتصادياً واجتماعياً في كتاب يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم « وكتبوه في صحيفة علقوها في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم.. وبقي الرسول ﷺ وصحابته ثلاث سنوات متواليات على هذه الحال لا بَيْع ولا شراء ولا زواج.. ورسول الله صابر وهو يرى ما يؤلمه؛ زوجه خديجة الطاعنة في السن وعمه أبو طالب وبقية آله وأصحابه، ومع ذلك لم يتوقف يوماً عن تبليغ دعوته ليلاً ولا نهاراً... وسراً وجهاراً .

أخرج أبو نعيم عن سعد، رضي الله عنه، قال: كنا قوماً يصيبنا ظلف العيش بمكة مع رسول الله ﷺوشدته، فلما أصابنا البلاء اعترفنا لذلك ومَرَنّا عليه وصبرنا له، ولقد رأيتَني مع رسول الله ﷺ بمكة خرجت من الليل أبول، وإذا أنا أسمع بقعقعةِ شيء تحت بولي فإذا قطعةُ جلد بعير، فأخذتها فغسلتها ثم أحرقتها فوضعتها بين حجرتين ثم استفها وشربت عليها من الماء فقويت عليها ثلاثا»[٢].

وبقي بنو هاشم وبنو المطلب في شعب أبي طالب حتى جهدوا من ضيق الحصار، وأكلوا ورق السمر[٣]، وأطفالهم يتضاغون من الجوع حتى يُسمعَ بكاؤهم

---

(١) سيرة ابن هشام.ج ١ ص ٣١٣ - ٣١٤، وأيضاً البداية والنهاية ٣/ ٦٣.

(٢) الحلية ج١ ص ٩٣.

(٣) السمر نوع من الشجر ويسمى شجر الطلح ينبت في شعاب مكة.

من بعيد، وقريشٌ تحول بينهم وبين التجار فيزيدون عليهم في السلعة أضعافاً حتى لا يشتروها..

هكذا ضرب الصحابة مثلاً رائعاً في الثبات على الحق، والصبر على الشدائد، والتضحية بكل غال في سبيل الله دون أن يتنازلوا قيد شعرة عن عقيدتهم.. حتى قام نفر من قريش من أهل المروءة في نقض الصحيفة وبكل ما فيها من الظلم[1].

وهكذا نجد أن هذه المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية لم تزد الجماعة المسلمة إلا ثباتاً على الحق.. وذلك بوجود الإيمان الصادق .. والذي تتحطم على صخرته كل الحروب النفسية والمادية..

٩ - **الإرهاب والتآمر**: تفنن الطغاة في كل زمان في أساليب الحرب النفسية الموجهة إلى خصومهم.. بل قد استعانوا بالخبراء في الإرهاب والتآمر والتعذيب وغسيل الدماغ، وغايتهم واحدة هي ارتداد هؤلاء الخصوم عن عقيدتهم التي يؤمنون بها.. إلى ما يرغب الطاغية وما يريد..

هذه الصورة الحديثة من الحرب النفسية وما تتضمنه من إرهاب وتآمر وقتل وتعذيب تنطبق أيضاً من حيث المضمون على ما أصاب الرسول ﷺ والمسلمون على يد مشركي قريش، فبينما النبي ﷺ ساجد - ذات يوم - في المسجد وحوله أناس من قريش، إذ جاء عقبة بن أبي معيط بسلا جزور[2] فقذفه على ظهر النبي ﷺ فلم يرفع رأسه، فجاءت ابنته فاطمة - عليها السلام - فأخذته من ظهره ودعت على من صنع هذا .. ودعا عليهم النبي ﷺ[3].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٩٥.

(٢) سلا جزور : وهو اللفافة يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان وهي من الآدمية والمشيمة.

(٣) رواه البخاري في باب « ذكر ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة. (ج ٧ ص ١٦٤ - فتح الباري).

وفي آخر المطاف تتآمر قريش على قتل النبي ﷺ بعد أن عجزت عن إيقاف دعوته، التي أخذت تمتد إلى خارج مكة.. وذلك قبيل هجرته ﷺ إلى المدينة..

« قال ابن إسحاق: فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ صار له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا منهم منعة، فَحَذِروا خروج رسول الله ﷺ إليهم وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم ، فاجتمعوا له في دار الندوة .. يتشاورون فيما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ حين خافوه. فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم وإننا والله ما نأْمَنْهُ على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأياً.

فتشاوروا ثم قال قائل منهم: احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيراً والنابغة، ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم . فقال الشيخ النجدي[(١)]: لا والله ما هذا لكم برأي، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب هذا الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برأي». فتشاوروا ثم قال قائل منهم:نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فإذا خرج عنا فو الله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع، إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وإلفتنا كما كانت. قال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حي من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير

---

(١) الشيخ النجدي : إبليس لعنه الله في صورة شيخ اشترك مع أشراف قريش في دار الندوة للتآمر على النبي ﷺ (البداية والنهاية ٣ / ١٧٥).

بهم إليكم حتى يطأكم بهم فيأخذوا أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد، أو يروا فيه رأياً غير هذا. فقال أبو جهل بن هشام: والله إن لي فيه رأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد.

قالوا : وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسيباً وسيطاً فينا ثم نعطي كلَّ فتى سيفاً صارماً، ثم يَعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعها، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً. فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم. فقال الشيخ النجدي : القول ما قال الرجل هذا الرأي ولا رأي غيره، فتفرق القوم على ذلك وهم يجمعون له[1].

قال ابن إسحاق: فكان مما أنزل الله في ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال ٣٠] وقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الطور ٣٠-٣١] قال ابن إسحاق: فأذن الله لنبيه ﷺ بالهجرة[2].

١٠- **السجن والتعذيب:** وكان نصيب المسلمين السجن والتعذيب بعدما يئست قريش من رسولِ الله ﷺ ومن عمه أبي طالب. « فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم، ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من يفتتن من شدة البلاء الذي يصيبه، ومنهم من يَصلب لهم ويعصمه الله منهم»[3].

---

(١) البداية والنهاية ٣/ ١٧٥ – ١٧٦.

(٢) المرجع السابق ص ١٧٧.

(٣) سيرة ابن هشام ج١ص ٣٣٩ – ٣٤٠. وطبقات ابن سعد ج٣ ص ٨٢. والاستيعاب ج١ص٢٨٨.

وما حدث لبلال رضي الله عنه وآل ياسر رضي الله عنهم من العذاب والفتنة، ومن ثم استشهاد أم عمار في سبيل الله وهي تحت العذاب.. ليذكرنا بالأساليب الرهيبة لزبانية طغاة اليوم، واستشهاد المئات في السجون، وليس لهم من ذنب إلا أن يقولوا ربنا الله. والتاريخ يعيد نفسه في حرب الإسلام والمسلمين.. وكما انتصر المسلمون بعون الله ورعايته لرسوله وللمؤمنين.. فكذلك سينتصر المسلمون الصادقون إن نصروا الله وأخلصوا له النية.. وأعدوا للصراع عدته.. ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج ٤٠] .

والسجن لمدة طويلة من أساليب الحرب النفسية.. وفيه تتم عمليات غسيل الدماغ[١]، والتلقين للمبادئ التي يرغب بها الطاغية ، وذلك لشعور السجين وعزلته عن الدنيا والناس والأهل والأصدقاء .. بشكل يضطر فيه السجين إلى إعادة التفكير بما هو فيه وبما يؤمن به.. وما في السجن من إذلال لشخصيته، وخراب لتجارته وانقطاع لسبل معاشه.. وما ينتظر أهله وأولاده من الفاقة ، والذل يساعد على الرجوع عما يؤمن به السجين إلا من عصمه الله.

وإذا رافق السجن التعذيب، الرهيب، وما يتفنن به الطغاة من أنواع التعذيب تصير النتيجة أدهى من ذلك..

وهذا قول أبي جهل أخزاه الله: «إذا سَمِعَ بالرجل قد أسلم له شرفاً ومَنَعه أنَّبهُ وخَزّاه، وقال :تَركتَ دينَ أبيك وهو خير منك، لنسفهَنَّ حِلْمُك ولَنفلينَّ رأيك[٢]، ولنضعن شرفك، وإن كان تاجراً قال: والله نكسدن تجارتك، ولنهلكن مالك، وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به»[٣].

---

(١) انظر أسلحة الحرب النفسية – البحث الأول .. فقرة غسيل الدماغ في الفصل الثالث من هذا البحث.

(٢) قوله لنفلين رأيك: أي لنقبحه ونخطئنه كما في القاموس.

(٣) سيرة ابن هشام ج١ ص ٣٤٢.

وهكذا كان المشركون يحاربون المسلمين نفسياً ومادياً.. أما الضعفاء من المسلمين، مَنْ ليس لهم قبيلة تحميهم كان العذاب والسجن مصيرهم وربما القتل في النهاية.

قال ابن إسحاق: « حدثني حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير، قال: قلت لعبد الله بن عباس: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يعذبون به في ترك دينهم؟ قال: نعم والله، إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر على أن يستوي جالساً من شدة الضرب الذي نزل به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة..»[١].

ومن المؤمنين من يصبر على الأذى الشديد ويعصمه الله من الفتنة.. يقول خباب بن الأرت: لقد رأيتني يوماً أخذوني فأوقدوا لي ناراً ثم سلقوني فيها، ثم وضع رَجُلٌ رجله على صدري، فما اتقيت الأرض أو قال برد الأرض – إلا بظهري، ثم قال كشف عن ظهره فإذا هو قد برص[٢].

ولعل الأبيات التي قالها عبد الله بن الحرث بن قيس بعد هجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة ما يصور ما أصاب المسلمين في مكة من اضطهاد وفتنة[٣]:

يا راكبا بلغا عني مغلغلة ... مَن كان يرجو بلاغ الله والدين[٤]

كل امرئ من عباد الله مُضْطَهدٌ ... ببطنِ مكة مقهورٌ ومفتونُ

أنا وجدنا بلاد الله واسعة ... تنجي من الذل والمخزاة والهون

---

(١) المصدر السابق ص ٣٤٢.

(٢) طبقات ابن سعد ج٣ ص ١١٧.

(٣) سيرة ابن هشام ج١ص ٣٥٣.

(٤) مغلغلة : الرسالة ترسل من بلد إلى بلد.

المرحلة المدنية:

واجه الرسول ﷺ الحرب النفسية التي شنت عليه من جبهتين في المدينة وهما:

أولاً: جبهة المنافقين.

ثانياً: جبهة اليهود.

ويمكن أيجاز الغاية من حربهما للرسول ﷺ بما يلي:

- هزيمة الرسول ﷺ وصحبه في قتالهم مع مشركي قريش.

- القضاء على الدعوة وتمكين المشركين واليهود من التسلط على المدينة.

وكان سلاح كل من المنافقين واليهود في هذه الحرب هو:

١- إثارة الشائعات المختلفة حول الرسول ﷺ وأهله لإزالة قدسية الدين ومن ثم إظهار الرسول ﷺ بالمظهر الإنساني العادي.

٢- الدعايات الكاذبة، واستخدام الشعر في ذلك للتشهير بالرسول وصحبه.. وسنرى - بإذن الله - كيف حاول كل من المنافقين واليهود الوصول إلى غاياتهم.. إلا أنهم ووجهوا بالإيمان الصادق، والعزيمة ، والشجاعة .. والوعي العميق مما أفشل هذه الحرب، ورد كيدهم في نحورهم.. وجاء نصر الله والفتح .. ودخل الناس في دين الله أفواجاً...

أولاً - جبهة المنافقين: بعد أن قام المجتمع الإسلامي في المدينة، وأصبح للمسلمين قوة ودولة، أخذت ظاهرة النفاق تبرز على السطح ، لذا لم يكن في مكة نفاق[1] لأن الإسلام هناك كان مغلوباً على أمره ولا يملك لأحد نفعاً ولا ضراً، بل إن من

---

(١) وهو الذي يرجحه أكثر المفسرين والمؤرخين، وجميع السور التي ذكر فيها النفاق مدنية، وقد جاء في سورة التوبة ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ ﴾ [التوبة ١٠١].

يدخل فيه يعرض نفسه للخطر والضرر.. والنفاق « ظاهرة طبيعية نفسية تظهر في بيئة تجمع بين دعوتين متنافستين وقيادتين متقابلتين، هناك يوجد عنصر مضطرب يتأرجح بين هاتين الدعوتين ويتردد في إيثار إحداهما على أخرى، وقد ينحاز إلى دعوة، فيكون في معسكرها، ويعطيها ولاءه وحبه العاطفي، إلا أن مصالحه المادية، وانتشار الدعوة المقابلة وانتصارها.. كل ذلك لا يسمح له بإعلان موقفه والانضواء إلى الدعوة الأولى، وقطعه للحبال التي تربطه ببيئته الأولى.

وقد صور القرآن هذا الموقف المضطرب تصويراً دقيقاً، فقال:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾[الحج ١١].وهم الذين وصفهم بقوله:﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ ﴾[النساء ١٤٣](١).

وكان سلاح المنافقين في حربهم النفسية الدعاية الكاذبة والشائعة:

(١) **الدعاية الكاذبة** : وتهدف هذه الدعاية إلى تفتيت الصف المسلم، وخلخلته وإضعافه أمام خصمه مشركي قريش.

ولكي يضمن المنافقون نجاحهم في هذه الدعاية لابد وأن يظهروا بمظهر المسلمين الصادقين، فهم تارة يشهرون إسلامهم أمام الرسول ﷺ : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾[المنافقون ١] ، وهم تارة يظهرون إيمانهم الكاذب، وغايتهم الصد عن سبيل الله، مطمئنين أن الإيمان الذي يظهر ما هو إلا جُنَّة يعصمهم من التكذيب: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[المنافقون ٢] .

---

(١) السيرة النبوية – الندوي – ص ١٥٧.

والمنافقون مظهر خادع، وكلامهم ظاهره مقنع.. ولاشك أن من عوامل نجاح الدعاية الظهور بمظهر الصدق أمام الناس، واتخاذ أسلوب الإقناع العقلي، وهكذا وصفهم القرآن: ﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [المنافقون ٤]

وقوله تعالى: « فاحذرهم » تبيان لخطرهم الكبير في الصف المسلم، وانخداع المسلم بهم.. أما إذا كشف أمرهم، وظهروا على حقيقتهم، صدوا عن سبيل الله ولم يقبلوا هدى الله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [المنافقون ٥] .

وفي صدر سورة البقرة وصف دقيق للمنافقين وأخلاقهم ذات الوجهين، وادعائهم الإيمان والإصلاح، وتآمرهم مع رؤسائهم اليهود على المسلمين فنزلت الآيات تكشفهم وتعريهم أمام المؤمنين: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [البقرة ٨-١٥] .

وهناك ثلاثة مواقف للمنافقين تبين دعاياتهم الخبيثة على سبيل المثال لا الحصر وهذه المواقف هي:

أ) موقف المنافقين قبل غزوة الأحزاب وكان دورهم التثبيط عن الجهاد وخلخلة الصف المسلم، وكانت الدعاية في ذلك الوقت تجد أرضاً خصبة لها.. إذ النفوس متوفزة ، والخوف مخيم على القلوب.. ومن هنا يأتي خطر المنافقين على الصف المسلم.. إن وجدت دعاية المنافقين قبولاً لديه. لذا كانت رعاية الله لرسوله وللمؤمنين في الكشف عن شخصية المنافقين ودخيلة نفوسهم وجبنهم في القتال. قال تعالى: ﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الأحزاب ١٨-١٩]

ب) وموقف آخر أثناء المعركة، وفي غزوة أحد، إذ أشاع المنافقون أن الرسول ﷺ قد قتل، وذلك بعد أن كسرت رباعيته وشُجّ وجهه ﷺ .. وسرعان ما انتشرت الشائعة في صفوف المؤمنين والمشركين ، ولقد كان يوم بلاء وتمحيص، وكانت دعاية المنافقين والمشركين ذات أثر بالغ في صفوف المسلمين فتوقف بعضهم عن القتال .. وكانت كلمة أنس بن النضر، رضي الله عنه، الصادقة بمثابة الدعاية المضادة .. وذلك عندما رأى رجالاً من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم « فقال ما يجلسكم ؟ قالوا : قتل رسول الله ﷺ . قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا وموتوا على ما مات عليه رسول الله ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل، رضي الله عنه»[١].

ج) وموقف ثالث للمنافقين، يتبين فيه دورهم في تثبيط المسلمين عن الجهاد حتى يهزموا في المعركة، وذلك في « غزوة أحد » عندما تخاذلوا وخافوا على

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٣١.

أنفسهم من القتل.. ولاشك أن تخاذل جزء من الجيش في المعركة، يضعف الجيش ويوهنه.. مادياً ومعنوياً .. وقد كشف الله تعالى هذه الطائفة ، وأظهر خبيئة نفوسهم بقوله: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [آل عمران ١٥٤] .

وهذه الطائفة « هم المنافقون لا همّ لهم غير أنفسهم، فهم من حذر القتل على أنفسهم، وخوف المنية عليها في شغل قد طار عن أعينهم الكرى يظنون بالله الظنون الكاذبة، ظن الجاهلية من أهل الشرك بالله، شكا في أمر الله وتكذيباً لنبيه ﷺ»[1] .

ومن الظن غير الحق بالله أن يتصوروا أنه – سبحانه – مضيعهم في هذه المعركة التي ليس لهم من أمرها شيء ، وإنما دُفعوا إليها دفعاً ليموتوا، والله لا ينصرهم ولا ينقذهم إنما يدعهم فريسة لأعدائهم ويتساءلون: « هل لنا من الأمر شيء؟».

وتتضمن قولتهم هذه الاعتراض على خطة القيادة والمعركة والتشكيك فيها والتحريض على عصيانها.

وكان الرد المباشر لدعايتهم ومحاولات التحريض والتشكيك .. إذاعة الحقيقة في إبانها، لتصحيح أمر الحياة والموت والابتلاء .. وأن هذه الأمور كلها من الله عزوجل : ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [آل عمران ١٥٤] .

---

(١) الطبري في تفسيره هذه الآيات من سورة آل عمران.

(٢) الشائعة: تعد الشائعة من أخطر أسلحة الحرب النفسية.. وسندرسها بشكل مفصل بإذن الله .. ونتعرض هنا إلى ما لاقاه الرسول ﷺ من اليهود والمنافقين من شائعات تهدف إلى هدم الدعوة وقدسيتها في نفوس المسلمين في الدرجة الأولى، بالإضافة إلى التشهير بأهله وبعرضها، وهي الطاهرة النقيّة.. وإن من أخطر ما تعرض له رسول الله ﷺ من شائعات.. ما يعرف بقصة الإفك أو حادث الإفك .. وقد ذكرها القرآن الكريم[(١)] وبسطتها كتب الحديث[(٢)] ، ولعل من المفيد ذكرها باختصار: « كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً، أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، وخرج سهم عائشة بنت أبي بكر زوج رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق، فخرج بها رسول الله ﷺ فلما فرغ من سفره ذلك توجه قافلاً، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً، فبات به بعض الليل، ثم آذن بالرحيل، وخرجت عائشة لبعض حاجتها، وفي عنقها عقدها، فانسل من حيث لا تشعر، فلما رجعت إلى الرحل فقدت العقد فذهبت تبحث عنه وقد أخذ الناس في الرحيل، فجاء القوم الذين كانوا يرحلون لها البعير، فأخذوا الهودج، وهم يظنون أنها فيه، وكانت فتاة صغيرة السن، خفيفة اللحم، فلم ينتبهوا لخفتها، ولم يشكوا أنها فيه، ورجعت عائشة إلى العسكر وما فيه داع ولا مجيب قد انطلق الناس، فتلففت بجلبابها واضطجعت في مكانها.

وبينما هي كذلك إذ مر بها صفوان بن المعطل السلمي، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته فلما رآها استرجع وقال: ظعينة رسول الله ﷺ : ثم قرب

---

(١) سورة النور آية ١١ – ١٢.

(٢) ارجع إلى البخاري، وقد ذكرها في أبواب كثيرة منها: في تفسير سورة النور باب : «لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً» .. وهي في مسلم رقم (٢٧٧٠) في التوبة: باب حديث الإفك . وفي الترمذي رقم (٣١٧٩) في التفسير باب: ومن سورة النور. والنسائي ١/ ١٦٣ – ١٦٤ في الطهارة باب بدء التيمم.

البعير واستأخر، فركبت وأخذ برأس البعير، وانطلق سريعاً يطلب الناس فأدركهم، وقد نزلوا، ولحقت بالركب فلم يرع الناس شيء، فكان مما ألفوه .. وكانت القضية لا تسترعي انتباهاً، ولكن عبد الله بن أبي تبنى هذه القضية وتحدث بها بعد عودته إلى المدينة، وشايعه أصحابه من المنافقين واهتبلوها لإثارة القضية بين المسلمين وإضعاف الصلة التي تربطهم بمقام صاحب الرسالة العظمى ومن يتصل به من أهل، وإضعاف ثقة المسلمين بعضهم بأمانة بعض، وتورط في هذه المكيدة عدد قليل من المسلمين الذين أصبحوا فريسة التشهي للحديث والتزويد لكل ما قيل من غير تمحيص، فلما سمعت بذلك عائشة، وفوجئت به في المدينة فزعت له، وحزنت حزناً شديداً حتى لا يرقى لها دمع ولا تكتحل بنوم، وكبر على رسول الله ﷺ وعرف مصدره فقام من يومه، فاستعذر من عبد الله بن أبي وهو على المنبر فقال: يا معشر المسلمين! من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي والله ما علمت على أهلي إلا خيراً، وقد ذكروا رجلاً ما علمت فيه إلا خيراً، وما يدخل على أهلي إلا معي، وغضب رجال من الأوس لرسول الله ﷺ، وأبدوا استعدادهم لقتل من تولى كبر هذه المقالة إن كان من الأوس أو من الخزرج، وكان عبد الله بن أبي من الخزرج ، فاحتملت بعضهم الحمية ، وثار الحيان، وكاد الشيطان أن يلعب بهم لولا حكمة رسول الله ﷺ وحلمه.

هذا والصديقة بنت الصديق موقنة ببراءتها، عزيزة النفس، مملوءة بالثقة والاعتزاز شأن الأبرياء الذين لا ترتقي إليهم شبهة، ولا تلتصق بهم لوثة، تعلم أن الله سيبرئها، ويبعد كل ظنة وتهمة عن ساحة رسول الله ﷺ ، ولكنها لم تكن تظن أن الله منزل في شأنها وحيًا يُتلى، ويجعله كلمة باقية في أعقاب هذه الأمة، ولكنها لم تلبث طويلاً حتى أنزل الله على رسوله في شأنها القرآن، وأنزل براءتها من فوق سبع سماوات فقال:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ

مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النور ١١-١٢] .

بذلك انطفأت نار الفتنة وخزي الشيطان، وكأن شيئاً لم يكن شيء، فتشاغل المسلمون بما أمرهم الله به ورسوله وبما، يعود عليهم وعلى الإنسانية بالخير والسعادة[١].

وإن حادث الإفك هذا والذي عاش فيه المسلمون شهراً كاملاً في بحار الشك والقلق الذي لا يطاق قد كلف أطهر النفوس في تاريخ البشرية كلها آلاماً لا تطاق، وكلف الأمة المسلمة كلها تجربة من أشد التجارب في تاريخها الطويل..

وفي الآيات الكريمة إشارات عميقة نرى أن نلمح إليها لعلّ فيها درساً للمسلمين على مر الزمان.. ومن هذه الإشارات[٢]:

أ- « إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم...» « إنهم ليسوا فرداً ولا أفراداً، إنما هم عصبة متجمعة ذات هدف واحد ولم يكن عبد الله بن أبي بن سلول وحده هو الذي أطلق ذلك الإفك، إنما هو الذي تولى معظمه، وهو يمثل عصبة المنافقين واليهود، الذين عجزوا عن حرب الإسلام جهرة، فتواروا وراء ستار الإسلام ليكيدوا للإسلام خفية.. وكان حديث الإفك أحد مكائدهم القاتلة.. وكان التدبير من المهارة والخبث بحيث أمكن أن ترجف به المدينة شهراً كاملاً وأن تتداوله الألسنة في أطهر بيئة وأنقاها».

ب- « لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم» إن هذه الحادثة ليست كلها شراً بل خيراً – لأنها كشفت الكائدين للإسلام في شخص رسول الله ﷺ وأهل بيته –

---

(١) السيرة النبوية – للندوي.

(٢) راجع إلى « في ظلال القرآن » سيد قطب تفسير سورة النور.

وفيها تبيان لخطر الشائعات على الجماعة المسلمة إذا تداولتها الألسنة دون دليل ولا برهان.

- وهو خير أن يكشف الله للجماعة المسلمة - بهذه المناسبة - عن المنهج القويم لمواجهة هذا الأمر العظيم :﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ﴾ .

جـ- إن في هذا الحادث درساً بليغاً، وتربية للجماعة المسلمة، إن عليها أن لا تلوك بألسنتها شائعات لا دليل عليها، بلا تدبر ولا ترو ولا فحص ولا إمعان نظر، بل عليها أن تتبين الأمر ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجرات ٦] .

والتعبير القرآني﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾ [النور ١٥] يظهر طريق الشائعة وسبيل سريانها بين الناس وانتشارها، لسان يتلقى عن لسان، وهذا القول كأنه يمر على الآذان ولا تتدبره القلوب، وهذه من خصائص الشائعة ﴿ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [النور ١٥] . وما دام الأمر انكشف للمسلمين.. وأخذ الدرس .. عليه أن لا يعود لمثل هذا .. ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [النور- ١٢]

د- أن سرعة انطفاء هذه الشائعة يزيد على سرعة انتشارها.. إذ إنها انطفأت بلا أدلة أو براهين لتفنيدها.. أو أخذ ورد في الأمر.. بل إن الشائعة انتهت بمجرد نزول الآيات الكريمة تبرئ السيدة عائشة رضي الله عنها... وكأن الآيات أعادت من اشترك من المسلمين في الشائعة إلى صوابهم.. أو كانوا في نوم فاستيقظوا .. وهذا دليل على أن الشائعة سرعان ما تنطفئ بالحقائق الناصعة.. مثلها مثل النار المستعرة سرعان ما تنطفئ بصب الماء عليها.

ثانياً – جبهة اليهود: لما هاجر النبي محمد ﷺ إلى المدينة، حاول أن يتألف قلوب اليهود، فعقد معهم المعاهدات[١] . وأحسن معاملتهم . ولكن اليهود قابلوا هذه المعاملة بالمثل ظاهراً، إلا أن قلوبهم تفور بالأحقاد والحسد باطناً، وخاصة وقد بعث النبي من غيرهم، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، والقصة الآتية تبين هذه النفسية اليهودية الحاقدة: عن أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب[٢] قالت: « كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل بقباء في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي: حيي بن أخطب، وعمي أبو ياسر مُغْلسين[٣]، فلم يرجعا حتى كان غروب الشمس فأتيا كالّين كسلانين، ساقطين يمشيان الهوينى، قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فو الله ما التفت إليّ واحد منهما مع ما بهما من الغم.

قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله: قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت.»[٤].

هذا هو موقف اليهود من النبي ﷺ وهو ما زال على أبواب المدينة.. وقد ظهرت بعد ذلك أحقادهم. فأثاروا حرباً عاصفة من الجدل والشبهات، والكيد

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ١١٩.

(٢) حيي بن أخطب: زعيم بني النضير وحبرهم. وقد ظل يؤجج العداوات ضد الإسلام بعد هزيمة قومه (في السنة الثالثة للهجرة) إلى أن قتل مع بني « قريظة » عقب خيانتهم الفاحشة للمسلمين في معركة الخندق، و« صفية » تزوجها النبي ﷺ بعد فتح « خيبر » في السنة السابعة من الهجرة النبوية (انظر البداية والنهاية ٤/ ٧٤ و ١١٦).

(٣) مغلسين: الغلس ظلمة آخر الليل.

(٤) ارجع إلى البداية والنهاية ٣/ ٢١٢. وسيرة ابن هشام ٢/ ١٤٠.

والدس، والتآمر والتحريض على النبي ﷺ والمؤمنين، حتى حالفوا المشركين، والمنافقين ، في سبيل النيل من المسلمين...

وزاد عداء اليهود بعد أن أسلم بعض أحبارهم كعبد الله بن سلام وغيره من اليهود[١] ولم يقتصروا على مخالفة الإسلام بل تعدوا ذلك إلى تفضيل عبادة الأوثان والمشركين على عقيدة الإسلام، وهم يدعون أنهم من أهل التوحيد، فضلاً عن تحزيب الأحزاب على رسول الله ﷺ قال ابن إسحاق: « إن نفراً من اليهود منهم سلام بن أبي الحَقيق النضري وحيي بن أخطب النضري وكنانة بن الربيع... وهم الذين حزّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ ، وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقالت لهم قريش: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أَفَديننا خَيرٌ أمْ دينه؟ قالوا: بل دينَكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه، فهم الذين أنزل الله فيهم:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلاً ﴿٥١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [النساء ٥١-٥٢][٢].

ويعلق كاتب يهودي على هذه الحادثة فيقول: « ولكن الذي يلامون عليه بحق – أي اليهود – والذي يؤلم كل مؤمن بإله واحد من اليهود والمسلمين على السواء إنما هو تلك الحادثة التي جرت بين نفر من اليهود وبين بني قريش الوثنيين، حيث فضل هؤلاء النفر من اليهود أديان قريش على دين صاحب الرسالة الإسلامية».

---

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٣٠/ ٢١٠ – ويبلغ عدد من أسلم من اليهود وكان له شرف الصحبة (٣٩) رجلاً جاءت أسماؤهم في كتب طبقات الصحابة، كالإصابة والاستيعاب، وأسد الغابة.

(٢) البداية والنهاية. ٤/ ٩٦. وسيرة ابن هشام . (٢/ ١٩٠).

إلى أن يقول: « ثم إن ضرورات الحرب أباحت للأمم استعمال الحيل والأكاذيب والتوسل بالخداع والأضاليل للتغلب على العدو. ولكن مع هذا كان من واجب هؤلاء اليهود ألا يتورطوا في مثل هذا الخطأ الفاحش وألا يصرحوا أمام زعماء قريش بأن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد الإسلامي»[١].

ولكننا نود أن نقول للكاتب اليهودي: إن أساليب الخداع والأكاذيب قد أبيحت بين الدول المتحاربة وليس بين الدول التي بينها عهود ومواثيق فيهود المدينة مرتبطون بالعهود التي قطعوها على أنفسهم تجاه المسلمين.. فكيف يباح لهم نقضها من وراء ظهور المسلمين.. وهذه النقطة لم يتطرق لها الكاتب اليهودي.. وإنما عد موقف النفر من اليهود من باب الخطأ الفاحش لأنهم فضلوا عبادة الأصنام على التوحيد الإسلامي...

ونقض العهود شيمة اليهودي، تحت أفانين من الخداع، والمبررات الكاذبة، وألوان من ضروب التحريف ولي الكلم عن مواضعه، وتزييف المعاني والمفاهيم، وفلسفات الاستحلال التي يجيدونها، وتجري منهم مجرى الدم.

والعهد عند اليهودي ضرورة مرحلية يعقد لأجلها، ثم ينقضه بانتهاء ضرورتها ومنفعتها!

وبين العقد والنقض يظل اليهودي كالثعلب الجبان يتلفت ، ويترقب الفرصة أو يوجدها، لنقض تحت أمان العقد ، وغفلة الخصم!!

والقرآن العظيم يقرر أن هذه خطة يهودية دائمة، فيقول على سبيل الحصر لا الشمول: ﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ۝٥٦ ﴾ [الأنفال ٥٦]

---

(١) اليهود في بلاد العرب – ص ١٤٢ – تأليف إسرائيل ولفنسون (نقلاً عن السيرة النبوية للندوي ص ٢٣٢).

وحتى اللعبة الخطيرة التي يمثلونها اليوم تحت اسم: «الحمائم» أو «الصقور»[(١)] هي لون قديم من خداعهم، ويشير إليها القرآن الكريم بأسلوب التكرار المطرد كالآية السابقة: ﴿ أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [البقرة ١٠٠].

وقد ظهر مصداق هذا في كل تصرفاتهم القديمة والمعاصرة على سواء، وتواطأت على هذا الدرب أجيالهم...

- ابتداء من عهودهم مع الله تعالى على يد كبار أنبيائهم كما قال تعالى: ﴿ ... وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ ﴾ [النساء ١٥٤-١٥٥].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ ۖ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَـٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [البقرة ٩٣]

- وانتهاء بما صنعوا مع النبي ﷺ من غدر، ونقض للعهود في أحرج الظروف، وأحلك المعارك، كما صنع « بنو قريظة » يوم الأحزاب فعوجلوا بالعذاب؛ ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ[(٢)] وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأحزاب ٢٦-٢٧]

---

(١) أي يظهر جماعة منهم التفاهم واللين ويظهر آخرون التشدد، ومقصد الجميع واحد في الشر والأذى.

(٢) الصياصي: جمع صيصة وهي كل شيء يتحصن به والمراد بها هنا الحصون.

ناهيك عما صنعه اليهود مع غير الأنبياء، وما زالوا يفعلونه، من غير خجل ولا اعتبار للقيم والأخلاق.. والأمثلة على ذلك كثيرة[١].

وقضية غدر « بني قريظة » ونقضهم عهد رسول الله ﷺ في غزوة الأحزاب.. ومحاولة طعن جيش المسلمين من الخلف. لابد من وقفة قصيرة، لما لهذا الغدر من وقع شديد على المسلمين وعلى معنوياتهم، وهم يواجهون المشركين.. وتصور الآيات الكريمة هذا الوضع أبلغ تصوير: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [الأحزاب ١٠-١١] .

وخيانة يهود هذه. هل تذهب دون جزاء؟ لا ، لأنه ليس من العدل أن لا ينال الخائن جزاءه، والغادر عقابه، وقد نال « بنو قريظة » جزاءهم العادل على يد رسول الله ﷺ ، وذلك بعد أن رد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً، وكفى الله المؤمنين القتال، وبعد أن انصرف المسلمون من الخندق راجعين إلى المدينة، أمر رسول الله ﷺ مؤذناً فأذن في الناس: « أن من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة»[٢].

---

(١) أقرب مثال لذلك تفسيرهم للقرار الشهير ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ الخاص بالجلاء عن الأرض العربية في فلسطين المحتلة، فقد فسروه بحيلة لغوية شيطانية وقالوا إنه يعني الجلاء عن « أراض » بالتنكير، وليس عن « الأراضي» بالتعريف، وجعلوا ذلك ذريعة للبقاء في القدس وغيرها، بل جعلوا ذلك وسيلة للمساومات والمجادلات، وأغراهم بهذا العبث أن أصحاب القضية في كل واد يهيمون ويقولون ما لا يفعلون، ومن هذا الباب أيضاً خرقهم اتفاقيات الهدنة التي وقعت معهم في كل الجبهات وفي جميع الحروب ابتداء من عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٧٣م (ارجع إلى: معركة الوجود بين – القرآن والتلمود – للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد – ص ١٢٩).

(٢) البداية والنهاية ٤/ ١١٦.

ونزل رسول الله ﷺ فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، ونزلوا على حكم سعد بن معاذ، فحكم فيهم بأن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبي الذراري والنساء»[١].

هكذا قضي على آخر حصن من حصون اليهود في المدينة، وبالقضاء عليه لم يعد يسمع حتى للمنافقين في المدينة أي صوت أو عمل يناقض إدارة النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

وكذلك كان بنو النضير على شاكلة « بني قريظة » في الغدر والخيانة، فقد حاولوا اغتيال الرسول ﷺ عندما كان يوماً في ديارهم، وحاولوا إلقاء صخرة عليه بينما كان جالساً إلى جنب جدار لهم[٢].

«فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة، فلما استَلْبَثَ النبي ﷺ أصحابه قاموا في طلبه فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عنه فقال: رأيته داخلاً المدينة فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به»[٣].

وتهيأ رسول الله ﷺ لحربهم وإجلائهم عن المدينة « فبعث إليهم أهل النفاق يثبتونهم ويحرضونهم على المقام ويعدونهم النصر، فقويت عند ذلك نفوسهم، وحمي حُيَيْ بن أخطب وبعثوا إلى رسول الله ﷺ أنهم لا يخرجون، ونابذوه بنقض العهود، فمنذ ذلك أمر الناس بالخروج إليهم، فحاصروهم خمس عشرة ليلة[٤] ثم تم إجلاؤهم عن المدينة جزاء ما اقترفوه من غدر ونقض للعهد. وقد أنزل الله فيهم:

---

(١) المصدر السابق – الجزء والصفحة نفسهما.

(٢) البداية والنهاية ٤/ ٧٤. وسيرة ابن هشام ٣/ ١٩١.

(٣) البداية والنهاية ٤/ ٧٤.

(٤) المصدر السابق.

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٢ وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٤ ﴾ [الحشر ٢-٤] .

- ومن صور دعاية اليهود ضد المسلمين، ما قام به « كعب بن الأشرف» أحد رؤساء اليهود، وكان شاعراً، والشعر من أسرع وسائل الاتصال في ذلك العهد، فقد كان شديدَ الأذى لرسول الله ﷺ وصحابته الكرام، إذ كان يشبب[1] في أشعاره بنساء الصحابة فلما كانت وقعة بدر، ذهب إلى مكة فجعل يؤلب على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين، ثم رجع إلى المدينة على تلك الحال.

- ففي مكة أخذ ينشد الأشعار ويندب من قتل من المشركين يوم « بدر » وقد ذكر ابن إسحاق قصيدته التي أولها:

طحنت رحى بدر لمهلك أهله ... ولمثل بدر تستهل وتدمع[2]

قتلت سراة الناس حول حياضهم ... لا تبعدوا إن الملوك تصرع[3]

إلى أن يقول محرضاً على قتال المسلمين:

---

(١) شبّب بنساء الصحابة: تغزل فيهن وذكرهن في شعره.

(٢) رحى الحرب: مجتمع القتال ومعظم الحرب، وتستهل: تسيل بالدمع يقال استهل المطر والدمع إذا سالا.

(٣) سراة الناس: خيارهم وزعماؤهم، والحياض جمع حوض.

نُبّئت أن الحرث بن هشامهم   في الناس يبني الصالحات ويجمع
ليزور يثرب بالجموع وإنما   يحمي على الحسب الكريم الأروع[١]

وقد رد عليه «حسان بن ثابت الأنصاري»:

فابكي فقد أبكيت عبداً راضعاً   شبه الكليب إلى الكليبة يتبع[٢]
ولقد شفى الرحمن منا سيداً   وأهانَ قوماً ما قاتلوه وصرّعوا[٣]
ونجا وأفلت منهم من قلبه   شعف يظل لخوفه يتصدع[٤]

ويروي ابن إسحاق أن كعب بن الأشرف أحد بني النضير ركب إلى قريش فاستغواهم، ولم يخرج من مكة حتى أجمع أمرهم على قتال رسول الله ﷺ[٥]، ثم رجع إلى المدينة فشبّب بنساء المسلمين حتى آذاهم، فقال رسول الله ﷺ : «من لكعب بن الأشرف ؟ فقال محمد بن مسلمة أتحب أن أقتله؟ قال: نعم. قال: فأذن لي فأقول: قال: قد فعلت»[٦]. وقتل على يد مجموعة من الأنصار[٧] .

ومن أساليب اليهود أيضاً أسلوب التزييف والتحريف والجدل العقيم، بل إن قلوبهم طبعت على ذلك.. وأصبحت هذه الأساليب سجية في تركيبهم الخلقي والنفسي.

---

(١) الأروع: الذي يروع بحسنه وجماله.
(٢) راضعاً : أراد لئيماً.
(٣) عني هنا بالسيد النبي ﷺ.
(٤) شعف – بالعين المهملة – ومعناه محترق القلب. ويروى – «شغف» بالغين المعجمة – : وأراد أنه قد بلغ الحزن . شغاف قلبه. ويتصدع: يتشقق.
(٥) ارجع إلى البداية والنهاية لابن كثير ٤/ ٦.
(٦) رواه البخاري – باب الفتك بأهل الحرب. – ٦/ ١٦٠ (فتح الباري).
(٧) ارجع إلى البداية والنهاية ٤/ ٦. وسيرة ابن هشام ٢/ ٤٣١. وزاد المعاد ٢/ ٣٤٨.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ [المائدة ٤١] .

وقال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ [النساء ٤٦] .

وقال تعالى مبيناً للمؤمنين طبيعتهم حتى لا يطمعوا بإيمانهم وتعديل سلوكهم هذا، وأن على المؤمنين أن يعرفوا جيداً نفسية اليهود: ﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [البقرة ٧٥] .

فاليهود يحرفون « كلام الله » من بعد ما عقلوه، فهم لا يفعلون ذلك ناسين أو جاهلين وإنما يزاولون التحريف[1] عامدين وهم يعلمون. ولذلك أمعن اليهود في الفحش والافتراء على أئمة الأنبياء قبلهم مثل: نوح وإبراهيم ولوط – عليهم السلام – . بل وصموا أعلام أنبيائهم – عليهم السلام – بكل منكر وفاحشة مثل: موسى، وداود، وسليمان – عليهم السلام [2].

وبهذه النفسية الخبيثة حشوا التوراة، وسائر أسفارهم « المقدسة » – في زعمهم – بكل ضلالات الاعتقاد ، وشناعات التشريع، وموبقات الأخلاق، وأساطير القصص والأخبار ، ونسبوا ذلك إلى الوحي والأنبياء، وبذلك أصبح اليهود « علماً متفرداً في الضلالة والبهتان» ، وغدت كلمة « الإسرائيليات» عنواناً للأكاذيب والمفتريات والأباطيل، ومن العجيب أن يتسرب كثير من هرائها إلى ثقافة المسلمين،

---

(١) من أخطر ألوان التحريف اليهودي ما قاموا به من ترجمة أناجيل المسيحية وتحريفها في أكثر من (٦٣٦) موضعاً (راجع كتاب « إسرائيل حرفت الأناجيل » ص ٣٧ وما بعدها).

(٢) ارجع إلى كتاب : « معركة الوجود بين القرآن والتلمود » ص ١٤٤.

– وإلى كتاب : « فضائح التوراة» للدكتور أحمد عبد الرزاق مصطفى دار صائب للنشر والتوزيع – دير الزور – ط ١ – ٢٠٠٤م.

بل وصلت إلى تفسير القرآن العظيم، حتى غص بظلمات هذه « الإسرائيليات » وذلك حين غفل بعض المسلمين عن حقيقة « النفسية اليهودية » وأبقوا لحسن الظن بقية في بعض بني إسرائيل، ناسين هذه الوصايا والتحذيرات القرآنية الصريحة[١].

والنفاق اشتهر به اليهود في العهد النبوي، أيضاً ، فضلاً عن منافقي المدينة، الذين تشابهت قلوبهم، ومناهجهم، مع الإصرار على الكفر الباطني في كل حال.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المائدة ٦١] .

هذه بعض صور الحرب النفسية التي شنت من قبل اليهود على الإسلام والمسلمين في الصدر الأول.. وقد أطلنا البحث في الدعاية اليهودية في غير هذا الموضع[٢] ليطلع المسلم على طبيعة « النفسية اليهودية » على مر التاريخ . وليوظف هذا الوعي في الصراع الدائر اليوم بين اليهودية والإسلام..

---

(١) ارجع إلى : معركة الوجود بين القرآن والتلمود. د. عبد السار فتح الله سعيد . ص ١١٦.

(٢) ارجع إلى الدعاية اليهودية في أسلحة الحرب النفسية في هذا البحث. (المبحث الثاني من الباب الثالث).

المبحث الثاني

صور من الحرب النفسية

أولاً: صور من الحرب النفسية على مر التاريخ:

(١) **من التاريخ الإسلامي:** يزخر التاريخ الإسلامي بالأمثلة الحية للحرب النفسية، والتي أدخلت الرعب والهلع في نفوس الأعداء .. وكان من نتيجتها الانتصارات العظيمة للجيوش الإسلامية.. والقضاء على أكبر إمبراطوريتين في ذلك العهد، الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية الفارسية.. ومما لاشك فيه أن المسلمين نصروا بالرعب، تحقيقاً لقول الرسول ﷺ « **أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيّما رجل من أمتي أدركته الصلاة فَلْيُصلّ، وأُحلت لي المغانم ولم تحلّ لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصّة وبُعثت إلى الناس عامة** »[١].

فالانتصارات الإسلامية كانت تسبق الجيوش، والتي كانت بمثابة الدعاية المؤثرة في نفسية الأعداء، القاذفة في قلوبهم الرعب. والجيوش تهزم من الداخل قبل هزيمتها في المعركة.. ولهذا تلاحقت الانتصارات، ولم تعرف كلمة الهزيمة في قاموس الجهاد الإسلامي.. مع أن الأعداء أضعاف عدد المسلمين .. لهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه يسمع قُبيل بدء معركة اليرموك رجلاً من نصارى العرب يقول: « ما أكثرَ الروم وأقلّ المسلمين » فقال له خالد: « ويلك أتُخوفني بالروم، وإنَّما تكثُر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال، والله لوددت أن الأشقر (فرسه) براء.. وأنهم أضعفوا العدد »[٢] . بهذه الروح المعنوية العالية انتصر المسلمون..

---

(١) رواه البخاري – باب التيمم – فتح الباري رقم (٣٣٥).

(٢) البداية والنهاية ٧/ ٩ (معركة اليرموك جرت في عام ١٥هـ بين المسلمين والروم).

والتي أساسها الإيمان الصادق، وليس الرواتب العالية، أو الإغراءات المادية الأخرى ، والتي يلجأ إليها في جيوشنا اليوم..

هذه الحقيقة عرفها كل جندي من جند الله، الذين رَوَّوْا أرضَ الإسلام بدمائهم الزكية، جهاداً في سبيل الله.. والتي نتخلى عنها اليوم لأعداء الله وأعداء الإسلام والمسلمين اليهود..

ولقد استخدم المسلمون أساليب الحرب النفسية[١] لإدخال الرعب في نفوس أعدائهم وطبقت عملياً في الغزوات والمعارك الإسلامية الشهيرة، ومن هذه الأساليب:

أ. استخدام صيحات القتال لبث الرهبة والرعب في قلوب أعدائهم ومن أمثلة صيحات القتال هذه والتي استخدمها المسلمون : « أحد ، أحد » في غزوة بدر و«أمِت، أمِت» في غزوة أحد. ومنها أيضاً « يا خيلُ الله اركبي» في وقعة اليرموك ، إلى جانب التكبير الذي هو شعار كل مسلم « الله أكبر ».

ب. التفريق بين الأعداء .. وهو ما قام به نعيم بن مسعود الغطفاني - رضي الله عنه - عندما أسلم، أثناء وقعة الخندق، دون علم قومه.. فقال له الرسول ﷺ : «إنّما أنت رجل واحد ، فخذّل عنا ما استطعت، فإنَّ الحرب خُدعة» .. وقام نعيم بمهمته خير قيام، وفرّق بين قريش وبني قريظة من اليهود[٢].

جـ. الدعاية بالأعمال الرمزية لإدخال الرهبة في نفوس الأعداء فقد أمر رسول الله ﷺ عمه العباس باحتجاز أبي سفيان في مدخل الجبل إلى مكة، حتى تمر به جنود المسلمين، فيحدّث قومه عما رآه عن بيّنة ويقين، فيقضي على أي أمل لديهم في المقاومة وذلك قبل فتح مكة[٣] .

---

(١) انظر مبادئ الحرب النفسية في الإسلام في الباب الرابع من هذا البحث . حيث بحثت هذه الأساليب بشكل مفصل.

(٢) البداية والنهاية ٤/ ١١١.

(٣) البداية والنهاية ٤/ ٢٩٢.

د. ولقد أجاد المسلمون استخدام رسل الأعداء في الحرب النفسية، وذلك في حمل أخبار المسلمين وسلوكهم اليومي، إلى أقوامهم وقادتهم..

- بعث المقوقس عظيم مصر رُسلاً إلى جيش عمرو بن العاص، فأبقاهم عمرو عنده يومين وليلتين، اطلعوا خلالها على حياة جند رباهم الإسلام وهيأهم لفتح أرض الكنانة، ولما عادت الرسل إلى المقوقس سألهم: كيف رأيتم؟ قالوا: « رأينا قوماً الموت أحب إلى أحدهم من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرفعة، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة، وإنما جلوسهم على التراب وأكلهم على ركبهم. وأميرهم كواحد منهم، ما يُعرف رفيعهم من وضيعهم، ولا السيد من العبد، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد، يغسلون أطرافهم بالماء، ويخشعون في صلاتهم». فقال عند ذلك المقوقس : « والذي يُحلف به، لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها، وما يقوى على قتال هؤلاء أحد»[1].

- وقبل وقعة (أجنادين)[2] بعث أمير الروم « القيقلان» رجلاً من نصارى العرب يجس له أمر الصحابة، فلما رجع إليه قال: « وجدت قوماً رهباناً بالليل فرساناً بالنهار، والله لو سرق فيهم ابن ملكهم لقطعوه ، أو زنى لرجموه » فقال له القيقلان : « والله لئن كنتَ صادقاً لبطن الأرض خير من ظهرها»[3].

(٢) من التاريخ غير الإسلامي:

أ- استخدم المغول الجاسوسية للحصول على المعلومات اللازمة لشن حملاتهم، كما لجأوا إلى الشائعات وغيرها من وسائل المبالغة لتجسيم عدد قواتهم وعنف

---

(١) النجوم الزاهرة – جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكي – طبعة دار الكتاب المصرية عام ١٣٤٩هـ ١٩٣٠ج ١ ص : ١٠/ ١١.

(٢) وقعة أجنادين – كانت آخر جمادى الأولى سنة ١٣هـ / قبل وقعة اليرموك بسنتين) (ارجع إلى البداية والنهاية ٧/ ٧).

(٣) البداية والنهاية ج ٧ ص ٧.

جنودهم ، ولم يكن يهمهم ماذا يمكن أن يظهر أعداؤهم ماداموا ينتفضون من الخوف والرعب.. وقد وصف الأوروبيون خيالة المغول الضارية بأنها جحافل لا حصر لها، وإن كانت أقل من ذلك، لأن عملاء المغول كانوا يهمسون بمثل هذه القصة في الطرقات[1].

ب- وأجاد التتار الحرب النفسية وكانوا أساتذة فيها.. وأن جنكيز خان استخدم جواسيس العدو وسيلة لإرهاب جنود العدو أنفسهم، وعندما كان يستميل جواسيس العدو إلى جانبه بروح يلقنهم الشائعات التي ينشرونها بين قواتهم.

يقول أول مؤرخ أوروبي لجنكيز خان واصفاً كيف أن جنكيز خان أطلق « خلية النحل » على ملك خوارزم أي جعله يعيش في دوامة من الاضطراب .. يقول المؤرخ: « ولقد جعل الجواسيس الذين بعث بهم ملك خوارزم لرؤية قوة جيشه وتعداده .. يقول في وصف الأمر بهذه الصورة: إنهم - كما قال الجواسيس للسلطان - كاملو الرجولة شجعان لهم مظهر المصارعين، لا يستنشقون شيئاً إلا رائحة الحرب والدماء..»[2].

جـ - وقد أدت « شركة الهند الشرقية» والتي أسستها بريطانيا في الهند عام ١٦٠٠م والتي استمرت حتى عام ١٨٥٨م حتى انتقلت السيادة على الهند إلى التاج البريطاني .. أدت هذه الشركة دوراً مهماً في الحرب النفسية.. إذ استخدمت الجاسوسية، والخلافات العقائدية، والدعاية، وسياسة (فرّق تسد) في سبيل السيطرة على الهند..

---

(١) الحرب النفسية - صلاح نصر ج ١ ص ٦٢.

(٢) المصدر السابق ص ٦٢.

يقول أدموند تيلور[١]: « في الأيام الأولى لشركة الهند الشرقية أرغم الإنجليز على أن يستخدموا بدرجة كبيرة ما يعتبر اليوم (الحرب النفسية السوداء) وذلك باستخدامهم الطابور الخامس[٢] وباستخدام أساليب فجة من الدعاية السرية مما مهد الطريق لجنود الشركة «وللكويزلنجيين الوطنيين» الذين عُينوا حكاماً ليخففوا العبء عن إداريي الشركة في الأماكن المحتلة.

وقد عمد الإنجليز إلى المناورة لإبقاء القوى الوطنية السياسية المضادة لهم ضعيفة ومقسمة، وبوساطة الدعاية نجحوا في أن يملأوا عقول الهنود بخرافات مضللة: فتظن كل مجموعة من المجتمع الهندي أن الجماعات الأخرى تقف منها موقف مضاد، وكانت الحكومة الوطنية في البلاد تستخدم الجواسيس بإعداد كبيرة للتعرف على اتجاهات الرأي العام في هذه البلاد الواسعة لضبط أي تآمر، حتى قيل أن العدد كان يصل في هذا العصر المبكر إلى ثلاثين ألفاً في خدمة راجاه واحد من حكام الأقاليم.

وقد استغل الإنجليز الخلافات العقائدية بين المسلمين والهندوس، فمثلاً إذا وطئ مسلم دون قصد منه ذيل بقرة رابضة في الطريق، أو دق هندوسي على طبلة

---

(١) راجع كتاب الحرب النفسية – صلاح نصر – ج ١ ص ٦٨.

(٢) الطابور الخامس : اصطلاح يطلق اليوم ليدل على فئة داخلية خبيثة مخربة في مجتمع ما. عرفت هذه العبارة لأول مرة عام ١٩٣٩ عندما نشبت الحرب الأهلية في إسبانيا التي بدأت عام ١٩٣٦ حتى عام ١٩٣٩م والتي قادها فرانسيسكو فرانكو ضد نظام الحكم الجمهوري الذي قام عام ١٩٣١م. ولما سئل أحد قادة فرانكو وهو « اميليوميلو» عن خطته لمهاجمة العاصمة الإسبانية / مدريد قال: سأهاجمها في أربعة طوابير وطابور خامس داخل المدينة مدريد. ولما سئل عن الطابور الخامس الموجود داخل المدينة كيف دخلها قال: لم أقصد طابوراً خامساً عسكرياً بل فئة من سكان المدينة غايتها تثبيط الهمم وترويج الشائعات وإثارة البلبلة . وفي عام ١٩٣٩ سقطت مدريد بيده وعرف العالم اصطلاحاً جديداً « الطابور الخامس» (راجع كتاب « عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي – شوقي خليل – دار الفكر) حاشية صفحة ٥١.

أمـام مسـجد أثناء إقامة الصلاة، نشأت اضطرابات أشبه بالحرب الأهلية، واستغل الإنجليز هذه الخلافات لزيادة الشقة بين أصحاب العقائد المختلفة.

وقـد اسـتخدم الإنجليز الطوائف المختلفة في كبت الثورات ، فإذا ما ثار السيخ استخدموا المسلمين لكبت الثورة، وإذا ما ثار المسلمون استخدموا السيخ في القضاء عـلى الـثورة، وبذلـك كانوا يبقون الخلافات بين الجماعات مشتعلة دائماً.. وهكذا كـان باتّـباع سياسـة (فـرق تسـد) استطاع الإنجليز السيطرة بقوات قليلة نسبياً على الهند الواسعة المساحة الكثيرة السكان..[١]

وأن هذه السياسة (فرّق تسد) طبقت من قبل الإنجليز في جميع البلاد الإسلامية ومازالـت آثارهـا حـتى الآن في تقسـيمات الـبلاد العربـية عـلى إثـر معـاهدة / سايكس بيكو عام ١٩١٦م[٢] . وهكذا كان الإنجليز في تاريخهم الطويل، وجه كالح بغيض .. ومهما حاولوا الآن تلميعه وتزيينه فسيبقى بالنسبة للمسلم هو هو الوجه البغيض نفسه للإسلام والمسلمين.

د – والفرنسـيون : ودورهـم في بـلاد الإسلام لا يختلف عن الإنجليز، فمنذ أن وطِئ نابليون بونابرت أرض مصر عام ١٧٩٨م لم تنته الحرب النفسية المسلطة على المسـلمين، إلا أن الفرنسيين يتميزون بالسذاجة بالنسبة إلى الإنجليز .. لأن خداعهم كـان سـرعان مـا ينكشف أمام الواقع .. فنابليون هذا والذي خلع على نفسه صفة حـامي الإسـلام، بـل ادعى أنه مسلم وأنه يحارب النصرانية في روما، وذلك لخداع المسـلمين في مصـر، وبالوقت نفسه كانت خيوله تدوس الجوامع وتضرب المجاهدين في وجوهـم، ويسـفر عـن وجهـه الصـليبي القبيح... ولعل في كتابة مقتطفات من

(١) الحرب النفسية – صلاح نصر ج ١ ص ٦٩ – ٧٠.

(٢) معـاهدة ، سـايكس – بـيكو .. السـرية عُقـدت بـين بريطانيا وفرنسا.. عام ١٩١٦م وقد كشفت المعاهدة بعد الثورة الشيوعية في روسيا عام ١٩١٨م.

المنشور الذي وجهه إلى المسلمين في مصر حينما وطئت قدماه مدينة الإسكندرية ما يطلعنا على صورة واضحة من أساليب الحرب النفسية: « بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله لا ولد له ولا شريك له في ملكه.. .. يا أيها المصريون .. قد قيل لكم إنني ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم، فذلك كذب صريح.. فلا تصدقوه، وقولوا للمفترين: إنني ما قدمت إليكم إلا لأخلّص حقكم من يد الظالمين، وإنني أكثر من المماليك - أعبد الله - سبحانه وتعالى وأحترم نبيه والقرآن الكريم..

أيها المشايخ والقضاة والأئمة قولوا لأمتكم أن الفرنساوية هم أيضاً مسلمون مخلصون، وإثبات ذلك أنهم نزلوا في رومية الكبرى، وخربوا فيها كرسي البابا الذي كان دائماً يحث النصارى على محاربة الإسلام».

ويتضمن المنشور أيضاً الإغراء بالمراتب العالية لمن يقف بجانب الفرنسيين والويل كل الويل لمن يحاربهم « كل قرية تقوم على العسكر الفرنساوي تحرق بالنار»[١].

بيان كل كلمة فيه تشهد بكذب كاتبيه، وخداعهم ، للتوصل إلى السيطرة على بلاد الإسلام .

ثانياً: صور من الحرب النفسية في الحربين العالميتين وما بينهما :

١- الحرب النفسية في الحرب العالمية الأولى: في هذه الحرب تحولت الحرب النفسية من وسيلة عَرَضية إلى أداة عسكرية رئيسية[٢] حتى قيل إن الحرب النفسية كانت السلاح الذي كسب الحرب. بل إن أولئك الذين كانوا لا يولون أمر الدعاية في

---

(١) الحرب النفسية - صلاح نصر - ج ١ ص (٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨).

(٢) علم النفس الاجتماعي - زهران - ص ٣٥٤.

صفوف الحلفاء راحوا يشرون الاعتقاد بأن مَهَارَتَهم كانت قاطعة، وأن القتال العنيف الذي جرى في الخنادق لم يكن بأكثر من شل حركة الجانبين المتضادين[١].

على كل حال، وإن كان هذا الكلام مبالغاً فيه، إلا أننا مع الذين يقولون بأهمية دور الحرب النفسية في الحروب: أما ما نِسبة هذا الدور فهذا مرجعه إلى الجيوش نفسها وعقيدتها، وأخلاقِها.. وقوتِها.. وإعدادِها..

والذي يهمنا هنا العرض التاريخي للحرب النفسية وأسلحتها الفتاكة في الحرب مثل الدعاية والشائعة وغيرهما..

والدعاية بشكل خاص تطورت – خلال الحرب العالمية الأولى – لتصبح عِلماً من العلوم التي تقوم على أسس عامة[٢] وأعيد تنظيم الدعاية بعد الحرب من قبل الحلفاء وأنشأوا إدارة للدعاية ضد العدو. وكوّنوا لجنة مؤلفة من عدة دول لهذه الغرض فاشتركت فيها المملكة المتحدة والولايات المتحدة وفرنسا وإيطاليا[٣].

وأن الدعاية البريطانية بشكل خاص نشطت منذ بدء الحرب عام ١٩١٤م، وكانت تهدف لتحقيق غايات ثلاث: فكان عليها أولاً: أن تقنع أبناء البلاد في الداخل بعدالة قضيتهم في الحرب، وكان الهدف الثاني هو إقناع الدول الصديقة والمحايدة بأن النصر سوف يعقد لها آخر الأمر، أما الهدف الثالث فهو أن تُلقي اليأس والقنوط في قلوب الألمان[٤].

– ومن النقاط الرئيسة التي ركزت عليها الدعاية الإنجليزية لتحقيق الهدف الأول وهو إقناع الشعب بعدالة قضيتهم:

---

(١) الحرب النفسية – صلاح نصر – ج ١ ص ٨٠.

(٢) الدعاية السياسية – لندلي فيريزر – ترجمة عبد السلام شحاته – الفكر العالمي ١٩٦٠ص ٦.

(٣) المصدر السابق – نفس الصفحة.

(٤) الدعاية السياسية – لندلي فريزر – ترجمة عبد السلام شحاته – الفكر العالمي ١٩٦٠ص ٢٦.

أ- الاعتداء الألماني على بلجيكا لم يكن إلا اعتداء القوي على جار ضعيف لا حول له ولا قوة.

ب- ذيوع الروايات عن قسوة الألمان ووحشيتهم - إعدام الأسرى - الأعمال الوحشية ضد النساء والأطفال ورجال الدين، وإشاعتها في بريطانيا.

ج- أن الألمان أعلنوا عدم اعترافهم بأي قواعد قانونية حربية.. واستعمالهم الغازات السامة في الحرب.

وقد نجحت هذه الدعاية ، وصدقها الناس، وبتكرارها أكثر من مرة وانتشارها بين الناس أصبحت حقيقة لاشك فيها(١).

وأن دور الصحافة كان له أثر في ذلك.. وذلك بتضخيم الأخبار والمبالغة فيها حتى أيقن الناس بصدق الشائعات.. مما عبأهم نفسياً للقتال ضد العدو الألماني(٢).

- ولتحقيق الهدف الثاني وهو إقناع الدول الصديقة والمحايدة بأن النصر حليفهم وذلك بتحويل الرأي العام الأمريكي بشكل خاص.. وقد ركزت الدعاية عليه لأنه الأمل في مستقبلها وانتصارها على الألمان.

وقد اتّبعت الدعاية الإنجليزية الحذر والحكمة، والطرق العلمية المنظمة لمحو الشكوك التي ساورت الأمريكيين عن موقف الحلفاء، مع العلم أن كثيراً من الأمريكيين ناصروا الألمان في بداية الأمر، كما اعتبروا بريطانيا لا حق لها في محاصرة الموانئ الألمانية لمخالفة ذلك لحرية البحار(٣).

وهكذا أعد الخبراء الدراسات الخاصة بالصحافة الأمريكية دون إزعاج للقارئ الأمريكي العادي، وتجنبوا المغالاة ، وأظهروا الحقائق عن أعمال الألمان، دون تدخل ظاهر ودون القيام بمحاولات عنيفة لكسب الرأي العام الأمريكي.

---

(١) المصدر السابق ص ٢٨.

(٢) المصدر السابق ص ٢٨.

(٣) الدعاية السياسية - لندلي فريزر - ترجمة عبد السلام شحاتة - الفكر العالمي ١٩٦٠ ص ٢٩.

وقـد ساعدت الدعاية الألمانية في نجاح الدعاية البريطانية، إذ إنها وقفت موقف المدافـع للـرد على دعايات الحلفاء . وهذا نوع سيئ من الدعاية لأنه يذكر المستمع أو القـارئ برأي العدو، فضلاً عن أن محاولة الرد على هذه الدعايات حملت الناس على الظن بأن الألمان يحاولون استثارة العطف عليهم[١] .

بالإضـافة إلى أن وكـالات الأنبـاء البريطانية والحليفة استطاعت أن تتوصل إلى نتائج بعيدة المدى في كسب الرأي العام في مناطق كثيرة من العالم إلى جانب الحلفاء.

- أمـا تحقـيق الهـدف الثالـث وهو إلقاء اليأس والقنوط في نفوس الألمان، عن طـريق توجـيه الدعايـة إلى العـدو.. فقـد اعتمدت على المطبوعات والنشرات التي تلقـيها الطائـرات عـلى صفوف الأعداء .. والجدير بالذكر أن هذه النشرات كانت تحتوي على حقائق ولكن ليس كل الحقائق .. وغايتها كسب ثقة الأعداء.

- بالإضافة إلى النشرات بوساطة الطائرات، كان هنالك الجواسيس داخل بلاد العـدو فقـد سـاعدوا على نشر النشرات، وكتابة الشعارات العدائية على الحوائط، ونشـر الشـائعات التي تفت في عضد الأعداء . وكانت هذه الوسيلة الوحيدة للنشر قبل اختراع المذياع[٢] .

وقـد نجحـت دعاية الحلفاء في الأهداف الثلاث مما اضطر الألمان إلى الجنوح إلى السلم بعد أن صار موقفها الحربي غاية في السوء مما هدد بوقوع كارثة[٣].

٢- **الحرب النفسية ما بين الحربين:** إن فـترة ما بين الحربين لم تُبْرِز إلا الحرب النفسية لألمانيا الـنازية، في داخـل ألمانـيا وفي خارجهـا.. إذ اسـتخدم سلاح الدعاية بشكل مـنظم وعـلمي.. وقـد كان هتلر نفسه يشرف على الدعاية، بل هي من صنع يديه.

---

(١) المرجع السابق ص ٣٠.

(٢) الدعاية السياسية – لندلي فريزر – ترجمة عبد السلام شحاته، الفكر العالمي ١٩٦٠ ص ٣١-٣٢.

(٣) المرجع السابق ص ٣٤ لزيادة التفصيل.

أمـا الدعايـة في داخـل ألمانـيا فقد ركزت على نقاط هامة بنظر هتلر.. وخاصة وأنه ورث تركة شعب منهزم في الحرب، وهذه النقاط هي:

أ- تأكـيد الـذات والثقة بها.. وذلك عن طريق الدعاية بأن الجيش لم يهزم وأن الهـزيمة قـد كانـت لعوامـل أخـرى غـير اندحـار الجـيش.. وظـل الألمـان يـرددون الشـعارات المعـبرة عـن قوتهم ووحدتهم، ويعلقون على صدورهم الشعارات التي ترمـز إلى هـذه المعاني.. والقول بأن الجيش لم يهزم هو قول يرضى الشعور الكامن بتأكيد الذات.

ب – الخـوف مـن المستقبل.. وذلك بتأكيد روح العداء للدول المجاورة : فرنسا وبولـنده وتشيكوسـلوفاكيا.. لأن هـؤلاء يدبـرون هجمـات جديدة على ألمانيا من الشـرق ومن الغرب بالإضافة إلى أن ألمانيا تعاني أزمة اقتصادية بعد أن حرمت من مسـتعمراتها.. وباعتبار أن النظرة للمستقبل مظلمة .. فما على ألمانيا إلا الاستعداد لكل طارئ، والنظر بريب إلى كل الدول المجاورة أنها العدوة الأولى لألمانيا.

ج – أن الـرجل الألماني هو الرجل الأسمى (السوبرمان)، وهو البطل الذي لا يقهـر، وأن ألمانـيا تمـتاز على سائر الدول بعلومها وصناعتها.. لذلك تعاديها الدول الأخرى خوفاً من منافستها لهم في القوة العسكرية والاقتصادية.

وكانـت كل غاية هتلر من التركيز على هذه النقاط هو الإعداد للحرب العالمية الثانية.

-أمـا خـارج ألمانـيا ، فقـد كانـت الدعايـة نَشِـطة جداً، وقد كان أعظم سلاح اسـتخدمته الدعاية الألمانية في الخارج في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية هو المذيـاع . وتعتـبر ألمانيا أول دولة استطاعت أن تنظم الدعاية بأسلوب علمي، وكان يشـرف علـيها الدكـتور (جوبلز) وزير الدعاية وذلك في عام ١٩٣٩م قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية.

أمـا عن تَوجُه الدعاية الخارجية..فقد كانت تُوَجَّه إلى الألمان الذين يعيشون في الخارج حتى تزيد فيهم الإحساس بولائهم لموطنهم الأوَّل، وتوجه ثانياً إلى الأعداء اللدوديـن لألمانيا، بريطانيا وفرنسا.. وفي هذا المجال كانت تتسم الدعاية في الفترة ما بـين ١٩٣٣ و ١٩٣٩م بالطـابع العدوانـي وأثـناء الحـرب تمـيزت بالطابع الدفاعي وذلك للرد على النشاط المتزايد للدعاية المضادة[١].

« والحـق أن الدعايـة المباشـرة الموجهـة للعـدو هـي سـلاح محدود النفع، ومن الصـعوبة بمكـان أن يكتـب لمـثل هـذه الدعايـة النجاح المرجو، وتتوقف قدرتها في التأثير على مدى صدقها وعدم تضارب أقوالها وعلى فهمها العميق للحالة النفسية لـلجماهير الـتي تخاطـبها. ولم يكـن حـزب هـتلر يعـرف شـيئاً عن نفسية الجمهور المعـادي، كمـا أن المـبالغات التي صورت بها انتصارات الألمان المنتظرة والتي ساعد على انتشارها نجاحهم السريع في بدء الحرب، جعلت الناس يشكون كثيراً في صحة ما يقال»[٢].

٣- **الحرب النفسية في الحرب العالمية الثانية:** كـان للإذاعة دور مهم في الحرب العالمية الثانـية مـن قبل الحلفاء أو دول المحور (روما – برلين – طوكيو) وذلك باستخدامها وسيلة من وسائل الحرب النفسية، حتى ظهر ما يسمى بـ « حرب الإذاعة».

ولقد حققت الدعاية الألمانية انتصارات ثلاث:

١- في المجال السياسي بجعل كتلة كبيرة من الرأي العام الدولي ترى أن مستقبل العالم يتوقف على الاختيار بين الشيوعية والفاشية.

٢- في المجـال الإستراتيجي بأن تبدو كل ضحية على أنها هي الضحية الأخيرة، وبذلك كانوا يجدون في كل مرة الفرصة للمضغ الجيد وازدراد ما يمضغونه.

---

(١) الدعاية السياسية وأثرها على مستقبل العالم – لندلي فريزر ص ٤٦.

(٢) المصدر السابق ص ٥١.

٣- في الميدان النفسي (السيكولوجي) باستخدام « الذعر الكامل » بجعل الشعب الألماني نفسه يخشى من تصفية الشيوعية له، كما استخدمت أفلام عمليات الحرب الخاطفة لإضافة الجماعات الحاكمة في دول أخرى ولتحطيم المعنويات، وتسبب عن ذلك ما يسمى « بالانهيار العصبي» للأمم، وذلك بإبقائها دائماً في حالة شك وعدم تيقن مما يمكن أن يحدث لها غداً[1].

ونظراً لأهمية الحرب الألمانية أو الحرب النفسية، فلقد أنشأ لها هتلر وزارة خاصة بالدعاية والتنوير أو الإرشاد The Minestry of Popular Enlightement and Propaganda ، وعين وزيراً لها هو جوزيف جوبيل Joseph Goebbels واستخدما ما نطلق عليه اليوم الطريق السطحي في الإقناع Peripheral route من أجل إقناع الجمهور المستهدف من دعايتها. وفي بعض الأحيان كانا يخاطبان عواطف الناس Emotions، كما اعتمدا على تكرار إطلاق بعض الشعارات Slogans ، ولم تكن هذه الدعاية تهتم كثيراً بالمبادئ الأخلاقية Ethics محتجة في ذلك بأن النصر هو أهم الأهداف وهو الانتصار « الكاسح » Swift victory ، كما كانت تذهب إليه دعاية النازية. ولكن في واقع الحال، انتهت بهزيمة منكرة ومن معها من دول المحور « إيطاليا واليابان ».

ومن هذه المبادئ المستخدمة في الدعاية الألمانية ما يلي:

١- الاعتماد على غربلة أو تصفية المادة المراد إرسالها، بحيث تحقق الهدف النفسي منها، ومؤدى ذلك أنه لا يلزم بالضرورة سرد الحقائق كلها أو كما هو في الواقع Selective filtering of materials بل إن الواقعة الواحدة يمكن تجزئتها واستقطاع جزء واحد منها واستعماله.

---

(١) الحرب النفسية – صلاح نصر ج ١ ص ٨٤.

ولقد تمكنت النازية من تحقيق ذلك بعد سيطرتها على أجهزة الإعلام الجماهيرية أو وسائل الاتصال الجماهيرية Mass media ، وتشمل الآن الإذاعة والرائي (التلفاز) الصحافة والمجلات والدوريات والسينما والمسرح والمعارض والمهرجانات، بحيث لا يصل إلى الناس سواء في الداخل أو في الخارج إلا المعلومات « المفلترة » أو المنقاة أو المصفاة والمختارة خصيصاً لتحقيق الأثر النفسي.

وسيراً في طريق السيطرة على الصحافة كان الصحافيون يتم اختيارهم بدقة شديدة من أصحاب الولاء للفكر النازي، وكانوا يخضعون للعقاب أو نيل الثواب والجزاء بصورة منتظمة، بناء على جهودهم في خدمة النازية، أو السماح لبعضهم بالاطلاع على بعض الحقائق أو القصص. وكانت صورة شائعة عن الشخصية النازية؛ صورة الجسارة والشجاعة والإقدام عن طريق عرض الشعارات والملصقات ذات القدرات العالية على جذب الانتباه، وكانت الرسائل الموالية للنازية تمتزج مع برامج التسلية الشيقة والمشهورة.

٢- تعمد إقناع الناس بأن انجلترا تعاني من أزمة اقتصادية طاحنة، أو عدم الاستقرار السياسي.

٣- عرض الأفلام التي توضح اتفاق الشعب مع هتلر وسياسته.

٤- خلق صورة من مشاعر العظمة والسمو لدى الشعب الألماني Creation of grandeur ، ومن أجل تحقيق هذا الغرض تم بناء استديوهات كبيرة واستخدمها لعقد اللقاءات والمقابلات بين الناس لإقناع الناس بأن للنازيين أصولاً ثقافية عريقة وقوية في الماضي وذلك لإقناع الناس بقوة النازية.

٥- تكوين جماعات من الشبيبة موالية لهتلر، يدينون بالولاء للنازية، وكانوا يتميزون بارتداء القمصان البنية اللون كشعار لهم.

٦- الاستفادة من حالة الخوف والإحباط التي ترتبت عن خوض ألمانيا الحرب العالمية الأولى، والتي تركتها تعاني أشد المعاناة من الصعوبات الاقتصادية، وشعور

الناس بعدم الأمان حول المستقبل؛ ولذلك ابتكر هتلر فكرة أن اليهود هم تسببوا في امتصاص الاقتصاد الألماني ومصادره أو منابعه، وبذلك لفظ المجتمع الألماني اليهود بينما توحد الشعب الألماني معاً.

٧ – استخدام الإذاعة أثناء الحرب العالمية الثانية، من طرفي النزاع على حد سواء بقصد إضعاف معنويات العدو. واستخدم النازي بعض الخونة من الإنجليز في الإذاعة، كما استخدمتهم اليابان لهذا الغرض. وتم استخدام هذه الإذاعات والبرامج الإذاعية إلى جانب إسقاط المنشورات والكتيبات والأوراق والصور من الطيران.

٨- إثارة حرب الأعصاب التي كان النازي يشنها قبيل توجيه عدوانه نحو الشعوب الأوروبية بالإدعاء بأن الأقلية الألمانية في البلد المستهدف تم القبض عليها وأن الجيش الألماني يقف على أهبة الاستعداد للرد الصارم على ذلك.

هذه الدعاية أو حرب الأعصاب كانت تستهدف إضعاف العدو، وجعله في حالة من الحيرة والتردد والانقسام على نفسه.

٩ – تصوير هتلر في صورة الأب العطوف والقائد الكفء والمحارب الفذ، وأن مشاكل الأمة تجد حلها في الالتفاف حول هذا القائد العسكري الخبير. فكانت صورته كالأب المتواضع، وأن الشعب كله يقف من ورائه. كما يقال الآن في بعض المجتمعات « زعيم الأمة » أو « حبيب الشعب » « راعي الشباب » « نصير الحق ».

ركزت جهودها لمقاومة أو مكافحة دعاية الأعداء، ولخفض معنويات القوات المسلحة الألمانية والإيطالية واليابانية، والنيل من معلومات المدنيين، وفي الوقت نفسه كانت تعمل هذه الدعاية لتقوية الروح المعنوية في الداخل، وتقوية الدوافع نحو الحرب[1].

---

(١) انظر : د. عبد الرحمن محمد العيسوي – الحرب النفسية دفاعاً وهجوماً ، مجلة الجندي المسلم – العدد ١١١ في ١/٤/٢٠٠٣م.

وقـد اسـتخدمت بريطانـيا الإذاعـة أيضـاً في حربها الدعائية، ولكنها تتميز كما يقـول لـندلي فريـزر الدعـائي العـالمي « بأنها التزمت جانب الصدق في بثها.. لأن العـالم كان قد أيقن بأن الدعاية التي أساسها الكذب ستودي في آخر الأمر بالغايات التي تهدف إلى تحقيقها»[١].

أما أن الإذاعة البريطانية التزمت بالصدق ، فهذا الإدعاء يحتاج إلى دليل، إذ إن رجـال هـذه الإذاعـة وحـتى الـيوم يَدَّعـون ذلـك وأنها موضوعية في بث أخبارها وتعلـيقاتها إلا أن تجـربة المسـلمين مـع هـذه الإذاعة عرّفتهم كيف أنها في كثير من مواضـيعها « تـدس السـم في الدسـم » وإن جـاءت بخـبر لا تـأتي به كاملاً، أو أن تصوغ الخبر بشكل يتلاءم مع تصورها وسياستها الصليبية.

ويـرجع « فريزر » نفسه فيقول : « فإن الحقائق يمكن أن تعرض بأسلوب يشيع فيه التفاؤل أو يشوبه التشاؤم ، بحيث يثير تعليقات معينة في كل حالة، وقد حاولت الإذاعة البريطانية أن تسلك هذا المنهج ».

إذاً يمكن للإذاعة البريطانية أن تتلاعب بالحقيقة كيفما تريد، وبما يخدم مصالحها .. فأين الصدق والتزامه؟.

وإن الـدور الذي أدته الإذاعة البريطانية في الحرب العالمية الثانية كان كبيراً جداً وخاصـة فـيما يتعلق بالرد على دعاية ألمانيا النازية، إذ كانت تعرض المسائل بطريقة أكـثر حـيوية. فأحرجـت زعمـاء الـنازية باسـتمرار، وذلك حين أظهرت مبالغاتهم وعـدم تماسـك أقوالهـم وعجزهم في إنجاز وعودهم. بالإضافة إلى أنها كانت تحتفظ

---

(١) الدعاية السياسية وأثرها على مستقبل العالم ص ٥٩.

انظـر: أيضـاً الفصـل الثالـث – المبحث الثاني : « الدعاية الغربية » فقرة أسلوب الدعاية الغربية للاطـلاع عـلى دور الإذاعة البريطانية بعد الحرب العالمية الثانية وفي الوقت الحاضر – وخاصة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية.

بتسجيلات صوتية لجميع الخطب الهامة التي ألقاها أولئك الزعماء في الاجتماعات العامة .. وبواسطتها تعمل على تذكير المستمع بصفة دائمة بحقيقة الزعماء النازيين، واستخدمت تلك الطريقة للكشف عما وراء الدعايات الألمانية المغالية، وكان هدف النشاط المبذول – في الرد على الدعاية المضادة هو الحطّ من شأن العدو.

واستطاعت الإذاعة البريطانية بأساليبها الملتوية اكتساب الألمان أنفسهم للاستماع إليها، وذلك بإذاعة أسماء الأسرى الألمان الذين وقعوا في قبضة الحلفاء، مع ذكر بيانات من صحتهم والإصابات التي أصيبوا بها، والإشارة إلى ما يلقونه من علاج في المستشفيات وهذا ما ساعد على سرعة انتشار هذه الأخبار في أنحاء ألمانيا بعد ساعات من نشرها[١].

ولم تكن الإذاعة البريطانية وحدها في ميدان الحرب النفسية، بل كانت الإذاعة الفرنسية أيضاً تعمل إلى جنبها في بداية الحرب إلى أن سقطت بيد الألمان، وأيضاً الإذاعة الأمريكية تعاونت معها منذ عام ١٩٤٢م – وكانت هذه الإذاعة ترسل من داخل الولايات المتحدة، ثم أنشأت محطة إرسال بعد غزو النرويج بوقت قصير عام ١٩٤٤م عرفت باسم « محطة الإذاعة الأمريكية لدول أوروبا» واتخذت من لندن مقراً لها.

ولم يقتصر الأمر على الإذاعة وحدها في ميدان الحرب النفسية، بل استخدمت السلطات البريطانية المطبوعات أيضاً باعتبارها وسيلة قيمة للدعاية بالإضافة إلى النشاط الإذاعي . وهكذا ألقت المنشورات التي أعدت في لندن داخل أقليم العدو عن طريق البلاد المحايدة مثل سويسرا والسويد، وبعد انقطاع المواصلات أثناء الحرب ألقيت المنشورات عن طريق الجو فوق الأقاليم التي احتلتها ألمانيا، وقد

---

(١) الدعاية السياسية وأثرها على مستقبل العالم: ص ٦٨.

سميت في وقتها « حرب القصاصات »[١] . أما ما تتضمنه هذه النشرات فهو ما يتردد في الإذاعة من إشارة إلى تزايد قوة الحلفاء والسخرية من الحزب القومي الاشتراكي « النازي » والتهكم من تأكيداته ووعوده بالنصر التي أثبتت الأيام كذبها. ثم الإشارة إلى ما في أقوال الزعماء من تناقض.

وقد زادت قيمة هذه النشرات أو القصاصات، وذلك بعد دخول الولايات المتحدة الحرب، وتوحيد جهود الدعاية بإنشاء منظمة مشتركة لهذا الغرض أطلق عليها: لجنة الشؤون النفسية (السيكولوجية) للشؤون الحربية. فصارت المطبوعات في خدمة الغايات العسكرية المباشرة، ووزعت النشرات والقصاصات في الجهات الحربية العسكرية المباشرة ولوحظ أن تلائم مادتُها الجمهور الذي توجه إليه، وهذا الجمهور هم جنود العدو الذين يقاتلون في الميدان.

والغرض النهائي الذي هدفت تلك المطبوعات إليه هو بث اليأس في قلوب جنود الأعداء وحملهم على الاستسلام أو الهرب، إذا كان ذلك ممكناً. واستخدمت براهين مختلفة لإقناع الجنود بذلك، فهي تشير إلى أن النصر النهائي معقود للحلفاء. وكلما أدرك الجندي الألماني أو الإيطالي هذه الحقيقة فإنه سيتوق لعودته سريعاً لأسرته، وأنه لا خيار أمامه فهو أمام أمرين: الاستسلام أو الموت.. وتشير النشرات إلى مدى تناقض وجبن وخيانة القواد الألمان.. ولكي تدفعهم هذه النشرات إلى الاستسلام فهي تظهره بأنه ليس عاراً مخزياً إذا كان هذا الاستسلام في الظروف الميئوس منها، ومن حق الجندي الألماني الذي يستسلم حسن المعاملة المكفولة بمقتضى اتفاقيات جنيف الدولية. وكان لهذا القول الأخير أثره الفعال في نفسية الجنود الأعداء مما دفع عدداً منهم إلى الاستسلام وذلك في شمال إفريقية من قبل

---

(١) مجلة المختار من (ريدرز دايجست) آذار (مارس) ١٩٤٤ مقال بعنوان (حرب القصاصات).

معسكرات الإيطاليين، وإن كان من الصعب الإحصاء بدقة للمستسلمين من الجنود الذين توجه إليهم الدعاية ولا تتوافر إحصاءات تبين أسباب استسلامهم[١].

وهكذا نجد أن الحرب النفسية في الحرب العالمية الثانية استخدمت سلاح الدعاية بوساطة الإذاعة والنشرات من قبل دول المحور ومن قبل الحلفاء وكانت ذات أثر فاعل ومؤثر في نفسية الجنود .. وهو ما تصبو إليه هذه الحرب.

ثالثاً : صور من الحرب النفسية ما بعد الحرب العالمية الثانية:

(١) **صور من الحرب النفسية الصهيونية:** سنذكر مفصلاً أسلحة الحرب النفسية اليهودية في الفصل الثالث من هذه الدراسة .. أما موضوع هذه الفقرة فإننا نعرض وبشكل مختصر صوراً من الحرب النفسية التي تشنها الصهيونية العالمية على العالم أجمع بعامة وعلى العرب والمسلمين بخاصة، من قبل اغتصاب فلسطين وحتى الوقت الحاضر، فمن هذه الصور:

١) نشر الأساطير والشائعات الصهيونية وتكرارها بوسائل الإعلام حتى تصبح حقائق بزعمهم – مثل الهولوكوست– وما تتحدث عن مذبحة أو حرق ٦ ملايين يهودي على أيدي النازية في الحرب العالمية الثانية[٢] وشائعة «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض»[٣].

٢) تلميع صورة اليهودي، وإظهاره أنه العبقري المتفوق، وأن الجندي الإسرائيلي هو الجندي الذي لا يقهر ، وأثبتت الأيام أن اليهودي إنسان كغيره من الأناس ليس لديه أي تميز، بل إنه إنسان جبان في المعارك.

٣) تشويه صورة الإنسان العربي – وهي صورة يرددها الإعلام الغربي كافة وليس الصهيوني فحسب، فهم يصورون الإنسان العربي بأنه إنسان منزو ومندفع

---

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: كتاب جارودي «الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل» وصحيفة الاندبندت الإنكليزية في ١٦ /٥/ ٢٠٠٤م.

(٣) المرجع السابق.

وراء شهواته، عنجهي لا يقيم وزناً لأي مثل، متخلف ، جاهل، عاجز عن استيعاب مبادئ المساواة، انفعالي، عدواني، إرهابي، وتهمة الإرهاب هذه تكرست وفق أسس بحثية علمية تعد أن أصل الإرهاب يعود إلى جماعة « الحشاشين»[١] وأن هذه الجماعة هي التي اخترعت الإرهاب.

٤) التضليل الإعلامي.. وأخطر صوره:

- اليهودية هي قومية (بدليل أن إسرائيل وطن قومي لليهود) أما العروبة فهي ديانة (بدليل أن ٨٠٪ من الأمريكيين يعتقدون أن إيران وباكستان هي دول عربية).

- أن (إسرائيل) تملك تاريخاً وأنها أسبق من العرب في ملكيتها للأرض.. مع العلم أن (إسرائيل) تخفي المخططات التاريخية، وتمنع المؤرخين من مجرد الإطلاع عليها.

- أن (إسرائيل) تحمي مصالح الغرب وهي بمنزلة الخادمة لمصالحه.

٥) نشر شائعة اللجوء: أطلق الكيان الصهيوني شائعة مازال يرددها حتى اليوم، وقوامها أن الفلسطينيين لم يهربوا من الإبادة في مذابح كفر قاسم وديرياسين وغيرها.. بل إنهم تركوا أرضهم بناء على أوامر الجيوش العربية التي كانت تنوي إبادة اليهود بعد خروج العرب[٢].

---

(١) صحيفة الأندبندت (مرجع سابق). والحشاشون لقب أطلق على فرقة من غلاة الإسماعيلية، هم النزاريون الذين استقلوا في قلعة ألموت بقيادة الحسن بن الصباح (١٠٩٠م) اشتهروا بتنظيمهم السري وبتدبير الاغتيالات .. حاربوا السلاجقة واشتد نفوذهم بعد اغتيالهم الوزير نظام الملك في نيسابور (١٠٩٢م) .عُرف خلفاء الحسن بن الصَّبَّاح بشيوخ الجبل، اتسع نطاق دعوتهم فبلغ بلاد الشام واستولوا على قلاع مصياف وقدموس (١١٤١م) قضى عليهم في فارس هولاكو (١٢٥٦م) وفي سورية الظاهر بيبرس سلطان المماليك (١٢٧٢م).

(٢) المرجع السابق.

٦) تفكيك العالم العربي وتمزيقه، وبدا هذا واضحاً من الوثيقة التي نشرتها مجلة (كيفونيم) التي تصدرها المنظمة الصهيونية العالمية[١]، وعنوانها : « إستراتيجية إسرائيلية للثمانينات» وقد نشرت باللغة العبرية ويتضمن بعض نصوصها:

أ. تقسيم العراق وسورية ولبنان ومصر والسودان والجزيرة العربية إلى دويلات طائفية.

ب. على الرغم من الصورة القاتمة للدول حول إسرائيل وتشكل تحديات وأخطار ومشكلات، ولكنها تشكل فرصاً عظيمة.

ج. إن الدول الأبعد عن إسرائيل مثل المغرب والجزائر والسودان وليبيا سوف لا يكون لها وجود بصورتها الحالية.

د. إن العراق يشكل خطراً على إسرائيل لأنه الأقوى في العالم العربي، لذلك يجب تقسيمه وتفتيته إلى مقاطعات إقليمية طائفية؛ دولة في البصرة ودولة في بغداد ودولة في الموصل وهكذا تنفصل المناطق الشيعية عن الشمال السني الكردي.

هـ. من غير الممكن أن يبقى الأردن على حالته وتركيبته الحالية لفترة طويلة، إن سياسة إسرائيل – إما بالحرب أو بالسلم – يجب أن تؤدي إلى تصفية الحكم الأردني الحالي ونقل السلطة إلى الأغلبية الفلسطينية.

و. إن التعايش والسلام الحقيقي سوف يسودان البلاد فقط إذا فهم العرب بأنه لن يكون لهم وجود ولا أمن دون التسليم بوجود سيطرة يهودية على المناطق الممتدة من النهر إلى البحر، وإن أمنهم وكيانهم سوف يكونان في الأردن فقط.

٧) تيئيس العرب من أي انتصار على اليهود، وعلى الجيش اليهودي الذي لا يقهر، وقد صرح بهذا أحد وزراء العدو الصهيوني[٢] بقوله: « إن واجب إسرائيل أن تجعل العرب يائسين تماماً من مقدرتهم على التصدي للجيش الإسرائيلي».

---

(١) تم ترجمة الوثيقة إلى اللغة العربية، وقدمها الدكتور عصمت سيف الدولة كأحد مستندات دفاعة عن المتهمين في قضية تنظيم ثورة مصر عام ١٩٨٨م.

(٢) انظر: إبراهيم إمام: الإعلام والاتصال بالجماهير ص ٣٣١ وانظر الدعاية اليهودية في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

٨) ومن الصور الأخرى التي ستذكر في الفصل الثالث في قوة الدعاية اليهودية بشكل مفصل:

- إسرائيل تمثل حلقة الوصل بين العرب والغرب، وأنها الوحيدة التي تحقق مصالح الغرب في الشرق.

- أن إسرائيل حامية الشرعية والقاضية على الإرهاب في المنطقة.

- إسرائيل حقيقة حضارية مرتبطة بالغرب.

- إسرائيل دولة عصرية متقدمة تقنياً.

- العرب متخلفون حضارياً وعلمياً وتقنياً.

- تحوير الفكر والثقافة الإسلامية في كتب التعليم داخل الأرض المحتلة.

- التغلغل داخل الكنائس النصرانية واستخدامها لتنفيذ مخططاتها.

- استخدام وسائل الإعلام المتعددة بشكل متقن.

- استخدام السينما والأفلام في الحرب النفسية.

- اعتبار مبدأ معاداة السامية السيف المسلط على كل معارض للصهيونية.

(٢) صور من الحرب النفسية بعد الثورة المصرية عام ١٩٥٢م.

*** استخدام الدعاية الرمادية.**

- ركزت الحرب النفسية في هذه الفترة على الدعاية.. إما لتمجيد الحاكم أو للقضاء على الخصوم ، وكانت الإذاعة هي الوسيلة الإعلامية الفاعلة في هذا المجال.. وكان تلميع الحكام بالمشاريع الخيالية، والإحصاءات الكاذبة، والأعمال البطولية.. الباطلة .. وهدف الدعاية التأثير على سلوك الأفراد وتزييف وعيهم، بحيث يصبح الحاكم الفرد الوحيد الملهم في الشعب.

ولعل الإنسان العربي الذي عاصر إذاعة « صوت العرب » في الخمسينات وما بعدها ومعلقها المشهور « أحمد سعيد » يدرك الدور الذي قامت به بعض الإذاعات العربية من تخدير للعرب والمسلمين.

- أما الحرب النفسية ضد خصوم الحاكم ومعارضيه فيوضحها (مايلزكوبلاند)[1] في كتابه « لعبة الأمم » كيف أن حاكم مصر في تلك الفترة حاول القضاء على خصومه بالدعاية السوداء فلم يفلح ، لأن خصومه كانوا يتمتعون بسمعة جيدة في جهاد المستعمر الإنكليزي في قناة السويس، وجهادهم اليهود في حرب فلسطين عام ١٩٤٨م، وبعد استشارة خبراء الدعاية نصحوه باستعمال « الدعاية الرمادية» أو « الدعاية السمراء » « وهو مدح العدو بقصد التشهير به لدى أنصارهم في الرأي العام العربي والمصري» والذي يقوم بالمدح هو عدو البلد (إسرائيل) ، واستطاع رئيس المخابرات الأمريكية في تلك الفترة إقناع (إسرائيل) للقيام بهذا الدور.. وبدأت فعلاً في مدح القوى المعارضة للحاكم.. وتشويه سمعتها داخل الشعب المصري؛ حيث إن ما يمدحه اليهود ، إذاً هو عميل لهم، وشاركت في الدور إذاعة موسكو أيضاً كما يقول المؤلف، لماذا؟[2]. أي أن المؤلف لا يعرف دوافع موسكو في هذه الدعاية!!

(٣) صور من الحرب النفسية في حرب الخليج الأولى[3]:

- بدأت هذه الحرب في عام ١٩٩١م بين قوات التحالف الأمريكية والجيش العراقي ..

---

(١) مايلز كوبلاند، من رجال المخابرات الأمريكية في مصر بعد ثورة يوليو ١٩٥٢م - ومؤلف أيضاً كتاب (لاعب اللعبة).

(٢) انظر كتاب لعبة الأمم، ص ١٥٦، وكتاب: (الدبلوماسية والمكيافيلية في العلاقات العربية الأمريكية خلال عشرين عاماً ١٩٤٧ - ٢١٩٦٧) للدكتور محمد صادق.

(٣) المرجع السابق.

ومن صور الحرب النفسية الأمريكية ضد الجيش العراقي يومها:

١- استخدام مكبرات الصوت من قبل إحدى الوحدات الصغيرة للقوات الأمريكية - أطلقت فيها أصوات الحوامات والذبابات من خلال شرائط مسجلة، من أجل الإيحاد للجيش العراقي بأن إمكانيات الوحدة أكبر بكثير من حقيقة الأمر.

٢- قامت قوات التحالف - وعلى مدى سبعة أسابيع متواصلة - بإسقاط ٢٩ مليون منشور على هيئة ١٤ شكلاً مختلفاً، وصلت إلى ٩٨٪ من الجيش العراقي ، تقوم بعضها بتهديد الجيش العراقي، وتتوعده في حال عدم الاستسلام ، وفي بعضها الآخر تذكر الجنود العراقيين بالأهل وأنهم ينتظرون عودتهم. كما كانت بين تلك المنشورات واحد على شكل (دينار عراقي) يسهل إخفاؤه داخل أي محفظة، وقد أكدت القوات الأمريكية أنه من يأتي إليها من العراقيين حاملاً ذلك المنشور فسوف يجد لديهم الملاذ الآمن[١] .

٣- إذاعة شبكة صوت الخليج - وتعد من أهم إنجازات القوات الأمريكية الخاصة بالعمليات النفسية في حرب الخليج، والتي استمر إرسالها - دون انقطاع - في الفترة من ١٩ كانون الثاني (يناير) ١٩٩١م إلى ١ نيسان (إبريل) ١٩٩١م، وكانت الشبكة مكونة من عدة أجهزة إرسال داخل إحدى دول الخليج بالإضافة إلى الإرسال من طائرتين من طراز Volant sofo EC - ١٣٠ .

(٤) صور من الحرب النفسية في العراق:

- بدأ العدوان الأمريكي البريطاني على العراق فجر يوم الخميس ٢٠/ ٣/ ٢٠٠٣م.

---

(١) ومن طرق إسقاط المنشورات (قنبلة المنشورات) والتي يتم إسقاطها من إحدى الطائرات، ثم تنفجر القنبلة في الهواء بعد ابتعادها عن الطائرة قليلاً، لتفتح الصندوق الداخلي المحتوي على المنشورات، ومن ثم تنتشر إلى مسافات بعيدة.

- قبل عرض صور الحرب النفسية التي شنت على الجيش العراقي والشعب عامة، نقول مع المفكر الفرنسي جان بودريار : « إن حرب الخليج الثانية انتهت قبل أن تبدأ » وكان يقصد بذلك أن الإستراتيجيات الإعلانية الأمريكية اشتغلت على البنية النفسية للقيادة والجيش العراقي، وأفلحت في تفكيكه قبل أن تشتغل فوهات المدافع وتنهمر الصواريخ العابرة على المدن العراقية بلا رحمة[١].

- وأن وسائل الإعلام قامت بدور فاعل في هذه الحرب، في تثبيط معنويات القوات العراقية والشعب العراقي، بالإضافة إلى التضليل الإعلامي المركز حيث تسوغ الحكومة لشعبها بوصف الحرب على العراق بالحرب « العادلة » و« لا مفر منها حفاظاً على الأمن القومي الأمريكي» ومن ثم يسمونها « دفاعية» وتصبح « وقائية» من خطر محتمل قد يأتي من « أسلحة الدمار الشامل» العراقية المزعومة، ثم وصلت إلى الحرب على « الإرهاب» وغيرها من الدعايات التي تتحكم فيها الترسانة الإعلامية الأمريكية[٢].

- ومن التضليل الإعلامي وتزييف الوعي لدى الناس جميعاً، إخفاء الهدف الحقيقي من الحرب على العراق، وهو تدمير القوة العراقية المتنامية والتي تشكل خطراً حقيقياً على الكيان الصهيوني، بعد ضرب المفاعل النووي العراقي من قبل الطائرات الصهيونية ، حيث أصبح لدى العراق أكثر من سبعين مصنعاً حربياً لتصنيع الصواريخ، والمدافع والطائرات دون طيار، بالإضافة إلى تدمير تاريخ وحضارة العراق الإسلامية.. وحتى يكون نموذج العراق العلماني الذي ينوون تشكيله هو النموذج المتبع في العالم العربي بخاصة .. بعيداً عن الإسلام والشريعة الإسلامية.

---

(١) انظر: د. محمد أحمد النابلسي – الحرب النفسية في العراق – مركز الدراسات النفسية بيروت/ أيار ٢٠٠٣م، وكذلك وليد الكردي – سيكولوجية الاحتلال الأمريكي – شبكة الإنترنت للإعلام العربي في ٦ كانون الثاني ٢٠٠٤م.

(٢) المرجع السابق.

- ومن الصور الملاحظة للحرب النفسية في العراق:

١- إغراق عناوين المسؤولين العراقيين السياسيين والعسكريين برسائل (فاكسات) من قبيل : « نعرف أين أنتم .. الهزيمة ستكون من نصيبكم».

٢- إسقاط المنشورات عبر الطائرات قبل وأثناء العمليات، تدعو العراقيين إلى التعاون مع قوات التحالف وعدم الخوف من النظام.

٣- استخدام الإذاعة وبث الأخبار التي تبث الرعب في النفوس، وذلك لقلة وجود أجهزة الإعلام المرئية (التلفاز) والفضائيات في العراق.

٤- استخدام الشائعات: مثل شائعة الخيانة التي تلصق بكبار ضباط الجيش العراقي، وشائعة استسلام ألوية الجيش . وشائعة المقابر الجماعية وكراهية نظام الحكم السابق، وشائعات كثيرة استخدمت لإلحاق الهزيمة النفسية للجيش والشعب العراقي، ويظهر هذا واضحاً في سقوط المدن والقرى دون أي قتال حيث كان يعلن الجيش الأمريكي عن احتلال المدينة أو القرية ويتم سقوطها فعلاً بعد ذلك دون أي مقاومة لانتشار الشائعة بين الناس عن سقوطها قبل ذلك[١].

(٥) صور من الحرب النفسية ضد الشعب الأفغاني:

بدأت الحرب النفسية على الشعب الأفغاني قبل بدء الضربات الأمريكية، وبشكل دقيق في ٨/ ١٠/ ٢٠٠١م، ومن صورها:

١- إسقاط ٣٧٥٠٠ عبوة من المؤن الغذائية للشعب الأفغاني !! وذلك لأجل تأييد المجتمع الدولي، وكذلك الشعب الأفغاني الفقير الجائع، وخطب يومها بوش قائلاً : « إن الشعب الأفغاني المقهور سوف يعرف كرم أمريكا وحلفائها عن طريق

---

(١) د. محمد أحمد النابلسي – الحرب النفسية في العراق (مرجع سابق) .

- وانظر مجلة الدفاع – الرياض – الحرب الأمريكية على العراق . عبر تداعيات للعميد الركن مطلق بن سالم الأزيمع – (العدد ١٣٢ – في ١/ ١١/ ٢٠٠٣م).

إسقاط مؤن غذائية وأدوية وتجهيزات لجوعى أفغانستان من الرجال والنساء والأطفال أثناء قيام الجيش الأمريكي بضرب الأهداف العسكرية داخل أفغانستان»[(١)].

٢- إسقاط منشورات أمريكية تظهر «أن الولايات المتحدة صديقة للشعب الأفغاني كما أنها صديقة لأكثر من مليار مسلم حول العالم»[(٢)].

٣- إذاعة برامج إذاعية من طائرات Ec- ١٣٠E Commando تحث الشعب الأفغاني على دحر الإرهاب والقضاء على طالبان والقاعدة اللتين اتهمتا بحوادث (١١ أيلول) في الولايات المتحدة الأمريكية[(٣)].

٤- إعلان الحكومة الأمريكية توفير ٣٥٠ مليون دولار أمريكي إعانة للاجئين الأفغان لتحسين صورتها، وإظهارها بصورة الصديق الذي يسعى لإعانة صديقه وقت الشدة.

٥- إسقاط أعداد هائلة من أجهزة الراد (الراديو) للاستماع إلى إذاعة البيانات والبرامج الأمريكية بلغة الشعب الأفغاني[(٤)].

---

(١) من خطب الرئيس بوش الابن عقب الضربات الأولى لأفغانستان.

(٢) جزء من خطاب بوش الابن أيضاً، كما جاء في تقرير لمجلة جينز العسكرية في تصريح لوزير الدفاع أنه قد تم بالفعل، وقبل الضربات الأمريكية على أفغانستان شن ما يعرف بالعمليات النفسية Psyops داخل أفغانستان من خلال إسقاط منشورات أمريكية للشعب الأفغاني (انظر د. نادية العوضي – الحرب النفسية ضد الشعب الأفغاني – في ١٣/ ١٠/ ٢٠٠١م – موقع إسلام أون لاين .).

(٣) المرجع السابق.

(٤) إذاعة (بي بي سي) البريطانية ، في اليوم الثاني للهجوم الأمريكي على أفغانستان (انظر: المرجع السابق).

(٦) صور من الحرب النفسية الأمريكية الحديثة.

هذه الصور ليست هي بنت ليلتها، أي بعد أحداث الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١م – ولكن هذه الأحداث فَعَّلتها وأسرعت من وتيرتها، وسنذكر بإذن الله إستراتيجية الغرب عامة وأمريكا خاصة في الحرب النفسية ضد الدعوة الإسلامية في الفصل الرابع من هذه الدراسة .. أما في هذه الفقرة فإننا نبين بإيجاز صور هذه الحرب التي أصبحت ممارساتها واضحة لكل ذي بصيرة .. على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر وهي:

١- الحرب على الإسلام تحت عنوان الحرب على الإرهاب .. (تم تفصيل ذلك في الفصل الرابع من هذه الدراسة).

٢- عولمة الرعب .. حرب أمريكا الجديدة. هذه الصورة للحرب النفسية هو عنوان لكتاب (ليوسف الأشقر – بيروت ٢٠٠١م) حيث يعدها المؤلف « مشروع نظام عالمي سياسي – عسكري واقتصادي وثقافي، من الممكن والواجب إسقاطها وإيقافها، إذ إنها من الماضي المتخلف الذي أصبح خطراً، فهي تتسلح بثورة الوسائل لتقتحم الحاضر والمستقبل ونحاربها بسلاحها»[١].

٣- إرهاب الدولة باستعراض القوة العسكرية، وذلك للهيمنة على الدول الأخرى. يقول شالمرز جونسون ، في كتابه الجديد (٢٠٠٤م) الذي يحمل عنوان : « محنة الإمبراطورية » : « منذ أن قررت الولايات المتحدة ترسيخ تفوقها العسكري على العالم أصبحت (أي الولايات المتحدة الأمريكية) تقف وحيدة : تثير الخوف والكراهية، فاسدة وتنشر الفساد ، تفرض « النظام » – بزعمها – باستعمال إرهاب الدولة تارة وبالرشوة تارة أخرى، وكذلك غرقت في شعارات إعلامية جنونية وزائفة، وبسلوكها هذا فهي تستدعي تكاتف العالم ضدها»[٢].

---

(١) انظر مراجعة للكتاب – موقع : الإسلام اليوم – ٢٢/ ١٢/ ١٤٢٥هـ.

(٢) عرض الكتاب : د. محمد عبد المنعم – مجلة المجتمع – العدد ١٦٠٣ – ١٠-١٦ ربيع الآخر ١٤٢٥هـ (٢٩/ ٥/ ٢٠٠٤م).

٤- العولمة والهيمنة على العالم (انظر الفصل الرابع) .

٥- دعم التوجهات الحداثية والعلمانية في العالم الإسلامي (انظر الفصل الرابع).

٦- السيطرة على الإعلام (انظر الفصل الرابع..) .

٧- الاقتصاد : هذه الصورة من الحرب النفسية تجمع صوراً متعددة منها:

- الحصار الاقتصادي وما يتبعه من بطالة وفقر في الدول الأخرى.

- تجميد الأرصدة والممتلكات (لمن يخالفها).

- القروض والمساعدات (الرشوة للدول المتعاونة معها).

- تزوير العملة..

- العقود التجارية الخاصة[١] .

تعد الحرب الأمريكية على العراق وما سبقها أفضل نموذج للصورة المطلوبة.

٨- إثارة التوتر وعدم الاستقرار في المنطقة – وهذه تشمل بؤر التوتر في الحدود حيث إن الاستعمار قبل أن يرحل عن العالم العربي ترك بؤراً متوترة على الحدود يثيرها عند اللزوم[٢] .

٩- القضاء على المؤسسات الخيرية في العالم الإسلامي بحجة تمويل الإرهاب.

١٠- التلاعب بالعقول – حيث يقدم الوعي جاهزاً ومعلباً.

تَـأكَّدَ هذا الأمر بعد حرب الخليج الأولى والثانية ، حيث اجتذبت وسائل الإعلام الأمريكية الموهوبين للعمل في الإعلام والتضليل ، وبصفة ما يشاع من

---

(١) انظر : الحرب النفسية في النظام العالمي الجديد – د. سعد العبيدي – مجلة النبأ العدد ٥٥ ذو الحجة ١٤٢١هـ (آذار – ٢٠٠١م).

(٢) المرجع السابق.

التلفزيون الأمريكي أنه منارة ديمقراطية ثقافية، وأمام الضغط الإعلامي لا يجد الجمهور فسحة للتأمل والتفكير والتحليل، لذلك يقدم إليه الوعي جاهزاً – ولكنه وعي مبرمج ومُعد باتجاه مرسوم(١).

١١- استهداف العقل الفاعل للشباب. والشباب في كل أمة هم قوتها الضاربة. فصحتهم البدنية والنفسية وسلامة تفكيرهم، فضلاً عن قوة إيمانهم وعقيدتهم.. تعزيز لهذه القوة.

وإلى هذه القوى يحاول العدو الاختراق بوسائل متعددة .. منها الغزو الفكري، والتشكيك بالمعتقدات ، وإفساد الأخلاق بالمخدرات، والأفلام الجنسية... وغير ذلك.. وزاد هذا الاختراق بالقنوات الفضائية المتأمركة في العالم العربي والإسلامي(٢).

١٢- عزل المجتمع العربي عن الإسلامي .. تشكل المجتمعات الإسلامية عمقاً إستراتيجياً للمجتمعات العربية، حيث تتقارب المشاعر وتتحد العقائد والآمال والآلام.. وهذا التقارب يزعج النظام العالمي الجديد، وهو غير مرغوب فيه، لذلك تركزت الحرب النفسية الأمريكية إلى تكوين أهداف مختلفة وزرع الفتن بين الدول، واتباع سياسة فرق تسد لإضعاف المجتمعين سوية(٣).

١٣- تعميم مشاعر الإحباط في المجتمع الإسلامي ، ويظهر هذا واضحاً في الحروب التي شنتها الولايات المتحدة على أفغانستان والعراق والقوى العسكرية التي ترسلها هنا وهناك، والقواعد العسكرية الضخمة التي تبنيها في العالم العربي

---

(١) انظر : هربرت شيلر – المتلاعبون بالعقول – نشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت – ط ٢ ١٩٩٩م – وكذلك انظر موقع الإسلام اليوم – قراءة للكتاب في ٤/ ٤/ ١٤٢٤ هـ (٤/ ٦/ ٢٠٠٣م).

(٢) انظر: الحرب النفسية في النظام العالمي الجديد (مرجع سابق).

(٣) المرجع السابق.

والإسلامي ، بل في العالم أجمع.. كلها هدفها بث الإحباط في المنطقة والشرق الإسلامي ، وتيئيسهم من مقاومة مخططات الولايات المتحدة في المنطقة[١].

١٤- الحرب السياسية، وهي مرادفة للحرب النفسية .. وهي تهدف:

- تدعيم قوة المعارضة في الدول التي لم تهيمن عليها للوصول إلى الحكم، أو إضعاف القوى المنافسة.

- معاونة الدول الواقعة تحت سيطرتها مادياً.

- الانقلابات العسكرية .. حيث تأتي بحكومة ديكتاتورية (على الرغم من مناداتها بالديمقراطية) لتنفيذ سياستها في المنطقة – والأمثلة كثيرة في هذا المجال[٢].

١٥- استخدام المخابرات الجاسوسية: الاستخبارات أو مصلحة الاستخبارات أو أجهزة الاستخبارات أو المخابرات: تعني مجموعة الأجهزة والتشكيلات والوسائل المستخدمة لجمع المعلومات السياسية والنفسية والاقتصادية والعسكرية الخاصة بالعدو وتحليلها، والعاملة بالوقت نفسه على مكافحة عملية التجسس أو التخريب المعادية.

وكان دور (السي أي إيه) وهو جهاز المخابرات الأمريكي، فاعلاً في كل الحروب التي خاضتها أمريكا في العالم الإسلامي (أفغانستان، حرب الخليج الأولى، حرب العراق) حيث هي موجودة في العالم الإسلامي تحت غطاء مهني قديم، أو بصفة رجال أعمال، أو طلاب، أو صحفيين ، أو مبشرين ، أو أطباء، أو عمال، أو خادمات بيوت، أو على شكل سياح أو أساتذة ، أو ممثلين أو شحاذين، أو شرار نفوس ضعيفة[٣].

---

(١) انظر: حسين العسكري النديم – المخططات المطروحة: حرب نفسية لبث الإحباط في المنطقة العربية . مجلة البيان – ٢ شوال ١٤٢٣هـ.

(٢) انظر كتاب « لعبة الأمم » ما يلز كوبلاند.

(٣) د. حنان اخميس – علم المخابرات الجاسوسية. ٩/ ١٠/ ٢٠٠٤م.

١٦- أساليب (السي آي إيه) في التعذيب النفسي والجسدي: إن ما تناقلته وكالات الأنباء والفضائيات من وقائع وصور عن ما يجري في سجن (أبي غريب) في العراق، ومن سجن (غوانتانامو) في كوبا، لتقشعر منه الأبدان من وسائل التعذيب والقتل، مما يندى له جبين الإنسانية إن بقي فيه من ندى.. ونذكر هذه الأساليب على سبيل المثال لا الحصر[1]: وكذلك ما حدث من تدنيس القرآن الكريم في غوانتانامو وفي دولة يهود لإذلال المسلمين في إهانة أقدس مقدساتهم ومع هذا لا يستطيعون فعل شيء؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

- الاعتقال لمدة طويلة دون محاكمات، وهذا ما يثمر القلق النفسي والذهني والشعور بعدم الأمان.

- أسلوب الإكراه ويهدف إلى إحداث حالة من الانكفاء والضعف والتردي النفسي، وفقدان التحكم على الذات، وانهيار الشخصية، وفقدان القدرة على القيام بأي نشاط فكري مما يؤدي إلى الإحباط التام.

- الحبس الانفرادي كوسيلة للضغط على الشخص ، حتى يتحول السجين إلى كراهية الأحياء عامة، وإلى الهلوسة والإرهاب والتخيلات.

- استخدام الوسائل الكهربائية على المنطقة الحساسة من الجسم.

- الاغتصاب وضرب النساء.

- التنويم المغناطيسي.

- الحرق بالنار.

- استخدام الكلاب .. إلخ.

وكلّ هدف المخابرات هو الإذلال وقهر الإرادة، ليس للسجناء فقط بل لكل الحكام والمجتمع المسلم.. لذلك كان رد الفعل هزيلاً، لأن الإحباط سيطر عليهم وكذلك التخاذل واليأس نتيجة لكسر الإرادة.

---

(١) المرجع السابق.

١٧- الحرب الباردة الثقافية: هذه الصورة للحرب النفسية الأمريكية، هي عنوان كتاب ، ومؤلفته الباحثة الأمريكية : فرانسيس ستوفر سوندرز[١].

يفضح الكتاب زيف الادعاءات التي عاش عليها أجيال الحرب الباردة، ولاسيما في عالمي الفنون والآداب، حيث يصاب القارئ بالصدمة حين يعلم أن رواد الحداثة الغربيين أمثال سارتر وأورويل ، ورسل ، وستيفن سبذر وغيرهم لم يكونوا سوى أبواق لجهاز الاستخبارات المركزية الأمريكية (CIA) الذي استطاع صناعة فضائح أدبية وثقافية من خلال تقديم الرشاوي والأموال لهؤلاء وغيرهم، خدمة للأهداف الأمريكية المتمثلة بمحاربة المد الشيوعي.

ويذكر الكتاب الواقع في ٤٥٧ صفحة أن عام ١٩٤٧م كان بداية النشاط الأمريكي لهذه الحرب الثقافية الباردة ، حيث استطاع جهاز (CIA) إنشاء مؤسسات ثقافية ومجلات أدبية لتسويق مخططات الجهاز.

ويتحدث الكتاب عن رابطة حرية الثقافية التي أنشأها جهاز (CIA) ، وكان أول مكاتبها في العالم العربي، في لبنان ثم في مصر، وعلى سبيل المثال يؤكد الكتاب أن مجلة « حوار » العربية الصادرة في القاهرة ، وقبلها مجلة « شعر » ١٩٥٧م، من نتاج هذه الرابطة.. بمعنى أن ما أتحفنا به نقاد وشعراء وأدباء ومفكرو ما سمي بالحداثة والشعر الجديد المستنير كان زائفاً ويعبر عن رؤية أمريكية خالصة.. ويكفي أن نعرف أن دعاة « الحداثة » العربية على الطريقة الأمريكية اعتبروا كل استلهام للتراث العربي والإسلامي نوعاً من التخلف ، وأن الشعر والأدب والفكر ما لم يحاكي التصورات الغربية هو الجهل بعينه.. ومع الأسف كان الوصول إلى هذه الحقائق جاء متأخراً وبلسان غير عربي أيضاً.

---

(١) ترجمة طلعت الشايب – نشر المجلس الأعلى للثقافة – مصر ٢٠٠٢م عرض الكتاب : محمد عبد الفتاح – في موقع الإسلام اليوم في ١١ ذي الحجة ١٤٢٣هـ (١٢/ ٢/ ٢٠٠٣م).

الفصل الثالث

أسلحة الحرب النفسية

المبحث الأول – أسلحة الحرب النفسية:

١- الدعاية .

٢- الشائعة.

٣- غسيل الدماغ.

المبحث الثاني – نماذج من الدعاية المعادية:

١- الدعاية اليهودية.

٢- الدعاية الشيوعية.

٣- الدعاية الغربية.

المبحث الأول
أسلحة الحرب النفسية

قلنا في الفصل الأول[١] إن الحرب النفسية هي حرب تغيير السلوك ومبدؤها هو الشخصية، لذلك فإن سلاحها هو الكلمات والأفكار من خلال ما يطلق عليه حديثا « الدعاية والشائعة وغسيل الدماغ ».

وقد اطّلعنا في الفصل الثاني على أسلحة الحرب النفسية قديماً مثل الخداع والتخويف والإرهاب، وإثارة الفتن والفرقة بين الجيوش المعادية..

بقي أن نعرف: أسلحة الحرب النفسية الحديثة، وهي لا تختلف عن الأسلحة القديمة من حيث الهدف، وإنما تختلف من حيث الأسلوب والوسيلة، فأسلوبها أسلوب مخطط على أسس علمية دقيقة ومدروسة .. ووسيلتها هي وسائل الإعلام الحديثة والمتطورة يوماً بعد يوم... لذلك كان خطرها أكبر، وتأثيرها أوسع..

وقد اخترت ثلاثة أسلحة من أسلحة الحرب النفسية الحديثة وتعد أخطرها شأناً وهي:

أولاً: الدعاية.

ثانياً: الشائعة.

ثالثاً: غسيل الدماغ.

أولاً: الدعاية:

(١) مفهوم الدعاية: إن لكلمة دعاية[٢] مفاهيم مختلفة، وذلك لتغير هذه المفاهيم على مدى التاريخ .. وما أدخل عليها من تعديلات.. ويرجح علماء اللغة في

---

(١) فقرة تعريف الحرب النفسية.

(٢) لم أجد هذه الكلمة في كتب اللغة عند المتقدمين، إلا أن أصلها قد ذكره الزمخشري في أساس البلاغة، مادة « دعو » ومنها: دعوت فلاناً إذا ناديته وصحت به، والنبي ﷺ داعي الله وهم دعاة الحق، ودعاة الباطل. =

الدراسات اللاتينية أن الأب جريجوري هو أول من استخدمها عندما أسس « جمعية الدعاية المقدسة » عام ١٦٢٢م للقيام بالتبشير فيما وراء البحار[(١)] وإن كان هذا المفهوم لا يختلف عن المفهوم الذي استحدثه المعز لدين الله الفاطمي في مصر ٩٦٩ – ٩٧٥م عندما أسس وظيفة « داعي الدعاة» وسبق به البابا جريجوري بأكثر من ستة قرون[(٢)].

والحقيقة أن ورود كلمة « دعاية » بمفهوم الدعوة، كان قبل ذلك بكثير، وذلك عندما ذكرها ﷺ في رسالته إلى هرقل ملك الروم ونص الرسالة كما ورد في صحيح البخاري « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران ٦٤] »[(٣)].

= وذكر الأزهري (كتاب تهذيب اللغة) وابن دريد (كتاب جمهرة اللغة) أيضاً معاني كثيرة لكلمة « دعاء» إلا أن الجميع لم يذكروا كلمة «الدعاية» مطلقاً.

أما المتأخرون مثل « أحمد رضا » عضو المجمع العلمي العربي بدمشق – وصاحب معجم متن اللغة فقد ذكرها في مادة « دعو » – معقباً على معنى الدعاوة « مصدر » وهي نشر الدعوة إلى شيء. قال: وهي الدعاية أيضاً وهذه اشتهرت كثيراً عند المتأخرين أهل العصر، ويعضدها الحديث الشريف الصحيح السند (ولم يذكر الحديث). إلا أنني بعد البحث في كتب السنة وجدت حديثين ولله الحمد يذكران كلمة الدعاية وسيردان في المتن بإذن الله في فقرة مفهوم الدعاية.

(١) الرأي العام وتأثيره بالدعاية والإعلام – عبد القادر حاتم – ص ١٣٥.

(٢) المرجع السابق.

(٣) رواه البخاري في كتاب الجهاد – باب دعوة اليهود والنصارى وعلى ما يقاتلون. وفي مسلم كتاب الجهاد والسير باب: كتب النبي ﷺ. =

وكذلك في رسالة النبي ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط ونصها يشبه النص السابق[١].

وهكذا نستطيع أن نقول أن الدعاية بمفهومها الأصيل وهو الدعوة إلى أمر ما، كان الإسلام سابق فيها، وأنا أعجب كيف لم يفطن رجال الإعلام المسلمون عندما يؤرخون للدعاية لهذه الحقيقة.

ومفهوم الدعاية بمعنى الدعوة لا يختلف عن المفهوم الحديث للدعاية أو (البروباجنده) وهي كلمة إنجليزية مشتقة من الفعل Propagate ومعناه التنشئة والتنمية، ومفهومه نشر الآراء والعادات ونقلها من شخص إلى آخر ومن جيل إلى جيل[٢]، إلا أن المعاصرين حدّدوا هذا المصطلح (الدعاية) ووضعوا له الأسس والأهداف والوسائل. واصطبغت بعد ذلك بصباغ الأكاذيب لتلميع الأفكار والآراء الخبيثة. ومن هنا انحط مفهوم الدعاية: من مفهوم الدعاية القائمة على الإقناع والوضوح لمادتها إلى مفهوم السيطرة على السلوك، والظفر بتأييد الجماهير بأي ثمن وبأي وسيلة، والغموض والإيحاء، وهكذا انقلبت صورة الدعاية من صورة جميلة قائمة على الخير والصدق إلى صورة قبيحة قائمة على الشر والخداع وعدم الأمانة. ولعل هذه الصورة اكتملت أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية.

= الأريسيون أو البريسيون – على اختلاف الروايات – اختلف علماء الحديث واللغة في مدلول هذه الكلمة. والقول المشهور أن الأريسيين: ج أريس وهم الخول والخدم والأكارون . وجاء في لسان العرب «الأرسي» الأصل و«الأريس» الأكار نقله عن ثعلب (راجع شرح النووي لصحيح مسلم).

(١) المواهب اللدنية ج ٣ ص ٢٤٧ – ٢٤٨.

(٢) الرأي العام وتأثره بالدعاية والأعلام – عبد القادر حاتم ص ١٣٥.

ويختلف مفهوم الدعاية أيضاً من بلد إلى بلد، إذ تختلط بمفهوم التعليم.. ففي الاتحاد السوفيتي (قبل سقوطه) يرى الشيوعيون أن التعليم والدعاية شيء واحد، وليست الدعاية إلا توضيح عميق لكتابات ماركس وأنجلز ولينين[١].

وسنرى، بإذن الله، فيما بعد الأسلوب الذي استخدمت به الدعاية في كل من الشرق والغرب وما كان منه من عواقب وخيمة على الإنسانية ومبادئ الخير والصلاح.

(٢) تعريف الدعاية : عرّف العلماء الدعاية تعريفات كثيرة، فعلماء الاجتماع والنفس والعلوم السياسية ورجال الإعلام كل قد أدلى بدلوه في هذا المجال؛ فمن هذه التعريفات: « الدعاية هي نشر معلومات (حقائق، أو مبادئ أو مجادلات أو شائعات أو أنصاف حقائق أو أكاذيب) وفق اتجاه معين من جانب فرد أو جماعة في محاولة منظمة للتأثير في الرأي العام، وتغيير اتجاه الأفراد والجماعات باستخدام وسائل الإعلام والاتصال بالجماهير»[٢].

وهذا التعريف يشتمل إذا حللناه على:

- معنى الدعاية : وهو نشر للمعلومات.
- مادة الدعاية: الحقائق أو المبادئ أو الأكاذيب.
- هدف الدعاية: تغيير اتجاه الأفراد والجماعات.
- وسائل الدعاية: وسائل الإعلام والاتصال بالجماهير من صحافة وإذاعة ورائي (تلفزيون) وغيرها..

---

(١) الإعلام والاتصال بالجماهير – إبراهيم إمام ص ٢١.

(٢) علم النفس الاجتماعي – د. زهران ص ٣٢١.

وهناك تعريفات تظهر الدعاية بأنها « فن » بالإضافة إلى أنها علم، قال بعضهم: « الدعاية هي فن التأثير والممارسة والسيطرة والإلحاح والتغيير والترغيب لقبول وجهات النظر أو الآراء أو الأعمال أو السلوك»[١].

وقال آخر: « يمكن تعريف الدعاية بأنها النشاط أو الفن الذي يحمل الآخرين على سلوك مسلك معين ما كانوا يتخذونه لولا ذلك النشاط »[٢]. ومما دفع هؤلاء إلى القول بأن الدعاية فن هو أن القضية ليست قضية نشر معلومات فقط، وعرضها بدون اهتمام بالأسلوب الذي يجب أن تبث به الدعاية.. وإلا كان نجاحها مشكوكاً فيه.. وبإدخال عنصر الفن على الدعاية يتضح أمامنا لماذا نجح بعض الزعماء في استمالة الجماهير إليهم ولم ينجح البعض الآخر؟.

(٣) أنواع الدعاية: قسمت الدعاية « اصطلاحاً » من ناحية المصدر والهدف منها، أقساماً ثلاثة وهي:

١- الدعاية البيضاء: وهي دعاية معروفة المصدر، محدودة الهدف تسعى دائماً إلى خدمة أهداف نبيلة، وهي تعبر عن الدعاية الموجهة للتنوير والإعلام الصادق[٣].

٢- الدعاية السوداء: وهي غير معروفة المصدر، بل تدعى أحياناً أنها تصدر من مكان معين غير التي تصدر فيه حقيقة كالإذاعات السرية مثلاً، التي تدار من أرض محايدة أو على مقربة منها[٤] وتكون مقنعة ومستترة خفية، خافية الغرض، وتقوم على رفع الشعارات البراقة والكلمات الرنانة مثل (الديمقراطية والحرية والثورية والعدالة) وتطلق الأنماط والقوالب الجامدة (مثل الدكتاتور والخائن والمستعمرين والصهاينة والشيوعيين) وتستعمل التهويل والمبالغة وتتعمد اختيار جانب من

---

(١) الرأي العام وتأثره بالدعاية والإعلام – عبد القادر حاتم – ص ١٣٩.

(٢) الدعاية السياسية وأثرها على مستقبل العالم – لندلي فريزر – ص ٩.

(٣) الإعلام والاتصال بالجماهير – د. إبراهيم إمام ص ٢٩٩ – ٣٠٠.

(٤) المصدر نفسه ص ٣٠٠.

الحقائق يخدم غرضها دون ذِكر باقي الحقائق، وتلجأ إلى الاختلاق والتشويه وتغيير الحقائق والأرقام، وتستخدم الصور (الكاريكاتورية) – التهكم – والسخرية وتعمد على التكرار حتى يؤمن الناس بالفكرة وإن كانت كذباً[١].

٣- الدعاية الرمادية (أو السمراء) : وهذا النوع من الدعاية وإن كان معروف المصدر، لكنها ترمي إلى غايات ملتوية ويبدوا أن الأمريكيين قد نبغوا في هذا النوع من الدعاية الرمادية منذ الحرب العالمية الثانية[٢].

وهناك تعريف آخر للدعاية السمراء قاله « مايلز كوبلاند» أحد رجال المخابرات الأمريكية ومؤلف كتاب « لعبة الأمم» إذ ميّز هذه الدعاية عن الدعاية السوداء والتي غايتها التشهير بالخصوم ومهاجمتهم بشكل مباشر، أما الدعاية السمراء فهي « التشهير بالخصوم عن طريق مدحهم والثناء عليهم»[٣]. وقد كان « بول لا ينبرجر» أكبر خبير أمريكي فيها « وكان يعمل أثناء الحرب العالمية الثانية بأجهزة الإعلام الأمريكية، وكان يذيع باللغة الألمانية ما يظنه الألمان العاديون في مصلحة ألمانيا ولكن كان هدفه الحقيقي تحطيم الروح المعنوية للشعب الألماني»[٤] «ولا ينبرجر» هذا استعارته الحكومة المصرية بعد عام ١٩٥٤م لمعاونتها في تحطيم خصومها من الإخوان المسلمين عن طريق الدعاية السمراء بعد أن عجزت الدعاية السوداء في التشهير بهم لما كانت تتمتع به حركة الإخوان المسلمين في ذلك الوقت من هالة البطولة بسبب أعمالها الفدائية ضد القوات الإنجليزية في القنال (أي قناة السويس) وضد الإسرائيليين في فلسطين قبل ذلك، فضلاً عن مقاومتهم للشيوعية[٥].

---

(١) علم النفس الاجتماعي – زهران – ص ٣٢٣.

(٢) الإعلام والاتصال بالجماهير – إمام – ص ٣٠٠.

(٣) لعبة الأمم – مايلز كوبلاند – ص ٣١٣.

(٤) نفس المصدر – ص ٨٤.

(٥) لعبة الأمم – مايلز كوبلاند – ص ٨٤.

وسنبسط هذا الموضوع، إن شاء الله، عندما نتحدث عن الحرب النفسية والدعوة الإسلامية وسنظهر بإذن الله الأساليب التي اتبعت في محاولة هدم الإسلام والحركة الإسلامية في مصر الأزهر عن طريق الدعاية السوداء والرمادية في عهد الثورة (بعد عام ١٩٥٤م).

ولعل تطبيق الحكومة المصرية بعد عام ١٩٥٤م الواسع للدعاية الرمادية - بالتعاون مع أجهزة الإعلام اليهودية كما يقول كوبلاند[١] أقول لهذا السبب لم يتطرق صلاح نصر رجل المخابرات المصرية الأول في كتابه (الحرب النفسية) ذي الجزئين الكبيرين لهذا النوع من الدعاية سوى جملة قصيرة وهي: (دعاية رمادية: لا توضح أي مصدر) فقط.. بينما ملأ ٢٥ خمساً وعشرين صفحة من أنواع الدعاية الأخرى..

وقسمت الدعاية أيضاً من حيث التوقيت إلى نوعين:

أ- دعاية إستراتيجية.

ب- دعاية تكتيكية.

أ- الدعاية الإستراتيجية: تُوجه ضد قوات العدو، وضد شعوب العدو، وضد المناطق التي يحتلها العدو متناسقة مع تخطيط إستراتيجي، وتوضع بقصد تكملة نتائج مخططة ينشد تحقيقها على مدى أسابيع أو شهور أو سنوات.. وتدار هذه الدعاية دون أن يكون لها تأثير مباشر واضح مرئي، وغرضها إجهاد العدو بتغييرات نفسية (سيكلوجية) يمكن أن تمتد على مدى شهور[٢].

ب- دعاية تكتيكية: وهي توجه لمستمعين معينين يذكر أسماؤهم في الغالبية وتعد وتنفذ لتعضيد عمليات القتال المحلية. وهي لهذا هدفها قصير الأجل وخلال فترة زمنية محدودة، على عكس الدعاية الإستراتيجية[٣].

---

(١) لعبة الأمم - مايلزكوبلاند ص ١٥٦ - وانظر الفصل الرابع: الحرب النفسية والدعوة الإسلامية.

(٢) الحرب النفسية - صلاح نصر - ج ١ ص ٤٤٠.

(٣) الحرب النفسية - صلاح نصر ج ١ ص ٤٤٠.

(٤) وسائل الدعاية: إن وسائل الدعاية هي وسائل الاتصال الجماهيري المختلفة من إذاعة ورائي (تلفزيون) وصحيفة وكتاب وغيرها.. إلا أن الوسيلة المهمة في هذا المجال هي الإذاعة، حتى إنه أطلق على الحرب الدعائية: حرب الإذاعة.. ورأينا دورها في الحرب العالمية الثانية من قبل الخلفاء ودول المحور.

ومع انتشار وسائل الإعلام سهلت العملية الدعائية ويمكن تحديد وسائل الدعاية بما يلي:

١- الوسائل الصوتية أو السمعية: وهي الإذاعة، والخطابة، والشائعات، والأناشيد.. إلخ.

٢- الوسائل المرئية أو البصرية وتشمل الفنون: مثل اللوحات، والنحت، والشارات، والألوان، والعلامات التجارية، والأزياء، والأوسمة، والشعارات..

٣- الوسائل الصوتية المرئية وتشمل الرائي (التلفزيون) والأفلام السينمائية.. والمسرح ..

٤- الوسائل المقروءة أو المطبوعة - وتشمل الصحف والمجلات والكتب والكتيبات والنشرات واللافتات والملصقات..

٥- المؤسسات والبعثات: وتشمل المؤسسات الثقافية والرياضية والمستشفيات وغيرها وتشمل كذلك البعثات في الخارج.

٦- الاجتماعات: وتعقد في مناسبات معينة كما في حملات الدعاية الانتخابية.

٧- المؤتمرات الصحفية: وتعقد بصفة خاصة في الدعاية السياسية[١].

(٥) نفسية (سيكلوجية) الدعاية: عرفنا أن الدعاية نشاط أو فن يحمل الآخرين على سلوك مسلك معين ما كانوا يتخذونه لولا ذلك النشاط.

---

(١) ارجع إلى:

١- علم النفس الاجتماعي (زهران) ص ٣٢٤.

٢- الرأي العام وتأثيره بالدعاية والإعلام - حاتم - ص ٩٦.

ولكن كيف تعمل الدعاية عملها المؤثر هذا؟ وما هو أسلوبها في هذا المجال؟

وهل الدعاية ناجحة دائماً ؟ وما هي أسس الدعاية الناجحة؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة بإيجاز يمكننا القول : إن من أهم الأساليب التي تستخدمها الدعاية : الإيحاء والاستهواء والإقناع[1] وبرجوعنا إلى معاني هذه الكلمات في علم النفس نجد أن: الإيحاء والاستهواء والتلقين «هو قيادة المرء لقبول وجهة نظر معينة دون أن يسبق له فحصها فحصاً دقيقاً. والفكرة الموحى بها إليه تكون في الغالب كافية كأساس للعمل، فإن يقبل الفكرة ويعمل بمقتضاها دون التفكير بالمشروع. فالإيحاء (هو المنبه) يدفع حركة سلوك الإنسان على أساس تحضير سابق»[2] وهو أيضاً «محاولة التأثير في تفكير الشخص واتجاهاته الوجدانية وسلوكه الحركي دون استخدام أساليب الإقناع المنطقية أو أساليب الأمر والفحص.

وكل إنسان، إن كان كثيراً أو قليلاً، قابلاً للإيحاء. وتزداد القابلية للإيحاء في حالات ضعف الذكاء والنقص العقلي عادة، وضعف القدرة على التمييز والنقد والتكامل كما تزداد في حالات النوم الصناعي»[3].

إذاً – فرجل الدعاية لا يعتمد على المنطق ، أو الإقناع العقلي، للتأثير في سلوك الآخرين.. ولهذا السبب تعتمد الدعاية على العاطفة وليس على العقل وأن الغاية النهائية للدعاية هي غاية عاطفية بالرغم من محاولتها ارتداء ثوب العقل.

ولكن ما هي العواطف التي تحاول الدعاية أن تستهويها؟ إنها تحاول استعمال جميع العواطف الإنسانية: كالخوف واحترام الذات والتفاخر والطموح وحب العائلة... وتستغل هذه العواطف حسب الحاجة والظروف ..وكذلك تستغل

---

(١) علم النفس الاجتماعي (زهران) ص ٣٢٤.

(٢) معجم مصطلحات علم النفس – منير وهيبة الخازن مادة: الإيحاء . الاستهواء . التلقين .

(٣) المصدر السابق نفس المادة.

الدعاية أحياناً حُب الجماعة لمصالحهم الدنيوية وخاصة إذا كانت الجماعة ليست على قدر كبير من الوعي وعندها قابلية للإيحاء الوجداني والانفعال، وقابلية سرعة التصديق فتثير هذه الجماعة ضد خصومها ..

وفي الحقيقة أنه ليس كل شخص قابلاً للإيحاء والاستهواء والتلقين، فبعض الناس يتقبل كل ما يسمع أو يقرأ، في حين نرى البعض لا يكاد يصدق شيئاً، بل يجادل ويناقش ويشك.. كما أن قابلية الاستهواء تختلف في الفرد الواحد في أحواله المختلفة. ودرجة الوعي هي الميزان في هذا، وكذلك الإيمان بالله، فالإنسان المؤمن الواعي لا يحكم حتى يتبين وهذا ما علمنا إياه القرآن بقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجرات ٦] .

ولكن ما دور الإقناع العقلي في الدعاية؟

والواقع قد لا يقتنع الفرد أو الجماعة التي توجه إليها الدعاية بما يقول رجل الدعاية بالأساليب السابقة.. هنا يلجأ رجل الدعاية إلى بعض العمليات العقلية مثل التسويغ في حالة الظروف القاسية التي لا يمكن تحاشيها، وحين يتوقع معارضة الجمهور الذي يوجه إليه دعايته، فيلجأ إلى إقناعه بالعقل أولاً..

ويجب أن لا نهمل دور التكرار في الدعاية لِلَفت الأنظار وجذب الاهتمام إلى أن تصبح الأكذوبة حقيقة، حتى عند رجل الدعاية نفسه، تطبيقاً للمثل القائل : « إِكذب ثم إِكذب ثم إِكذب حتى تصدق نفسك ».

وفي مجال الدعاية البيضاء، نجد أنها تعتمد على العاطفة والعقل أيضاً وهذه الدعاية تسعى إلى تغيير سلوك الإنسان كلياً، وعاطفته العميقة الجذور.

ثانياً: الشائعة:

لقد لاحظ علماء النفس والمهتمون بالحرب النفسية أن الشائعة وسيلة مهمة من وسائل الحرب النفسية، بل هي سلاح من أفتك أسلحتها، لما لها من خاصية سرعة

الانتشار؛ فهي تضعف الصف، وتقسم الكلمة، وتبلبل نفسية الجماهير، وتفقدها ثقتها بحكومتها إن كانت موجهة من العدو، وكذلك تشككها بقدرة جيشها.

وسنحاول في هذه الدراسة إعطاء فكرة تساعد على فهم الشائعة أولاً، ومن ثم مقاومتها، والإطلاع على وسائل العدو في استخدامها.

(١) **تعريف الشائعة:** يعرف « ألبورت وبوستمان » الشائعة في كتابهما « سيكولوجية الشائعة » بأنها : « اصطلاح يطلق على رأي أو موضوع معين مطروح كي يؤمن به من يسمعه، وهي تنتقل عادة من شخص إلى آخر عن طريق الكلمة الشفهية دون أن يتطلب ذلك مستوى من البرهان أو الدليل»[١].

ومن هذا التعريف نجد أن الشائعة تتألف من ثلاثة عناصر هي:

- أنها موضوع معين مطروح بشكل مقصود .
- هذا الموضوع يتناقله الأفراد.
- سريان الشائعة لا يحتاج إلى برهان لتصديقها.

ومن خلال دراستنا للشائعة سنعرف مقدار دور كل من هذه العناصر الثلاثة في تحقيق أهداف الشائعة.

(٢) **أهداف الشائعة:** يمكن إيجاز أهداف الشائعة بما يلي:

١- تدمير القوى المعنوية للخصم وتفتيتها – وذلك ببث الشقاق والعداء وعدم الثقة بين أفراده أو بين قادته مهتدية بمبدأ « فرق تسد ».

٢- الإرهاب وبث الرعب في النفوس وذلك بتضخيم قوى الخصم التي لا تغلب.

٣- استخدام الشائعة على أنها ستارمن الدخان لإخفاء حقيقة ما. وهذا الأسلوب يعتمد على النظرية القائلة: « إن الشائعة يمكن أن تُخفى الحقيقة » فَيُقْدِمُ

---

(١) الحرب النفسية – صلاح نصر ج ١ ص ٣٠٤.

أحدُ الجانبين المتحاربين على تسريب معلومات، وبذلك يصعب على الجانب الآخر اكتشاف الأخبار الحقيقية من الأخبار الكاذبة.

٤- تستخدم الشائعة أيضاً على أنها طعم بقصد إظهار الحقيقة من الجانب الآخر.

٥- وتستخدم أيضاً للحطِّ من شأن مصادر الأنباء المعادية[1].

(٣) **تصنيف الشائعات**: حاول بعض علماء النفس استخدام معيار الوقت في تصنيف الشائعات وتقسيمها إلى ثلاثة أنواع:

١- الشائعات الزاحفة: وهي التي تروج ببطء ويتناولها الناس همساً وبطريقة سرية تنتهي في آخر الأمر إلى أن يعرفها الناس جميعاً.

٢- شائعات العنف: وهي التي تتصف بالعنف، وتنتشر بسرعة انتشار النار في الهشيم، وهذا النوع من الشائعات، تصل إلى جماعة كبيرة من الناس في وقت قصير.. ومن نمط هذا النوع من الشائعات تلك التي تروج عن الكوارث أو الانتصارات أو الهزائم الحربية.

٣- الشائعات الغائصة: وهي التي تروج أولاً ثم تغوص تحت السطح ثم تظهر ثانية عندما تتهيأ لها الظروف بالظهور، وهذا النوع من الشائعات غالباً ما يُروَّج ضد رجال الحكم في شكل حملات هامسة للنيل من سمعتهم أو التشكيك في نزاهتهم وغالباً ما تأخذ شكل الفكاهة أو النكات[2].

وحاول البعض الآخر تصنيف الشائعات حسب موضوعها ومن هذه الشائعات:

---

(١) علم النفس الاجتماعي – حامد زهران . ص ٣٦٠.

(٢) ارجع إلى: علم النفس الاجتماعي – د. حامد زهران ص ٣٦١ ومجلة العربي العدد ٩٤ مقال: سيكولوجية الإشاعة.

١- شائعات الأحلام والأماني: وتستخدم للتنفيس عن الأماني والحاجات التي عند الناس.

٢- شائعات الخوف: وتنتشر أثناء الأزمات والحروب.

٣- شائعات الكراهية: وهي تعبر عن شعور الكراهية ودوافع العدوان عند الناس[١]. وهذا النوع من الشائعات هو الذي أطلق عليه بعض العلماء شائعات الدوافع النفسية[٢].

ومن الدراسة الميدانية للشائعات وأنواعها ونسبة وجودها في المجتمعات، ذلك الإحصاء الذي أجري في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٢م حيث درست ألف شائعة فوجد أنها تتوزع كالآتي:

١- ٦٦٪ من الشائعات كانت شائعات العداء.

٢- ٢٥٪ منها كانت شائعات الخوف.

٣- ٢٪ منها كانت شائعات التمنّي.

٤- ٧٪ منها كانت شائعات من أنواع مختلفة.

وقد وُجد أن شائعات الخوف والتمنّي ما لبث أن تغيرت طبيعتها باقتراب انتصار الحلفاء على دول المحور في الحرب العالمية الثانية، وكذلك لوحظ أن غالبية الشائعات كانت من طبيعة شريرة وتعبر عن عداء ضد هذه الجماعة أو تلك[٣].

(٤) نفسية (سيكولوجية) الشائعة: إن الشائعة ظاهرة نفسية لها دلالة ولها معنى، وكذلك لها دوافع خاصة دفعت إلى ظهورها وسببت سرعة انتشارها بين الناس،

---

(١) مجلة العربي العدد ٩٤ جمادى الأول ١٣٨٦ (أيلول ١٩٦٦) مقال: سيكولوجية الإشاعة – د. فاخر عاقل.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مجلة العربي – العدد ٩٤ مقال سيكولوجية الإشاعة – د. فاخر عاقل ١٣٨٦/١٩٦٦.

ولهذا كله اندفع علماء النفس الاجتماعي إلى دراستها وتبيان العمليات النفسية التي تستند عليها.

فمن حيث الأساس النفسي للشائعة، أثبت علماء النفس من اتباع مدرسة الجشتلت(*) «gestalt» أن العمليات النفسية تأخذ بصياغة أشكال متكاملة ويكره العقل أن يجد فراغات فهو يعمل دائماً على تكميل الصورة وتماسكها، غير أن هذا التكميل أو ملء الفراغات يتأثر بميولنا واتجاهاتنا وخبراتنا السابقة، فإذا كانت هذه الاتجاهات طبيعية نحو القضية أو الشخص الذي تكون عنه الصورة فإن عملية التكميل تكون محبذة ومؤيدة، أما إذا كانت هذه الاتجاهات سلبية فإن عملية التكميل تنطوي على الكراهية والنفور والتشهير، ونأخذ مثالاً على ذلك؛ تصور الإنسان للحرب: « لما كانت الحرب بطبيعتها نكوصاً إلى السلوك البدائي فإن الشائعات المتمشية مع هذا السلوك لابد وأن تتسم هي الأخرى بالأخيلة الفظة الغليظة..»(١).

ومما لاشك فيه أن الشائعات تتأثر بخلفياتنا الفكرية والعقدية وأهوائنا ومن الممكن أن تتم الشائعة بها، وأيضاً، فإن جو الحرب يساعد على سريان الشائعة واتساعها.

أما عن ظهور الشائعة وسريانها في الناس فقد أوضحها العالم « بيساو » « مبيناً أن هذه العمليات تتم في ثلاث مراحل: أولها: إدراك الحادث من جانب شخص أو

(*) مدرسة « الجشتلت» أو مدرسة « علم النفس الشكلي» . ولفظ « جشتلت » أو الشكلية كلمة ألمانية أصبحت الآن كلمة دولية تفيد معنى الصيغة أو الشكل، ومن أهم القضايا التي تقررها هذه المدرسة:

١- أن الإدراك يكون موجهاً في بادئ الأمر نحو الشكل الكلي لا نحو الأجزاء.

٢- خصائص الصيغة هي غير مجموع خصائص أجزائها التي تكونها.

(١) الإعلام والاتصال بالجماهير – د. إبراهيم إمام ص ٢٥٥.

عدة أشخاص، ويرجع اهتمامهم بالحادث إلى المغزى الاجتماعي لهذا الحادث، وصداه في نفوسهم، ثم تجري عمليات التنقيح بالحذف والإضافة حتى تتمشى العناصر المكونة للشائعة بعضها مع بعض من جهة ومع ثقافة المجتمع من جهة أخرى، وعندما يتم التنقيح والتعديل بصورة تجعل الشائعة مستساغة متقبلة سهلة الاستيعاب، فإنها تنطلق وتسري بين الجماهير، فكأن المراحل الأساسية لظهور الشائعة وسريانها هي الإدراك الانتقائي والتنقيح بالحذف والإضافة والاستيعاب النهائي تمشياً مع المعتقدات والأفكار والقيم السائدة في المجتمع»[١].

«ويذهب ألبورت وبوستمان» إلى أن سريان الشائعة يخضع لشرطين أساسيين: أما الشرط الأول فينطوي على أهمية الحادث بالنسبة للمتحدث والمستمع .. وأما الشرط الثاني فهو الغموض الذي يطوي الحادث ويغلفه. والحق أن الشائعة مزيج عجيب من الوقائع والتخيلات ولا يمكن بسهولة تحديد العناصر الواقعية وفصلهما عن الجوانب الخيالية.. ويؤكد الباحثان أن الشرطين الأساسيين للشائعة وهما الأهمية والغموض يرتبطان ارتباطاً كمياً على وجه التقريب فيما يبدو بسريان الشائعة، والمعادلة التي تعبر عن ذلك تصاغ هكذا:

سريان الشائعة = الأهمية × الغموض[٢].

ونلاحظ أن العلاقة بين الأهمية والغموض هي علاقة ضرب، وهذا يعني أن انعدام أحدهما يعني انعدام الآخر أي يجب وجودهما معاً.. والغموض الذي هو أحد عناصر سريان الشائعة ينتج عن انعدام وسائل الاتصال، أو فقدان الأخبار الموثوقة، أو أمثال ذلك من الأسباب التي تكثر أثناء الحروب، أو في البلاد التي

---

(١) الإعلام والاتصال بالجماهير – إبراهيم إمام ص ٣٤٦ وكذلك ارجع إلى مقال الدكتور فاخر عاقل في مجلة العربي « سيكولوجية الإشاعة » العدد ٩٤ – ١٣٨٦/ ١٩٦٦.

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٧.

مزقتها الحروب، أو بين الجماعات المعزولة كبعض الفرق الحربية، أو بعض الجماعات النائية. كما قد ينأى الغموض على الأخبار وسواها. ولهذا السبب الآخر نجد الشائعات تكثر في الدول التي تحكمها النظم الاستبدادية.. والتي لا تذيع من الأخبار إلا بما فيه مصلحتها..وحتى إن الشائعات لتدور في هذه الدول حول المواد الغذائية والتي تأتي أهميتها في الدرجة الأولى للإنسان العادي، وقد يكون مصدر الشائعات، وهذه الدولة ذاتها لتربط الناس جميعاً بلقمة العيش والجري الدائم لتأمينها، ويتم لها بذلك إبعادهم عن الاهتمام بحريتهم وكرامتهم.

ونتساءل بعد ذلك، ألا تَنتج الشائعة عن الخوف وعدم الأمان في هذه الحياة؟ مما لا شك فيه أن الخوف والقلق الدائم وعدم الأمان، كل هذه من أسباب سريان كثير من الشائعات وخاصة أثناء الحروب .. لذا فالإنسان في هذه الأجواء يفتح أذنيه لالتقاط أي شائعة يسمعها، وحتى إن كان قد أطلقها إنسان برئ أو جماعة من العملاء والجواسيس، وعدم الأمان يدفع الإنسان إلى نشر الشائعة والتفتيش عمن يشاركه فيها ويقف معه تجاه الخطر المرتقب.

ونتساءل أيضاً : ألا يزول القلق والخوف بوجود الأخبار المتوافرة، وبذلك تنعدم الشائعة لانعدام أحد أسسها وهو الغموض؟

قبل أن أجيب عن هذا السؤال أقول: إنه مما لاشك فيه أننا نعيش اليوم عصر وسائل الاتصال المختلفة من إذاعة ورائي وصحيفة وكتاب.. إلخ.

ولكن ومع ذلك ما زالت الشائعة تعمل في الرأي العام.. بل إن وسائل الاتصال هذه قد تسهم هي الأخرى في نشر الشائعات وتحريف الأخبار وتَرْديدها بصورة مشوهة تَبْعد كثيراً عن حقيقتها التقليدية[١].

---

(١) ارجع إلى الإعلام والاتصال بالجماهير د. إبراهيم إمام ص ٢٦٤.

وعلة وجود الشائعات وانتشارها حتى لو كانت هناك أخبار متوافرة، هي أن للشائعات دلالة تعبيرية أو معاني مجازية كامنة وراء الألفاظ، وهذه المعاني ليست معلومات معرفية كالأخبار مثلاً، ولا حاجة هنا إلى أن نقارن بين مضمون الشائعة مع الحقائق الموضوعية ونقيس مدى الصدق بدرجة قربها من الواقع أو بعدها عنه، وإن هذه المعاني المجازية الكامنة وراء الألفاظ تنطوي عادة على أحكام تصدر على موقف أو شخص أو حدث وهذه الدلالة التعبيرية من أهم الخصائص التقويمية للشائعة. و« ناقل الشائعة لا يعبر عن الواقع بقدر ما يعبر عن حالة نفسية أو قلق انفعالي. وهنا تختلط الوقائع بالأخيلة والدلالات الموضوعية بالمثيرات العاطفية ولعل هذا التفسير للشائعة هو الذي يعلل سبب انتشار الشائعات حتى عندما تكون الأخبار متوافرة تماماً»[١].

ويؤيد هذا المعنى الدراسة التي أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية أثناء الحرب العالمية الثانية وقد مر ذكرها آنفاً. إذ قد تبين من الدراسة أن الأسباب الرئيسة لانتشار الشائعات هي أنها تقوم بوظيفة مزدوجة فهي تفسر التوترات الانفعالية التي يستشعرها الأفراد وتنفس عنها، ففي حادثة « بيرل هاربور[٢]» مثلاً ساعدت الشائعات على تفسير القلق الذي شعر به الناس، ومن ذا الذي لا يقلق إذا مُسِحَ أسطول بلاده مسحاً كما قيل آنئذ، ثم إن العائلات التي فقدت أبناءَها أو مُعيلها تريد أشخاصاً تصب عليهم نقمتها، ولذلك كان لومُ الأقليات متنفساً للناس، وهكذا انصبت الشائعات على خيانة بعض الأقليات القومية في الولايات

---

(١) نفس المصدر ص ٢٥٣.

(٢) بيرل هاربور – ميناء ضُرب فيه الأسطول الأمريكي من قبل اليابان أثناء الحرب العالمية الثانية وكان ضربه من أسباب دخول الولايات المتحدة الحرب إلى جانب الحلفاء.

المتحدة (مثل الأقلية الألمانية) وأشير إلى جشع اليهود وعلاقتهم بالسوق السوداء وغير ذلك[١].

(٥) **الرأي العام والشائعة:** ونتساءل الآن: هل للشائعة هذا الأثر الكبير في الرأي العام، وهل يمكن أن تَكوّن رأياً عاماً في مجتمع من المجتمعات؟.

لقد تأكد من بحوث العلماء أن الشائعات الكاذبة لا تنتشر إلا في المجتمعات الانفعالية التي تتلقى الأمور بالانفعال، والتي لم تبلغ من الوعي درجة كافية بحيث تحلل الشائعة وتبين صدقها من كذبها. وبخاصة إذا استولى على هذه المجتمعات حكام مستبدون، هم أنفسهم يستخدمون وسائل الإعلام في نشر الشائعات، وتحريف الأخبار وترديدها بصورة مشوهة تبعدها كثيراً عن حقيقتها.. ولكي يخدع هؤلاء شعوبهم يعطون للشائعة صورة معقولة بإرجاعها إلى مصدر مؤثوق (على حد زعمهم)، والشعوب المغلوبة على أمرها تصدقهم وتسير وراءهم مغمضة الأعين (بغريزة القطيع)[*].

ويرى البعض الآخر « أن جميع الناس في أي مجتمع وفي أي زمان متهيأون لتلقى الشائعة وتصديقها.. لأن الناس ليس لديهم الوقت الكافي الذي يسمح بمراجعة ما يسمعونه وطرحه على معايير الصدق، فضلاً عن أنه يصعب عليهم إثبات تكذيب الشائعة..»[٢].

ويظهر أن المؤلف اعتمد على هذه المقولة في ترويج الشائعات والدعايات الكاذبة ضد الحركة الإسلامية في بلده، خلال ربع قرن من الزمان (١٩٥٤ -

---

(١) مجلة العربي العدد ١٩٦٦/١٣٨٦/٩٤ - مقال : سيكولوجية الإشاعة.

(٢) الحرب النفسية - صلاح نصر ج ١ ص ٣٤٩.

(*) (غريزة القطيع) تعبر عن الانقياد داخل الجماعة بدون وعي، كقطيع الغنم الذي يسير وراء كبيرهم.. وتعبر أيضاً عن تعطل ملكة المحاكمة الشخصية، وغياب حس النقد والتمييز، ويغدو الفرد كأنه منوم مغناطيسياً سهل التقليد.

١٩٧٨)، ويلبس المؤلف ثوب الأخلاق الفاضلة عندما يقول « إن الشائعات المختلفة سواء كانت قصيرة العمر أو طويلته، معادية أم مدمرة تعتبر من أخطر الأسلحة الفتاكة للمجتمعات البشرية ويمكن أن نشبهها بسم الخنجر المسموم الذي يطعن الأبرياء من الخلف مستغلاً أحد صفات الإنسان من جبن ونذاله، وغالباً ما يعصف هٰذا السلاح بكيان مجتمع أو بأصول حضارة»[١].

وثمة جانب آخر من تأثير الشائعة في المجتمعات البشرية، ذلك عندما تتحول الشائعة إلى أسطورة خالدة في أذهان الناس لا تموت على مر الأزمان. ويضرب لنا الدكتور إبراهيم إمام مثالاً على ذلك: « أسطورة جوليات وداود» وهي من أمثلة استخدام الشائعات في الحرب النفسية يقول: « لأن الأسطورة في حقيقتها ليست سوى شائعة خالدة استطاعت أن تحيا على مر العصور لتصبح جزءاً لا يتجزأ من تراث الأمة» والمعروف أن إسرائيل تستخدم هذه القصة (أسطورة جوليات وداود) في حربها النفسية وتلقنها للصغار منذ نعومة أظفارهم وترويها للعالَم موعزة إلى أن داود يمثل إسرائيل والعملاق (جوليات) يمثل العرب. وتبين هذه الأسطورة أيضاً أهمية العزيمة الصلبة والثقة في النفس والذكاء إلى جانب الاعتقاد الراسخ والإيمان العميق»[٢].

ويلاحظ أن الدكتور لم يوفق في اختيار المثال ، ونحن نسأله – بصفة أن الأسطورة في حقيقتها ليست إلا شائعة هل قصة داود وجوليات أسطورة؟ أم أنها قصة حقيقية ذُكرت في القرآن الكريم؟ بصرف النظر عن استخدام إسرائيل لها في حربها النفسية وفي مجال التربية والتاريخ[٣].

---

(١) الحرب النفسية – صلاح نصر ج ١ ص (٧).

(٢) الإعلام والاتصال بالجماهير – إبراهيم إمام – ص ٢٥٧ – ٢٥٨.

(٣) قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ﴾ [البقرة: ٢٥٠-٢٥١] ...)) وإسرائيل تدعى أن داود =

وإن مما هو قريب من الأسطورة .. خلع صفات البطولة الخارقة والعظمة على الأصدقاء والقادة بشكل يفوق الحقيقة .. وتضخيم أعمالهم إلى حد القوة التي لا توصف، وبالمقابل لذلك خلع صفات الشياطين على الأعداء ووصفهم بالصفات التي تُحطُّ من شأنهم.. وفي النهاية لا يَعرف الناسُ شيئاً إلا من خلال التصور الذي يُرسم لهم.. وإن في التاريخ كثيراً من القصص الخرافية عن الحكام وقادة الحروب وغيرهم من الذين يَنسبون إليهم خوارق العادات.. وفي الحقيقة ما أخبارهم إلا شائعة تحولت إلى أسطورة في نهاية الأمر .

(٦) **مقاومة الشائعات:** تكلم كثير من علماء النفس وأساتذة الإعلام ورجاله عن الشائعات وسبل مقاومتها، ولا بأس من عرضها أولاً ومن ثم أعرض التصور الإسلامي لمقاومة الشائعة والقضاء عليها في مهدها قبل أن يستفحل شرها.

فيرى بعضهم أن مسؤولية مقاومة الشائعات والسيطرة عليها تقع على القيادة والأفراد ومكتب الأمن، ومن أهم أساليب مقاومة الشائعات ما يلي[(١)]:

١- تعاون الجمهور في الإبلاغ عن الشائعات وتكذيبها وعدم ترديدها.

٢- تكاتف وسائل الإعلام المختلفة من أجل عرض الحقائق في وقتها وإشاعة الثقة بين المواطنين وتنمية الوعي العام وتحصينه ضد الحساسية النفسية بصفة عامة وضد الشائعات بصفة خاصة.

= يمثلهم في القصة القرآنية.. مع العلم أن داود عليه السلام لعنهم كما لعنهم عيسى عليه السلام ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ [المائدة ٧٨] ومن هذه الآية يتبين أن أصل القصة كما وردت في القرآن واقعة حقيقية – وليست أسطورة كما سماها الدكتور إبراهيم إمام لأن القرآن ليس فيه أساطير. قال تعالى في سورة يوسف ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾ [يوسف ١١١] أما إذا كانت عند اليهود محرفة يغلب عليها الكذب فيمكن تسميتها أسطورة مع التنبيه إلى أن أصلها حقيقي...

(١) علم النفس الاجتماعي – زهران – ص ٣٦٠.

٣- التوعية المستمرة لتثبيت الإيمان والثقة بالبلاغات الرسمية عن طريق الندوات والمحاضرات والمناقشات.

٤- اقتفاء خَطِ سير الشائعة والوصول إلى جذورها، وإصدار البيانات الصحيحة الصريحة بشأنها والتخطيط الشامل وتكاتف الجمهور.

٥- الثقة بالقادة والرؤساء، والثقة بأن الأمور العسكرية تُحاط دائماً بالسرية والكتمان وأن العدو يحاول خلق الشائعات عندما لا تتيسر لديه الحقائق.

٦- تولية الأمر والقيادة لأهل العلم والخبرة والخلق والدين.

ويستعرض لنا الدكتور إبراهيم إمام محاولة الأمريكيين في مقاومة الشائعات خلال الحرب العالمية الثانية قائلاً: « حاول الأمريكيون إنشاء ما أسموه « عيادات الشائعات» وفيها تقوم الصحافة بتفنيد كل شائعة والرد عليها وشعارها: (اذكر الشائعة واضربها بكل قوة) وأخطر ما تعرضت له عيادات الشائعات، إذاعة الأقاصيص الكاذبة والمساهمة في نشر الشائعات على نطاق أوسع مما كان مقدراً لها».

« ومن ناحية أخرى اتجه مكتب الإعلام الحربي الأمريكي (١-٧-٥) برئاسة « ليورستن » إلى محاربة الشائعات بالأخبار الصحيحة على أساس أن الشائعات تسري في جو من الغموض الناجم عن ندرة الأخبار».

« ولكن يبدو أن خير وسيلة لمقاومة الشائعات ومواجهة الحرب النفسية هي تحصين الشعب عن طريق دعم إيمانه بوطنه وأهدافه، وتوعية الجماهير وإيقاظ الضمائر؛ وهي مهمة لابد وأن تتظافر على أدائها هيئات التعليم والتربية والثقافة والإعلام والتنظيمات السياسية، ذلك أن التعبئة النفسية للجماهير وتمسكها بأيديولوجيتها عن إيمان واقتناع من أهم الدعائم الضرورية لمواجهة الشائعات والحرب النفسية»[١].

---

(١) الإعلام والاتصال بالجماهير – إمام ص ٣٠٥ – ٣٠٦.

ونحن نرى أن الشائعات يُقضى عليها بمساعدة عنصرين مهمين في الدولة وهما الفرد المؤمن والحكومة الصالحة.

فبإيجاد الفرد المؤمن بالله حق الإيمان، المتخلق بأخلاق القرآن، نكون قد أوجدنا الإنسان المتميز الذي يزن الأمور بميزان الإسلام. والذي لا يتلقى أي أمر أو قول إلا بعد تدقيق وتمحيص، تبعاً لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦ ﴾ [الحجرات ٦] ورأينا آنفاً[1] في الدرس الذي أعطاه الله للجماعة المسلمة في المدينة، في حادثة الإفك، إذ علمها أن لا تلوك بألسنتها شائعات دون إنعام نظر وتبيّن ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ [النور ١٢] وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ۝١٦ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٧ ﴾ [النور ١٦-١٧] ولقد انطفأت شائعة الإفك بمجرد نزول الآيات في تبرئة السيدة عائشة رضي الله عنها.

- فالطريق الأول إذاً لمقاومة الشائعات هو الإيمان الصادق الذي يربّى المؤمن على منهج فكري يحميه من الشائعات، وهذا يتطلب أيضاً أن يكون المسلم لديه وعي كامل بمفاهيم الإسلام وبالأمور التي تجري من حوله في جميع مجالات الحياة. ومن هنا يأتي واجب رجال التربية والدعوة في تربية وعي المسلمين بدينهم أولاً وبما يجري حولهم - أي زيادة وعيهم السياسي الذي يفتقده مسلم اليوم، حتى لا تتناهبهم وسائل الإعلام الغربية والشرقية وهم حائرون واقفون على مفترق طرق لا يعرفون إلى أين يتجهون.

---

(١) في الفصل الثاني.

وبالإيمان أيضاً نقضي على شائعات الخوف والتي تكثر في الحروب خاصة، ومن عاش في جو الحروب يرى بعينيه الهلع والخوف الذي يصيب الناس عامة، إلا الذين آمنوا، فقد ضربوا مثلاً عظيماً في الشجاعة والتضحية، وصدق الله العظيم ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [آل عمران ١٧٣] .

- وأما الطريق الثاني للقضاء على الشائعات فهو إيجاد الحكومة الصالحة، التي تعمل لصالح الأفراد بإخلاص وصدق وعدالة، وبذلك تنال ثقة الإنسان في هذه الدولة لأنها تعطيه حقه فيعطيها واجبه، وبوجود هذه الحكومة الصالحة تُنشر الأخبار من وسائل الإعلام المختلفة بصدق وفي وقتها، بحيث لا يبقى مجال لانتشار الشائعات المختلفة المغرضة، صحيح أنها لا تنعدم بشكل نهائي – وذلك لوجود الأوشاب في كل مجتمع – ولكنها نادرة، ولا حكم للنادر. ولاشك أن الشعب يحتاج إلى التوعية الدائمة ودعم إيمانه بالله وتبيان أهداف أعدائه، وأساليبهم في الدعاية والشائعة حتى لا يتأثر بها.

أما في أوقات الحروب ، وعند إعلان الجهاد على أعداء الله وأعداء المسلمين، فلن تكون هناك أجواء لتقبل الشائعات، كما في المجتمعات غير الإسلامية، لأن الجهاد في الدولة الإسلامية يختلف عن الحروب التي تشنها الدول الأخرى من حيث المضمون والمظهر والأداء، فزمن الجهاد هو زمن الاستبشار والسرور، لأن المسلم يجاهد وهو ينتظر إحدى الحسنيين، إما النصر وإما الشهادة.

وفي هذه الأوقات بالذات، يكون الجيش المسلم، هو ذاته، حرباً نفسية على الأعداء، ويُخشى بأسه وشجاعته، ويُرهب جانبه.

ثالثاً: غسيل الدماغ:

(١) مفهوم غسيل الدماغ وتعريفه: غسيل الدماغ سلاح من أسلحة الحرب النفسية، يرمى إلى السيطرة على العقل البشري وتوجيهه بغايات مرسومة بعد أن يجرد من مبادئه السابقة..

وكان أول من ابتكر اصطلاح غسيل الدماغ صحفي أمريكي يدعى « إدوارد هنتر » ألّف كتاباً عن الموضوع على أثر الحرب الكورية، إذ لاحظ هذا الصحفي أن ثلث أسرى الولايات المتحدة الأمريكية قد اتخذوا اتجاهاً جديداً ضد وطنهم، وكانت هذه الظاهرة هي الأولى من نوعها في تاريخ الحرب البشرية، وقد عنى الصحفي بهذا الاصطلاح « المحاولات المخططة أو الأساليب السياسية المتبعة من قبل الشيوعيين لإقناع غير الشيوعيين بالإيمان والتسليم بمبادئهم وتعاليمهم»[١].

إلا أن اصطلاح « غسيل الدماغ » اتسع معناه، واستعمل في مختلف ميادين للحياة من إعلان تجاري، أو دعاية أو اجتماع أو سياسة، ولم يعد قاصراً على الشيوعيين – وهم أول من استخدمه – بل تعداه إلى الشرق والغرب، ليصبح له تعريف عام وهو: « كلُ وسيلة تقنية مخطَّطة ترمي إلى تحوير الفكر أو السلوك البشري ضد رغبة الإنسان أو إرادته أو سابق ثقافته وتعليمه»[٢].

وقد أطلق بعضهم على هذه العملية في السيطرة على العقل البشري وتوجيهه، أسماء أخرى، أعم وأشمل من اصطلاح غسيل الدماغ، من مثل: إعادة تقويم الأفكار. أو التحوير الفكري، أو المذهبة، أو الإقناع الخفي[٣].

---

(١) د. فخري الدباغ – غسيل الدماغ – ص ١١ و ١٢ بيروت ١٩٧٠.

(٢) المصدر السابق ص ١٣.

(٣) د. زهران – علم النفس الاجتماعي ص ٣٦٢.

ونصل أخيراً إلى تعريف لاصطلاح غسيل المخ « بأنه عملية تطويع المخ وإعادة تشكيل التفكير، وهو عملية تغيير الاتجاهات النفسية بحيث يتم هذا التغيير بطريقة التفجير، وهو محاولة توجيه الفكر الإنساني أو العمل الإنساني ضد رغبة الفرد أو ضد إرادته أو ضد ما يتفق مع أفكاره ومعتقداته وقيمه، إنه عملية إعادة تعليم (RE edu cation—) وهو عملية تحويل الإيمان أو العقيدة إلى كفر بها ثم إلى الإيمان بنقيضها»[١].

(٢) الأساس النفسي لغسيل الدماغ: لقد استغل المشتغلون بالحرب النفسية دراسات علماء النفس لعلم وظائف الأعضاء والجهاز العصبي، والعلاقة بين علم وظائف الأعضاء وسيطرتها على المخ.. ويذكر في هذا المجال تجارب بافلوف[*] على الحيوانات، ويستحسن تلخيص اكتشافاته في النقاط الرئيسة الآتية حتى يمكن الربط بينها وبين عمليات غسيل الدماغ التي سنذكرها بعد ذلك، والتي طبقها الشيوعيون على الأسرى والسجناء، وهاك خلاصة نظرية بافلوف التي استخلصها من تجريبه على الكلاب:

١) عند حدوث توترات معينة أو صدمات فإن الكلاب تستجيب تماماً مثل الإنسان تبعاً لاختلاف أمزجتها المختلفة الموروثة.

٢) لا تتوقف ردود فعل الإنسان والكلب للتوترات العادية على كيانه الموروث فقط بل كذلك على المؤثرات البيئية التي يتعرض لها، وهذه المؤثرات تغير تفاصيل سلوكه فقط، ولكن لا تغير النمط السلوكي الأساسي.

٣) تنهار الكلاب كالآدميين وذلك حينما تصبح التوترات أو الصدمات أكثر مما ينبغي أو بدرجة لا تستطيع أجهزتها العصبية السيطرة عليها.

---

(١) المصدر السابق نفسها.

(*) بافلوف: هو عالم فسيولوجي روسي – كان غرضه دراسة وظيفة المراكز العصبية في الدماغ.

٤) يختلف مقدار التوتر الذي يستطيع الإنسان أو الحيوان السيطرة عليه دون أن يصاب بالانهيار باختلاف حالته البدنية، كما يمكن تقليل المقاومة وبوسائل أخرى مثل: الإجهاد – الحمى – المخدرات والتغيير في وظائف الغدد.

٥) عندما يستثار الجهاز العصبي استثارة شاملة، ويحدث له موقف كامل فإننا نستطيع أن نميز ثلاث مراحل مختلفة من التغييرات في السلوك، وهذه المراحل هي:

أ- المرحلة « المتعادلة » حيث يعطي فيها المخ الاستجابات نفسها لكل من المثيرات القوية والضعيفة.

ب- مرحلة التناقض وهي التي يستجيب فيها المخ للمثير الضعيف بشكل أكثر إيجابية من المثير القوي.

جـ- مرحلة التناقض الشديد وهي التي تتحول فيها ردود الفعل الشرطية والأنماط السلوكية من الموجب إلى السالب أو بالعكس.

وقد توصل « بافلوف » إلى هذه الاكتشافات عن طريق مراقبة ما يحدث للأنماط السلوكية الشرطية في الكلاب حينما يستثار مخ كلب بواسطة توترات أو صدمات تفوق قدرته على الاستجابة العادية.

يقول « وليم سار جنت » وهو أحد أطباء النفس، في اكتشافات بافلوف في هذا المجال « إن تطبيق اكتشافات بافلوف في الكلاب على آلية أنواع عديدة من التحول الديني أو السياسي في الكائنات البشرية توحي بأنه لكي يكون التحويل مؤثراً يجب أن تستثار انفعالات الشخص حتى يصل إلى درجة شاذة من درجات الغضب أو الخوف أو النشوة، فإذا أمكن الاحتفاظ بهذه الحالة أو أمكن زيادة حدتها بوسيلة أو بأخرى فقد ينتهي الأمر بالشخص إلى حالة من حالات الهستريا، وحينئذ يصبح الإنسان أكثر استعداداً لتلقي الإيحاءات التي قد لا يتقبلها في الظروف العادية وقد يحدث بديلاً عن ذلك مرحلة من المراحل: « المتعادلة » أو « المتناقضة » أو « شديدة

التناقض » أو قد يحدث « انهيار امتناعي كامل » يقضي على كل المعتقدات السابقة.

هذه الأحداث يمكن أن تكون عاملاً مساعداً في غرس معتقدات وأنماط سلوك جديدة، وسوف نلاحظ هذه الظاهرة نفسها في كثير من العلاجات الحديثة في مرض الطب النفسي. على أنه يمكن إحداث جميع مراحل النشاط الذهني من زيادة الإثارة إلى حد الإنهاك الانفعالي والانهيار إلى الاستسلام الهادئ الصامت: إما بوسائل سيكولوجية (نفسية) أو باستخدام العقاقير أو بالعلاج بالصدمات الكهربائية أو بتخفيض كمية السكر في دم المريض بحقنه بالأنسولين، كما تأتي بعض النتائج الأفضل في علاج حالات من أمراض الطب النفسي مثل: العصاب[1] أو الذهان[2] بأحداث حالات من حالات « الامتناع الوقائي»[3] . وهذا يحدث دائماً بالاستمرار

---

(١) العصاب : مجموعة من الأمراض النفسية وتحوي : القلق النفسي، والهستريا، والوسواس القهري، والإجهاد، والاكتئاب النفسي.
وكان المظنون قديماً أن العصاب مرض يصيب الأعصاب، إلا أن علماء النفس اكتشفوا أنه اضطرب انفعالي بسبب صراع داخلي وتصدع في الشخصية، فهو اضطراب في الشخصية وليس اضطراباً في الأعصاب. (انظر موسوعة علم النفس والتحليل النفسي الدكتور عبد المنعم الحفني - ج ٢ ص ٢٤ - مكتبة مدبولي - القاهرة ١٩٧٨م).

(٢) الذهان: من الأمراض العقلية، يجعل المصاب به معتوهاً أو مختلط العقل والمريض بالذهان لا يعرف أنه مريض، وعادة ما يكون المريض بعيداً عن الواقع مضطرب الشخصية تحت تأثير اعتقادات خاطئة مع تغير في المزاج والوجدان.
وهناك أنواع كثيرة من الذهان: (المرجع السابق ص ١٨٣ ج ٢).

(٣) الامتناع الوقائي : هي الحالة التي إذا تعرض فيها الحيوان لاستثارة شديدة فإنه يصل إلى حالة التوقف الكامل للجهاز العصبي فيصبح المخ حينئذ عاجزاً مؤقتاً عن تأدية وظائفه السائدة وهذه الحالة التي لاحظها بافلوف على كلابه ظهرت في جرحى الحرب، وكانت تتملكهم حالة من الاستسلام الهادئ أو يصابون بفقدان الذاكرة أو بعجز يقعدهم عن استعمال أطرافهم أو بنوبات من الغيبوبة.

في فرض التوترات الصناعية على المخ حتى يصل إلى مرحلة نهائية من مراحل الانهيار الانفعالي المؤقت والاستسلام المؤقت، ويبدو أنه من المحتمل أن تتبدد بعدها بعض الأنماط الشاذة الجديدة كما يحتمل عودة الأصح والأسلم منها أو غرسها في المخ من جديد»[١].

إلا أن ادعاءات بافلوف بأن في الإمكان غسل الدماغ وجعله نظيفاً خالياً من كل الانطباعات والعلاقات القديمة فيها كثير من المغالاة « فالعقل البشري هو غير العقل الحيواني، كما أن الشدائد التي سلطها على الكلاب لم تؤد بأجمعها إلى عين النتائج المتوقعة، ولعل الأكثر صحة اعتبار العلاقات والأفكار القديمة مطموسة أو ثابتة وأنها يمكن أن تعود إلى قوتها وفعاليتها في ظروف مناسبة أخرى»[٢].

وأيضاً ما زال كثير من علماء النفس الغربيين ينظرون إلى أبحاث بافلوف نظرة مقت، ويرون أن المعتقدات الثقافية تمنح الإنسان بالإضافة إلى مخه وجهازه العصبي روحاً عقلية مستقلة تساعد على التحكم في سلوكه الأخلاقي وتصبغ عليه قيمته الروحية[٣].

والخطأ الكبير الذي يقع فيه بافلوف وغيره من علماء النفس الماديين خاصة هو قياس الإنسان على الحيوان، مع العلم أن الإنسان متميز عن الحيوان بقواه العقلية التي وهبها الله إياه، والله عز وجل خاطب الإنسان بهذه القوى وطلب منه استخدامها بالوصول إلى الإيمان ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم ٢٤] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم ٢١] .

ويوم لا يستخدم الإنسان هذه القوى العقلية يهبط إلى مستوى الحيوان، قال تعالى واصفاً الكافرين ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ

---

(١) ارجع إلى « الحرب النفسية » صلاح نصر ج ٢ ص ٥٩/ ٦٠.

(٢) فخري الدباغ – غسيل الدماغ – ص ١٣٢.

(٣) صلاح نصر – الحرب النفسية ج ٢ ص ٥٨.

هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ [الفرقان ٤٤] ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (الأنفال ٢٢).

هذا بالإضافة إلى القوى الروحية التي هي أساس السلوك الأخلاقي عند الإنسان وتتحكم بهذا السلوك، لذا ليس من السهل غسل عقل الإنسان، لأنه ليس دماغاً أو جهازاً عصبياً فقط، والتأثير ممكن عن طريق الاستهواء على أناس يفقدون من القوى الروحية الإيمانية التي تثبّت الإنسان، في أوقات الشدائد، والدليل على ذلك أن التأثير الشيوعي بعد الحرب الكورية، كان فاعلاً في جنود الولايات المتحدة الأمريكية وجنود بريطانياً ، فقد انهارت نسبة كبيرة منهم، بينما لم يتراجع أي جندي تركي مسلم آنذاك[1].

وإن مؤلف كتاب « غسيل الدماغ » أرجع ثبات الأتراك المسلمين إلى التفافهم حول بعضهم مع وجود قيادة متسلسلة من بين الأسرى استطاعت إدارة وتوجيه المجموع نحو تحمل البعد والوحدة والعذاب النفسي[2].

ولا ندري ممن جاء بهذا التفسير لثبات الجنود الأتراك ولماذا لا يكون الإسلام، هو سبب الثبات، وإذا كانت القيادة هي السبب ، ألم تكن للجنود الأمريكان والإنكليز قيادة؟

(٣) طريقة غسيل الدماغ:

تتم عملية غسيل المخ على طريقتين :

أ) الطريقة العنيفة.

---

(١) فخري الدباغ – غسيل الدماغ ص ٣٢٢.

لقد اشترك الجنود الأتراك في الحرب الكورية مع الجيش الأمريكي.. وعن طريق الجنود الأتراك دخل الإسلام إلى كوريا في الخمسينات..

(٢) المصدر السابق ص ٣٢٩.

ب) الطريقة التربوية الهادئة، وهذه يمكن أن نسميها التحوير الفكري أو الإقناع الخفي.

أ- **الطريقة العنيفة**، وهي التي ركز عليها العلماء وشرحوها وبينوها لأنها ألصق بالاصطلاح، وهي الأساس الذي اعتُمد أولاً في عمليات غسيل المخ في البلاد الشيوعية، والتي هي من ابتكارهم، والمعبرة عن وحشيتهم تجاه الإنسان المكرَّم عند الله، وعندما يطَّلع المرء على أسلوبهم هذا وأسلوب تلامذتهم في البلاد الإسلامية بعد أن حكموا البلاد والعباد بالحديد والنار، سيعرف مقدار عظمة الإسلام في رفعه لشأن الفرد وعدم إكراهه على أمر﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾ [البقرة ٢٥٦] ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء ٧٠] وتشمل طريقة غسيل المخ بهذا الأسلوب نقطتين:

- الاعتراف بالكشف عن الأخطاء.
- إعادة التعليم والتثقيف، أي إعادة تشكيل الفرد في الشكل المطلوب(١).

وإيصال الفرد إلى الاعتراف بالأخطاء، والوقوف موقف العداء من أفكاره السابقة كلها، لابد من تعريض الفرد لتوترات شديدة .. وتشمل المراحل الآتية:

١- عزل الفرد اجتماعياً عزلاً كاملاً وحرمانه من أي مثيرات خاصة بالموضوعات المطلوب غسيلها (في مستشفى أو معتقل أو سجن)(٢) وبعد فترة من القلق المستمر، وبتطبيق بعض الأساليب الأخرى التي سنذكرها بعد ذلك يبدأ الاستجواب، ومن المحتمل أن يتحطم الإنسان تلقائياً وبدرجة ملموسة نتيجة القلق والتفكير الطويل فيما يعترف به ويصبح في يأس وتعاسة « وهناك وسيلة معروفة استخدمت في السجون السياسية وهي أن يوحي إلى السجين بأن بلاده لم تعد ترفع

---

(١) محمد عبد القادر حاتم – الرأي العام وتأثره بالدعاية والإعلام (ج ٢ ص ١١٠).

(٢) د. حامد عبد السلام زهران – علم النفس الاجتماعي – ص ٣٦٢.

صوتاً واحداً من أجله وأن محبيه وأصدقاءه تخلّوا عنه مما يجعله يشعر بأنه أصبح وحيداً تماماً فينقاد إلى المحاكمة المحزنة مسلوب الإرادة تحت أشد الظروف وطأة وعنفاً»(١).

٢- الضغط الجسماني: ويشمل تعريض الفرد لمؤثرات الجو، والجوع والتعب والألم، والأساليب الأخرى مثل الصدمات الكهربائية واستخدام العقاقير المخدرة والتعذيب الشديد، وهذه تضعف قدرة الفرد على التحكم في إرادته(٢). وهذه الأمور كلها الهدف منها الوصول بالفرد إلى درجة الإعياء والانهيار حتى يكون عقله قابلاً لتقبل أي توجيه من المستجوب .. ويشمل الضغط الجسماني إضعاف الفرد عن طريق تقليل ساعات نومه أو الحرمان منه، ونقص الغذاء أو الحرمان منه وحرمانه من الملابس الكافية المناسبة. واستخدام كل ما من شأنه أن يجعل الفرد في حالة اكتئاب شديد غير قادر على القيام بأي نشاط، والعمل على اضطراب التوجيه لديه بالنسبة لنفسه وذاتيته، وبالنسبة للزمان والمكان، وإشعاره أنه تحت ضبط تام، وتعريضه للمرض الجسمي والمرض العقلي وحتى الإشراف على الموت.(٣) وجعل الفرد في حالة « يكلم فيها نفسه » أو تظهر لديه أعراض مثل

---

(١) صلاح نصر – الحرب النفسية ج ٢ ص ٣٣.

(٢) حامد زهران – علم النفس الاجتماعي ص ٣٦٢.

(٣) يقول المستشار علي جريشة في كتابه – في الزنزانة – يصف ألوان التعذيب التي رآها بنفسه، ومر بها في تجربة شخصه : « هنا جحيم من صنع البشر، ألوان لا تخطر على بال، جثث معلقة من أرجلها، مسلوخة من جلدها، تماماً كالذبائح، تتصاعد منها مرخات ثم تخفف إلى آنات، ثم تخفف الأنات إلى أنفاس تتردد، حتى تلفظ الأنفاس، طبعاً السلخ يتم بطريقة مؤلمة.. هي الضرب السياط .. ثلاثة أو أربعة على واحد حتى ينسلخ جلده ويتركوه بين الحياة والموت، كلاب متوحشة تعوى وتهاجم وتقتطع أجزاء حية من الأجساد.. أسلاك الكهرباء تسري في الأجساد وتصيبها برعدة شديدة وتتركها كذلك بين الموت والحياة.. نزع الشعور واقتلاع الأظافر.. الحرمان من الطعام ومن الشراب في عز الحر.. زنزانة لها عتبة عالية تملأ بماء بارد، ويقذف فيها المعذب يومين أو ثلاثة، بلا نوم، بلا راحة، بلا جلوس... المبيت مع الكلاب.. » ص ١٥ ط ١٩٧٧.

الهلوسات والأوهام. وحسب شخصية الفرد ونمط انفعالاته ومعتقداته ونقاط قوته وضعفه، فقد يظهر البعض مضطربين وقد يتغير البعض بشكل ظاهر، وقد يقاوم البعض[(١)].

٣- التهديدات وأعمال العنف: « يتخذ هذا الأسلوب شكلين متناقضين، فإما أن يكون مباشراً كاستخدام العنف والضرب والركل حتى الموت، وربط السجين إلى أسفل بحيث لا يستطيع حراكاً ثم يوضع حجر ثقيل فوقه ويترك هكذا لمدة طويلة .. إلى غير ذلك من الوسائل غير الإنسانية[(٢)].

وإما أن يكون التهديد والعنف بشكل غير مباشر، فمثلاً قد يعامل الفرد معاملة ودية طيبة، ويتكرم المستجوِب فيعطيه لفافة تبغ، وفي أثناء الحديث يسمع هذا الفرد زميله في الغرفة المجاورة يصرخ من الألم لرفضه الإجابة عن الأسئلة الموجهة إليه نفسها، أو أن يوضع عدد من السجناء في زنزانة واحدة وعندما يعود أحد الزملاء مخضباً بدمائه كقطعة من اللحم أو تعاد ملابسه في لفافه صغيرة .. يكون هذا كافياً للآخرين كصورة من التهديد غير المباشر[(٣)].

٤- الإذلال والضغوط: تعتمد هذه الوسيلة على اتباع كل نظم السجن التي تتطلب الخضوع التام مع الإذلال في أسلوب: تناول الطعام والنوم والاغتسال وما إلى هذا طبقاً لنظم محددة، مع العلم عدم القيام إلا بإذن من الحارس، وإحناء الرأس وإبقاء الأعين موجهة إلى الأرض أثناء التحدث إلى الحارس، بالإضافة إلى السب والشتم بأقذع الألفاظ[(٤)].

---

(١) حامد زهران – علم النفس الاجتماعي ص ٣٦٣.

(٢) صلاح نصر – الحرب النفسية ج ٢ ص ٣٦.

(٣) صلاح نصر – الحرب النفسية ص ٣٦ ج ٢.

(٤) هذا الأسلوب يتبع في كل السجون السياسية، إذ أول ما يبدأ بالسجين هو إهانته وإذلاله.

٥- الدروس الجماعية: واستخدمت الدروس الجماعية اليومية في الصين حيث كانت تدرس العقيدة الجديدة بواسطة قراءات ومحاضرات تتبعها أسئلة ليثبت كل فرد هضمه للدراسات التي يتلقاها، على أن يتبع هذا بمناقشات يطلب فيها من فرد أن يوضح كيف يستنبط الأهداف من مقدمات الدراسات الشيوعية، وكيف يمكنه تطبيقها هو بالنسبة لنفسه. ويعتبر النقد المتبادل ونقد النفس جزءاً مهماً من المناقشات التي تجري بين أفراد الجماعة.

وفي هذه الجلسات يمارس موظفو السجن والزملاء في زنزانات السجن ضغطاً مستمراً على السجين لجعله يعيد تقويم ماضيه من وجهة النظر الشيوعية ليتحقق من إثمه ويعترف بجريمته[1]، ولإقناعه بأنه متهم بتهمه خطيرة لكنها غامضة ولابد أن يعترف بها ويقرر أنه مخطئ ومذنب، وتنمية الإحساس بالذنب لديه، وأن ما يلاقيه من معاملة إنما هو نتيجة لأنه مذنب وليس ظلماً واقعاً عليه. ولتشكيكه في أصدقائه وفي الجماعات والمؤسسات التي ينتمي إليها ومعاييره السلوكية السابقة حتى يتبرأ منها، وللقضاء على أي ولاء لماضيه، مع دفعه إلى الاعتراف حتى يتم شفاؤه.

٦- المعاملة اللينة[2]: ثم تبدأ مرحلة اللين والهوادة والتساهل والرفق والاعتذار عن المعاملة السابقة وإظهار الصداقة، وإتاحة الفرصة أمام الفرد ليلمس ذلك (فسجين الزنزانة يخرج إلى الشمس والهواء تحت حراسة مخففة أو دون حراسة، والمتضور جوعاً يأكل ويشرب الشاي والقهوة، وتتحول التحقيقات والاستجوابات إلى مناقشات، ويتغير إهمال شأنه إلى عناية).

---

(١) صلاح نصر – الحرب النفسية – ج ٢ ص ٣٨.

(٢) حامد زهران – علم النفس الاجتماعي – ص ٣٦٣.

ومن خلال هذا كله يحمل الفرد على مزيد من الاعتراف وهذا يعتبر إجباراً على الاعتراف، لأن الفرد قد أصبح يعرف أنه إذا اعترف فإن المعاملة ستزداد تحسناً ويمكنه أن يعيش . وتزداد محاولات « جعل الفرد يتكلم » يقول: « كل شيء وأي شيء » وتزداد الضغوط لكي يعترف .

٧- الإقناع والتعليم: ثم يُبدأ إقناعه عن طريق المقابلات الشخصية بوجهة النظر والأفكار المراد غرسها. وهذه عملية إعادة تعليم تستخدم فيها كل الأساليب الممكنة حيث يتعلم الفرد أن ينتقد نفسه ويلعن كل ما كان منه. يلي ذلك مرحلة اعتراف نهائي. ويحدث تغيير مفهوم الذات لدى الفرد ويستخدم أساليب مثل: التنويم الإيحائي[١] أو الإيحاء النفسي[٢] حيث يكون الفرد مائلاً تماماً للإيحاء.

---

(١) التنويم الإيحائي أو الاستهواء المغناطيسي وهو نوم اصطناعي يحدث بواسطة الإيحاء والسأم الناتج من تكرار منبه معين لا بواسطة مادة مخدرة، ومع أن النوم المغنطيسي هو نوم جُزئي يشبه أحياناً النوم الطبيعي في بعض مظاهره رتب أصول علم التنويم الطبيب النمساوي « مسمر » وذلك في أواخر القرن الثامن عشر ثم جاء بعده (ليبولت) و(شركو) و(برفهايم) هؤلاء حولوا مغنطيسية (مسمر) إلى علم جديد أسموه بالتنويم، وابتدأوا يطبقونه في شفاء الأمراض العصبية والنفسية والفكرية، ولا يزال هذا العلم في رُقي دائم حتى اليوم.

(ارجع إلى معجم مصطلحات علم النفس – منير وهيبه الخازن – بيروت ١٩٥٦ ص ٥٩) (مادة : التنويم أو الاستهواء المغناطيسي).

(٢) الإيحاء النفسي: هو قيادة المرء لقبول وجهة نظر معينة دون أن يسبق له فحصها فحصاً دقيقاً، والفكرة الموحي بها إليه تكون في الغالب كافية كأساس للعمل فإن المرء يقبل الفكرة ويعمل بمقتضاها دون التفكير بالمشروع.

وهو أيضاً محاولة التأثير في تفكير الشخص واتجاهاته الوجدانية وسلوكه الحركي دون استخدام أساليب الإقناع المنطقية أو أساليب الأمر والنهي، وكل إنسان قابل للإيحاء، وتزداد القابلية للإيحاء في حالات ضعف الذكاء والنقص العقلي عادة وضعف القدرة على التمييز والنقد والتكامل كما تزداد في حالات النوم الصناعي. (المرجع السابق ص ١٤١ – مادة الإيحاء ، الاستهواء ، التلقين).

ثم يتم محو الأفكار المراد محوها تماماً. وتقدم بعد ذلك الأفكار الجديدة ويحمل الفرد على تعلم معايير سلوكية جديدة وأدوار اجتماعية جديدة ومن ثم يتم تحويل الفرد إلى فرد جديد[١].

ب – **الطريقة التربوية الهادئة**: هذه الطريقة من غسيل الدماغ تتم بأسلوب هادئ، لطيف، وتلبس ثوباً جميلاً براقاً، يستهوي الألباب، ولكن غايتها نفس الغايات من الأسلوب الأول: إخلاء العقل الإنساني من كل الأفكار والمعتقدات السابقة وتهيئته لتعلم عقائد وأفكار جديدة.. ولهذه الطريقة صور مختلفة نعرض منها ما يلي:

١- الأسلوب التبشيري (أو التنصيري): أورد مثالاً يبين الأسلوب التبشيري في غسيل الدماغ.. وهنا العملية لا تحتاج إلى جهد كبير، لأنها تتعامل مع أطفال، قلوبهم صفحة بيضاء أو كما يقول الغزالي رحمه الله « جوهرة خالصة قابلة لكل نقش» فهم مهيأون لتلقي أي أفكار، أو عقائد .. من قبل المبشرين، والتوتر النفسي الذي يوضع فيه الإنسان لغسل دماغه.. يستبدل بتوتر اجتماعي نفسي يوضع فيه أهالي الأطفال، مما يجعلهم لقمة سائغة للاستجابة إلى ما يطلب منهم بكل راحة وهدوء..

يقول الدكتور محمد الهواري[٢] : في أوائل عام ١٩٦١م كنت أودع أحد الأخوة في محطة القطار بمدينة بروكسل في بلجيكا، وبينما نحن في انتظار موعد القطار إذا بنا نشاهد على الرصيف المقابل قطاراً احتشد فيه عدد كبير من الأطفال، وعلى الرصيف جمع وفير من الأشخاص يُوَدعونهم وبينهم عدد لا بأس به من الرهبان

---

(١) على النفس الاجتماعي – زهران – ص ٣٦٣ – ٣٦٤.

(٢) في محاضرة ألقاها في: اللقاء الثالث لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي، المنعقد في الرياض بتاريخ ٢٣ شوال ١٣٩٦/ ١٦ أكتوبر ١٩٧٦ طبعت المحاضرات في مجلد بعنوان : الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

والراهبات . لقد لفت نظرنا هذا المشهد العجيب وأردنا استطلاع الأمر، فذهبنا إلى الرصيف، وتبين لنا هناك أن الأطفال هم أبناء عائلات إسلامية تعمل في شمال فرنسا في عدد من المعامل والمناجم ضمن شروط معيشة سيئة ووضيعة، ويعاني أبناؤها نقصاً كبيراً في التغذية والرعاية الصحية، وتنبهت لهذا الأمر جمعيات تنصيرية تعمل في فرنسا وبلجيكا، فأرسلت أفراداً منها للاتصال بهذه العائلات وإقناعها بضرورة إرسال أولادها إلى بيوتات نصرانية تستقبلهم وتعتني بتغذيتهم وتقدم لهم الرعاية والعناية، وكل وسائل التسلية والترفيه خلال فترة الصيف إلى ما هنالك من الأمور التي تترك أكبر الأثر في نفوسهم. وكان الأمر كذلك.

لقد شاهدت بعيني هؤلاء الأطفال في أحسن حلة في اللباس وأجمل منظر من الطلعة وفي أيدهم الهدايا والحلوى ولذائد الطعام، واغرورقت الدموع في عيون كثير منهم أسفاً على الفراق، فقد كانت الإقامة مؤثرة في حياتهم وفعلت فيهم فعلتها ووصلت إلى غايتها المنشودة، حتى إن هذا المنظر (الإنساني الأليم) أثر في نفوس بعض المودعين فلوحوا بأيديهم وأعينهم تفيض من الدمع.

لم تكن هذه الحادثة الوحيدة من نوعها، فقد صادفنا مثيلات لها يوم أن هاجر عدد كبير من العائلات الألبانية المسلمة، هرباً بدينهم من الشيوعية إلى ديار الغرب، فتلقفتهم في بلجيكا الجمعيات التبشيرية لتأمين سكنهم ومعاشهم وتدبير شؤونهم والعناية بأطفالهم.

وكذلك يوم حلت الهزة الأرضية بمدينة أغادير في المغرب، جيء بعدد من الأطفال اليتامى المسلمين إلى أوروبا وأقاموا أياماً طوالاً بين العائلات النصرانية باسم الإنسانية، وتحت الإشراف المباشر للجمعيات التبشيرية النصرانية. واتبعت المدارس التبشيرية من روضة الأطفال وحتى الجامعة هذا الأسلوب من غسيل الدماغ لسلخ الإنسان المسلم من عقيدته أولاً ثم توجيهه نحو الغرب، وحب الغرب وتاريخ الغرب، وعلم الغرب... حتى ولدت عنده عقدة « الخواجا » المعروفة في بلادنا الإسلامية.

٢- الأسلوب الإعلامي: يقوم الإعلام المعادي في الغرب والشرق، وإعلام تلاميذه بهذه المهمة أيضاً من عملية غسيل الدماغ للفرد المسلم ولتحقيق هدفه يسير الإعلام المعادي في خطين متوازيين:

- التعتيم تعتيماً رهيباً على ما يضر مصالحه وينفع غيره.

- إلقاء الأضواء على ما يخدم مصالحه فقط.. مع التلميع الشديد لأهوائه ومآربه البعيدة.

وبهذا الأسلوب .. تم التعتيم على كل خير وصلاح في الدعوة الإسلامية ودورها في المجتمع، ومعارضتها الشديدة للشر أينما كان.

وبالمقابل تقوم وسائل الإعلام كلها من إذاعة ورائي وصحيفة وكتاب وسينما و(فيديو) .. تقوم بإلقاء الأضواء يومياً ، وبشكل دائم ، على تغريب المجتمع المسلم وسلخه من عقيدته بالميوعة والتحلل، والالتصاق بالدنيا وحب المادة والتكالب على المال، وعبادة الدرهم والدنيا والمرأة، ويكفي المرء نظرة واحدة على وسائل إعلام الكثير من الدول الإسلامية، والتي هي ظل لوسائل الإعلام الأخرى الشرقية والغربية ليرى بنفسه برهان ذلك.

٣- الأسلوب التربوي التعليمي: وتقوم بهذا الدور الجامعات الغربية والشيوعية في بلادها، فهي تغسل دماغ طلابها – إلا من رحم الله – من كل عقيدة سابقة ومن كل سلوك أخلاقي، وكل فكر صادق، لتجعله إنساناً آخر، بعيداً كل البعد من أخلاقه ومبادئه ودينه.

« إن صفوة الأذكياء وخيرة الشباب من أبناء المسلمين يدرسون الثقافة العصرية في أوروبا وأمريكا – خاصة – ويخوضون خلال ذلك في لجة الحضارة الغربية ويعيشون الانطلاق الأخلاقي والتحلل السلوكي والنظرة المادية المسرفة والاتجاهات الإلحادية والسياسية من قومية واشتراكية وليبرالية فيرجع معظمهم دعاة متحمسين إلى تقليد الحضارة الغربية ونشر قيمها ومفاهيمها وتصوراتها.

بل رجع كثير منهم متشبعين بروح الغرب، يتنفسون برئة الغرب ويفكرون بعقل الغرب ويرددون في بلادهم صدى أساتذتهم المستشرقين وينشرون أفكارهم ونظرياتهم بإيمان عميق وحماسة زائدة ولباقة وبلاغة وبيان، ومن هنا يكون خطر هؤلاء أعظم من خطر أساتذتهم».

« والخطورة البالغة تكمن في أن يتسلم هؤلاء المبتعثون بعد عودتهم مسؤوليات التوجيه والتربية والإعلام.. إنهم عندئذ يسلخون أمتهم عن دينها، ويقومون بعملية مسخ لواقعها وقيمها ومثلها »(١).

والأمثلة على ذلك كثيرة .. فهذا طه حسين عندما رجع إلى مصر بعد أن غسل دماغه من كل قيمة إسلامية تلقاها قبل ذهابه إلى فرنسا لإتمام دراسته العالية . نادى في كتابه « مستقبل الثقافة في مصر » بالأمور الآتية:

١- الدعوة إلى اتباع مصر للحضارة الغربية خيرها وشرها وقطع ما يربطها بقديمها وإسلامها.

٢- إقامة شؤون الحكم على أساس مدني لا دخل فيه للدين.

٣- إخضاع اللغة العربية لسنة التطور .

هذا نموذج فقط لعملية غسيل المخ في الجامعات الغربية.. ولا حاجة للإطالة في هذا الموضوع فقد قُتل بحثاً من قبل رجال الفكر الإسلامي(٢).

---

(١) الدكتور محمد بن لطفي الصباغ – الابتعاث ومخاطره – مجلة – أضواء الشريعة – وهي مجلة تصدرها كلية الشريعة في الرياض – العدد الثامن – جمادى الآخرة ١٣٩٧ هـ ص ٥٢٨.

(٢) ارجع إلى :
أ- المرجع السابق.
ب- أعلام من الشرق والغرب – لمحمد عبد الغني حسن – ص ٨.
جـ- الإسلام والحضارة الغربية – محمد محمد حسين.
د- أباطيل وأسمار – محمود محمد شاكر.
هـ – الاتجاهات الوطنية – محمد محمد حسين ج ٢ / ٢١٤.

ومما لا شك فيه أن عملية غسيل الدماغ هذه لم تؤثر في كثير من الشباب المسلم المتمسك بعقيدته ودينه، بل استطاع هذا الشباب أن يؤسس المراكز الإسلامية في أوروبا وأمريكا.. واستطاعوا أن يقوموا بدور التيئيس للغرب، وذلك بإقناعه بأن قلعة الإسلام صامدة، وأنه غزاه بعقر داره، بالإضافة إلى دوره في حفظ شباب الإسلام في الغرب من الأفكار الهدامة والتحلل الخلقي وغير ذلك من المغريات.

(٤) مقاومة غسيل الدماغ والوقاية منه: كتب كثير من الباحثين عن الوسائل المختلفة لمقاومة غسيل الدماغ بنوعيه العنيف واللّين ، وإن كنا نرى أنها وسائل فرعية أثبتت عدم جدواها في عالم الواقع وباعتراف الباحثين أنفسهم .. أما الأصل فلم يتطرق إليه الباحثون إلا القليل، ولم يعطوه اهتمامهم مع العلم أنه وسيلة مهمة لمقاومة غسيل الدماغ والوقاية منه في أي طرف من الظروف..

هذا الأصل في مقاومة غسيل الدماغ هو : العقيدة الصلبة والثبات على الحق.. وقد أثبتت الوقائع ذلك قديماً وحديثاً .. فالمؤمنون الصادقون هم الثابتون عند الفتنة ولو تعرضوا للقتل والتعذيب والتحريق من قبل الكافرين .. ونرى معاً بعض النماذج للعقيدة الصلبة وهي تمشي على الأرض:

أ- أصحاب الأخدود ، ذكرهم القرآن الكريم ، مثالاً للصلابة والثبات على الحق ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ ﴾ [البروج ١-٦] ويقص الرسول ﷺ قصة أصحاب الأخدود .. ضارباً المثل لأصحابه في صبر المؤمنين، نقتطع هذا المقطع من آخر القصة التي رواها مسلم في صحيحه: «فأمر بالأخدود (أي الملك الكافر) بأفواه السكك فخدّث وأضرم فيها النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها أو قيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبيّ لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام (يا أمه اصبري فإنك على الحق)»[1].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٨ ص ١٢٠ ورواه البخاري (فتح الباري ج ٦ ص ١٢٨).

ب- ونموذج آخر يذكره الرسول ﷺ للمؤمنين الثابتين على الحق: « عن أبي عبد الله خبّاب بن الأرت رضي الله عنه قال: شَكَوْنا إلى رسول الله ﷺ وهو مُتوسِّد بُردةً له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا؟ فقال: قد كان من قبلكم يُؤخذ الرجلُ فَيُحفر لَهُ في الأرض فَيُجعل فيها، ثم يُؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فَيُجعل نِصفين، ويُمشِط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يَصُدُّه ذلك عن دينه، والله لَيُتمَنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»[(١)].

ولقد ضرب الرسول ﷺ وأصحابه مثالاً عظيماً للصبر على الأذى في سبيل الله، رغم ما لاقوه من أساليب الإغراء والتخويف والعذاب حتى الموت، ويصور لنا القرآن الكريم صلابة المؤمنين وثباتهم على الحق في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ [آل عمران ١٧٣-١٧٤] وقال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأحزاب ٢٣] .

وهناك نقاط أخرى لازمة لمقاومة غسيل الدماغ بالإضافة إلى ما تقدم، وهي:

١- التماسك الذهني الأصيل ، والانعزال العقلي عن كل المؤثرات الجسمية الواقعة عليه.. وهنا يظهر الإيمان كدرع واق من التحوير الفكري.

٢- عدم الانخداع بالدعاية الخادعة.. لأن المؤمن لابد له من أن يتثبت من أي خبر يسمعه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [الحجرات ٦] .

---

(١) رواه البخاري (فتح الباري ٧/ ١٦٤) في فضائل أصحاب النبي ﷺ، وفي الأنبياء، وفي الإكراه - وأبو داود رقم ٢٦٤٩ في الجهاد والنسائي ٨/ ٢٠٤ في الزينة.

٣- عدم التعاون مع القوى التي تريد غسل دماغه، وتقهره وتقتاده إلى مآربها، لأن المؤمن يحتفظ بكيانه وتفكيره الأصيل ، لذلك فإن عدم الاهتمام واللامبالاة وعدم الإصغاء الجِدِّي للعدو خير سلاح ضد غسيل الدماغ.

٤- شَغْل النفس بأمور أخرى حتى لا يقع تحت تأثير الإيحاء .. مثل قراءة القرآن وقراءة الأدعية المأثورة ، وتخيل صور مختلفة للمجاهدين والشهداء في سبيل الله، وكذلك بذكر الله « ألا بذكر الله تطمئن القلوب ».

٥- اختلاق الجو المريح : الجو المريح درع واق أمام الهجوم الفكري الرامي إلى تفكيك الوحدة الفكرية والانسجام الداخلي للفرد. وعنصر الإيمان يعزل المرء عن المؤثرات والمثبطات والتهديدات الخارجية.

٦- الاستعلاء على القوى المعادية: قال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران ١٣٩] فالمؤمن يشعر أنه هو الأعلى دائماً في قيمه وتصوراته وعقيدته.. وأن هؤلاء الأعداء ما هم إلا عبدة الأوثان والهوى والشيطان .. فكيف يخضع لهم؟ وكيف يستجيب لما يريدون؟

هذا الشعور يرفع من الروح المعنوية للمرء ويجعله يتفادى الاستسلام ومحاولات غسل الدماغ.

٧- القيادة الجيدة التي تقود الجماعات، وتسوسهم ، وترعاهم بشكل دائم، هي التي تبعث الاطمئنان للأفراد في أوقات الأزمات والمحن، والمعارك، وهي التي تعزز مقاومة التحوير الفكري للأفراد وتطرد عنهم أي تخاذل أو نكوص.

٨- اكتساب الراحة الجسمية: من وسائل تحوير الأفكار وغسل الدماغ التجويع والإرهاق واضطراب النوم وتقليل التدفئة واستبعاد كل راحة.. والفرد المعرض لغسيل دماغه وتحوير فكره يستطيع أن يهتبل الراحة الجسمية إذا عرف كيف؟ ومتى؟ ولو فترات قصيرة وعليه الابتعاد عن الهموم والقنوط لأنها لوحدها تفقد

الإنسان من وزنه وتضعفه وكذلك الابتعاد عن الانفعال لأنه يرهق الجسم بالإضافة إلى النفس[١].

هذه بعض الوسائل للوقاية ولمقاومة غسل الدماغ .. الذي هو منهج من مناهج الجاهلية المعاصرة، وسلاح من أسلحتها في الحرب النفسية، والتي تشنها على من يخالفها في فكرها وعقيدتها.. ونعود للسؤال من جديد.. هل نجحت هذه المناهج في حمل الآخرين على اعتناق مذاهبهم الباطلة.. المخالفة للفطرة والمعادية للإنسانية؟

نقول: قد تكون قد نجحت بشكل جزئي ، ولكنها لابد أن تفشل وتنتصر القيم الخيّرة التي تسعى لخير الإنسان والبشرية جمعاء...﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [الرعد ١٧] .

---

(١) د. فخري الدباغ – غسيل الدماغ ص ٣٣١.

المبحث الثاني

نماذج من الدعايات المعادية

نتناول الآن ثلاثة نماذج من الدعايات المعادية للإسلام والمجتمع الإسلامي، وهي:

أولاً: الدعاية اليهودية الصهيونية.

ثانياً: الدعاية الشيوعية الملحدة.

ثالثاً: الدعاية الغربية الصليبية.

ونظراً لخطر هذه الدعايات الثلاث اقتصرنا عليها، وسنبسط فيها البحث، حتى يطلع المسلم على مكامن الخطر فيحذره، ويعرف مصدر الشر فلا يقع فيه.

والحق أن الدعايات الثلاث هذه تمثل الثالوث المعادي للإسلام وتقف بتحالف شرس على الرغم من تباين أهدافها ضد الإسلام والمسلمين، وتعتبره عدوها الأكبر، الذي يجب أن تقضي عليه، حتى تحقق أهدافها في التغرير بالمسلمين أولاً وابتلاع دار الإسلام ثانياً.

تُرى هل وعى المسلمون هذه الدعايات حق الوعى، واتخذوا التدابير الكافية للوقاية من شرورها؟ هذا السؤال جوابه عند المسلمين ، الواعين منهم بشكل خاص، الذين يدركون جيداً مدى خطر هذا الثالوث. في هجمته الشرسة على الإسلام والمسلمين ، ومما زاد البلاء بلاءً « والحَشفُ سوءَ كيلة » أن وسائل الإعلام في أكثر البلاد الإسلامية ذاتها تُستخدم ضد عقيدة أمتها وبلادها، وكيف لا ومازالت وسائل الإعلام في أكثر العربية والإسلامية عبيدة للإعلام الغربي خاصة ولوكالات أنبائه، تنقل عنهم حرفياً الأخبار وتفسيرات الأخبار من وجهة نظرهم المنطلقة من مصالحهم الخاصة.

أولاً: الدعاية اليهودية الصهيونية:

(١) **مراحل الدعاية اليهودية:** لا نريد في هذا البحث أن نذهب بعيداً في تحليل الدعاية اليهودية وتقويمها، أو تبيان تاريخها القديم مع الإسلام خاصة، وإنما همنا الأول أن نشير إشارات سريعة إلى الدعاية اليهودية ومراحلها التي مرت بها بعد الثورة الفرنسية عام ١٧٨٧م وحتى الوقت الحاضر، وكيف أنها كانت تسير في خطة دقيقة، لكل مرحلة من المراحل .. فضلاً عن بناء هذه الدعاية على أسس مدروسة، مستندة على نظريات علم النفس الاجتماعي وتطبيقاته العملية في الأفراد والمجتمعات..

في الوقت الذي كان فيه المسلمون يغطون في نوم عميق، لم يستيقظوا فيه إلا بإعلان « الدولة اليهودية » المزعومة في فلسطين واعتراف الدول بها وعلى رأس هذه الدول روسيا وأمريكا..

وإن في إطلاع المسلم اليوم على ماهيَّة الدعاية اليهودية وتخطيطها والمرتكزات التي تستند عليها والمذاهب التي تسخرها لخدمتها.. يزيد في وعيه لحاضره ومستقبله ليدرأ عن نفسه الخطر، ويعد للأمر عدته لتحرير أرضه ومقدساته، وردع اليهودية العالمية التي تعيش في ظل الدول الكبرى.

وقد مرت الدعاية اليهودية في خمس مراحل نوضحها فيما يلي:

المرحلة الأولى: هذه المرحلة أطلق عليها مرحلة « الدفاع اليهودي » وتبدأ إجمالاً منذ الثورة الفرنسية ١٧٨٧م وتنتهي في نهاية القرن التاسع عشر، وكانت مرحلة أعدت لتكون الأرضية المهيأة للدعوة الصهيونية على أنها حركة سياسية قامت على أساس استخدام الأدب، وإعادة كتابة التاريخ ليكونا وسيلة من وسائل الدفاع عن الطابع اليهودي، وذلك لإحياء الشعور بأن اليهودي لا يختلف عن غيره، وأن عليه أن ينظر إلى الآخرين نظرة المساواة لا نظرة التبعية، ونعرف قيمة هذه المرحلة إذا

عرفنا وضع اليهودي في المجتمعات التي كان يعيش فيها، وأنه كان منبوذاً، يشعر بالذل والضعف والاحتقار من قبل الآخرين[١].

المرحلة الثانية: وتبدأ بالقرن العشرين وحتى بداية الحرب العالمية الثانية، وفيها يضع « هرتزل »[٢] كتابه عن الدولة اليهودية، وفيها تصبح الدعاية الوجه الآخر للحركة السياسية، إذ تتجه إلى الرأي العام الدولي، وعلى وجه التحديد ذلك الرأي العام الذي يستطيع أن يؤثر في القوى المتحكمة في السياسة الدولية بقصد اكتساب تلك الشرعية التي هي في أشد الحاجة إليها، مع القيام بعملية تخدير وتعتيم كاملة لحقيقة أهداف الحركة الصهيونية[٣].

وفي هذه المرحلة تبلور الفكر اليهودي بإيجاد الحركة الصهيونية، وهي الحركة السياسية التي تزعمها « هرتزل » ووقفت نفسها على إيجاد وطن لليهود، يجتمعون فيه، وإن كانت الأفكار الصهيونية، والمؤسسة للمنظمة الصهيونية العالمية، وجدت قبل نهاية القرن التاسع عشر عند كل من الحاخام « يهودا القالعي »[٤] والحاخام « زفي هيرش كاليشر »[٥].

---

(١) الحرب النفسية في المنطقة العربية – الدكتور حامد ربيع – ص ٦٠.

(٢) تيودور هرتزل (١٨٦٠ – ١٩٠٤م) أول رئيس للمنظمة الصهيونية .

(٣) ارجع إلى الحرب النفسية في المنطقة العربية – حامد ربيع ص ٦١.

(٤) الحاخام يهودا القالعي (١٧٩٨ – ١٨٧٨م) ولد في سيراجيفو عاصمة إقليم الصرب اليوغسلافي، أصبح حاخاما تشبها بوالده ونشر في ١٨٣٤م كتاب تحت عنوان « اسمع يا إسرائيل » عبر فيه عن ضرورة القيام بمجهودات ذاتية للخلاص الذاتي ودعا فيه إلى الهجرة الجماعية واتحاد اليهود واختيار قادتهم وإلى تكوين ما أسماه (بالجسم اليهودي العالمي) وهو ما تمخض بعد ذلك عن المنظمة الصهيونية.

(٥) الحاخام زفي هيرش كاليشر : بولندي . ظل يعمل حاخاما لمدة ٤٠ سنة ويعد من أوائل الدعاة الصهيونيين (١٧٩٥ – ١٨٧٤م) ولم تخرج دعوة كاليشر عن عملية إضفاء الشرعية الدينية =

وكانت دعوة القالعي واضحة، إلى الدولة اليهودية، والعودة إلى الأرض المقدسة فكما يقول في رسالته المعنونة باسم « الخلاص الثالث » ١٨٤٣م ونصه: « مكتوب في التوراة : (ارجع يا رب إلى ربوات ألوف إسرائيل) وقد علق الحاخامون على هذا القول في التلمود بما يلي: إنها برهان على أن الحضور الإلهي يتم في وجود اثنين وعشرين ألفاً من اليهود معاً . ثم يستطرد الحاخامون ومع هذا نصلي كل يوم: دع عيوننا تشاهد عودتك برحمة إلى صهيون (وتقال ثلاث مرات يومياً في الصلاة الصامتة) ثم يسأل القالعي : على من سيقع الحضور الإلهي ؟ على الأرض والحجارة؟ إذاً كخطوة أولى لخلاص نفوسنا يجب أن نعمل على إعادة اثنين وعشرين ألفاً إلى الأرض المقدسة. وحرّم القالعي اسم إسرائيل على اليهود إلا في الأرض المقدسة فيقول : (نحن شعب يليق بنا أن ندعي إسرائيل في أرض إسرائيل فقط)[1].

لذلك يحق لكثير من الباحثين أن يعزوا إليه وإلى معاصريه إبراز الفكرة الصهيونية السياسية والرواية التفسيرية لها، في ضرورة الاعتماد على الجهود الذاتية لليهود، وفي هذه المرحلة وجدت الصهيونية في اللاسامية مجالاً خصباً لكي تؤدي دورها في مجالين مختلفين في مدلولها:

أ–المجال اليهودي:

١– حاولت أن تؤكد على انفصال اليهود عن بقية الشعوب التي يعيشون بين ظهرانيها، وحاولت دائماً – مستغلة في ذلك الخلفية الدينية والتاريخية – تأكيد نزعة الخوف وعدم الثقة في نفوس اليهود، حتى إن كثيراً من المؤرخين يذهبون إلى القول

= على الحركة الصهيونية . (ارجع إلى الصهيونية وسياسة العنف – محمود سعيد عبد الظاهر – القاهرة ١٩٧٩ص ٢٠ – ٢١).

(١) الصهيونية وسياسة العنف – ص ٢١.

أن القادة الصهيونيين تورطوا مع مدبري الحوادث التي تعرض لها اليهود في عام ١٨٨١م وحوادث كيشينيف عام ١٩٠٣م(١) وأنهم أدوا دوراً كبيراً في تأجيج أوار الدعوة الاضطهادية المظللة إلى حد تعاونهم الكامل مع مدبري الحوادث التي راح ضحيتها العديد من أبناء دينهم(٢).

٢- عملت على إيقاظ الإحساسين النفسيين: مركب العظمة بسبب الشعور بالانتماء إلى الشعب المختار. ومركب النقص الناجم عن النظرة العامة لليهود، لتعمل على تدعيم الجو الانطوائي لليهود.

٣- زيفت التاريخ وأوردت الحكايات والأساطير وأخذت تؤكد على تميّز الجنس اليهودي، وجعلوا من طبيعة انتماء الأفراد إلى دينهم طبيعة جنسية، وأصبغوا على اليهود في كل زمان ومكان صبغة الأمة(٣).

---

(١) حوادث ١٨٨١م: قامت موجة من الإرهاب عمت روسيا بعد اغتيال القيصر الروسي الكسندر الثاني والذي حكم روسيا من ١٨٨١ – ١٨٩٥م وكان ممن اغتالوه ثلاثة من اليهود، فقامت ضد اليهود المذابح والاضطهادات المختلفة.

أما « كيشينيف » فمدينة روسية وصلت نسبة اليهود فيها عام ١٨٦٧م إلى أكثر من خمس سكانها، وفي عام ١٩٠٣م قامت مظاهرات وقلاقل ضد اليهود قتل فيها سبعة وأربعين وجرح اثنين وتسعين ولم تتدخل الشرطة القيصرية إلى جانب اليهود (المرجع السابق ص ٢٣ و ٢٤).

(٢) واليوم تعود الصهيونية وتقوم بالدور السابق نفسه. فقد ثبت أنها وراء ما يدعي بالنازية الحديثة/ وأن هناك بنكاً يهودياً يمول عمليات النازية الحديثة، وأنها وراء كل الحوادث ضد اليهود ومؤسساتهم في أوروبا. فالقنبلة التي انفجرت أمام الكنيس اليهودي في باريس خلال تشرين أول ١٩٨٠م ثبت أنها من صنع شخص يهودي: ارجع إلى مجلة الحوادث ١٣ شباط ١٩٨١ العدد ١٢٦٢ مقال بعنوان : الصهيونية تعيد « ليلة النجمة » النازية في ألمانيا .

(٣) المرجع السابق ص (من ٢٣ وحتى ٢٦).

ب – المجال العالمي:

١- قامت الصهيونية بتأكيد الذات الصهيونية التي استمدت خصائصها من اليهودية، وحاولت حصر اليهود في النطاق الصهيوني، وربطت مصالح اليهود بمصالحها وأخذت تنوب عنهم عند حكوماتهم.

٢- قام « هرتزل » المنظم الأول للصهيونية الحديثة يتكلم باسم يهود العالم كله خلال محادثاته مع حكوماته الدول الأخرى[1].

٣- أعادت الصهيونية كتابة التاريخ اليهودي وصياغته بشكل يتوافق مع المدلولات التي ترتكز عليها، وأوضحت في كثير من كتاباتها أن المساندة في إنشاء دولة لليهود وما يلي ذلك هو مرحلة البعث القومي لليهود أو كما سماها القالعي « الخلاص الثالث » وأن اليهود عندما يغتصبون فلسطين فإنهم يعودون إلى أرض الأجداد، حتى إنهم أطلقوا على حرب ١٩٤٨م تسمية حرب الاستقلال.

---

(١) كما فعل مع « فون باكسيلاف » وزير الداخلية القيصري وذلك للسماح بالهجرة اليهودية في مطلع القرن العشرين. وكما فعل مع السلطان عبد الحميد الثاني في عام ١٨٩٨م الذي قابله – بتوسط من السفارة الألمانية – وطلب منه السماح بالهجرة اليهودية إلى فلسطين وقدم له «هدية» تقدر بخمسة ملايين ليرة ذهبية .. وبعد أن استمع السلطان إلى هذا العرض بكل هدوء أمر مرافقه أن يطردهم من القصر وأصدر على الفور أمراً بمنع هجرة اليهود إلى فلسطين (ارجع إلى « أسرار الانقلاب العثماني » مصطفى طوران ترجمة كمال خوجه ص ١٦، ١٧ – ط بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م).

وهكذا يكون السلطان عبد الحميد هو السد الأخير ضد تسرب اليهود إلى فلسطين؛ يسجل له موافقه « هرتزل » في يومياته؛ أجوبته له على عروضه المالية: « إني لست مستعداً أن أتخلى عن شبر واحد من هذه البلاد لتذهب إلى الغير فالبلاد ليست ملكي بل هي ملك شعبي، وشعبي روّى تربتها بدمائه، فليحتفظ اليهود بملايينهم من الذهب « أيضاً »، إن عمل المبضع في بدني لأهون علي من أن أرى فلسطين قد بترت من إمبراطوريتي» (ارجع إلى « في قضية فلسطين – الحق والباطل » نبيل شبيب ص ٣٢ – ط المركز الإسلامي في آخن – ألمانيا الاتحادية ١٣٩٨/ ١٩٧٨م.

ودعوى أن اليهود يعودون إلى أرض الأجداد دعوى هزيلة تتعارض مع التاريخ نفسه، إذ يذهب كثير من العلماء المختصين بتاريخ الشعوب إلى الاعتقاد بأن يهود اليوم ليسوا أصلاً من أحفاد بني إسرائيل الذين بعث إليهم موسى عليه السلام، وليسوا من سلالة إبراهيم عليه السلام[1].

وفي هذه المرحلة تمركزت الصهيونية في « جنيف »، وأنشأت فيها (أي في هذه المرحلة) « لجنة الإعلام العام » عام ١٩٢٩م في أمريكا، حيث استطاعت هذه اللجنة أن تدفع بإرسال نصف مليون برقية إلى البيت الأبيض، وأن تحقق تجمعاً ضم ربع مليون يهودي يصيح بالأغنية اليهودية التقليدية : « إذا نسيتك أنت يا بيت المقدس فلتصب ذراعي اليمنى بالشلل»[2].

المرحلة الثالثة: وتمتد هذه المرحلة من بداية الحرب العالمية الثانية وحتى الاعتراف الدولي الصريح بشرعية الوجود اليهودي، وبإنشاء ما يسمى بدولة « إسرائيل » وهذه المرحلة من أهم المراحل في تاريخ الحركة الصهيونية ، لأن الحركة السياسية انتقلت إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث جعلت هدفها إيجاد تيار قوي من الرأي العام الأمريكي يقوده مجلس الطوارئ الصهيوني من خلال مسالك معينة؛ بحيث تتبنى السياسة الأمريكية مهمة الدفاع عن شرعية إقامة دولة يهودية، وفي هذه المرحلة تتصف الدعاية اليهودية بأنها داخلية، وتنبع من مواقف داخلية بقصد

---

(١) لزيادة الإطلاع على التاريخ اليهودي يرجع إلى ما يلي:
١- « الصهيونية وسياسة العنف » ص ٢٥/٢٦.
٢- « في قضية فلسطين – الحق والباطل .. (مرجع سابق)، ومن الذين دللوا على أن يهود اليوم ليسوا من بني إسرائيل – على سبيل المثال لا الحصر – اليهودي « فريد ريك هرتس» في كتابه (الجنس والحضارة). و« ريبلي » في كتابه (أجناس أوروبا) و«أوجين بتار» في كتابه (الأجناس والتاريخ) وغيرهم.

(٢) الحرب النفسية في المنطقة العربية – حامد ربيع – (ص ٦١ – ٦٢).

التحكم في القوى السياسية الأمريكية. وهنا نلاحظ مدى عمق التخطيط الدعائي الصهيوني، فلو أن الحركة الصهيونية جعلت منطلقها الدعائي لندن أو جنيف لما كانت استطاعت أن تغزو الرأي العام الأمريكي، السبب في ذلك يعود أساساً إلى ذلك المتغير والذي كثيراً ما يخفى على المسؤولين في الإعلام العربي، وهو أن الدعاية الداخلية تختلف اختلافاً جذرياً عن الدعاية الخارجية، فانتقال الحركة الصهيونية إلى الولايات المتحدة الأمريكية سمح لها أن تجعل منطلقها الاتصالي هو نظرية الدعاية الداخلية على عكس ما كان يمكن أن يحدث لو قدر لها أن تتمركز في جينيف أو لندن، إذ إن دعايتها في تلك اللحظة تصير دعاية خارجية، والواقع أن الحركة الصهيونية منذ بدايتها فهمت هذه الحقيقة، وهي لذلك عندما أرادت أن تقوم بدعاية في تركيا ومنذ بداية القرن الحالي أرسلت اثنين من قادتها ومفكريها وهم أولاً « جاكوبسن » يساعده الزعيم المشهور « جابوتنسكي »[١] للإشراف على أجهزة الدعاية الصهيونية ابتداء من (اسطنبول) واستناداً إلى الأقلية اليهودية الضخمة التي كانت ولا تزال منتشرة في تلك المنطقة[٢].

---

(١) جابوتنسكي: روسي الأصل من مدينة أوديسا على البحر الأسود – ولد عام ١٨٨٠م وتوفي عام ١٩٤٠م. وهو من رواد الصهيونية الأوائل، ونادى بالعنف وبالقتال المسلح حتى تكون لليهود دولة في فلسطين .. ومن تلاميذه في سياسته « مناحيم بيجين » (ارجع إلى « الصهيونية وسياسة العنف » زئيف جابوتنسكي وتلاميذه في السياسة الإسرائيلية – إذ إن الكتاب يدور حوله).

(٢) اقنع « فيكتور جاكوبسن» وهو مندوب المنظمة الصهيونية في العاصمة التركية « دافيد ولفسهون» زعيم المنظمة بتركيا، وفعلاً وصل جابوتنسكي إلى اسطنبول عام ١٩٠٩ وتشكلت اللجنة الصحفية في تركية من كل من (جاكوبسن وهو تشبرغ وجابوتنسكي) وأصبح الأخير مشرفاً على الوكالة الصحفية الصهيونية التي تصدر في الأستانة والتي تضم الصحف الآتية:

١- صحيفة « الشباب التركي » وتصدر باللغة الفرنسية.
٢- « الفجر » مجلة أسبوعية وتصدر بالفرنسية أيضاً.
٣- مجلة أسبوعية باللادنيو (اللغة اليهودية الأسبانية).

=

وفي أمريكا تحددت أهداف العمل الدعائي بالنسبة للصهيونية السياسية في أربعة أبعاد:

أ- اكتساب الرأي العام المحلي الأمريكي بحيث يصير قوة مساندة للحركة الصهيونية في النطاق الدولي.

ب- القضاء على أي فرقة داخلية من حيث التعبيرات الدعائية، أن خلافات الأسرة لا يجوز أن تخرج من نطاق منزل العائلة أمام المجتمع الخارجي بحيث تظهر الحركة الصهيونية قوة واحدة متماسكة لا تنفصم.

جـ- الحركة الدعائية وقد أضحت مركزية، مركزة ومتناسقة فمن الطبيعي أن يسهل عليها أن تصير عدوانية مهاجمة استفزازية ولا تكتفي باتخاذ موقف الدفاع عن القضية.

د- وذلك إلى جانب خلق درجة معينة من درجات التضامن مع المجتمع اليهودي الأمريكي والحركة الصهيونية أساسها لا فقط الإيمان بتلك الدعوة بل والتعصب في الدفاع عن المبادئ التي تتضمنها العقيدة الجديدة[1].

= ٤- مجلة أسبوعية باللغة العبرية وتدعى (المبشر) وكتب فيها جابوتنسكي العديد من المقالات.

(ارجع إلى الصهيونية وسياسة العنف ص ٥٤).

وظل في هذا المنصب لمدة عامين. في خلال هذه الفترة أحدث تغييراً كاملاً في أسلوب التعامل مع القوى اليهودية التركية، كانت الدعاية الصهيونية تقوم على تضليل رجال « تركيا الفتاة » في محاولة إقناعهم بأن الصهيونية لا تسعى إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين بل إلى مجرد السماح لهجرة اليهود بحرية « على العكس من ذلك بدأ جابوتنسكي تعاملاً أساسه الدعوة في مفهومها الحقيقي: ليس الكذب وإنما الصدق، ليس محاولة الحصول على التأييد وإنما السعي نحو خلق الأنصار، وأعد خطة بعد ذلك بقصد تنفيذ حركة ثقافية تربط اليهودي بتقاليده الحضارية» (ارجع إلى الحرب النفسية في المنطقة العربية – حامد ربيع ص ١٠٤).

(١) الحرب النفسية في المنطقة العربية ص ٦٦.

والذي يعنينا في هذه المرحلة البحث عن أسباب النجاح الذي حققته الدعاية الصهيونية خلال الفترة السابقة على الاعتراف الدولي.

أيعود النجاح إلى التخطيط الدعائي للصهيونية؟ أم إلى القادة والدعاة الذين قادوا هذا التخطيط؟ أم لكليهما معاً ؟

والواقع أن التخطيط يحتاج إلى قائد ينفذه بأحكام ودقة، وإلا كان حبراً على ورق. لقد كانت البداية للعمل الدعائي الصهيوني في أمريكا، دراسة الخلفية الاجتماعية له.. ما هي شرائح المجتمع التي تتوجه الدعاية له؟ فهناك:

أولاً: اليهودي الأمريكي: الهدف بخصوصه واحد لا يتعدد، هو خلق المؤمن المتعصب الذي هو على استعداد لأن يتخلى عن كل شيء، ثروته وأسرته بل وحياته في سبيل الأرض الموعودة . وإذا كان هذا الهدف هو الحد الأقصى فهناك حد أدنى في مواجهة اليهودي الأمريكي: التأييد المادي والمعنوي الإيجابي والمنتظم، والمستمر الذي لا ينقطع ولا يتوقف.

ثانياً: ثم هناك الأمريكي غير اليهودي: وهنا الهدف يختلف، فالدعاية الصهيونية تسعى لأن تخلق من أبناء المجتمع الأمريكي غير اليهودي موجات كاملة لتأييد القضية أو على الأقل العطف عليها.

ثالثاً: ولا تنسى الدعاية الصهيونية من هو خارج المجتمع الأمريكي وبصفة خاصة مَنْ آمن بالصهيونية وأضحى بالنسبة للقضية يمثل الطابور الخامس في المجتمعات الأوروبية، حيث لا يزال لتلك المجتمعات أهميتها وقدرتها في نطاق التوازن الدولي ومن ثَمَّ في صنع القرار السياسي.

وهكذا نجد الشرائح الاجتماعية التي تتجه إليها الدعاية الصهيونية تتداخل: فاليهودي منه الصهيوني وغير الصهيوني، والصهيوني منه اليهودي وغير اليهودي وكل هذا لابد أن يفرض تخطيطاً متكاملاً.

فما هي هذه العقول التي استطاعت أن تحقق هذه العملية؟

لقد كان هناك ثلاثة مفكرين قادوا العمل الدعائي الصهيوني في المجتمع الأمريكي وهم: نويمان وسيلفر ولوين. ونوجز عمل كل واحد منهم، لنطلع على حقيقة الدعاية اليهودية ومسارها الخبيث في كسب الأنصار والمؤيدين..

أ- نويمان[١]: قام بتنظيم لجنة أمريكية لفلسطين كانت تتكون من بعض أعضاء مجلس الشيوخ ومن بعض كبار المسؤولين في الحياة السياسية الأمريكية.

وهذا يفصح عن حقيقة تصوره للحركة الصهيونية؛ وهو خلق مسالك واضحة ومحددة للوصول إلى مراكز القوى. بهذا المعنى استطاع أن يتغلغل في أوساط قادة الرأي في المجتمع الأمريكي.

وفي عام ١٩٥٤م أنشأ معهد هرتزل ثم مطابع هرتزل وأخيراً مؤسسة هرتزل التي تنشر المجلة الشهرية « ميدستريم» والتي تعد محور الدعاية والدعوة الصهيونية في الولايات المتحدة[٢].

ب- سيلفر[٣]: هو الرجل الثاني الذي تدين له الدعوة الصهيونية بوضع قواعد وأصول التخطيط للعمل الدعائي وما قدمه حقيقة هو قيادته الواضحة التي برزت

---

(١) قائد صهيوني وصل إلى الولايات المتحدة الأمريكية وهو طفل، تعلم العبرية ولا يتكلم في بيته إلا بها، ولد عام ١٨٩٣م ومنذ شبابه الأول اشتهرت عنه الحركية حتى إنه في عام ١٩١٠م وهو في السابعة عشرة من عمره أسس ما يسمى بجمعية الشباب اليهودي، اشترك في المؤتمر الصهيوني عام ١٩٢٠م، مثل القوى اليهودية الأمريكية في المؤتمر الصهيوني بل وانتخب عام ١٩٣١م عضواً في الهيئة التنفيذية للصهيونية العالمية، عقب ذلك انتقل إلى القدس حيث رأس ما أسماه « الوكالة اليهودية للإدارة الاقتصادية » (انظر المرجع السابق ص ٦٨).

(٢) المرجع السابق ص ٦٩.

(٣) سيلفر : ولد عام ١٨٩٣م في لتوانيا وتوفي في أمريكا عام ١٩٦٣م، حصل على عدة درجات للدكتوراه من أكثر من جامعة غربية. خطيب مفوه، استطاع أن يكتل الرأي العام الأمريكي واليهودي للدفاع عن القضية الصهيونية.

منذ أن قاد الصراع في أمريكا وخارجها في سبيل الاعتراف بالدولة اليهودية خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها.

ج- لوين[1]: استطاع من خلال نظرياته – وهو عالم النفس – أن يقيم البناء الكلي المتكامل لمنطق الدعاية الصهيونية – وأن يواجه اليهود غير الصهيونيين والمعادية لها.. ويدرسهم دراسة نفسية واجتماعية[2] واستطاع بعد ذلك أن يواصل ما أسماه بفكرة الكراهية الذاتية، وأن يستخلص منها منطقاً دعائياً كان أساساً للحملة المخيفة التي تولى مجلس الطوارئ الصهيوني شنها على خصومه من اليهود.

المرحلة الرابعة: وتمتد قرابة عشرين عاماً، وذلك منذ الاعتراف الدولي الصريح بشرعية الوجود اليهودي وعلى رأس هذه الدول « روسيا وأمريكا »، وحتى نكبة عام ١٩٦٧م في الخامس من حزيران. وفي هذه المرحلة صبغت الدعاية الصهيونية بطابع متميز، هذا الطابع هو أنها دعاية سياسية داخلية وخارجية بآن واحد، وقُدمت هذه الدعاية بصورة ملمعة بحيث استحوذت على إعجاب الرأي العام الدولي، وهي بالوقت نفسه خدرت الرأي العام الأمريكي وأقنعته بادعاءات باطلة ومن أشهرها تناقضاً مع التاريخ، دعواهم التي أطلقوها في العالم أنهم جاؤوا إلى أرض قاحلة خالية من السكان، أو أن سكانها أهملوها، وعجزوا عن النهوض

---

(١) لوين : عالم لعلم النفس والاجتماع – أصله ألماني ولد عام ١٨٩٠م وترقى في مناصب العمل الجامعي حتى وصل إلى كرسي الأستاذية بجامعة برلين عام ١٩٣٢م، في ذلك العام هاجر إلى الولايات المتحدة وبدأ حياته في جامعة « كورنيل » ومنها انتقل إلى معهد « ماساشرسيتس للتكنلوجيا» حيث أنشأ مركزاً لأبحاث ديناميات الجماعة، ابتداء من عام ١٩٣٨م بدأ لوين يهتم اهتماماً خاصاً بنظرية الشخصية وعلاقتها بمشاكل الجماعة.

وكان الالتقاء بين سيلفر ولوين هو نقطة البداية.

(٢) ارجع إلى المرجع السابق ص (٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤) للإطلاع على هذه الدراسة.

بها... وأن الصهيونيين جاؤوها رسلاً للحضارة.. ليعمروها بعد الخراب ويزرعوها بعد البوار ويصنعوها بعد التأخر[١].

وأنهم عادوا إلى بلدهم الأول، فلسطين، البلد الذي ظهر فيه أنبياؤهم ووعدتهم به توراتهم، وقام به « هيكلهم» المندثر[٢].

وقد أدركت اليهودية أنها ، بعد الحرب العالمية الثانية، تتعامل مع إنسان يمقت الحروب والاحتلال والعدوان، ويبحث عن العمران والسلام، فرفعت شعارات « إسرائيل المعجزة » «وإسرائيل المسالمة» و« إسرائيل التي تحول الصحراء إلى جنة» و«إسرائيل الساعية لوقاية نفسها دعماً للسلام».

ثم وضعت « تكتيكاً » صالحاً لإخفاء « إستراتيجيتها » التوسعية . مهّدت به الطريق، للتأكد من دعم الغرب لها في أي معركة فاصلة على أساس أن دور إسرائيل سيكون فقط وقاية نفسها لا الرد على القوة بالقوة، وما زالت تعابير الحرب الوقائية التي سادت زمن حرب السويس (١٩٥٦م) ترن في آذاننا، ومازلنا نذكر كيف استقطبت إسرائيل جانباً لا يستهان به من الرأي العام في العالم[٣].

---

(١) يقول عارف العارف في كتابه «الفصل في تاريخ القدس» فصل «القدس كما رأيتها عام ١٩٤٧ م» « لقد كان في القدس وحدها يوم احتلال الجزء منها : ٢٠٠ مدرسة وأكثر من ٤٠ مكتبة وداراً للكتب، وأكثر من ٢٠٠٠ جمعية ورابطة أدبية وثقافية ورياضية وخيرية وعشرات المستشفيات، وكان فيها العديد من مصانع النسيج والقيشاني والخزف والبلاط والشمع والأخشاب، وكانت مركزاً تجارياً زاهراً فيه أكثر من ثلاثين سوقاً تجارية.. أما الزراعة في فلسطين فإن أشجار الزيتون التي غرست قبل خمسة آلاف عام أو أكثر لم ينقطع ثمرها إلا بعد احتلال اليهود الحديث لفلسطين».

(٢) ارجع إلى « قضية فلسطين – الحق والباطل » نبيل شبيب ص ١٥.

(٣) تخطيط الإعلام العربي – عقيل هاشم ص ٧١.

وبعد حرب السويس عام ١٩٥٦م وضعت اليهودية خطة جديدة في الدعاية تتمشى مع خطتها التوسعية القديمة، والتي تنتظر الفرصة الملائمة لوضعها موضع التنفيذ، فأخذت الدعاية اليهودية ترفع شعارات فحواها أن العرب مصممون على إفنائها، وكررت هذه الشعارات حتى أصبحت في أذهان الناس حقيقة لا تقبل المناقشة، ومن ثم راحت تلوك عبارة « الحرب الدفاعية » متبعة ذلك حملات استدرار الدموع لم يسبق لها مثيل في التاريخ، وذلك بوساطة أفلام « سينمائية » غزت بها دور السينما، والرائي (التلفزيون) في العالم، على مدى عشرين سنة ولا تزال سائرة على هذا المنوال.. هذه الأفلام تصور آلام اليهود واضطهادهم على يد الألمان النازيين مثل فيلم « آن فرانك » الذي يدور حول طفلة كتبت مذكراتها عن تعذيب النازيين لأسرتها، وكذلك أفلام تصور العودة إلى أرض الأجداد «فلسطين» مثل فيلم « الخروج » الذي يدور حول قيام « إسرائيل » الدولة المزعومة.. وأفلام تلمع وجه اليهود الكالح في نظر النصارى.. وتستهدف إبعاد تهمة قتل المسيح عن اليهود وتحميلها للرومان مثل فيلم « بن حور »[١].

وهكذا أخذت الدعاية اليهودية منذ الخمسينات وعن طريق « استوديوهات هوليوود»[٢] تنشر العديد من الأفلام لشحذ ذكرة الرأي العام في الغرب حتى لا ينسى اليهود ما أصابهم على يد النازيين وغيرهم[٣].

---

(١) جريدة الرياض – العدد ٤١٦٩ – مقال « هولكوست بين شحذ الذاكرة واختصار التاريخ – مصطفى اليحياوي.

(٢) مدينة السينما في الولايات المتحدة الأمريكية.

(٣) إن اليهودية العالمية استغلت الاضطهاد النازي لليهود ولعدة قوميات أخرى لتمارس على الرأي العام الدولي والشعور الإنساني ضغوطاً لا تطاق، تذيقه من أنواع التأنيب واللوم على مدى ثلاثين سنة، مما جعل الرأي العام الغربي يصيح : نعم أذنبنا وقصرنا، نحن مستعدون للتكفير عن ذنوبنا فأمرونا بما تريدون ولكم ما تطلبون، وهذا بالضبط ما تريده الصهيونية، وكانت السينما=

وكذلك أخذت الصهيونية تربط بين الاضطهاد النازي لليهود، والاضطهاد المزعوم التي تتعرض له الآن، مستغلة أقوال بعض الزعماء العرب، في إلقائها في البحر، ثم راحت تتمسح بحقوق الإنسان وتتغنى بالمبادئ المثالية وكل ذلك تخديراً للرأي العام وتفسيراً للعدوان الغاشم الذي أسقط القناع عن وجه اليهودية الحقيقي وسياستها التوسعية[١].

المرحلة الخامسة: وتبدأ بعد نكبة حزيران ١٩٦٧م، وهذه المرحلة تمثل نقطة الانطلاق في حركة تدريجية ترمى إلى تحويل « إستراتيجية القتال » إلى « إستراتيجية سلمية « أساسها التغلغل النفسي بالإقناع والاتصال المباشر.

« فسعى اليهود إلى تيئيس العرب من الحصول على أي نصر على اليهود، « وعلى الجيش اليهودي الذي لا يقهر.. وهذا ما يتبين من خطب الدوائر الحاكمة في «إسرائيل»[٢] وخاصة خطب « أبا أيبان » وزير الخارجية – في ذلك العهد وأن

= أداتهم في التعامل النفسي مع الرأي العام الغربي، ومن أهم الأفلام التي استخدمت لشحذ ذاكرة الغرب حتى لا ينسى اليهود هو فيلم « هولكوست» الذي يستغرق عرضه تسع ساعات، قدم بشكل مسلسل.. أخرج هذا الفيلم في نيسان عام ١٩٧٨م وعرض في أمريكا، ثم في ألمانيا وأخيراً في فرنسا (١٩٨٠م) ويحكى الفيلم قصة عائلة ألمانية يهودية تعيش في برلين ثم يقع تشتيت أفرادها وترحيلها إلى « فرصوفيا » عاصمة « بولندا » حيث قامت السلطات النازية الألمانية بجمع الجاليات اليهودية في معتقلات بنتها لهم.. ويتعرض الفيلم في أثناء ذلك إلى أنواع المعاملة السيئة التي لقيها اليهود على أيدي النازيين .. والغاية من الفيلم وعرضه الآن بعد مضى أربعين عاماً على الحرب العالمية الثانية شحذ ذاكرة الرأي العام في الغرب وفي ألمانيا بشكل خاص ولكي تعيد في أذهان الجيل الألماني الجديد ذكرى ما فعله آباؤهم، وحتى لا يعم شعور البراءة من اضطهاد اليهود، نفوس هذا الجيل (ارجع إلى المرجع السابق).

(١) د. إبراهيم أمام في «الإعلام والاتصال بالجماهير» ص ٣٣١.

(٢) كنا نفضل أن يستخدم المؤلف تعبير « فلسطين المحتلة » بدلاً من « إسرائيل » إذ إن تعبيره اعتراف ضمني بأعداء الله أنهم « دولة ».

التكتيك اليهودي يقوم على إشاعة اليأس والأمل في نفوس العرب، فهو يقول: « إن واجب إسرائيل أن تجعل العرب يائسين تماماً من مقدرتهم على التصدي للجيش الإسرائيلي» .

« وفي الوقت نفسه تسعى الدعاية اليهودية إلى إشاعة روح الأمل في نفوس العرب حول الوصول إلى سلام مع اليهود، وهكذا يكون التلاعب بالألفاظ واستخدام « التكتيك » المتناقض في وقت واحد »[1] وإن احتلال اليهود لأراض واسعة (سيناء ، الضفة الغربية وهضبة الجولان) أبرز منطقا جديداً في الدعاية وهو منطق العلاقات الدولية ولو تتبعنا تطور المطالب للعدو اليهودي لبرزت هذه الحقيقة لا مجال للشك في دلالتها، وهي تنطوي على المراحل الآتية:

١- هي تبدأ بالحديث عن المفاوضات المباشرة، وهذا مفهوم منطقي ومتداول في نطاق العلاقات الدولية حيث إن كل قتال لابد وأن ينتهي بالجلوس على مائدة المفاوضات.

٢- وعقب عام (١٩٧٠م) تبدأ تركز حول فكرة الحدود الآمنة فتضعه في هذا بموقف العرب من رفض فكرة المفاوضات، وفكرة الحدود الآمنة ليست جديدة في تاريخ العلاقات الدولية.

٣- وعقب أن أضحت هذه النغمة مستقرة في الأذهان بدأت تظهر « اسطوانة» جديدة حول مفهوم السلام وفرض ما تسميه بالسلام العبري، ورغم أن هذا المفهوم، أي مفهوم السلام ، هو منطلق بطبيعته لسياسة القوة، لا تتحدث عنه إلا الدول المسيطرة، إلا أن جعل هذا المفهوم يتدرج في منطلقات متتابعة ابتداء من

---

(١) د. إبراهيم إمام في « الإعلام والاتصال بالجماهير » ص ٣٣٢.

فكرة المفاوضات المباشرة ومروراً بمفهوم الحدود الآمنة، لابد وأن يعطى فكرة السلام دلالة تختلف عن حقيقتها[(١)].

وعلى المستوى الداخلي، في الأراضي المحتلة (عام ١٩٤٨م وعام ١٩٦٧م) بدأت الدعاية اليهودية تتحدث « بلغات متعددة» نظراً للكثافة السكانية العربية والتي باتت تحت سيطرتها، بحيث تخاطب سكان كل منطقة على حدة، إن المنطق واللغة التي تحدث بها الضفة الغربية يختلفان عن منطق ولغة أهالي غزة. ورغم أنها تجعل من هذا الحديث وسيلة وقناة لمخاطبة الرأي العام العربي إلا أنها تركز على أبعاد مختلفة تبعاً لكل منطقة: فعدم المساواة بين الفلسطينيين وأهالي الأردن، ووضوح الفقر والتخلف بالنسبة لأهالي الضفة الغربية لو قورنوا بأبناء الأردن تصير منطلقاً لحديث تختلف نبراته عندما ننتقل إلى أهالي غزة حيث نجد العزف على وتر آخر وهو الإرهاب المصري والعنجهية الفرعونية[(٢)].

أما على المستوى الخارجي فإن الدعاية اليهودية أخذت مساراً آخر، فهي أولاً: تطرح الوجود اليهودي كرائد في الشرق الأوسط، وأنه يعمل على تحقيق الرسالة التاريخية الحضارية، وقيادة الإنسانية المعذبة المتركزة في منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط.

---

(١) د. حامد ربيع « الحرب النفسية في المنطقة العربية » ص ٩١. وانظر أيضاً «الجيروز اليم بوست» بتاريخ ١٩٦٩/٦/٢٧ حيث يصرح أبا أيبان وزير خارجية العدو رداً على سؤال عن إمكانية الصلح مع العالم العربي، وفيه تتضح أن السياسة الخارجية للعدو تقوم أساس اقتناع العرب بحقائق متعددة: أولا استحالة هزيمة العدو اليهودي من جانب العرب، وثانياً: استحالة أي تدخل أجنبي في هذا الصراع ، وثالثاً: الاقتناع بأنه لا يمكن تغيير الوضع القائم إلا من خلال محاولة استكشاف شروط السلام (ص ١١١ – الهوامش لنفس المصدر).

(٢) د. حامد ربيع – المرجع السابق ص ٩١.

وهي ثانياً: تحتاج إلى طاقة بشرية من اليهود، تملأ بها الأماكن الشاسعة التي احتلتها، وخاصة من يهود « الإمبراطورية الروسية» والذين أخذوا يهاجرون في موجات متتابعة إلى الأرض المحتلة[1].

وهكذا تتضح الأهداف التي يسعى إليها العدو اليهودي من خلال دعايته الخارجية كما يلي:

١- تثبيت الأقدام حيث وصلتْ، وإقناع العالم بأن ما وصلت إليه يمثل الوضع القائم الذي يجب حمايته.

٢- تأكيد أن « إسرائيل » تمثل حلقة الوصل بين العالم العربي والعالم الغربي وأنها الوحيدة التي تسعى إلى تحقيق مصالح الغرب في الشرق، وعلى الغرب أن يتخلى عن فكرة اتصاله المباشر بالعرب لأنه لا يفهمهم، وهي الوحيدة التي فهمتهم.. وهذه النتائج (انتصارها في الحرب) خير دليل على صحة هذه الدعوى.

٣- إبراز « إسرائيل » على أنها وحدها تستطيع حماية الشرعية في المنطقة إذ إنها أضحت الإرادة المتحكمة والمسيطرة فيها، فهي التي تستطيع وضع حد للاضطرابات وخلق حالة سلام في المنطقة . وتؤدّب الإرهابيين أينما كانوا (في لبنان وغيره) وتعلن أن هدفها هو تعقّب الثوار ضد النظم العميلة للغرب..

٤- تقديم « إسرائيل » على أنها حربة متقدمة لحماية المصالح الأمريكية، والمصالح الأمريكية كثيرة جداً في المنطقة، فالمصادر البترولية، والتحكم في البحر الأحمر ليس فقط بثرواته بل وبممراته ومواصلاته.. من أولى هذه المصالح. وهذا يتضح بارتباطاتها العسكرية والاقتصادية والعسكرية بأثيوبيا[2].

---

(١) وصل تعداد اليهود الذين هاجروا من « الاتحاد السوفيتي » إلى فلسطين المحتلة إلى (٢٣١,٠٠٠) يهودي وذلك منذ عام ١٩٧١م حتى شهر سبتمبر ١٩٨٠م (جريدة السياسة ٢٢/ ١٢/ ١٩٨٠).

(٢) المرجع السابق ص ٩٦.

(٢) المرتكزات الأساسية للتخطيط الدعائي اليهودي: تتضمن المرتكزات المنطقية الرئيسة للتخطيط الدعائي اليهودي ما يلي[١]:

١- أن « إسرائيل » حقيقة تاريخية: إذ إنها كانت قائمة في أرض فلسطين ثم فقدت استقلالها، وأن قيامها عام ١٩٤٨م كان بمثابة إعادة قيام الدولة، وعلى هذا الأساس يؤكد أن حرب « ١٩٤٨م» هي حرب الاستقلال بالنسبة «لإسرائيل ».

٢- في قيام « إسرائيل » تحقيق لنبوءة دينية : يذهب المنطق الدعائي اليهودي إلى أن هناك وعداً إلهياً خاصاً بإعطاء فلسطين لليهود وأن في قيامها تحقيق لنبوءة دينية.

٣- هناك ما يسمى بالعنصر اليهودي، وأن هناك أمة يهودية تجمعها صفة القومية اليهودية على حد زعم المنطق اليهودي، وعلى أساس هذا الزعم يقتضي الأمر أن يهاجر اليهود من مختلف أنحاء العالم إلى « إسرائيل ».

٤- «إسرائيل» حقيقة حضارية مرتبطة بالغرب: عاش كثير من اليهود الغربيين في أوروبا، وقد تأثر تفكيرهم بالعقلية الغربية، وأسهموا في التطور الحضاري الأوروبي لذا يزعم المنطق « الإسرائيلي » أن اليهود هم رواد الحضارة الغربية في الشرق الأوسط.

٥- « إسرائيل » تعبر عن العقائد السياسية المعاصرة: يأخذ المنطق الدعائي «الإسرائيلي» في اعتباره مُستقبلي الرسالة الإعلامية فعندما يتحدث إلى الديمقراطي الليبرالي يركز على النظام الحزبي والرقابة الشعبية والحريات الفردية وحمايتها إلخ. وعندما يتحدث إلى الاشتراكي يركز على المفكرين اليهود في المجال الاشتراكي ونظام المستوطنات الزراعية باعتبارها نموذج للتطبيق الاشتراكي.

---

(١) د. حامد ربيع – فلسفة الدعاية الإسرائيلية ص ٧٤، ٢٢، ٨٠ – بيروت – مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية ١٩٧٠.

٦- « إسرائيل » تؤمن بالعالمية: صبغت الصهيونية دعوتها باسم الصهيونية العالمية وهي تزعم أن قيام « إسرائيل » تأكيداً لمبدأ العالمية والقومية اليهودية تطوّر في تحقيق المفهوم العالمي الذي لم يصل إليه أي مجتمع من المجتمعات المعاصرة؟

٧- «إسرائيل» تدافع عن المسؤولية التاريخية: اتجه الفكر السياسي الغربي إلى رفض تفسير التخلف على أنه نتيجة للاستعمار، إذ يقدم تفسيره على أساس الواقع التاريخي، لتحديد مسؤولية كل مجتمع طبقاً لما وصل إليه. وقد استغلت « إسرائيل» هذا المنطق في تصوير الوضع السائد في المجتمع العربي كمسؤولية تقع عليه لأنه تَحَدَّد طبقاً لإرادته. وطبقته أيضاً في تحديد مسؤولية المجتمع الأوربي عامة والمجتمع الألماني خاصة بالنسبة للمشكلة اليهودية كمسؤولية جماعية لا يكتفي بربطها بالنظام النازي المعادي للسامية.

٨- « إسرائيل» متقدمة « تكنولوجياً » : تصور « إسرائيل» نفسها على أنها دولة عصرية تكنولوجية وترتكز على هذا المنطق تجاه الدول المتخلفة على وجه الخصوص.

٩- العالم العربي يمثل مظاهر التخلف الحضاري والنظامي والثقافي: تصور « إسرائيل » الدول العربية أنها متخلفة وأن نظام الحكم فيها دكتاتوري يتخذ من وجود إسرائيل ذريعة لبناء نظم عسكرية عنصرية رجعية مستغلة، كما تدعى أن النظم العربية تعاني فساداً في جهازها المالي والإداري، بالإضافة إلى انتشار الوساطة والمحسوبية والطائفية في تولي الوظائف.

١٠- « إسرائيل» جزء لا يتجزأ من الشرق الأوسط: تركز « إسرائيل» على أنها تنتمي إلى منطقة الشرق الأوسط، وتصور أن وجودها مستقر في المنطقة وأنها ليست دخيلة عليها، وأنها دولة أسيوية لها رسالة بين دول الشرق الأوسط والدول النامية.

١١- «إسرائيل» تمثل فكرة النموذج: تذهب إسرائيل أنها تعد نموذجاً للدول النامية مما يحتم على هذه الدول أن تستفيد من التجربة الإسرائيلية التي تحقق التقدم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

وخلاصة القول أن المنطق الدعائي « الإسرائيلي» يقوم على التشويه والمبالغة والكذب والغموض، ورغم ذلك استطاعت أن تؤثر على الرأي العام بفضل ما تملكه من الوسائل الدعائية وأساليب تخطيطها وإدارتها، مما يقتضي دراستها دراسة فاحصة[١].

(٣) **الدعاية اليهودية والإسلام:** حاولت الدعاية الصهيونية تصوير الإسلام على أنه دين بشري مقتبس من اليهودية، عقيدة وأخلاقاً، وهي بهذا تسير على منهج المستشرقين المعادية للإسلام نفسه في القديم والحديث، والذين حاولوا دائماً أن يؤسسوا الإسلام على اليهودية والنصرانية[٢] وهذا هو أحد دعاة الصهيونية وهو المؤرخ « توري » أصدر كتاباً قبل الحرب العالمية الثانية بعنوان « التأسيس اليهودي للإسلام » يحاول من خلاله أن يثبت الأصول اليهودية ليس فقط للحضارة الإسلامية بل وللتشريعات المحمدية ذاتها ، وقد عبّر عن المفهوم نفسه «روزنتال» في كتابه الأشهر عن الفكر السياسي الإسلامي في خلال العصور الوسطى. وكلاهما يصل به الأمر إلى أن يقرر بأن القواعد اليهودية كانت مصدراً تنظيمياً للحضارة الإسلامية، وأنه في بعض الأحيان فإن التقاليد اليهودية هي وحدها التي تشبعت بها التقاليد الإسلامية الأصيلة[٣].

---

(١) الدكتور محمد علي العويني – الإعلام العربي – ص ٢١٠ القاهرة – عالم الكتب ١٩٧٩.

(٢) ارجع إلى ما يتعلق « بالاستشراق» في الدعاية الغربية من الفصل الثالث من هذا البحث.

(٣) الدكتور حامد ربيع الحرب النفسية في المنطقة العربية ص ٧٧ وإن كان المؤلف قد اتخذ هذين المؤلفين – وما فيهما من أفكار خطيرة ، نوع من التقارب بين اليهودية والإسلام وأن العلاقة بين الدين الإسلامي والدين اليهودي (الحالي) علاقة إنسانية ترتفع عن مستوى النزاع أو الصراع بين الأجناس.. وذلك ما قبل (١٩٦٧م) .. ونحن لا نوافقه على ذلك.. لأن نظرة واحدة لعنواني الكتابين ، وإيجاز المؤلف لمضمونهما ، تعلمنا مقاصد الكتابين دون تفسير للمضمون.

هذا على المستوى الفكري، حيث مازالت هذه الأفكار المشبوهة عن الإسلام هي التي يتزود بها الطلاب في جامعات أوروبا وأمريكا..

أما على المستوى الداخلي في إسرائيل ، فإن الدعاية اليهودية، تحاول أن تحور الشريعة الإسلامية في عقل المسلم، والذي يعيش في الأرض المحتلة (عام ١٩٤٨ - ١٩٦٧م) بعملية « غسيل دماغ» للأطفال المسلمين في كتب التعليم خاصة. وتغرس في فكرهم مفاهيم خطيرة، تضللهم بها وتبعدهم عن الإسلام شيئاً فشيئاً، ومن ثم تربطهم بيهود « دولتهم المسخ » لينسلخوا عن دينهم وعقيدتهم وأخلاقهم..

ومن كتب التعليم هذه كتاب « أنا مواطن إسرائيلي » تأليف « مصطفى مراد» وهو من مبادئ القراءة العربية (الجزء الثالث) للصف الثالث الابتدائي. وفي أسفل غلاف الكتاب عبارة « إسرائيل شعب عامل»[١] ويتضمن الكتاب سموما يهودية لإفساد عقول الأطفال، وفيه تطاول على الدين الإسلامي، فالدرس الرابع مثلاً بعنوان: « بسم الله الرحمن الرحيم» وتقول كلماته: متى يقول المسلم بسم الله الرحمن الرحيم؟ إنه يقولها متى بدأ يتناول الطعام حتى تفتح شهيته للطعام (كذا).

وكتاب « علوم الطبيعة للطلاب العرب» تأليف « ياثير هشوامبي» الذي يبدأ بدرس عن الخمر، الذي يحللها ويُطْنبُ في وصف مزاياها، وتدخل في روع الطلاب أن الخمر حلال وأن الكحول يضفي على المشروب رائحة خاصة وطعما طيبا ونكهة متميزة .. وفي ص (١٢٢) من الكتاب يتحدث المؤلف عن « معامل عصير العنب في البلاد » وخاصة القديمة منها التي أقامها « المحسن اللورد روتشيلد».

وحتى أسئلة الدرس « النموذجية » تحاول أن تلقن الطالب كل المعلومات عن الخمور ومذاقاتها.. والكتاب يلتزم في عرضه لأشهر السنة بالأشهر العبرية.. كما

---

(١) انظر جريدة « القبس » الكويتية العدد ٢٥٣٩ تاريخ ١١/٦/١٩٧٩.

أنه يزور التاريخ حينما يتكلم عن شجرة « البطم » إذ يقول: « هذه الشجرة قدسها الكنعانيون الذين «استعمروا بلادنا» وأقاموا فيها المذابح لأصنامهم بالقرب من أشجار البطم المقدسة وأسمها العبري « إيلاه » أي الآلهة»[1].

هذا في داخل « فلسطين المحتلة » والجولان والضفة الغربية وغزة...

أما في الخارج .. حيث تسيطر الصهيونية على وسائل الإعلام الغربية.. وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، فلا تخفى اليهودية وجهها القبيح وراء الأقنعة الزائفة. بل إن دعايتها صريحة في مهاجمة الإسلام والمسلمين، وإن المتتبع للحملات الدعائية ضد الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الأمريكية يجد أنها تصور العرب والمسلمين شعوباً متوحشة متعطشة لسفك الدماء، وأن الإسلام مجموعة من القوانين التسلطية في أحكامها وأنها تدفع معتنقيها إلى التطلع لبسط السيطرة السياسية على شؤون الحكم والإدارة وعلى الشعوب الأخرى.

وهناك مثال واضح على هذا القول وهو المقال الذي نشره كاتب أمريكي معروف بميوله وخضوعه للصهيونية يدعي « جوزيف كرافت » في عدة صحف ومجلات رئيسة أمريكية منها جريدة « واشنطن بوست » و« نيويورك تايمز» و«ستار ليدجر» تحت عنوان : « كيف عجز الإسلام عن الإصلاح والتطور وجعل دوره قاصراً على شؤون السياسة والحكم» ومقال آخر للكاتب نفسه « الإسلام دين تأخر وجمود جعل المجتمع الإسلامي عاجزاً عن اللحاق بركب المجتمع الغربي الحضاري».

---

(١) المرجع السابق – وتنقل الصحيفة صورتين (بالزنكفراف) لغلاف كتاب القراءة وص ١٢٢ من كتاب « علوم الطبيعة» وقد حصل كاتب المقال على الكتابين من بعض يهود الدنمرك والذين كانوا في رحلة سياحية إلى « فلسطين المحتلة ».

وأن هذين الكتابين يدرسان للطلاب العرب. إذ كُتب على الغلاف الأول لكتاب القراءة «قررتَ إدارة المعارف العربية تدريس هذا الكتاب في مدارسها».

وأما جريدة « سن تايمز » فقد نشرت مقالاً لكاتب صليبي ملحد ومأجور لخدمة الصهيونية يدعى « وليام غريلي» وعنوان المقال : « الماركسية أفضل من الإسلام » يقول فيه: إن الإسلام منذ أن جاء والمسيحية تعاني من تعصب المسلمين وعدائهم للمسيحين، وأورد في المقال أمثلة كثيرة عن مقاتلة المسلمين للمسيحيين منذ طردوا الروم من سورية وإفريقية وآسية الصغرى وبلاد الأندلس وحتى نهاية الحروب الصليبية، واختتم مقاله قائلاً : وهل يمكن للمسيحية في هذا العصر من التعامل مع المسلمين بأقل مما تعاملت به مع صلاح الدين الأيوبي؟ واتخذ من مقاله ذريعة لمزيد من الطعن بالمسلمين فيقول: إنّ كل من شاهد رجال الدين الإيرانيين في ثورتهم هذه وما قاموا به لابد وأن يحكم بأن الشيوعية أفضل من الإسلام!!

« وأمثلة أخرى عديدة لمشاهد عَرَضها التلفزيون الأمريكي للتهجم على الرسول الكريم ﷺ ومبادئ الإسلام وأحكام الإسلام الشرعية والقضائية. فقد عرضوا فيلماً يمثل فيه « كلب » أطلق عليه اسم « محمد » ومثلوا فيلماً آخر اسمه « قراصنة البحار » أظهروا فيه أن العرب والمسلمين هم « قراصنة ولصوص البحار»[1].

ومما لاشك فيه أن هدف الصهيونية العالمية من حملاتها الدعائية والإعلامية هو إثارة شعوب العالم الغربي بوجه عام، والشعب الأمريكي بوجه خاص لمعاداة المسلمين والعرب، وذلك لخدمة المصالح « الإسرائيلية» وذلك لكي يستمر الصهاينة في تنفيذ مآربهم الخسيسة» ومؤامراتهم الحاقدة في إحكام سيطرتهم على عقول الشعب الأمريكي وغسل أدمغته، ومن ثم تسخير هذا الشعب وطاقاته لتأييد

---

(١) من بحث قدم إلى مؤتمر الإعلام الإسلامي الأول المنعقد بجاكرتا من قبل (أحمد سعد – نيويورك- الولايات المتحدة الأمريكية) ونشرته مجلة « الإرشاد» اليمنية في العدد الثاني والثالث/ ١٤٠١هـ بعنوان : « الحملات الإعلامية ضد الإسلام وطرق التصدي لها».

ومساعدة إسرائيل عسكرياً واقتصادياً وسياسياً. وهذا ما هو واضح للعيان اليوم إذ إن أمريكا بقيت الدولة الوحيدة المساندة لإسرائيل نتيجة سيطرة الصهيونية ونفوذها الإعلامي في أمريكا[١].

(٤) **الدعاية اليهودية وتسخير النصرانية لها:** لقد تمكنت الصهيونية المعروفة بأساليب الدهاء والمكر من التغلغل داخل الكنيسة وفي أوساط رجال الدين «النصارى» لخدمة أهدافها الدعائية. وقد تمكنت من استخدام أكثر من (٣٠٠٠) ثلاث آلاف قسيس بروتستانتي أمريكي تدفع لهم الصهيونية مرتبات شهرية ثابتة مقابل إلقائهم الوعظ في الكنائس ضد الإسلام والمسلمين والعرب.

هذا بالإضافة إلى سيطرتها على الكنيسة الإنجليكانية في الولايات المتحدة الأمريكية؛ إذ إن رؤساء هذه الكنيسة ورجال الدين فيها أعلنوا تأييدهم المطلق لإسرائيل، وجعل القدس عاصمة للدولة الصهيونية، ولا يخفى على جميع المسلمين مدى النشاط الديني والدعايات الباطلة التي يقوم بها القسيس «بيلي غراهام» رئيس هذه الكنيسة ضد الإسلام والمسلمين خدمة للصهيونية[٢].

ولإحكام الصهيونية سيطرتها وإخضاعها للمؤسسات النصرانية الدينية، فقد أقامت هيئة مشتركة من رجال الدين في العقيدتين النصرانية واليهودية، وتدعى حركة «أنصار العقيدة المشتركة»، وأصبح لهذه الحركة أكثر من ٧٠ (سبعين) دائرة إقليمية وأكثر من مائتي مجموعة من الصليبية والصهيونية . وقد خصصت الصهيونية لهذه الحركة ميزانية سنوية مقدارها ستة ملايين ونصف مليون دولار أمريكي.

---

(١) المرجع السابق. والواقع أن الولايات المتحدة الأمريكية ليست الوحيدة المساندة لليهود في فلسطين.. إلا أن الدول الأخرى تخفي وجهها بألوان لا تخفى على المسلمين.

(٢) المرجع السابق .

وقد انبثق عن هذه الحركة « المؤتمر الوطني المسيحي اليهودي » من أجل إيجاد المجالات الدينية والسياسية والعالمية . وقد جندت الحركة كل إمكانياتها البشرية والمادية لخدمة أهداف الصهيونية في توجيه العقل الأمريكي لمساندة ما تدعى به إسرائيل وبكل السبل والوسائل الإعلامية في الداخل والخارج.

وللأسف العميق ، فإن الصهيونية استطاعت أن تطمس على قلوب كثير من النصارى في أمريكا وأعمت بصيرتهم وجعلتهم مطية لخدمة مآربها الخسيسة، فتناسى النصارى أن اليهود ليسوا وحدهم ضحايا الحرب العالمية الثانية في أوروبا، وأن سكان أوروبا من غير اليهود كانوا هم الآخرين ضحايا هذه الحرب، ولكن الإعلام الأمريكي كان يصور أن اليهود هم ضحايا النازية فقط.

وهكذا استطاع الصهاينة استدرار عطف الشعب الأمريكي وعطف العالم عن طريق استخدام النصارى في دعاياتهم المضللة. وهذا العطف بالذات كان أهم الأسباب التي ساندت وأيدت الدولة الصهيونية لإنشائها على حساب الأرض الفلسطينية، وعلى جثث المسلمين في فلسطين دون أن يعبأ العالم لهذه الجريمة والعدوان من جانب الصهيونية.

وللأسف إن قلة الدعاية ووسائل الإعلام العربي والإسلامي ظلت عاجزة عن إيصال الحقائق والوقائع للشعب الأمريكي وغيره من الشعوب، وتعريفه بعدالة قضايانا وسماحة ديننا وأحكامه الشرعية القويمة.

أما الكنيسة الكاثوليكية، ومقرها الفاتيكان، فقد بقيت تتعرض للضغوط اليهودية، ولأساليب الإرهاب حتى رضخت أخيراً عام ١٩٦٥م وأصدرت بيانها في تبرئة اليهود من دم المسيح .. وهذه الوثيقة التي أقرها الفاتيكان تطلب من الكاثوليك الاعتراف بالمعنى الديني لدولة إسرائيل بالنسبة إلى اليهود، وأن يفهموا

ويحترموا صلة اليهود بتلك الارض[١]. وأن صلة التبشير والاستعمار واليهودية في فلسطين قضية أخرى نتعرض لها في غير هذا الفصل، والذي يمكن إيجازه في كلمات.. أن الصليبية هي العامل الأول والأخير في إيجاد دولة الصهاينة في فلسطين المحتلة[٢] ولولا الدعم الدعائي والإعلامي والاقتصادي لهم ما استطاعت أن تستأسد على الشعوب العربية والإسلامية.

(٥) **مصادر الدعاية اليهودية ووسائلها:** هناك عديد من المؤسسات «الإسرائيلية» المعنية بالدعاية وذلك بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر، ومن هذه المؤسسات: وزارة الخارجية، ومكتب الإعلام المركزي، والمكتب الصحفي للحكومة التابعان لمكتب رئيس الوزراء، والمتحدث الرسمي باسم الجيش، وجهاز الإذاعة الإسرائيلية، ومنصب وزير الدولة للإعلام الذي ألغي، ومراكز الإعلام الإسرائيلي في الخارج، والبعثات الدبلوماسية والقنصلية الإسرائيلية في الخارج، والمنظمات الصهيونية واليهودية في الخارج وجمعيات الصداقة... إلخ[٣].

ولأهمية هذه المصادر والوسائل في الدعاية اليهودية، نعطيها بعض التفصيل لكي يطلع المسلم على منافذ الدعاية اليهودية، إلى العالم كله .. ويحكم خطة إعلامه ودعايته في سد هذه المنافذ.

ومن أهم مصادر الدعاية اليهودية ما يلي[٤]:

---

(١) الدكتور عمر فروخ ومصطفى الخالدي – التبشير والاستعمار (ص ٢٦٦). ونشرت الوثيقة التاريخية أيضاً جريدة « النهار » البيروتية بتاريخ (١٢/ ١٢/ ١٩٦٩) – الصفحة الأولى وكذلك إذاعتها وكالات الأنباء العالمية.

(٢) ارجع إلى المرجع السابق (ص ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥).

(٣) الدكتور محمد علي العويني – الإعلام العربي ص ١٩٧.

(٤) الدكتور محمد علي العويني – الإعلام العربي – ص ٢٠١.

أ- إدارة الإعلام: لا توجد في « إسرائيل » وزارة خاصة بالإعلام، ولكن هناك إدارة للإعلام تابعة لوزارة الخارجية، كما يوجد وزير بلا وزارة مسؤول عن الإعلام[1] وتقوم هذه الإدارة بمتابعة الإعلام مختلطاً بالدعاية في الدول ومنها الدول الإفريقية.. ومن أعمال هذه الإدارة:

١- تقوم بدراسات خاصة عن « إسرائيل » تخدم السياسة الإعلامية.

٢- تقوم بتوزيع الكتاب السنوي الذي يعده المكتب الصحفي للحكومة بعنوان « حقائق عن إسرائيل » كما تنشر مجلة ملونة بلغات مختلفة تحت اسم « إسرائيل » وتوزع في إفريقية على الهيئات والمؤسسات والأفراد المدرجة أسماؤهم في قوائم البعثات الإسرائيلية الدبلوماسية.

٣- تشارك في المعارض الفنية والثقافية والتجارية في الخارج.

٤- تقيم الإدارة علاقات وثيقة، مع شبكات التلفزيون الأجنبية وتزودها بالأفلام التسجيلية وغيرها، كما تتصل بمؤسسات السينما في العالم لتمدها بشكل دوري بشريط الأنباء الإسرائيلي.

ب- مكتب الإعلام المركزي والمكتب الصحفي للحكومة: ويشكل إدارة واحدة مرتبطة بمكتب رئيس الوزراء .

ويعني مكتب الإعلام بالدرجة الأولى بنشر المعلومات عن نشاط الحكومة ومشكلاتها، ومنجزات « إسرائيل »، وعلى وجه الخصوص كل ما يتصل بالوحدة الثقافية والروحية بين سكان فلسطين المحتلة ولاسيما المهاجرين الجدد.

---

(١) ألغي منصب وزير الدولة للإعلام بسبب الخلافات بينه وبين الأجهزة الأخرى التي تقوم بالعمل الإعلامي ودعوة الأول إلى إنشاء وزارة للإعلام نظراً لأن هذا المنصب بلا وزارة . (ارجع إلى المرجع السابق ص ١٩٧) – وانظر أيضاً تحليل عن إلغاء وزارة الإعلام الإسرائيلية – الإدارة العامة للإعلام – جامعة الدول العربية ٣ آذار ١٩٧٥م.

ويتفرع عن المكتب قسم الأفلام، والذي عمله كما في إدارة الإعلام، وكذلك يتفرع عنه وحدة ماوراء البحار التي تعمل على تقوية العلاقات بين « إسرائيل » والهيئات اليهودية في الخارج عن طريق تنظيم المؤتمرات والندوات والدراسات والرحلات وإرسال المحاضرين والأفلام إلى الخارج.

أما المكتب الصحفي للحكومة فهو المعبر عن الحكومة للصحافة المحلية والأجنبية ويعني بتزويد المراسلين بأنباء الأحداث الجارية، كما ينظم المؤتمرات والمقابلات الصحفية للمسؤولين اليهود.

وهناك علاقة وثيقة بين المكتب الصحفي ومكتب الإعلام المركزي وبين إدارة الإعلام بوزارة الخارجية من حيث الاستفادة المتبادلة[١].

ج- هيئة الإذاعة « الإسرائيلية»: هي هيئة عامة وتتبع رئيس الوزراء الإسرائيلي .. وتذيع بما يقدر ٣٥٠ ساعة أسبوعياً بـ ١١ لغة، وهناك إذاعات خاصة يومية بالعبرية الميسرة والفرنسية والإنجليزية والرومانية والعربية. وهناك برامج موجهة لما وراء البحار بعشر لغات بما فيها الروسية، وبرنامج أسبوعي موجه إلى شمال أمريكا ويعدّ بالاشتراك مع الوكالة اليهودية، بالإضافة إلى إذاعة بعض شعائر إسلامية ومسيحية[٢].

وهناك محطة تسمى « صوت صهيون إلى يهود المنفى» وتذيع بلغات متعددة ومنها الدروس الملقاة بالعبرية والأخبار بالعربية الميسرة ، وتعمل هذه الإذاعة على ممارسة أهدافها من خلال العمل الإذاعي بأشكاله المختلفة.

---

(١) د. منذر عنبتاوي – أضواء على الإعلام الإسرائيلي – بيروت – مركز الأبحاث الفلسطينية حزيران ١٩٦٨م ص (١٤٦، ١٤٨).

(٢) د. محمد علي العويني – الإعلام العربي ص ٥٠٣.

وأما خارج ما يسمى بدولة « إسرائيل » فإن أهم نشاط دعائي تقوم به اليهودية هو في الولايات المتحدة الأمريكية، إذ تفرض الصهيونية سيطرتها على وسائل الإعلام الأمريكي؛ من محطات إذاعية؛ ودور للصحف، وحتى الكتب المدرسية والكنائس، وسخرت كثير من رجال الدين النصراني في تنفيذ مآربها، والحقيقة أن المحاولات الصهيونية للسيطرة على توجيه الإعلام الأمريكي لم تكن مجرد ظاهرة عفوية أو طبيعية، وإنما كانت مبنية على خطة مدروسة بغاية من الدهاء والمكر، إذ أدركت أن أفضل طريقة لنشر دعايتها الباطلة هي السيطرة على وسائل الإعلام ودور الصحف والنشر والطبع، ووجدت في هذه الوسائل أفضل السبل للنفوذ إلى عقول الأمريكيين وغسل أدمغتهم، ومن ثم يتهيأ للصهاينة توجيه الشؤون السياسية لخدمة مصالحهم وأهدافهم الرئيسة، وهي ضمان مساعدة الولايات المتحدة ومساندتها «لإسرائيل» سياسياً واقتصادياً وعسكرياً.

وهكذا تنتهج وسائط الإعلام الأمريكي حملة دعائية واسعة بتوجيه الصهيونية لإثارة الشعب الأمريكي ضد العرب والمسلمين وقضاياهم، وخاصة القضية الفلسطينية عن طريق سيطرتها على وسائل الإعلام وغيرها من الوسائل، كما تبينها الحقائق الآتية[1]:

١- محطات الإذاعة (المرئية والمسموعة): وتسيطر الصهيونية على أكبر وأشهر ثلاث محطات إذاعية رئيسة في أمريكا والمعروفة باسم محطة (سي . بي . اس) ومحطة (إن . بي . سي) ومحطة (أي . بي . سي) وهذه المحطات لها شبكات تغطي القارة الأمريكية (الولايات المتحدة وكندا) ولها مراسلون في جميع أنحاء العالم بما فيه العالم العربي والإسلامي، بالإضافة إلى مراسليها في القارة الأمريكية نفسها.

---

(١) من البحث الذي قدم إلى مؤتمر الإعلام الإسلامي الأول المنعقد بجاكرتا بعنوان « الحملات الإعلامية ضد الإسلام وطرق التصدي لها» من قبل - (أحمد سعد - نيويورك - الولايات المتحدة) ونشرته مجلة « الإرشاد » اليمنية في العددين الثاني والثالث (١٤٠١هـ).

ولتقدير مدى سيطرة الصهيونية على هذه المحطات الثلاثة نجد أن إدارتها تخضع لعناصر يهودية مباشرة.

فمحطة (سي . بي . إس) تحت إدارة اليهودي « وليام بالي » ومحطة (إي . بي . سي) يديرها يهودي اسمه « ليونارد جونسون» وأما محطة « إن . بي . سي » يقوم على إدارتها اليهودي « الفرد سلفرمان » كما أن للصهيونية سيطرة على أكثر من (٢٠٠) محطة إذاعية أخرى محلية في الخمسين ولاية الأمريكية.

٢- دور الصحف (الجرائد والمجلات) الأمريكية: والصهيونية تسيطر على أكبر وأشهر الصحف الأمريكية وهما: نيويورك تايمز، واشنطن بوست، الديلي نيوز، ونيويورك بوست، كما يسيطر الصهاينة على أشهر مجلتين أسبوعيتين وهما مجلتا: الأيم ونيوزويك. بالإضافة إلى أن هناك نفوذاً يهودياً على أكثر من (١٠٠٠) ألف صحيفة ومجلة في جميع الولايات المتحدة، وإن معظم المعلقين والكتاب والمحررين والمراسلين إما عناصر يهودية وإما أمريكية من ذوي الأقلام المأجورة في خدمة الصهيونية. وقد جندت الصهيونية أكثر من ألف صحافي ومراسل أمريكيين لخدمة أهدافها إما لأنهم يهود أو من ذوي الأقلام المأجورة، كما لها آلاف المراسلين في جميع أنحاء العالم.

٣- الكتب المدرسية: وقد أدت الصهيونية عن طريق استخدام المؤلفين ودور الطباعة والنشر الأمريكية دوراً كبيراً في حشو الكتب المقررة للتدريس في مدارس أمريكا الابتدائية والثانوية بمعلومات خاطئة مسممة لأفكار الشعب والطلاب الأمريكيين تحمل الضغينة والحقد والطعن في الإسلام ومبادئه السمحة وعن شخصية الرسول ﷺ . وخاصة كتب التاريخ والجغرافية ففيها تشويه كبير ضد تاريخ العرب والمسلمين وجغرافية العالم العربي الطبيعية، حيث تُظهر أن إسرائيل

صاحبة الحق في فلسطين التي يطلقون عليها في هذه الكتب المدرسية زوراً اسم « أرض الميعاد ».

٤- الكنائس ورجال الدين « النصراني »: وقد مر ذكر كيف استخدمت الصهيونية الكنائس ورجال الدين لخدمة أهدافها وتشويه العالم الإسلامي، والعقيدة الإسلامية.

٥- السينما: سيطرت الصهيونية أيضاً على « ستديوهات هوليود » الكبرى . وأنتجت مئات الأفلام التي تعرض اليهود بصور جميلة أخاذة، وهي تمتلئ في الوقت نفسه بالمواد الدسمة التي تناسب المخططات اليهودية والدعاية لليهود « إسرائيل » فشبكات الرائي (التلفاز) تعرض بين فترة وأخرى أفلاماً مثل (المجزرة) و(الخروج) و(الوصايا العشر) و(برج بابل) و(داود وجوليات) و(شمشون ودليلة) وكلها أفلام قد صُنعت خصيصاً للدعاية لليهود وما تدَّعي « إسرائيل » وعندما حصل الخلاف بين اليهود والرئيس كارتر على إثر توقيعة للبيان الأمريكي السوفياتي، بدأت شبكات التلفزيون الأمريكية تكرر عرض فيلمي (اغتيال روزفلت) و(اغتيال كندي) وكأن اليهود يقولون لكارتر بأن هذا هو مصير كل رئيس أمريكي لا يتبنى الأهداف اليهودية..

بالإضافة إلى تركيز اليهودية على الأفلام الجنسية والبوليسية مثلاً لتهدم الأخلاق والنظام الأسري، كما أنها زَيَّفت الأفلام التاريخية بحيث تعظم التاريخ العبري وتحط من قدر تاريخ الأمم الأخرى[1].

كما أنهم يركزون بمختلف وسائل الإعلام على عظمة اليهودي كفرد واليهود كشعب مختار فلا يُفوّتون فرصةً دون تعداد اختراعاتهم واكتشافاتهم وأثرهم في

---

(١) مجلة الأمان – العدد ٧٨ – ٢٠ رمضان ١٤٠٠هـ (هل يثور الأمريكيون على التسلط الإعلامي اليهودي).

التاريخ العالمي، فينسبون لأنفسهم أنهم أول من اكتشف أمريكا، وأنهم أول من اكتشف الأدوية الحديثة للعلاج وطورها، وأن كلمة (فيتامين) وضعها يهودي اسمه (اسميرفانك) وأن لقاح الجدري طوره اليهودي (جونس سالك) ... إلخ هذا غيض من فيض، من الدعاية اليهودية في بلد واحد هو الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا التغلغل اليهودي في وسائل الإعلام الأمريكية حمل وكالة (نوفوستي) الرسمية الروسية إلى القول : « الصهاينة يسيطرون على سبعين بالمئة من النشرات الدورية في أمريكا، كما يسيطرون على ثمانين بالمئة من محطات التلفزيون الأمريكية» (١٧/ ٦/ ١٩٨٠)[1].

ولم يكتف اليهود باستغلال وسائلهم الإعلامية الخاصة للدعاية لأهدافهم وتنفيذ مخططاتهم، ولكنهم حاولوا منذ القديم استغلال وسائل الدعاية الوطنية والنصرانية في أمريكا، فنجد المدرسين والمحاضرين اليهود ينتشرون في معظم المدارس والجامعات الأمريكية، ومهمتهم الأساسية الدعاية لليهود، كما يندس اليهود بشكل منظم في كل ناد أو تجمع حزبي أو نقابي لكي يستغلوا وسائله الإعلامية للدعاية لقضاياهم..

وهكذا استطاعت اليهودية بوسائل إعلامها المنتشرة في أمريكا بشكل خاص والدول الغربية بشكل عام، أن تضلل الشعوب الغربية، حتى أصبحت لا تستطيع أن تحدد علاقاتها مع غيرها من الأمم إلا بالشكل والكيف الذي يريده اليهود، وحتى أصبحت لا تعرف الكثير عن أوضاعها إلا بما تُعَرِّفها به وسائل الإعلام اليهودية، وحتى أصبحت وسائل الإعلام هذه سيفاً مُسلَّطاً على عقول الغربيين ورقابهم، فلا يستطيع حر أن يعلن رأيه بصراحة أو أن يقول كلمة حق دفاعاً عن

---

(١) مجلة الأمان – العدد ٢٠٧٨ رمضان ١٤٠٠هـ (هل يثور الأمريكيون على التسلط الإعلامي اليهودي).

وطنه وأمته إلا تَعَرّض لحطة شرسة تشنها عليه أجهزة الإعلام اليهودية باسم معاداته للسامية وكراهيته لليهود[١]، حتى أيقن الكثيرون أن حرية الرأي في العالم - الحر - قد ذبحها اليهود على مذبح أطماعهم وأهدافهم بسبب ما فرضوه من إرهاب فكري على شعوب الدول الغربية وحكوماتها بشكل عام وأمريكا بشكل خاص[٢].

---

(١) المثال على ذلك الحملة التي تعرض لها ((سبيرواغينو)) نائب الرئيس الأمريكي في عهد كارتر عندما صرح لصحيفة (واشنطن ستار) : ((بأن نصف عدد الذين يملكون أو يديرون وسائل الإعلام الوطنية الأمريكية هم من اليهود، وأنهم مع غيرهم من اليهود المتنفذين خلقوا سياسة توصف بأنها كارثة فيما يخص شؤون الشرق الأوسط ((وقد سبق (لأغنيو) أن وقف عام ١٩٦٩م في مدينة (دي موينز) وشد هجوماً عنيفاً على شبكات التلفزيون وعلى بعض المعلقين السياسيين متهماً إياهم بإدارة الأخبار والأفكار على نحو عنصري وبالعمل على إخفاء الحقيقة عن الجمهور.. وكان رئيس الجمعية الأمريكية لرؤساء وتحرير المصحف آنذاك (نورمان إيزاكس) وهو يهودي - فهاجم تصريحات (اغنيو) واتهمه بالعداء للسامية.. (انظر مجلة الأمان - العد ٧٨- ٢٠٠ رمضان ١٤٠٠هـ).

(٢) مجلة الأمان - مقال: هل يثور الأمريكيون على التسلط الإعلامي اليهودي - العدد ٧٨ رمضان ١٤٠٠هـ - بقلم نبيه عبد ربه.

ثانياً: الدعاية الشيوعية: كانت الدعاية الشيوعية في الاتحاد السوفيتي، قبل تفككه والقضاء على الحكم الشيوعي، تعتبر من وظائف الدولة المهمة.. لأنها الأداة التي يذعن بواسطتها الجمهور لسلطة الدولة المتسلطة على الأفراد، بل على عقولهم أيضاً، لهذا كان مفهوم الدعاية في هذه البلاد يتماشى مع مفهوم التربية والتعليم. ومهمتهما واحدة، إذ بواسطتها تغرس التعاليم الشيوعية في القلوب والعقول منذ الصغر، وعليها يتربى الكبار، ومنها ينطلقون في فكرهم وأدبهم وفنهم.. ومن خلال هذا البحث سيتوضح لنا، بإذن الله تعالى، الدور الخطير لهذه الدعاية وما قامت به من زرع للمبادئ الإلحادية وخاصة في البلاد الإسلامية التي اغتصبتها واعتبرتها من جمهوريات الاتحاد السوفيتي بعد الحرب العالمية الثانية.. بالإضافة إلى البلاد الإسلامية التي اغتصبت في عهد القياصرة .. وكذلك الدعاية الموجهة إلى الخارج .. إلى البلاد الإسلامية وغيرها وما تنطوي عليه من خداع وتضليل وكذب، لاستمالة القلوب الخاوية من الإيمان، والعقول المنحرفة، لإسقاطها في مهاوي الهلاك، لتصبح لقمة سائغة للروس وأحلامهم القيصرية القديمة.

(١) **نشأة الدعاية الشيوعية:** أوجد لينين[١] الأساس النظري للدعاية الشيوعية قبل قيام الثورة في روسيا عام ١٩١٧م بعشرين عاماً، إذ إنه « طالب رجال الدعاية بالتسلح النظري الجيد وبالمعرفة العميقة لتلك المادة التي كانوا يتوجهون بها إلى المستمعين، ولم يقتصر على ذلك، بل طالبهم أيضاً أن يدرسوا وباهتمام كبير المستمعين أنفسهم، وأن يعرفوا مستوى تطورهم واتجاهات اهتماماتهم وحاجاتهم ومطالبهم المحددة، وفي الوقت نفسه يجب على رجال الدعاية أن يهتموا بعرض المادة

---

(١) لينين هو: فلاديمير إيليش أوليانوف (١٨٧٠- ١٩٢٤م) قاد الثورة الشيوعية في روسيا عام ١٩١٧م)).

بصورة مبسطة خالية من التعقيد دون اللجوء إلى الابتذال، بل أن يطمحوا إلى رفع مستوى وعي مستمعيهم»[١].

وهكذا عَرَف « لينين » كيف يلعب بالشعب الروسي، ويستغل جميع الظروف لمصلحته ، وقد ساعده في دعايته الفقر الشديد والبؤس الذي كان مخيماً على الشعب، كما أنه استفاد من بساطة الناس وجهلهم وغفلتهم، ومما ساعده على نجاح دعايته هو أنه لم يصطدم بعقيدة قوية كانت تتحكم في عقلية الرجل الروسي وتقف حاجزاً دون النظرية الجديدة، لأن جميع العقائد قد تزلزلت وانهارت.

وكانت دعاية « لينين » وقوداً للغرائز الجامحة إذ استغلها أيما استغلا، وخاصة إذا عرفنا أن الشعب الروسي قد مل القتال في نهاية الحرب العالمية الأولى، وكان تواقاً لإنهاء حالة الحرب والتخلص من أوضاعه الاقتصادية، وكانت كلمة « سلم » أو « أرض » محببتين إلى نفسه، فأثار بها الملايين من الرجال، وقد وجد الشعب في قادة الثورة منفذين له، فتبعهم متنازلاً بسهولة عن حريته الشخصية[٢].

وبعد الثورة الشيوعية عام ١٩١٧م وضعت جميع وسائل الإعلام تحت سيطرة الدولة، واحتكرتها، فكانت أول وسيلة إعلام أممتها الدولة هي الصحافة، وأعدمت جميع الصحف المعارضة، ووضعت لذلك نصاً دستورياً هو المادة ١٤ من دستور ١٠ تموز (يوليو) ١٩١٨م وترجمة النص ما يلي: « لضمان حرية التعبير عن الرأي، ألغت الجمهورية الفيدرالية السوفيتية تبعية الصحافة لرأس المال. ووضعت تحت تصرف الفلاحين والعمال الوطنيين جميع الوسائل الفنية والمادية اللازمة لتحرير

---

(١) « علم النفس الاجتماعي وقضايا الإعلام والدعاية » ف. كولبانوفسكي . ص ٩ (ترجمة نزار عيون السود).

(٢) الدعاية السياسية والاستعلام . د. مصطفى الحضاري ص ١٧٢.

الصحف والنشرات والكتب وسائر المطبوعات الأخرى وضمان ذيوعها في سائر أنحاء البلاد»[١].

(٢) أسلوب الدعاية الشيوعية: وضع لينين أسلوباً علمياً – بزعمه – للدعاية الشيوعية، يصل في نهايته إلى غايته الأولى والتي هي نشر الشيوعية بين الناس. وكان من الأساليب الأولى في هذا المجال استخدام الإضرابات في التحريض والدعاية للشيوعية، فبوساطة الإضراب يتعرف الناس على مبادئ الشيوعية. ومن المعروف أن الإضرابات يتخللها هتافات، ورفع شعارات معينة، وخطب جماهيرية،... وقد قال لينين بهذا الخصوص: « لقد طورت الثورة الروسية ولأول مرة، وبمقاييس واسعة، هذه الطريقة البروليتارية[٢] في التحريض والدعاية وتحريك الجماهير ورص صفوفها وجذبها إلى النضال ، وتستخدم البروليتاريا الآن هذه الطريقة من جديد وبيد أكثر صلابة»[٣].

ويبين أحد علماء النفس الماركسيين دور الإضراب في الدعاية الشيوعية بقوله: « وهكذا استخدم الإضراب كطريقة في التحريض والدعاية، إن قوة الدعاية البلشفية لم تكن في الكلمة المطبوعة والمقروءة المصادقة فحسب، بل وفي نشاط الجماهير المنظم»[٤].

والإضراب يبدأ بالإثارة والتهييج، ولهذا وضع لينين القاعدة التي تقول: « إن العامل الأساسي للدعاية هو الإثارة والتهييج بين طبقات الشعب»[٥].

---

(١) المرجع السابق ص ١٨٦.

(٢) البروليتاريا : طبقة العمال أو طبقة الصعاليك في التصور الشيوعي.

(٣) علم النفس الاجتماعي وقضايا الإعلام والدعاية ، ص ١١ و ١٢ (نقلاً عن المؤلفات الكاملة لينين ج ٢١ ص ٣٤٢)..

(٤) المرجع السابق ص ١١ و ١٢.

(٥) الإعلام والدعاية – عبد اللطيف حمزة ص ٢٢٢.

وابتدع نظاماً للدعاية يقوم على طوائف ثلاث وهي: طائفة المنظمين، وطائفة الدعاة، وطائفة مثيري القلاقل.

فالمنظم : يتولى تنظيم الاجتماعات والاحتفالات المحلية وتنظيم الدعاية فيهما. ومثير القلاقل: أو المحرض – هو الشخص الذي عنده فكرة واحدة، أو عدد يسير من الأفكار يرددها أمام عدد قليل من الناس لكي يثيرهم شيئاً فشيئاً. والداعي: يتلقى الموضوع الذي تُراد الدعاية له، ويضيف إليه كثيراً من عنده ويذيعه على أكبر عدد من الناس، وهو في ذلك يخالف المحرض أو مثير القلاقل، في أن المحرض يأخذ فكرة معينة وينقلها إلى شخص معين أو قليل من الأشخاص بقصد الإثارة، كما يفعل مثلاً حلاق القرية أو الحي أو بقال الشارع أو الكواء، أو كما يحدث من طالب واحد أو عدد قليل من الطلبة يهتفون بهتاف معين يقصد به إثارة الباقين من الطلاب[١].

وهكذا يتبين لنا من خلال أسلوب الدعاية الشيوعية، أن العقيدة الشيوعية لا تقوم في دعوتها على الإقناع العقلي الموضوعي، وإنما تقوم على التهييج الانفعالي، أو الإثارة العاطفية، والتي يُستغل فيها جهل الناس بالشيوعية وما تتضمنه مبادئها من قضاء على حرية الإنسان وكرامته وفطرته، وقضاء على كل العلاقات الإنسانية من أسرة وعواطف وأخلاق والتي تعتبرها من رواسب «البروجوازية»[٢].

والدعاية الشيوعية تُردد هذا دون حياء بعد أن تلبسها أثواباً براقة، مذكية لهيب الأنانية في طبقات العمال والفلاحين، فتَعِد العمال بدكتاتورية البروليتاريا[٣] وتعد الفلاحين بالأرض.. واستخلص لينين من الماركسية نظاماً خيالياً للمجتمع الجديد

---

(١) الإعلام والدعاية – د. عبد اللطيف حمزة – ص ٢٢٢ – ٢٢٣.

(٢) البرجوازية: طبقة التجار وكبار الموظفين في المجتمع أو الطبقة الوسطى في المجتمع.

(٣) دكتاتورية البروليتاريا: دكتاتورية طبقة العمال.

الذي تتلاشى فيه الطبقات.. ونادت الشيوعية بالتخلص من الأديان، وعبادة المادة والفن بدلاً من عبادة الرحمن، بل جعلوا من لينين معبوداً في الدولة الشيوعية[1].

ولقد طور دعاة الشيوعية، بعد ذلك، السياسة الدعائية ونموها، وأصبح لها سمات خاصة، تعرف بها، في كل المجتمعات، ويتوارثها الشيوعيون، في كل الدول والأمم.. وأهم هذه السمات:

١- التكرار الدؤوب لشعارات الشيوعية، تكراراً يستهدف تكريس هذه الشعارات في الأذهان عن طريق كثرة التكرار والإلحاح والإعادة.. ويتضح هذا من طوفان المطبوعات الشيوعية في جل لغات العالم، والتي تُطبع بعشرات الملايين من النسخ، تحمل الأفكار نفسها وذات العبارات تحت عناوين متغيرة..

فكتابات لينين وخطبه طبعت في كل لغات العالم، ونشرت فيها مئات الطبعات ووزعت منها عشرات الملايين من النسخ.. بأسعار رمزية لا تصل إلى عشر ثمن تكلفتها من ورق ومداد فقط.

وهذا مثال واحد عن السمة الأولى من سمات الشيوعية، وهي سمة الإكثار على الآذان، ليل نهار، وبكل اللغات، وأقل الأسعار بشعارات ومفاهيم الشيوعية، وعبارات لابد وأن تُرَدَّد من قبل البعض، بالمنطق الببغائي من كثرة التكرار الذي لا يكل ولا يمل[2].

٢- كذلك تتسم الدعاية الشيوعية باستعمال أكبر قدر من البيانات والأرقام غير الصحيحة سواء عن نفسها أو عن خصومها.

---

(١) يراجع بتوسع «الدعاية والاستعلام» د. مصطفى الحفناوي – القاهرة ص ١٧٢.

(٢) الشيوعية والأديان – د. طارق حجي – مطبوعات الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية – ط ٣ ١٤٠٠ – ١٩٨٠ ص ٨١ – ٨٢.

ولا تتورع الشيوعية عن استعمال أي بيانات أو أرقام بغض النظر عن نصيبها من الصحة، بهدف ترجيح المفاهيم الشيوعية وتزيين الواقع في البلدان التي تطبق المذاهب الماركسي.

ويكفي أن نطالع أعداد مجلة واحدة من المجلات الشيوعية والتي توزعها حكومة موسكو في معظم أرجاء العالم، مثل مجلة « الاتحاد السوفيتي» لنرى كيف يتم حشو صفحات المجلة بطوفان من الأرقام عن الحياة في « الاتحاد السوفيتي » وكيف أن الحكومة « السوفيتية » التي تسير على النهج الماركسي – توفر لشعوب البلدان « السوفيتية » أعلى مستوى غذائي وكسائي في العالم، وكيف ينعم فيها بأحسن رعاية صحية وتأمينات اجتماعية، وكيف يشب الأطفال في أحسن وأرقى ظروف معيشية، وكيف يتمتع المواطن عندهم بأعلى درجات الراحة والاستقرار والهناء في العالم المعاصر، وكيف تخلو حياته من الصراع والظلم والاستغلال!!.

وبالقدر نفسه من البيانات تحاول أن توضح أن البشر في المجتمعات غير الشيوعية، وخاصة في المجتمعات الصناعية الرأسمالية المتقدمة، إنما يعيشون في جحيم لا يطاق وأنهم يعانون في كل أمر وفي كل مجال من مجالات الحياة..

٣- والدعاية الشيوعية على استعداد لاستعمال أي وسيلة تزين الشيوعية فكراً أو تطبيقاً، كما أنها على استعداد – في الوقت نفسه – لاستعمال أي وسيلة لتحقير النظم غير الشيوعية، والهجوم على أشخاص المعارضين للشيوعية من أبرز وسائل الدعاية الشيوعية، فالشيوعية لا تلجأ فقط للهجوم على التيارات الأخرى وإنما تعمد في الوقت نفسه لتشويه صورة أقطاب هذه التيارات تشويها كاملاً بتصويرهم كمجموعة من فاسدي الذمم أصحاب الأخلاق المعوجة والنيات السيئة[1].

---

(١) ارجع إلى المرجع السابق ص ٨٤.

« وقد لاحظ فريق كبير من المختصين في دراسة الشيوعية هذه الملاحظة عليها ومنهم الكاتب الإنجليزي «كاريوهنت» الذي قال في مقدمة كتابه (النظرية والتطبيق في الشيوعية): إنه بسبب الدعاية الشيوعية المتدفقة كالسيل، والتي هي أقوى أسلحة الشيوعية، لا يكاد الباحث يعرف من أين يبدأ، وبالرد على أن المزاعم يستهل تفنيده لطوفان الدعاية الشيوعية، فالدعاية الشيوعية تعمل بكل السبل الشريفة وغير الشريفة، في كل مجال، وتقول كل شيء وأي شيء يخدم الدعوة للشيوعية أو الشيوعيين، وفي كل موضوع، بحيث يجد الباحث نفسه في مواجهة خِضَم من الأقاويل والمزاعم والبيانات، وفي مواجهة سيل جارف من الدعاية يحتاج لمراكز متخصصة في البحث، لإثبات أن السواد الأعظم من هذه الأقاويل والبيانات والدعايات هو نسيج خالص من التلفيق والكذب وابتداع ما ليس بحقيقي ولا بصدق في شيء، حتى لو أوجدت كل دولة جهازاً للبحث ينهض بهذا العبء، فإن ما سيخرجه من دراسات مُمَحَّصة لبيانات الدعاية الشيوعية لن يُقرأ من طرف الذين وجهت إليهم تلك الدعاية، لأن أولئك يندر بينهم من يقرأ شيئاً يمت بصلة للبحث العلمي العميق، فعقولهم – بالكاد – تتناسب مع تلك الكتيبات المبسطة المخلة بالمنطق والواقع في آن واحد..»[١].

وجدير بالذكر، أن الدعاية الشيوعية إنما توجه أساساً للأجيال الناشئة من الشباب، وخاصة للطلاب منهم – وأجهزة الدعاية الشيوعية تعلم جيداً أنها تتعامل مع أشخاص يافعين تغلب عليهم العواطف المتأجحة بحكم تكوينهم النفسي والعضوي غير المستقر، لذا فإنها تجيد معهم الإثارة إلى أبعد حد، مستغلة عدم قدرتهم على تمحيص كل قطرة من قطرات هذا الطوفان السيال من البيانات والأرقام غير السليمة وغير الصادقة في آن واحد.

---

(١) المرجع السابق ص ٨٤ – ٨٥.

(٣) وسائل الدعاية الشيوعية: تستخدم الشيوعية في دعايتها جميع وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة مسموعة ومرئية وسينما وحتى جهاز التربية والتعليم لم يسلم منها وأصبح جهاز دعاية .. وسنوجز الكلام عن كل وسيلة من هذه الوسائل حتى تكتمل رؤيتنا للدعاية الشيوعية.

١- الصحافة: قلنا آنفاً أن الشيوعية بعد الثورة في عام ١٩١٧م ألغت جميع الصحف إلا الصحف الناطقة باسمها بحجة أنها أُفسدت من قبل « البرجوازية » ولم يسمح بعد ذلك لأي إنسان أن يَخُط أي كلمة بحرية، « وأن من يحاول زعزعة هذا النظام – أي النظام الشيوعي – يعد عدوا للشعب ولن يسمح له بأن يتناول ورقة، ولن تطأ قدمه عتبة المطابع التي ينشر فيها سمومه، ولن يجد قاعة واحدة أو ركناً في قاعة ليرفع صوته» على حد تعبير صحيفة البرافدا[١].

وأعطت الشيوعية أهمية خاصة للصحافة، وجعلتها ركناً مهماً في بناء الدولة ولهذا الأمر تعددت الصحف وتنوعت في شكلها ولغاتها وموضوعاتها في المدن والأقاليم القريبة والبعيدة، ولكنها جميعاً بقيت أدوات دعاية تتسم بمضمون واحد هو الفكر الماركسي الملحد.

أما عن نظام الصحافة، فإن صحف موسكو الثلاث الكبرى[٢] هي التي تقوم بدور الإلحاد والتوجيه للصحافة الإقليمية التي تطيعها طاعة عمياء، والتي تصدر كل واحدة بلغة الإقليم الصادرة فيه[٣].

---

(١) المرجع السابق ص ١٨٧ (نقلاً عن البراقدا ٢٢ حزيران (يونيو) ١٩٣٦م) .

(٢) وهذه الصحف هي:

١- البرافدا (أو الحقيقة) : لسان حال اللجنة الركزية للحزب الشيوعية وتوزع ٩ ملايين نسخة يومياً. ٢- الأزفستيا (أو الأخبار) ، لسان حال الحكومة وتوزع ٨,٥ مليون نسخة يومياً.

٢- عصبة الشباب الشيوعي وتوزع ٧,٥ مليون نسخة يومياً. (ارجع إلى كتاب النظم الإذاعية في المجتمعات الاشتراكية – د. جيهان رشتي ص ١٠).

(٣) في عام ١٩٧٦ أصبحت الصحف تظهر بـ ٥٨ لغة مستخدمة داخل ما يسمى بالاتحاد السوفيتي و٢٣ لغة أجنبية. (ارجع إلى كتاب : النظم الإذاعية في المجتمعات الاشتراكية – جهان

وحتى نأخذ صورة صحيحة لأهمية الصحافة في الدعاية الشيوعية، نطلع على آخر الإحصائيات للصحافة في الإمبراطورية الروسية ومستعمراتها:

- في عام ١٩٧٤م كان يوجد ٦٣٩ جريدة يومية و٨٠٥٥ جريدة غير يومية يبلغ إجمالي توزيع الصحف اليومية (٨١,٦٣٣,٠٠٠) نسخة والصحف غير اليومية (٥٩,٠٨٣,٠٠٠) نسخة.

- وفي سنة ١٩٧٦ م كان يوجد (٢٨) جريدة مركزية و (١٦٠) جريدة في الجمهوريات و(٢٩٣) جريدة إقليمية و(٩٦) جريدة في المناطق و(٦١٦) جريدة في المدن وأكثر من ستة آلاف جريدة في المصانع والأحياء.

- وفي سنة ١٩٧٠ م كانت تظهر في ما يسمى بالاتحاد السوفيتي:

- ٤٩١٣ دورية باللغة الروسية.

- و٩١٥ دورية باللغات الأخرى المستخدمة داخل البلاد .

- و ١٤١ دورية تظهر بـ ٢٣ لغة أجنبية[١].

مع العلم أن ما ينشر في هذه الصحف تحتكره وكالة « تاس » للأنباء، ومحرم على أي صحيفة أن تنشر خبراً محلياً إلا إذا استقته من المصادر الرسمية.

٢- الإذاعة: إن الاهتمام بالإذاعة المسموعة بصفتها وسيلة من وسائل الدعاية الشيوعية كان في بداية الثورة في روسيا، وقد استغلت إلى أبعد حد، وعلى أوسع نطاق ويشرف عليها لجنة خاصة تتمتع بسلطات كبيرة، وتعمل بإرشاد الحزب الشيوعي وتعاون هذه اللجنة/ ١٣٠ مائة وثلاثون لجنة إقليمية، ولدى روسيا في

---

(١) المرجع السابق ص ١٠.

عام ١٩٧٤ (٣٠٣٤) محطة إرسال، تستقبل من قبل (١١٠,٣٠٠,٠٠٠) جهاز استقبال عند الجمهور[١].

وحتى تملأ الإذاعة آذان الفرد الروسي والمجتمعات التي تقع تحت سيطرة حكومة موسكو وضع الشيوعيون نظاماً يمكن للجميع الاستماع إلى الإذاعة وذلك بتزويد المصانع بالأجهزة ومكبرات الصوت الموضوعة في كل زاوية في المدن والريف. وبرامج الإذاعة هي الأخبار الرسمية، والخطب والتعليقات السياسية، والمحاضرات والأوامر الشيوعية، ويذاع هذا كله بسبعين لغة..

أما الأنباء الخارجية فإنها لا تذاع إلا بما يخدم الفكر الشيوعي[٢].

وقد بنى الشيوعيون في روسيا الدعاية الإذاعية على أسس علمية مدروسة. وهذه الأسس تنطلق من علم النفس الاجتماعي ودراسته للسلوك الفردي والجماعي وكيفية التأثير فيه.. وقد بين أحد علماء النفس الشيوعيين[٣] مدى أهمية الإذاعة في الدعاية للشيوعية في مقال مطول بعنوان: «التأثير النفسي والاجتماعي للدعاية الإذاعية» مصنفاً التأثير العميق للبث الإذاعي في المجالات الآتية:

- في مجال السلوك الفردي والجمعي.
- في مجال الآراء والتصرفات.
- في مجال التعليم والمعرفة.
- في مجال العواطف والانفعالات[٤].

---

(١) بالإضافة إلى محطات الإرسال السلكية أو (راديو أو زيل) ووظيفتها نقل ما تتلقاه من المحطات المركزية والإقليمية إلى مكبرات الصوت في المنازل أو أماكن التجمع كالمصانع والمزارع وغيرها، ومن ميزة أجهزة الاستقبال لهذه المحطات أنها غير قادرة على استقبال الإذاعات الأجنبية .. (النظم الإذاعية ص ١٠٣).

(٢) الدعاية السياسية والاستعلام (ص ١٣).

(٣) وهوب غورفيتش، المقال في كتاب: علم النفس الاجتماعي وقضايا الإعلام والدعاية ص ١٣٤.

(٤) المصدر السابق ص ١٣٧.

ولا بأس من عرض بعض الفقرات من هذا المقال لمعرفة مدى اهتمام الروس بالإذاعة والدعاية بواسطتها، فهي تستخدم أولاً لبناء الاشتراكية في الداخل: « إننا نستخدمها – أي الإذاعة – من أجل نشر ثقافتنا الاشتراكية في أوساط الجماهير الواسعة، وهذا مثال نموذجي على استخدام منجزات التقنية من أجل أهداف بناء الاشتراكية»[١].

وهي تستخدم ثانياً للدعاية للشيوعية وتحريض الشعوب الأخرى على الثورة ضد حكوماتها وارتباطها بالشيوعية الدولية: « ومن أمثلة تأثير البرامج الإذاعية على السلوك الجماهيري في المجال السياسي يمكننا ذكر البرامج الإذاعية السوفيتية عن الصراع الطبقي في القرية والتحقيقات الإذاعية المنقولة من الساحة الحمراء[٢] والبرامج السياسية والاجتماعية المكرسة لثورة أكتوبر، ومشاركة البث الإذاعي في نشر حركة أنصار السلام وكذلك البرامج المخصصة لتأييد الشعوب التي تناضل في سبيل استقلالها وحريتها»[٣].

٣- الإذاعة المرئية (التلفزيون) و(السينما): وهي الوسيلة الثالثة من وسائل الدعاية في النظام الشيوعي، وهي الثالثة أيضاً من حيث التقويم النوعي والاستخدام الفعلي[٤]، إلا أن « التلفزيون يحتل المركز الأول في مجال الدعاية للثقافة» أي الدعاية للعقيدة الشيوعية، وإن كانت هذه الدعاية وبهذه الواسطة – محدودة حالياً بحدود الإمبراطورية الروسية، إلا أن لهذه الدعاية الداخلية أهميتها في الوقت الراهن، لأن الشعب الروسي والشعوب الأخرى الواقعة تحت سيطرته،

---

(١) المصدر السابق ص ١٤١.

(٢) «الساحة الحمراء » ميدان في موسكو العاصمة.

(٣) المرجع السابق ص ١٤٦.

(٤) بدأ الإرسال المنتظم في موسكو عام ١٩٤٨م، وحالياً (وقت نشر الكتاب) يوجد (١٣٢) استديو تلفزيوني – وعدد أجهزة الإرسال (١٦٢٠) جهازاً حتى عام ١٩٧٣م ، وعدد =

محدودة حالياً بحدود الإمبراطورية الروسية، إلا أن لهذه الدعاية الداخلية أهميتها في الوقت الراهن، لأن الشعب الروسي والشعوب الأخرى الواقعة تحت سيطرته، لم تبق محصورة داخل الستار الحديدي، وأن وسائط الاتصال الأخرى أخذت تتخطى الحدود والقارات، لتصل إليه.. مثل الإذاعة.

وأن الرائي (التلفزيون) وسيلة اتصال مهمة، بل له أهمية خاصة إذا قورن مع وسائل الاتصال الأخرى « وترتبط هذه الأهمية بـ (طبيعة) الاتصال التلفزيوني و« بثه المباشر » وصورته حيث يتم الاتصال المباشر بين المشاهد والحدث . وهذا عامل نفسي مهم، حيث ينشأ لدى المشاهد انطباع، بأنه يشارك مباشرة في الحدث ويمكنه تقويم أهميته دون تعليقات خارجية من المذيع»[١].

ولهذه الأهمية للرائي استخدم أكثر من أي وسيلة أخرى، في نشر الأفكار الشيوعية، وأن برامج الرائي كلها من أخبار وتمثيليات وأفلام سينمائية صيغت بحيث تخدم الفكر الشيوعية..

والأخبار خاصة تعرض بطريقة دعائية بحيث تظهر التأييد للزعماء الشيوعيين، مثل التصفيق لهم في المحافل الدولية، وتهمل كل إشارة معادية لهم، إلا إذا جاءت من دولة غربية، فَيُعَدُّ هذا دليل على المؤامرات التي يحيكها الرأسماليون لهم « وهم يظهرون الغرب بأقبح صورة في حين يعنون بإبراز الدولة الشيوعية في أبهى صورة وأقشب حلية[٢].

= أجهزة الاستقبال ٤٩,٢٠٠,٠٠٠ جهازاً في العام نفسه، وقد استخدمت الأقمار الصناعية في نقل برامج التلفزيوني، ويجد حوالي (٣٠) محطة أرضية وقد بدأت العمل عام ١٩٧٤م.
(ارجع إلى كتاب، النظم الإذاعية في المجتمعات الاشتراكية ص ٨٨ و ٩٢و ١١٣).

(١) علم النفس الاجتماعي وقضايا الإعلام والدعاية ص ١٧٢.

(٢) الإعلام الإذاعي والتلفزيوني – د. إبراهيم إمام ص ١١٩ – دار الفكر العربي ١٩٧٩ القاهرة.

ويلحق بالرائي السينما .. التي كانت سابقة زمنياً عليه، إلا أنه أصبح وسيلة أفلامها للدخول إلى كل منزل، بالإضافة إلى نصبه في كل شارع وميدان ومصنع. وقد أدت السينما في العهد الأول للنظام الشيوعي في روسيا دوراً مهماً بعد أن أممت صناعة السينما وفرضت الرقابة الشديدة عليها. وقد أُنشئت وزارة خاصة لشؤون السينما، وهذه الوزارة تربي المشتغلين بالسينما وتغذيهم بالمبادئ الشيوعية، وأنشأت لهذا الغرض معهداً للمثلين لتظهر الدعاية الحمراء بصورة أخاذة ومثيرة.. وقد غزت بها سائر البقاع وكانت لها سينما متنقلة غزت فيها الأنحاء النائية في سيبريا ومجاهل الغابات[1].

وقد وضعت روسيا بعد الحرب الثانية برنامج السنوات الخمس، ومن بين ما تضمنته إنشاء ٤٦٧٠٠ دار جديدة للسينما بالإضافة إلى ما أنشئ من قبل حتى عام ١٩٤٠م ما يزيد على ٢٨٠٠٠ دار للسينما..[2] وكانت موضوعات الأفلام تدور دائماً حول الصراع بين الماضي والحاضر فتسفه الماضي وتشوهه وتمجد الحاضر وتمني في المستقبل..

ولما استقرت الأمور للثورة الشيوعية، جنحت روسيا في أواخر أيام « ستالين »، وبناء على تعليماته، لإبراز مجد القيصرية وعزها القديم لأن روسيا تأبى أن تكون إلا مُستعمِرة وتحكم بوصايا بطرس الأكبر[3].

٤- التربية والتعليم: عرفنا أن الدعاية تخاطب العواطف لا العقول، وأنها تقوم على الإثارة العاطفية لا العقلية.. ولكن هل يمكننا حقاً الفصل بين مجال المشاعر ومجال العقل في نطاق التعليم؟

---

(١) الدعاية السياسية والاستعلام – الخضاوي – ص ١٩١.

(٢) الدعاية السياسية والاستعلام الخضاوي – ص ١٩٢.

(٣) حتى عام ١٩٧٤م يوجد (١٤٧) ألف داراً للسينما ثابتة وأكثر من (٣٠) أستوديو لإنتاج الأفلام. (ارجع إلى كتاب : النظم الإذاعية في المجتمعات الاشتراكية ص ١١).

فنحن لا نستطيع أن نقصر وسائل التعليم على العقل وحده دون العاطفة، وأن الغاية من التعليم لم تعد مقصورة على تلقي الحقائق، وإنما أصبح له مهمة تربوية تسعى إلى تشكيل شخصية الطالب وفق ما يريده المربي.. بل إن تعلم الحقائق نفسها لا يخلو من التأثير على العواطف، كما هو الحال في تدريس التاريخ الذي يمكن أن يثير المشاعر أو التحمس للمذاهب التي تؤمن بها الدولة.

ومن هنا افترق مفهوم الدعاية في الفكر الماركسي عن مفهومها الغربي، وأن الدعاية عند الماركسيين يمكن أن تقوم على الإثارة العقلية لا العاطفية – كما هي عند علماء النفس الاجتماعي الغربي – وأن الأولى أليق بالأمم المتقدمة من الثانية – على حد قول المفكرين الماركسيين – ولهذا كان التعليم في النظم الشيوعية يوصف بأنه جهاز دعاية من وجهة نظر الغرب[١]. وباعتبار أن الصغار أكثر استعداداً للتأثر بالدعاية وتقبلها سواء في المدرسة أو في البيت، لهذا كان التعليم في النظم الشيوعية مشبعاً بالعقيدة الشيوعية الملحدة، ومن أول مراحله، أي من رياض الأطفال بتعلم الأطفال حكم ونظريات القادة الشيوعيين، وفي مادة التاريخ بشكل خاص، يتلقاها الأطفال بالصورة التي يريدها المربون هناك من تلميع للثورة على حكم القيصر، وتاريخ لينين وما قام به من الانقلاب الشيوعي.. وكلما انتقل الطفل إلى مرحلة أعلى كلما زادت حصيلته من تلك المعلومات بالإضافة إلى ما يتلقاها في الشارع والنادي ومن وسائل الدعاية المختلفة إلى أن يصل إلى سن معينة فيصبح عضواً في الحزب[٢].

وقد يتساءل البعض: لماذا نطلق على هذا النوع من التعليم دعاية؟ وهل معنى هذا أن كل أنواع التعليم أنواع من الدعاية؟

---

(١) ارجع إلى كتاب الدعاية السياسية وأثرها على مستقبل العالم – ص ١٠٧.

(٢) الدعاية السياسية والاستعلام – الخضاوي – ص ٢١٠.

وفي الحقيقة ليس كل أنواع التعليم دعاية.. ويمكن أن يكون التعليم لوناً من ألوان الدعاية مادام يستخدم طرق الدعاية، كالكلام المكتوب والمنطوق، ويحاول استمالة العواطف بالتكرار المستمر للشعارات البسيطة وغيرها.. ويكون القصد من التعليم ليس تعويداً لتلاميذ البحث بأنفسهم، بل أن يكون القصد فيه إنشاء عقولاً متشابهة مطيعة لما تستمع إليه وما تتعلمه، وباختصار إيجاد أفراد في قوالب واحدة من الفكر والاتجاه، وهذا هو ما قصده « ستالين » حين يقول: « إننا نريد عقولاً متشابهة، فيجب أن نصل إلى هذه العقول بخلق طراز جديد من النشء، وطراز جديد أيضاً من الرأي العام، وذلك عن طريق نشر المبادئ الشيوعية لغاية واحدة هي جعل عقول الناس متشابهة إلى أكبر حد ممكن. ونحن الرابحون من وراء ذلك، وبتكون العقول المتشابهة يصبح أمر الدعاية سهلاً علينا للغاية، أو بعبارة أخرى يكفي أن نقنع عقلاً واحداً بمبادئنا لكي نقنع كل العقول الأخرى بنفس المبادئ»[1].

(٤) **الدعاية الشيوعية والإسلام:** مهما حاولت الدعاية الشيوعية تلميع وجه الشيوعية وتزيينه بمختلف الأصباغ حتى يحلو للناظرين.. وحتى يُخدع به المغفلون، فإن هذا الوجه زالت عنه الأصباغ، وظهر على حقيقته عدوا للأديان جميعاً وللإسلام بشكل خاص.. وهذا الموقف ظهر جلياً منذ قيام الثورة الشيوعية عام ١٩١٧م، إن كان بوسائل الدعاية بكل ما أوتيت من خبث وخداع، أو كان بالقضاء على شعائر العبادة ومراكز الثقافة الإسلامية وتحويلها إلى أماكن لهو في البلاد الإسلامية التي بسطت نفوذها عليها في آسيا الوسطى، مما يشهد به القاصي والداني والقريب والبعيد ولا يحتاج إلى دليل..

واليوم كشفت الشيوعية عن وجهها القبيح أيضاً في عدائها للإسلام والمسلمين في دعمها لليهودية العالمية.. وتمكينها في فلسطين، ومدها بالعنصر البشري الذي لا غنى عنه لليهود لتنفيذ مخططاتهم في التوسع على حساب ديار الإسلام. حتى وصل

(١) الإعلام والدعاية – عبد اللطيف حمزة ص ٢٢٦.

عداؤها للإسلام بالاحتلال العسكري لأفغانستان وما جرى فيه من تقتيل وتشريد الآلاف من المسلمين.

وفي هذه الفقرة من البحث أبين الموقف الرسمي للشيوعية من الإسلام ومن ثم طرق الدعاية الشيوعية ومراحلها في حربها المستمرة ضد الإسلام، في البلاد الإسلامية الواقعة تحت نفوذها وخارج هذه البلاد.

أ- الموقف الرسمي للشيوعية من الإسلام: لقد وقف الشيوعيون الروس، منذ البداية، موقفاً عَقَديًا معاديًا للإسلام، وهم لم يكتموا موقفهم الرسمي، وقد أوضحوا هذا الموقف في هذا المقطع المأخوذ من الموسوعة الرسمية الكبرى المطبوعة عام ١٩٥٣م حيث تقول: « لقد لعب الإسلام دائماً كما لعب غيره من الأديان دوراً رجعياً على اعتبار أنه سلاح في أيدي الطبقة المستغلة، وأداة للاضطهاد الروحي للعمال الذين يستعملهم المستعمرون الأجانب لإخضاع شعوب الشرق»[١].

ب- طرق الدعاية الشيوعية ضد الإسلام: استخدم الشيوعيون وسائل متعددة في محاربة الإسلام، فبعد أعمال العنف والوحشية التي ارتكبتها السلطات الروسية ما بين عام ١٩١٩ و ١٩٢١م في تركستان وغيرها مما آثار المسلمين وقامت حروب طاحنة، وجدت حكومة موسكو أن تبدل سياستها المعادية للإسلام، فأصبحت متقلبة ومرنة وحذرة بالوقت نفسه، إلا أن موسكو ظلت مصممة على القضاء على الدين الإسلامي، وبدأت باستخدام المسلمين أنفسهم من الذين والوا الشيوعية وأصبحوا من مفكريها والداعين إليها، ومن هؤلاء الشيوعيين المسلمين الأوائل « سلطان غالييف»[٢]، وقد كان له تأثير كبير على مصير المسلمين في روسيا، وقد سيطر بمساعدة جهاز من الرفاق، سيطرة مطلقة على الحياة السياسية والثقافية على

---

(١) المسلمون في الاتحاد السوفيتي (مرجع سابق) ص ٢٢١.

(٢) واسمه الكامل: مير سيد سلطان غالييف من بلاد « فولغا الوسطى التترية».

ما دعيت بالجمهورية التترية ما بين عام ١٩٢٠ و١٩٢٣م واستمر هكذا حتى عام ١٩٢٨م حيث حَلّتْ عليه غضبة الحزب للمرة الأولى[١].

ويمكننا تقسيم الدعاية الشيوعية ضد الإسلام وفقاً لطرقها المختلفة إلى مراحل زمنية كما يلي: ١- المرحلة الأولى ما بين عام ١٩٢١ - ١٩٢٨م.

٢- المرحلة الثانية ما بين عام ١٩٢٨ - ١٩٤١م.

٣- المرحلة الثالثة ما بين عام ١٩٤١ وحتى الوقت الحاضر.

١- المرحلة الأولى: نشر « سلطان غالييف» مقالا مهماً في مجلة « جيزن »[٢] بين فيه طرق الدعاية ضد الإسلام، وذلك باتباع سياسة النفس الطويل للقضاء على الإسلام، ويرسم في المقال الخطوط التوجيهية لهذه السياسة التي ترمي إلى إبعاد المسلمين عن دينهم بمراحل تدريجية لا تثير صداما أو مقاومة قد تتخذ شكل حرب وطنية، ويرى سلطان غالييف « إن مكافحة الدين أمر لازم للشيوعيين لأن الإسلام، مثل غيره من الأديان، سيظل عقبة في طريق بناء الاشتراكية، غير أن هذا الكفاح يجب أن يسير برصانة وحكمة، لأن الإسلام وهو آخر الأديان الكبرى، أقواها وأكثرها عدالة، حتى من «المسيحية » وأن تعاليمه تدخل في عمق حياة المسلمين الاجتماعية وتحمل عناصر تقدمية من الصعب القضاء عليها»[٣].

وقد أسهم بعض الرهبان النصارى، بعد أن لبسوا مسوح الشيوعية، في هذه الحرب الدعائية ضد الإسلام، ولبسهم ثياب الشيوعية لابد منه إذا أرادوا أن يبقى هذا الحقد الصليبي ضد الإسلام، وهذا ما قرره زعماء الشيوعية أنفسهم من أن

---

(١) ارجع إلى كتاب « المسلمون في الاتحاد السوفيتي» ص ١٧٩ حيث تفصيل أكثر.

(٢) مقال تحت عنوان: «طرق الدعاية ضد الدين في الأوساط الإسلامية» بتاريخ ١٤/١٢/١٩٢١. وفي ٢٣/١٢/١٩٢١ (المرجع السابق ص ٢٢٤).

(٣) المرجع السابق ص ٢٢٤.

فريق من المبشرين « النصارى خلعوا ثوب الكهنوت وانضموا إلى الشيوعية – لغاية في أنفسهم – لمتابعة العمل الذي بدأوه في ظل الكنيسة الأرثوذكسية في القرن التاسع عشر.. وقد حاولت الدولة الشيوعية إبعاد ظن المسلمين عن نفسها – وهي تشن حرباً على الإسلام من أنها تفعل ذلك استمراراً للحملة الصليبية هذه إلا أن صرف المسلمين عن هذا التفكير كان مستحيلاً، وذلك لما لقوه سابقاً من الرهبان أنفسهم من العداء والحقد ، فكيف إذا أضافوا إلى حقدهم الصليبي حقاً إلحادياً جديداً[١]..».

ورأت بعد ذلك السلطات الشيوعية، بالاتفاق مع سلطان « غاليف » أنه لابد لها للقضاء على الإسلام، من اجتناب البدء بالدعاية للإلحاد لأن ذلك ينفر عامة المسلمين، المتمسكين بشدة بدينهم، من الإلحاد[٢]. وبالمقابل دعا «سلطان غاليف» هذا ورفاقه رجال السلطة إلى الحذر الشديد، وأن يقدروا أعمالهم ضد الدين تقديراً دقيقاً يلائم وضع كل فريق من الناس، وقد صنف (غاليف هذا) الشعوب الإسلامية في روسيا، من حيث تقبلها للدعاية في كل منطقة، بحسب مستواها الثقافي وقوة تنظيم علماء الدين فيها.. حتى تكون خططهم محكمة في القضاء على الإسلام فيها»[٣].

وفعلاً نفذت حكومة موسكو دعوة (غاليف) في طريقة محاربة الإسلام بادئ الأمر، ولكن ما إن مضت سنوات حتى هاجمته بطريق غير مباشر وذلك بالقضاء على المؤسسات الإسلامية الرئيسية الثلاث وهي:

١ – الأوقاف: التي كانت تضمن القوة الاقتصادية للعلماء.

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢٤.
(٢) المرجع السابق ص ٢٢٥.
(٣) المرجع السابق ص ٢٢٥.

٢- المحاكم الشرعية: التي تمنح الإسلام السيطرة على حياة المسلمين الخاصة.

٣- التعليم الديني الإسلامي.

وقد شنت هذه الحملات الثلاثة في وقت واحد[١].

المرحلة الثانية: من الدعاية الشيوعية ضد الإسلام ما بين عام ١٩٢٤ و ١٩٢٨م بعد أن حققت حكومة موسكو هدفها في مكافحة الإسلام من غير أن تثير أي مقاومة شعبية أصبح في الإمكان تنفيذ المرحلة التالية، وهو إيجاد مجتمع شيوعي بعيد كل البعد عن الإسلام، ولقد كان العنف هو وسيلة الشيوعية في بداية هذه المرحلة لتنفيذ مآربها.. وبُدِئ بتنفيذ مشروع السنوات الخمس، وحملة مجابهة الإسلام بكل الوسائل التي تملكها الدولة، من وسائل اتصال مختلفة، إعلامية وتعليمية، وقد شنت الحملة في وقت واحد من قبل جميع مؤسسات الدولة.. وبدأت الحملة الدعائية بحيث لا تمس جوهر الدين، وتتوجه للعادات والتقاليد فقط.

ومثال ذلك « إن الدعاة (للإلحاد) اختاروا في أذربيجان، أن يكون هدفهم مراسيم الموت، ومراسيم عاشوراء، التي يحتفل بها الشيعة بذكرى مقتل الإمام الحسين في كربلاء.. فاتخذ الشيوعيون هذه الذكرى وسيلة لحملة شديدة استمرت من سنة ١٩٢٤- ١٩٢٨ ولكنها لم تأت بثمرة»[٢].

ثم شنت الحملة الدعائية على العلماء، واتهمهم الشيوعيون بأشنع الاتهامات، وذلك حتى يحطوا من قدرهم في نظر المسلمين، وعندما يسقط قَدْر العالم في نظر المسلم العادي، يكون هذا داعياً إلى عدم اتباعه في فكره وعقيدته، وهذا هو هدف الشيوعيين البعيد، يقول مؤلف كتاب « المسلمون في الاتحاد السوفيتي » : « واتخذ

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢٦.

(٢) المرجع السابق ص ٢٣٨.

الشيوعيون رجال الدين المسلمين[١] هدفاً لحملتهم أيضاً ونعتوهم بطفيليات المجتمع، وكانت الدعاية الرسمية تسعى في بداية الأمر، إلى الحط من أقدار علماء الدين فقط في نطاق علمهم وتتهمهم بأنهم أئمة غير صالحين ثم تطورت حملة التحقير، رويداً رويداً، وصار علماء الدين يتهمون بعد سنة ١٩٢٦م بالرشوة والسرقة والإجرام، وأخيراً بسوء السيرة وسوء الخلق»[٢].

المرحلة الثالثة: تمتد بين عام ١٩٢٨ – ١٩٤١. في هذه المرحلة طورت السلطات الشيوعية الحاقدة حملتها الدعائية على الإسلام بعد عام ١٩٢٨م وانتقلت إلى المواجهة المباشرة ومهاجمة الإسلام في جوهره وصميمه، « وبدأت حملة مكثفة وعنيفة بلا مواربة ولا هوادة ، وكانت هذه الحملة تسير على وتيرة واحدة في جميع المناطق، سواء المخاطبون رقيقي الإسلام مثل البدو أم كانوا من حضر تركستان وجبال داغستان المتمسكين بشدة بعقيدتهم، وَلُوحِق علماء الدين والمؤمنون لا كطفيليات في جسم المجتمع فقط بل وأعداء للثورة أيضاً، أو أنهم أنشط الممثلين للثورة المضادة »[٣].

واعتبروا بعد سنة ١٩٣١م جواسيس لليابان أو الألمان. وفي الوقت نفسه منعت سلطات موسكو فرضين من فروض الإسلام الخمسة وهما الحج وأداء الزكاة، وهاجمت الفرض الثالث وهو الصيام في رمضان وأخيراً شنت السلطات حملة لإغلاق المساجد، فأغلق أكثرها وأصبحت بناء على طلب العمال (الشيوعيين) نوادي ودوراً للسينما وغير ذلك ...

---

(١) المرجع السابق ص ٢٣٨.

(٢) المرجع السابق ص ٢٣٨.

(٣) المرجع السابق ص ٢٣٨.

وكانت نتيجة هذه الحملة الملحدة الحاقدة، أنه لم يبق سنة ١٩٤٢م من جميع المساجد والبالغ عددها ٢٦٢٧٩ مسجدا إلا ١٣١٢ مسجداً مفتوحاً للعبادة كما قالت الصيحفة السوفيتية (سوفيت نيوز) بتاريخ ٦ أيار ١٩٤٢م[١] مع العلم أن هذه المساجد المفتوحة، هي مفتوحة اسماً أي أنها لم تهدم بعد، ولكن لا يستطيع أحد أن يصلي فيها ولا تفتح إلا لزيارة الرجال الرسميين المسلمين الذين يأتون من الخارج ليتخذها الشيوعيون سبلاً إلى الدعاية[٢].

المرحلة الرابعة: الدعاية الشيوعية ضد الإسلام: بعد الحرب العالمية الثانية وحتى الوقت الحاضر:[٣] وهنا تدخل مرحلة مكافحة الإسلام على الصعيد العقيدي (الأيديولوجي) وليس على الصعيد الإداري أو العسكري كما في المراحل السابقة..

والدافع لهذا الأسلوب من الدعاية، هو أن الإسلام لم يهزم أبداً في البلاد الإسلامية الواقعة تحت نير الاستعمار الشيوعي، وإن كان ظاهر الأمر استتباب الأمر للسلطة الشيوعية، وهذا ما صرح به أحد أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الأوزبكستاني إذ يقول: « إن انتصار الاشتراكية في بلادنا لا يعني قط زوال بقايا الماضي من غير كفاح»[٤].

ولمكافحة الإسلام (عَقَدياً) تستعين السلطات الشيوعية بسلسلتين من الحجج، أولاهما تصلح لمكافحة كل الأديان على السواء، وهي حجج معروفة لا تحتاج إلى بسط وتُلخص بأن الإسلام مثل غيره من الأديان: « أفيون الشعوب » وينطوي على « أيديولوجية » رجعية ومناهضة للعلم، ويعطي فكرة مضحكة وكاذبة عن

---

(١) المرجع السابق ص ٢٣٩.

(٢) المرجع السابق هامش المترجم إحسان حقي ص ٢٣٩.

(٣) المقصود بالوقت الحاضر وقت إعداد الرسالة الجامعية عام ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م).

(٤) من تقرير نيازوف إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الأوزبكي – المرجع السابق ص ٢٧٤ (نقلاً عن جريدة برافد افوسينكا – طشقند ١٩٥٢/٢/٢٤.

المجتمع، ويطبع المرء بطابع الاستسلام والخنوع ويصرفه عن العمل الثوري، وكذلك فإن الإسلام مثل غيره من الأديان سلاح بيد الطبقة المستغلة من الرأسماليين والبرجوازيين .

وهذه الحجج الواهية والمنثورة في عديد من الكتب الشيوعية، لا تحتاج إلى رد لأنها مخالفة لأبسط قواعد الحجج المنطقية، بل مخالفة للواقع والتاريخ « .. وأن الإسلام لم يكن في يوم من الأيام أفيوناً للشعوب، بل كان ولا يزال دافعاً للحياة والحركة ». ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾ [الأنفال ٢٤]

وأما الحجج الأخرى فهي موجهة خصيصاً للإسلام، وهي تكرر ما يقوله الصليبيون والمستشرقون اليهود.. فهي تعرض الإسلام على اعتبار أنه « دين بدائي مضحك وخليط عجيب من العقائد المسيحية واليهودية والوثنية »[١].

« وقد وضع أسسه ممثل الإقطاعية التجارية في مكة لكي يبرر دينياً حملات النهب والسلب التي يقوم بها أرستقراطيو العرب»[٢].

« والإسلام دين غريب عنا فرض على شعوب آسيا الوسطى وما وراء القفقاس بالحديد والنار، وظل الإسلام يعمل خلال قرون في خدمة الإمبريالية العربية والإيرانية والأفغانية والتركية وهو اليوم في خدمة الإمبريالية الإنكليزية والأمريكية[٣]. وكلام كثير غير هذا مما يدفع الإنسان المنصف إلى التقزز، ويثير السخرية لقائليه.. ومن الثابت تاريخياً، أن تاريخ الأنبياء يؤكد بوضوح بطلان هذه

---

(١) المسلمون في الاتحاد السوفيتي – ص ٢٧٥.

(٢) المرجع السابق ص ٢٧٥ (من تقرير قدمه « باغيروف» السكرتير الأول للجنة المركزية للحزب الشيوعي في أذربيجان إلى المؤتمر الثقافي الذي عقد في باكوفي ١٤/ ٧/ ١٩٥٠م).

(٣) من مقال نشر في جريدة (قيزل أوزبكستان) باللغة الأوزبكية في طشقند بتاريخ ٤/ ٤/ ١٩٥٢ بعنوان « عن الإسلام وحركاته الرجعية » المرجع السابق ص ٢٧٥).

الافتراءات الماركسية عن الدين، فالدين لم يكن أبداً من ابتداع الأقوياء الأثرياء لتسكين المظلومين وتخدير الضعفاء، وإلهاء الفقراء، فما من نبي إلا ولقي أعتى صفوف المعارضين والعداء من الأغنياء والأقوياء، وما من نبي إلا دعا لما يُؤخَذُ من هؤلاء الأغنياء، لا لما يعطيهم ويزيدهم، ولقد بينا ذلك في باب « نظرة تاريخية»[1]، وتبين لنا موقف الكبراء ، والمترفين من الشعوب المختلفة تجاه الأنبياء على مر التاريخ ، وكيف كان موقف كبراء قريش، وأثرياء مكة، وأغنياء العرب تجاه النبي محمد ﷺ ، وما لقيه منهم من صنوف الآلام والمعارضة لأنه ﷺ ما أرسل ليؤيدهم ويكرس سلطانهم وسلطان أموالهم – كما يدعي الماركسيون – وإنما أرسل ﷺ ليعالج مفاسدهم ويحد من سلطانهم، وينصر المعذبين والمظلومين في الأرض.

والقرآن الكريم يذكر – في مواضع عديدة – أنه ما من نبي أرسل إلا وكان المترفون والأغنياء والكبراء له أعداء ولدعوته من ألد الخصوم.

قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [سبأ ٣٤] وقال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الإسراء ١٦]

ولم ينس الماركسيون، القرآن الكريم، ولم ينج من حقد الشيوعيين فجاؤوا أيضاً بهذيان، لم يقل به عاقل أو منصف.. والقرآن كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وآياته تنطق بالعدل والمساواة.. فقالوا: « إن القرآن يأمر بالظلم وعدم المساواة، وأنه يمدح خنوع المرأة، وأن التشريع الإسلامي عبارة عن مجموعة من القوانين هي أفظع ما عرف الإنسان من ظلم»[2].

---

(١) الفصل الثاني من هذا البحث.

(٢) من تقرير « باغيروف» المذكور سابقاً – (ارجع إلى المسلمون في الاتحاد السوفيتي – ص ٢٧٥).

ومكافحة الإسلام ونشر الإلحاد عملياً، يقعان على عاتق منظمة تعرف باسم « جمعية نشر المعلومات السياسية » أُنشئت بعد الحرب العالمية الثانية، وهي التي تقوم بحملات الدعاية ضد الإسلام، ومركزها الرئيس في « موسكو » ولها فروع في سائر الجمهوريات، وتحت تصرف هذه المنظمة كل وسائل الإعلام المختلفة، وحتى يمكن إعطاء صورة واضحة لعمل هذه المنظمة لابد من إلقاء نظرة على بعض أعمالها، فمثلاً: نجد الفرع القازاقي لهذه المنظمة والذي يشرف على نشاط خمسة عشر فرعاً إقليمياً و ٢٠٩ مائتي وتسعة فرعاً في المدن والقرى وعلى ٨١٥ ثمانمائة وخمس عشرة مكتباً للدعاية .. نظم خلال ثلاث سنوات (١٩٤٦ - ١٩٤٨) : ٣٠٥٢٨ محاضرة منها ٢٣٠٠٠ محاضرة ضد الإسلام.

وألقت المنظمة في أوزبكستان سنة ١٩٥١م أكثر من ١٠,٠٠٠ عشرة آلاف محاضرة ضد الإسلام . وفي سنة ١٩٦٣م ألقت المنظمة ذاتها في (تركمانستان) أكثر من ٥ خمسة آلاف محاضرة ضد الإسلام.

يضاف إلى الجهود العامة جهود خاصة إذ يقصد أفراد المنظمة الملحدون منازل المسلمين ويجبرون أهلها إلى الاستماع إلى أقوالهم ضد الإسلام.

أما في مجال الكتب فقد طبعت المنظمة خلال ١٩٥٥ - ١٩٥٧م ٨٤ أربع وثمانين كتاباً ضد الإسلام في ٨٠٠,٠٠٠ نسخة وزعتها في المناطق الإسلامية.

وبعد موت (ستالين) اشتدت الخطة على الإسلام ، فقد نُشر خلال عام (١٩٦٢ - ١٩٦٤م) ٢١٩ كتاباً ونشرة ضد الإسلام أو موجهة إلى المسلمين[١] وإن الجهود مازالت كبيرة في مكافحة الإسلام، وما ذكرت هنا على سبيل المثال لا الحصر .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٧٦.

وعلى الرغم من هذا الإحصاء المذهل، فإن السلطات الشيوعية تَعتبر أن الأعمال الجارية في مكافحة الإسلام غير كافية، فالصحافة تشتكي كل يوم من عدم مبالاة الطبقة المثقفة المسلمة بالأعمال المعادية للمسلمين، لا بل نفرتهم من هذه الأعمال، كما أن الصحافة تشتكي من انحطاط نوعية الدعاية الملحدة وعدم جدواها، على الرغم من تطوير أسلوب دعايتهم، وانتقالها من مرحلة كفاح الإسلام بشكل عنيف ولاذع إلى ما تسميه السلطات الشيوعية بـ (الكفاح العلمي) و(الكفاح الأيديولوجي).

ويرجع بعض الكتاب عدم جدوى الدعاية الشيوعية إلى أن الكتب الحديثة مكتوبة بأيدي جماعة من (البيروقراطيين) المحرومين من التفكير السليم وهم ما انفكوا منذ سنوات يعيدون على مسامع القارئ بعض الأفكار الساذجة، فثمرة جهودهم هي إدعاء فارغ وإجهاد معاً، وتبعث على ملل لا يطاق[1].

هذا عن الدعاية الشيوعية في البلدان الشيوعية، أما الدعاية الشيوعية في البلدان غير الشيوعية، فنجد أنها منذ قيام الدولة الشيوعية وحتى عام ١٩٥٥م كان الشيوعيون في البلدان العربية خاصة يرددون كالببغاوات ما يقوله أسيادهم في الكرملين « فأخذوا يرفعون نفس الأولوية وينهجون ذات النهج الذي تنهجه الشيوعية الحاكمة، فهاجموا الدين بضراوة ووصفوه بالرجعية والتخلف واتهموه بمحاباة الظلم والظالمين والاستغلال والمستغلين، وبأنه محض أداة في يد أولئك وهؤلاء لتقنين الظلم وتبرير الاستغلال»[2].

---

(١) المرجع السابق ص ٢٧٨.

(٢) الشيوعية والأديان – د. طارق حجي ص ٣٦ – ط ٣ جمادى الأولى ١٤٠٠هـ – أبريل ١٩٨٠م (من مطبوعات الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية).

وأما بعد عام ١٩٥٠م، فقد بُدئ بمرحلة جديدة من الدعاية الشيوعية في البلدان العربية خاصة.. وذلك أن الشيوعيين الروس بدأوا أول تعامل جدي مع البلاد العربية بعد صفقة السلاح المصرية «التشيكوسلوفاكية» والتي كانت تشيكوسلوفاكية واجهة للروس ليس إلا . « لقد فتح حاكم مصر وقتذاك أمام الدب الروسي الشيوعي ثغرة واسعة لم يحلم بها من قبل، وما أن ولج الدب منها حتى ألفى أمامه عوالم جديدة كانت أبوابها بالأمس القريب موصدة، وهي عوالم زاخرة بالثروات الطبيعية، - لأبعد مدى - لمنتجات العصر المصنعة، وما هي إلا شهور وسنوات معدودة حتى كانت القدم الروسية قد وصلت لبقاع عديدة في إفريقية وآسيا وأمريكا الوسطى»[١].

وأدرك الشيوعيون الروس أن الوجه الشيوعي القديم لن يُقبل، وخاصة وأن هذه الشعوب مازالت تتمسك بالدين، وهنا أدركوا أنه لابد لهم من لباس قناع جديد، غير معاد للدين في ظاهره» ، وبدأت كتابات الشيوعيين تبشر بتغير موقف الشيوعية والشيوعيين من الدين، فالشيوعية مذهب سياسي واقتصادي والدين عقيدة فقط، ولا مجال للمقارنة بينهما!! كما أن الشيوعية أو الاشتراكية - لا فارق في الحقيقة - لا تتعارض مع الدين الحقيقي! وأن جوهر الدين هو في حقيقته جوهر الاشتراكية!! وأن هناك العديد من نقاط الالتقاء بين الدين الحقيقي» « وبين الاشتراكية»[٢].

وبدأت الصحف اليسارية العربية تتحدث عن اشتراكية الإمام علي بن أبي طالب وأبي ذر الغفاري، ونَظَرت إلى الحوادث التاريخية الإسلامية بمنظار ماركسي. والغاية الأخيرة للشيوعية هي تشويه الإسلام - عقيدة - وتاريخاً - ورجالاً -

(١) المرجع السابق ص ٣٧.

(٢) المرجع السابق ص ٣٨.

بالإضافة إلى الهجوم الشرس على دعاة الإسلام وحملته، واتهامهم جميعاً بالعمالة للغرب، وبالانحياز للطبقة المسيطرة، وبالعداوة للإصلاح الاجتماعي الذي تنادي به الاشتراكية – على حد زعمهم – إلخ من تلك العبارات المعروفة والتي درج الشيوعيون – في كل مكان – على ترويجها .. وكما هي عادة الشيوعيين في تشويه الأفراد والجماعات .. ليخلو لهم الجو فيبيضوا ويفرخوا..»[(١)].

وثيقة مهمة تفضح حقيقة النيات الشيوعية تجاه الدين[(٢)]: – لعلنا نتعرف على حقيقة الموقف الشيوعي – ظاهراً وباطناً – من الدين – والإسلام بشكل خاص – بمطالعة تلك الوثيقة الشيوعية المهمة التي تفضح سرهم وسريرتهم في هذا الصدد.

« فمنذ حوالي خمس عشرة سنة أعدت الجهات المعنية في الاتحاد السوفيتي بمحاربة الدين وثيقة تضمنت توجيهات للشيوعيين في سائر أرجاء العالم التي مازال للدين بها قدسيته ونفوذه وتأثيره على نفوس الشعوب، وبالذات في البقاع الإسلامية. وقد تسربت تلك الوثيقة إلى أيد غير شيوعية، فتلقفتها وترجمتها ونشرتها، ومنها مجلة « كلمة الحق » في عددها الصادر في شهر محرم من سنة ١٣٨٧ هـ « أبريل ١٩٦٧م » والوثيقة التي أحيطت بقدر هائل من السرية في الاتحاد السوفيتي، إلا أنها تسربت رغم ذلك، ولا تحتاج لأي تعليق أو شرح فهي تظهر – بنفسها وبوضوح تام – جوانب التكتيك الشيوعي الراهن في التعامل مع الدين والمؤمنين به في وقتنا هذا، ولاسيما في البقاع الإسلامية والمسيحية (النصرانية) في العالم الثالث[(٣)].

وتقول الوثيقة المهمة – إلى أبعد حدود الأهمية – في مستهلها: « برغم مرور خمسين سنة تقريباً على الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي وبرغم الضربات العنيفة التي

---

(١) ارجع إلى المرجع السابق .. إذ يتوسع في هذه النقطة ص (٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣).
(٢) المرجع السابق ص ٤٣.
(٣) المرجع السابق ص ٤٩.

وجهتها أضخم قوة اشتراكية في العالم إلى الإسلام، فإن الرفاق الذين يراقبون حركة الدين في الاتحاد السوفيتي، صرحوا كما تذكر مجلة « العلم والدين » الروسية في عددها الصادر في أول يناير سنة ١٩٦٤م بما نصه: « إننا نواجه في الاتحاد السوفيتي تحديات داخلية في المناطق الإسلامية وكأن مبادئ لينين لم تتشربها دماء المسلمين».

« وبرغم القوى اليقظة التي تحارب الدين فإن الإسلام ما يزال يرسل إشعاعاً وما يزال يتفجر قوة بدليل أن ملايينا من الجيل الجديد في المناطق الإسلامية يعتنقون الإسلام، ويجاهرون بتعاليمه مع أن قادة الشعوب ومفكري المذهب لا يغيب عنهم خطر يقظة الإسلام في المناطق الإسلامية بالاتحاد السوفيتي إذ ذكرت « دائرة معارف الثقافة الشيوعية» أن الإسلام أخطر الأديان الرجعية، ويبذل « أي الإسلام » أقصى جهده ليكون في خدمة المستغلين والإقطاعيين والرأسماليين، ويقدم كل العون للاستغلال. وهو دين جامد حقود على الحضارة والتقدم، وخصم عنيد للاشتراكية، ويناهض الحركات التحررية».

« ومن هذا المخطط أن يتخذ الإسلام نفسه أداة لهدم الإسلام نفسه وقد قررنا ما يلي:

١- مهادنة الإسلام لتتم الغلبة عليه، والمهادنة لأَجَل حتى نضمن أيضاً السيطرة ونجتذب الشعوب العربية للاشتراكية.

٢- تشويه سمعة رجال الدين والحكام المتدينين واتهامهم بالعمالة للاستعمار والصهيونية.

٣- تعميم دراسة الاشتراكية في جميع المعاهد والكليات والمدارس في جميع المراحل... ومزاحمة الإسلام ومحاصرته حتى لا يصبح قوة تهدد الاشتراكية.

وتقول الوثيقة[1]:

---

(١) أرقام الفقرات هذه حسب وجودها في الوثيقة الأصلية.

٦- الحيلولة دون قيام حركات دينية في البلاد مهما كان شأنها ضعيفاً والعمل الدائم بيقظة لمحو أي انبعاث ديني، والضرب بعنف لا رحمة فيه لكل من يدعو إلى الدين ولو أدى إلى الموت.

٧- ومع هذا لا يغيب عنا أن للدين دوره الخطير في بناء المجتمعات، ولذا وجب أن نحاصره من كل الجهات وفي كل مكان، وإلصاق التهم به وتنفير الناس منه بالأسلوب الذي لا ينم عن معاداة الإسلام.

٨- تشجيع الكتاب الملحدين وإعطائهم الحرية كلها في مهاجمة الدين والشعور الديني والضمير الديني والعبقرية الدينية، والتركيز في الأذهان أن الإسلام انتهى عصره، وهذا هو الواقع، ولم يبق منه اليوم إلا العبادات الشكلية التي هي الصوم والصلاة والحج وعقود الزواج والطلاق وستخضع هذه العقود للنظم الاشتراكية. أما الصوم والصلاة فلا أثر لهما في الحياة الواقعية ولا خطر منهما، أما الحج فمقيد بظروف الدولة، ويمكن استخدام الحج في نشر الدعوة الاشتراكية بين الحجاج القادمين من جميع الأقطار الإسلامية والحصول على معلومات دقيقة عن تحركات الإسلام لنستعد للقضاء عليها.

٩- قطع الروابط الدينية بين الشعوب قطعاً تاماً، وإحلال الرابطة الاشتراكية محل الرابطة الإسلامية التي هي أكبر خطر على اشتراكيتنا العلمية.

١٠- إن فصم روابط الدين ومحو الدين لا يتمان بهدم المساجد والكنائس، لأن الدين يكمن في الضمير، والمعابد مظهر من مظاهر الدين الخارجية، والمطلوب هو هدم الضمير الديني ولن يصبح صعباً هدم الدين في ضمير المؤمنين به بعد أن نجحنا في جعل السيطرة والحكم والسيادة للاشتراكية، ونجحنا في تعميم ما يهدم الدين من القصص والمسرحيات والمحاضرات والصحف والأخبار والمؤلفات، والتي تروج للإلحاد وتدعو إليه، وتهزأ بالدين ورجاله وتدعو للعلم وحده وجعله الإله المسيطر.

١١- مزاحمة الوعي الديني بالوعي العلمي، وطرد الوعي الديني بالوعي العلمي.

١٢- خداع الجماهير بأن يزعم لهم أن المسيح اشتراكي وإمام الاشتراكية فهو فقير ومن أسرة فقيرة، وأتباعه فقراء كادحون، ودعا إلى محاربة الأغنياء ، وهكذا يمكننا من استخدام المسيح نفسه لتثبيت الاشتراكية لدى المسيحيين.

ونقول عن محمد أنه إمام الاشتراكيين فهو فقير وتبعه فقراء وحارب الأغنياء المحتكرين والإقطاعيين والمرابين والرأسماليين، وثار عليهم، وعلى هذا النحو يجب أن نصور الأنبياء والرسل، ونبعد القداسات الروحية والوحي والمعجزات عنهم بقدر الإمكان لنجعلهم بشراً عاديين حتى يسهل علينا القضاء على الهالة التي أوجدوها لأنفسهم وأوجدها لهم أتباعهم المهووسون.

١٣- في القرآن والتوراة والأناجيل قصص، ولئلا نصطدم بشعور الجماهير الديني ونثيرهم على الاشتراكية، يجب أن نفسر تلك القصص الدينية تفسيراً مادياً اشتراكياً، فقصة يوسف - على سبيل المثال - يمكن تفسيرها تفسيراً مادياً تاريخياً، وما فيها من جزئيات يمكن أن نفيد منها في تعبئة الشعور العام ضد الرأسماليين والإقطاعيين والنساء الشريفات والحكام الرجعيين .

١٤- إخضاع جميع القوى الدينية للنظام الاشتراكي، وتجريد هذه القوى تدريجياً من وجدانها.. إلخ.

١٥- إشغال الجماهير بالشعارات الاشتراكية وعدم ترك الفرصة لهم للتفكير، وإشغالهم بالأناشيد الحماسية والوطنية، والأغاني الوطنية، والشؤون العسكرية والتنظيمات الحزبية، والمحاضرات المذهبية، والوعود المستمرة برفع الإنتاج ومستوى المعيشة، وإلقاء مسؤولية التأخر والانهيار الاقتصادي والجوع والفقر والمرض على الرجعية والاستعمار والصهيونية والإقطاع ورجال الدين.

١٦- تحطيم القيم الدينية والروحية بإظهار ما فيها من خلل وعيوب وتخدير للقوى الناهضة.

١٧- الهتاف الدائم ليل نهار وصباح مساء بالثورة، وأن الثورة هي المنقذ الأول والأخير للشعوب من حطامها الرجعيين، والهتاف للاشتراكية بأنها هي الجنة الموعود بها جماهير الشعوب الكادحة.

١٨- نشر الأفكار الإلحادية، بل نشر كل فكرة تضعف الشعور الديني والعقيدة الدينية وزعزعة الثقة في رجال الدين في كل قطر إسلامي.

١٩- لا بأس من استخدام الدين لهدم الدين، ولا بأس من أداء الزعماء الاشتراكيين بعض الفرائض الدينية الجماعية للتضليل والخداع على ألا يطول زمن ذلك، لأن القوى الثورية يجب ألا تظهر غير ما تبطن إلا بقدر، ويجب أن تختصر الوقت والطريق لتضرب ضربتها، فالثورة قبل كل شيء، هدم للقيم والمواريث الدينية جميعاً.

٢٠- الإعلام بأن الاشتراكيين يؤمنون بالدين الصحيح لا بالدين المزيف الذي يعتنقه الناس لجهلهم، والدين الصحيح هو الاشتراكية، والدين الزائف هو الأفيون الذي يخدر الشعوب لتنساق وتسخر لخدمة طبقة معينة، وإلصاق كل عيوب الدراويش وخطايا رجال الدين بالدين نفسه، وترويج الإلحاد وإثبات أن الدين خرافة، والخرافة تكمن في الدين الزائف لا بالدين الصحيح الذي هو الاشتراكية.

٢١- تسمية الإسلام الذي تؤيده الاشتراكية لبلوغ مآربها وتحقيق غاياتها بالدين الصحيح، والدين الثوري، والدين المتطور، دين المستقبل حتى يتم تجريد الإسلام الذي جاء به محمد من خصائصه ومعالمه، والاحتفاظ منه بالاسم فقط، لأن العرب إلا القليل مسلمون بطبيعتهم، فليكونوا الآن مسلمين اسماً، اشتراكيين فعلاً حتى يذوب الإسلام لفظاً كما ذاب معنى.

وتقول الوثيقة:

٢٥- الاهتمام بالإسلام مقصود منه - أولاً - استخدام الإسلام في تحطيم الإسلام - وثانياً - استخدام الإسلام للدخول إلى شعوب العالم الإسلامي. ومع أن القوى الرجعية في العالم العربي والإسلامي قوى يقظة إلا أن الخطة التي اتخذناها ستضعف هذه القوى حتى تجردها من عناصر احتفاظها بمقوماتها فتذوب على مر الأيام.

٢٦- وباسم تصحيح المفاهيم الإسلامية وتنقيته من الشوائب، وتحت شعار الإسلام يتم القضاء عليه بأن نستبدل به الاشتراكية.

وتفصح الوثيقة عن أسرار رهيبة فتقول: « وفي المحيط العربي كله يعمل أنصارنا بجد، وقد استطاعوا أن يثبوا إلى المناصب الرئيسة في الوزارات والإدارات الحكومية والشركات والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية، ووفقوا حسب تعليماتنا للسيطرة التي وإن كانت فردية إلا أن توفيقهم للوصول إلى تلك المناصب يعد من الأعمال الناجحة، كما أن لقاء الأفراد بعضهم مع بعض يجعل اللقاءات في صورة اللقاء الجماعي. « ولئن كان من المتعذر جداً توقيت التحرك الثوري إلا أن التمهيد له ينتهي في وقت غير بعيد، ويزداد على مر الأيام عدد أنصارنا الذين يتولون المناصب ذات الأثر الفاعل في خلق الجو الصالح للتحرك الثوري وحسب تعليماتنا لهم جعلوا من الوزراء والمسؤولين الذين لا يشك في إخلاصهم للنظام الرجعي الحاكم المعادي للاشتراكية واجهة يقفون وراءها، ويعملون تحت ستارها ما يريدون في أمن وطمأنينة مع اليقظة والحذر دون أن تحوم حولهم الشكوك لأنهم يتسترون بأولئك المسؤولين.

وأنصارنا منبثون في كل الوزارات والإدارات والقطاعات الحكومية والعسكرية والشعبية والرسمية والأهلية، واتسعت دائرة نفوذهم التي تزداد اتساعاً ويزداد تغلغلهم على مر الأيام».

كانت تلك بعض كلمات الوثيقة التي تفضح حقيقة آراء الشيوعيين ونياتهم تجاه الإسلام، وهي حقيقة لا تحتاج منا للتدليل عليها، فما من دارس للشيوعية ومتابع لأصولها ولسيرتها في مجال التطبيق والنشاط العلمي إلا ويدرك إدراكاً كاملاً تلك الحقيقة بكل أبعادها، ولكن ركون الشيوعيين للأقنعة وأخذهم في السنوات الأخيرة في إعلان غير ما يضمرون، واسترسالهم في الكذب والبهتان مع الإعادة والزيادة المعهودة في فنون الدعاية الشيوعية، ما هو إلا لخداع من ليس لهم دراية وتعمق في معرفة حقيقة الشيوعية[1].

(١) المرجع السابق ص : (٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠).

ثالثاً: الدعاية الغربية:

تمهيد: أعني بالدعاية الغربية: الدعاية المنطلقة من وسائل الإعلام الغربية في أوربا والولايات المتحدة الأمريكية، والتي مازال شبح الحروب الصليبية يطاردها... والحقد على الإسلام والمسلمين أساس بنائها... والكذب ، والخداع ، والتشويه، وتحريف الحقائق.. ديدنها .. مهما لبست من أثواب الحقيقة والموضوعية وغيرها من الأثواب البراقة، والتي تغري السذج والبسطاء من أنعام المجتمعات الإسلامية.

وما ينبغي معرفته، أن الدعاية بمفهومها الحديث والعصري من نتاج العقلية الغربية، نظرياً وتطبيقياً .. ولن أتعرض للدعاية وأنواعها والأسس النفسية التي تستند عليها .. لأن ذلك مر معنا في أول هذا الفصل .. ولكن ما أهتم به في هذه الفقرة من البحث هو الأسس الأخلاقية لهذه الدعائية، ودوافعها وموقفها من الإسلام والمجتمع الإسلامي.. ومراحلها قبل الحروب الصليبية وبعدها وثمار هذه الدعاية وما جنت وحصدت في المجتمعات الغربية، والمجتمعات الإسلامية..

- في المجتمعات الغربية حيث شوهت صورة الإسلام، دين التوحيد والعدالة والحرية.. وحولته إلى صورة بغيضة ينفر منها كل إنسان.

- وفي المجتمعات الإسلامية حيث ربت التلاميذ الأوفياء لها وللمدنية الغربية.. فانقلبوا أعداء لدينهم ولمجتمعهم.. ورسل فساد في بلادهم..

(١) **أسس الدعاية الغربية:** قامت الدعاية الغربية على أسس أهمها:

- أن جميع الوسائل والأساليب الدعائية تعتبر جيدة ومقبولة وصحيحة إذا ما أدت إلى التنفيذ الناجح للمهمة المطلوبة.

- يجب على رجل الدعاية أن يعتمد في عمله، قبل أي شيء آخر، على الخرافة والآراء الباطلة، وأن يستغل بصورة مكثفة الانفعالات البشرية ويتوجه بادئ ذي بدء إلى عواطف الناس لا إلى عقولهم.

- أما الأساس الأول، فقد مر بيانه، حين عرفنا الحرب النفسية، وتطرقنا إلى الدعاية بصفتها إحدى أسلحة الحرب النفسية في وقت الحرب وفي وقت السلم أيضاً.. وأنها تستخدم كل الوسائل الممكنة في سبيل التأثير على سلوك الآخرين، دون النظر إلى قيمتها الأخلاقية أو قبولها من قبل الشرائع السماوية. وهي بهذا تسير على منهج « الغاية تبرر الوسيلة » المقولة الميكيافيلية المشهورة.

- وأما قضية الصدق في الدعاية الغربية، فنجده في رأي (لندلي فريزر) و«الدعائي الغربي العالمي[1]» إذ يقول: « الدعاية، تقف من الصدق موقفاً محايداً، فما هي إلا طريقة أو مجموعة من الطرق الفنية التي تهدف إلى تحقيق هدف معين، هو حمل الجمهور الذي توجه إليه على تغيير موقفه وسلوكه، ونحن لا نستطيع القول، كمبدأ مسلم به، أن التزام الصدق يكون أبعد أثراً في تحقيق ذلك الهدف»[2].

أي أن الدعاية لا تلتزم بالصدق إلا إذا كان يحقق أهدافها... ويقول : « إن القائمين بالدعاية قد لا يلتزمون الصدق ماداموا على ثقة من أن الجمهور المعني لا تتوافر له وسائل التحقق مما يقولون»[3].

ويقول أيضاً: « إن القائم بالدعاية قد يستمر في عدم التزام الصدق لو وَجَّه أقواله إلى أشخاص كبار السن يمكنهم الإطلاع على مصادر أخرى للمعلومات، مادام يهدف إلى أمل حيوي عزيز، وهنا يقال « إنَّ الغاية تبرر الوسيلة »[4].

---

(١) هـذا الوصـف، وصـفه بـه « أمـين شـاكر » ، مقدم كتاب فريزر « الدعاية السياسية وأثرها على مسـتقبل العـالم » تـرجمة عـبد السـلام شحاته ، ط. القاهرة – ١٩٦٠. – منشورات جمعية الوعي القومي.

(٢) المرجع السابق ص ١١٦.

(٣) المرجع السابق ص ١١٧.

(٤) المرجع السابق ص ١١٧.

وهذه الأقوال واضحة، لا تحتاج إلى بيان، بل إن الأفعال توضحها أكثر، ذلك أن المجتمعات الأخرى، والإسلامية بشكل خاص، لاقت من وسائل الدعاية الغربية، الويلات، ومازالت تلاقي على يد تلاميذ لها في تشويه العقائد والثقافات، وسنتعرض إلى هذا في حينه بإذن الله...

ويمكن الآن أن نخلص إلى القول: إن الدعاية الغربية اتخذت الكذب والخداع، وتحريف الحقائق، ونشر الشائعات المغرضة، وإثارة مشاعر الرعب، والاستغلال وتلفيق مختلف أنواع المواد، الثقافية والسياسية، المشابهة للمواد الحقيقية، « وفبركة » الأخبار بحيث تخدم مصالحها، بالإضافة إلى أنها « تطعم الأخبار بالشائعات في براعة شيطانية، بحيث يصعب التمييز بين العناصر الحقيقية والعناصر المختلفة مادامت جميعها تنتظم في بناء واحد متجانس ومنطقي في ظاهره»[(١)].

(٢) الدعاية الغربية والإسلام : وإن المرء ليسأل: هل موقف الدعاية الغربية من الإسلام يقوم على هذه الأسس نفسها؟ .. ونستطيع أن نجيب بقناعة تامة: نعم ، بل أكثر من ذلك نقول: إنها قد تقف موقفاً محايداً تجاه العقائد الأخرى، أما إذا ذكر الإسلام، تبدل الموقف تماماً! وأصبح موقف كره عميق الجذور، يقوم في الأكثر، على صور من التعصب الشديد[(٢)].

وهذا الموقف نجده عند أكثر المستشرقين خاصة، وعند رجال الإعلام وحتى عند الفرد الغربي العادي، الذي سُمِّمت أفكاره من قبل هؤلاء..

ويسأل المرء أيضاً: لماذا هذا الموقف من الإسلام؟ يجيب « محمد أسد » على هذا السؤال، وهو الغربي الأصل، والعارف المطلع على حقيقة موقفهم بقوله: « إن

---

(١) « الإعلام والاتصال بالجماهير » إبراهيم إمام ص ٢٧٦.

(٢) ارجع إلى: الإسلام على مفترق الطرق – محمد أسد – دار العلم للملايين . بيروت – ط ٩ ١٩٧٦ (ص ٥٣).

الحروب الصليبية هي التي عَيَّنت في المقام الأول والمقام الأهم موقف أوروبة من الإسلام لبضعة قرون تتلو» ويبين في تحليل عميق، كيف تكوّن هذا الموقف في عقل الأوروبي وعاطفته: «لقد كانت الحروب الصليبية في ذلك حاسمة لأنها حدثت في أثناء طفولة أوروبا، في العهد الذي كانت فيه الخصائص الثقافية الخاصة قد أخذت تعرض نفسها، وكانت لا تزال في طور تشكلها، والشعوب كالأفراد، إذا اعتبرنا أن المؤثرات الصنيفة التي تحدث في أوائل الطفولة تظل مستمرة ظاهراً أو باطناً مدى الحياة التالية، وتظل تلك المؤثرات محفورة حفراً عميقاً، حتى إنه لا يمكن للتجارب العقلية في الدور المتأخر من الحياة – والمتسم بالتفكير، أكثر من أقسامه بالعاطفة – أن تمحوها إلا بصعوبة، ثم يندر أن تزول آثارها تماماً... وهكذا كان شأن الحروب الصليبية، فإنها أحدثت أثراً من أعمق الآثار وأبقاها في نفسية الشعب الأوروبي»[١].

(٣) مراحل الدعاية الغربية ضد الإسلام: يمكننا تقسيم الدعاية الغربية ضد الإسلام إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى : قبل الحروب الصليبية : وذلك للتهيئة لها.

المرحلة الثانية: بعد الحروب الصليبية : واتخذت شكلين :

أ- الاستشراق . ب- التبشير.

المرحلة الثالثة: في الوقت الحاضر، أسلوبها ووسائلها.

المرحلة الأولى: الدعاية الغربية ضد الإسلام قبل الحروب الصليبية: امتدت هذه المرحلة إلى ما يقارب مائة عام قبل الحروب الصليبية بشكل فعلي[٢]، والذي تولى كبر هذه

---

(١) المرجع السابق ص ٥٥ و ٥٦.

(٢) أول من دعا إلى الحروب الصليبية هو البابا سلفستر الثاني سنة ١٠٠٢م (في رواية صاحب كتاب «حاضر العالم الإسلامي») وسنة ٩٩٩م ، في رواية أحمد رضا بك صاحب كتاب الخيبة =

الدعاية البابوات والرهبان، والكتاب والمفكرون والرحالة[١].. والتجار، وزوار بيت المقدس وغيرهم « وقد انتشرت الدعاية وذلك بإثارة البغض والمخاوف من الأعداء، والتحمس للدين»[٢].

وإن زوار بيت المقدس (المقادسة)[٣] والتجار والرحالة، كانت دعايتهم ضد الإسلام تأتي بشكل غير مباشر، وذلك خلال ما يثيرونه من رموز، وإيحاءات وكان ما يصفونه عن بلاد الإسلام يثير الرعب في قلوب النصارى في أوروبا..

فقد كان الرهبان عند أوبتهم لدورهم بعد تأدية فريضة الزيارة للبيت المقدس ينقلون لأبناء جنسهم ما اطلعوا عليه في الشرق الإسلامي، فكان أول شعور يلم إذ ذاك بآبائهم القديسين هو الاستغراب الذي يتولاهم حين يعلمون سرعة انتشار الدين الإسلامي، ويزيدهم رعباً واستغراباً أن تلك الأمصار القاصية عنهم والمحيطة ببلاد القدس مهد الدين المسيحي يسكنها العرب (أي الكافرون برأيهم)[٤].

= الأدبية للسياسة الغربية في الشرق – ترجمة محمد بورقيبة ومحمد الصادق الزمرلي – دار بوسلامة ١٩٧٧ – تونس ص ٦٥) . ولكنه لم يوفق، ثم البابا خريفوريوس سنة ١٠٧٥م لكنها تأخرت حوالي عشرين سنة حتى سنة ١٠٩٧م.

(١) من كُتّاب النصارى ومفكريهم الذين حرضوا على الحروب الصليبية: سانيشوا ومارينو، بيين ديبوا، جيليوم دي نوجاري، ريموند لول بتراك..
وفي كتاب تاريخ البابوات تأليف السيد فرناند هايوارد بيان كيف ألب البابوات ملوك أوروبا لحرب المسلمين وكيف حاولوا بأنفسهم قيادة هذه الحروب الصليبية.
راجع « حاضر العالم الإسلامي » تأليف لوثورب ستودارد – ترجمة عجاج نويهص . وعلق عليه تعليقات مستفيضة الأمير شكيب أرسلان – دار الفكر – الطبعة الثالثة ١٣٩١ – ١٩٧١م ص ٢١٨.

(٢) الدعاية السياسية – لندلي فريزر ص ٢٠.

(٣) انظر كتاب (الخيبة الأدبية للسياسة الغربية في الشرق) ص ٥٤.

(٤) المصدر السابق ص ٥٤، ٥٥.

وهم يتصورون أن الخطر الحقيقي في نظرهم مقره الشرق، ويتخيلونه في صورة زحف المسلمين عليهم.. فقد كان ما ينقله المقادسة من الروايات منبهاً لمنازع الكنيسة التي كانت موجهة حنقها وعنايتها على مسلمي الشرق.

« ومما كان يدفع النصارى في توجيه أنظارهم نحو الشرق وجود تراث ثمين ذي شهرة دينية عظيمة خلفه الحواريون وبقي محفوظاً بمدينة أوشليم، هناك يوجد قبر المسيح، حسب اعتقادهم، وكيف لا يعتريهم أشد الحنق والاغتياظ حين تحدثهم أنفسهم بالعار الذي يلحقهم من استبقاء ذلك القبر المقدس في قبضة الذين يعتبرونهم كافرين؟ هذا من موجبات تحديثهم بالشرق، وزد أن اليونان كانوا يؤججون نار الغيظ ويذيعون كل أنواع الأكاذيب لاستنهاض العالم المسيحي ودفعه إلى الإجهاز على الترك »(١).

ثم بعد ذلك بدأت الحملة الدعائية المباشرة ضد الإسلام بوساطة البابوات والرهبان، بعد أن كشف البابا سلفستر الثاني عن آرائه عام ٩٩٩م في الحرب الصليبية التي يجب أن تشن على المسلمين في الشرق.. ولم يهتم بهذه الآراء عظماء الكنيسة والملوك حينئذ»(٢).

إلا أن الأحقاد ضد المسلمين في الشرق، بقيت كامنة في قلوب نصارى الغرب حتى جاء البابا « أوربان الثاني » الذي التقى مع « بطرس الناسك »(٣) عند عودته

(١) المصدر السابق ص ٦٤. والترك بعرف الأوربيين هم المسلمون .. لأن الأتراك المسلمين هم الذين طرقوا أبواب أوروبا عدة مرات بعد فتح القسطنطينية..

(٢) المصدر السابق ص ٦٥.

(٣) بطرس الناسك أو (الراهب) : أحد قدماء الجنود اعتنق الرهبانية على أثر ما أصابه من المكاره الزوجية. قال في حقه المؤرخ الفرنسي ميشلي أنه كان يلقب « بكوكو الراهب».
وقد ألصق به كلمة (كوكو) التي تشبه من حيث النطق كلمة أخرى لا يليق التلفظ بها صراحة لأنها تطلق على من كانت زوجته تخدعه من حيث تمكين غيره من نفسها.

من زيارة بيت المقدس، وفي عام ١٠٩٥م عقد هذا البابا مجلساً حضره جميع أساقفة العالم النصراني الذي قرر الدعوة إلى الحرب المقدسة وتشكيل إرسالية لمحاولة تخليص بيت المقدس[١].

وقد خطب البابا خطبة، حماسية، أمام جمع كبير من النصارى، أثار فيها النفوس، وأيقظ الأحقاد، وحرض لقتال المسلمين (أعداء الله برأيه)، ووعدهم بالجنة، ومما قاله في هذه الخطبة الدعائية المؤثرة: « اذهبوا وقاتلوا أعداء الله، يالعار المسيحيين ، إن أعداءهم لم يزالوا من عهد بعيد ناصبين سرادقات نفوذهم على سورية وأرمينية، بل ارتكبوا ما هو أدهى من ذلك وأَمَرّ إذ إنهم اختلسوا قبر المسيح ذلك المعهد العجيب لإيماننا»[٢].

وقد قوبل الخطاب بهتاف كانت مظاهره البكاء والزفير، فقام الحاضرون بأسرهم وخروا سجداً على قدمي الخطيب. وبهذه التمثيلية المؤثرة بدأت الحملة الدعائية بقيادة البابا والرهبان ومنهم « بطرس الناسك» الذي أخذ يجوب البلاد الأوروبية ويحرض الناس على حرب المسلمين.. وطردهم من البلاد التي وعدهم بها الرب»[٣].

ومنذ ذلك التاريخ بدأ زوار بيت المقدس يقصون القصص الكاذبة عن المسلمين في الشرق، حتى يهيجوا النفوس، وتتمكن منها ملامح الانتقام.

ووجد دعاة الحرب الصليبية أن لا وسيلة لإثارة لواعج التعصب النصراني أنجع من ذكر القساوات التي يقاسيها زوار بيت المقدس من قبل المسلمين، ولذلك

---

(١) المرجع السابق ص : ٦٥ – ٦٦.

(٢) ارجع إلى المصدر السابق ص ٦٦– ٦٧ للإطلاع على بقية الخطبة..

(٣) قال ميلي في تاريخه نقلاً عن الراهب فلوري: « من التغرير والتضليل بل من العبث بمعاني الألفاظ أن ندعو بلاد فلسطين إرثاً للمولى أو أنها هي الأرض التي وعد بها أمته، فإنه لا يوجد في كتب الدين ما يشير بأن الله أمر المسيحيين بتشييد المدينة المقدسة». المرجع السابق ص ٧٢.

ترى الرواة لا ينقلون إلا أنين النصارى تحت الشتائم والمعاملات الجافية، وقد نقلت هذه القصص من قرن إلى قرن، وكل ناقل يلبسها ما استطاع من الضخامة حتى أصبحت خرافة تحكي أساطير الأولين[١].

واستغل « بطرس الناسك» هذه الأساطير، وأخذ يتنقل من مكان إلى آخر في أوروبا، فكان يرعد ويبرق في خطبه التي كانت تلتهب حماسة وإثارة على المسلمين، فتثير أحقادهم، وتوقظ نار العداء الكامن في نفوسهم، بالإضافة إلى أن الكنيسة ضمنت للمقاتلين لتخليص ضريح المسيح..حفظ أموالهم وغفران ذنوبهم والسعادة الأبدية في الآخرة[٢].

وهكذا استجاب نصارى أوروبا لدعوة البابا وبطرس الناسك، ويؤكد المؤرخون الأوروبيون أن دوافع القتال متعددة ومختلفة ولكنها أبعد ما تكون عن الدين والأخلاق[٣]. قال الراهب انكتيل في تاريخه: « قليل من الصليبيين كانت لهم غايات دينية حقيقية»[٤].

---

(١) وقد رد على دعاة الصليبية مسيولافيس في تاريخه قائلاً: « فبفضل ما يبدو على العرب من عواطف التسامح كان المسيحيون القاطنون بأورشليم في راحة وهناء بالنسبة لغيرهم، وهناك عدة كتابات تشهد أن كنائسهم ومستشفياتهم كانت زاهرة يانعة ويتصرف أربابها في ثروات طائلة، فلا سبيل والحالة هذه للتصديق بصحة ما تحاول الكنيسة إيهامنا إياه من أن الزوار من المسيحيين يعاملون هناك بالجفاء » المرجع السابق ص : ٧٤.

(٢) المرجع السابق ص ٧٦.

(٣) كتب الراهب فلوري مبيناً الفئات المقاتلة في الحروب الصليبية يقول: « إن حرب الصليب انتهزها غريقوا الذمة فرصة للتخلص من ديونهم، والأشقياء للتخلص مما قضت به عليهم جرائمهم من العقاب، والرهبان الجامحون لتغيير حالتهم والانصراف عن ديورهم، والنساء التائهات للاستمرار بأكثر حرية على التهتك والخناء، ومن هنا يتصور المرء ما كان عليه الصليبيون من اضطراب الحال وارتخاء حبل الأخلاق» . المرجع السابق ٧٧.

(٤) المرجع السابق ص ٧٧.

وفعلاً كان فاقدوا الذمة كالقتلة والفجار واللصوص والنهبة – وهم الذين وجه لهم البابا (أوربان الثاني) خطابه – يصرحون بأنهم يريدون من انخراطهم في سلك الصليبيين غسل جرائمهم في دماء المسلمين، فما يرثى له – حسبما لاحظه فولر – أن يشاهد الإنسان أخبث أعضاد الشيطان ينقلبون مجاهدين في سبيل الله»[(١)].

ونحن هنا لا نريد أن نؤرخ للحروب الصليبية، وما جنت على العالم الإسلامي، بل على العالم كله من ويلات، وما رافقها من وحشية لا توصف من شناعتها[(٢)].

---

(١) المرجع السابق ص ٧٨.

(٢) لم يرو التاريخ أن قوماً بلغوا من الوحشية ما بلغه الصليبيون الذين لبسوا ثوب العقيدة، ورفعوا الصليب شعاراً لهم فقد روت « آن كونين » ابنة إمبراطور القسطنطينية المسيحي : « أن ألذ ملاهيهم – أي الصليبيين – أن يقتلوا جميع الأطفال المسلمين الذين يصادفونهم ويصلونهم ناراً ثم يأكلوا لحومهم» هذه الرواية أيدها المؤرخ الإنكليزي (ميلس) أيضاً قائلاً: إن الصليبيين يأكلون لحم البشر، ففي بلدة إنطاكية ذبح (بهموند) أحد قواد الجيش زمرة من أسرى الأتراك، وشواهم أمام الناس، ثم دعا الحاضرين صائحاً بوجوب إقناع الجوع من الموجود». إن سيرة بهموند المتوحشة وهو حفيد ملك فرنسا (فيليب الأول) تُنبئ عن درجة التوحش التي كان عليها من هم دونه منزلة من حيث التربية والأخلاق. وهم السواد الأعظم، وأيد هذا أيضاً المؤرخان الفرنسيان لافيس ولوشان.

وقد كتب أحد شهود العيان وهو (روبير لوموان) : « أن رجالنا كانوا يجوبون الشوارع ويجهزون على الأطفال والشيوخ» وذلك في مدينة إنطاكية التي تمكن الصليبيون من فتحها بمساعدة أحد الأرمن القاطنين فيها وقتلوا عشرة آلاف تركي وأحرقوا المساجد، ثم أجهزوا على البقية من أهل المدينة في اليوم الثاني.

ارجع إلى المرجع السابق ص ٧٩، ٨٠ وما بعدها للإطلاع أكثر على وحشية الصليبيين...

المرحلة الثانية – الدعاية الغربية بعد الحروب الصليبية: بعد أن حُررت أرض الإسلام من رجس الصليبيين، وطَهرت من أدرانهم على يد نور الدين الشهيد محمود بن زنكي، ثم على يد صلاح الدين الأيوبي.. أيقن الغرب بعدها، أنه لن يستطيع غلبة المسلمين، مهما ضعفوا حتى ينال أولاً من عقيدتهم وفكرهم.

وقد ظهرت أخيراً وثيقة خطيرة تلقي الضوء على تحول الصليبيين من الغزو العسكري إلى الغزو الفكري، وهذه الوثيقة تتضمن وصية (القديس) لويس التاسع ملك فرنسا (١٢١٤ – ١٢٧٠م) وقائد الحملتين الصليبيتين السابعة والثامنة التي انتهت بالفشل والهزيمة، ووقوعه في أسر المصريين في مدينة المنصورة عام ١٢٥٠م، وقد بذل الملك لويس التاسع هذا فدية عظيمة للخلاص من الأسر، وبعد أن عاد إلى فرنسا أيقن أن لا سبيل إلى النصر والتغلب على المسلمين عن طريق القوة الحربية، لأن تدينهم بالإسلام يدفعهم للمقاومة والجهاد وبذل النفس في سبيل الله لحماية ديار الإسلام.. وأنه لابد من سبيل آخر، وهو تحويل التفكير الإسلامي، وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكري، بأن يقوم العلماء الأوروبيون بدراسة الحضارة الإسلامية ليأخذوا منها السلاح الذي يغزون به (الفكر) الإسلامي..

وهكذا تحولت المعركة من ميدان السلاح إلى معركة في ميدان العقيدة والفكر بهدف تزييف عقيدة المسلمين الراسخة التي تحمل طابع الجهاد وتدفع المؤمنين إلى الاستشهاد[1].. وهكذا أنتجت الحروب الصليبية ما يدعي بالاستشراق والتبشير، الذي كان طابع وسيلتهما الدعاية الكاذبة، المنطلقة من الروح العدائية التي توارثها الغرب من الصليبية..

ويسأل المرء هل كان عمل المستشرقين والمبشرين لونا من ألوان الدعاية؟

---

(١) الإسلام في وجه التغريب – أنور الجندي – ص ٧، ٨.

وجواب هذا السؤال سيبدو جلياً من خلال تفصيلنا لما قام به كل منهما مما عُدَّ غزواً فكرياً وعقدياً وخلقياً، مازلنا نكتوي بنار هذا الغزو في ديار الإسلام.

أ- التبشير: أما ما يتعلق بالمبشرين، فإن الدعوة التي قام بها المبشرون التابعون للكنيسة الكاثوليكية في القرن التالي على حركة الإصلاح أطلق عليها « دعاية لنشر الدين » . ونستطيع أن نقول بأن الكلمة استخدمت لأول مرة بمعناها الحديث في تلك المناسبة»[١].

وقد وصف « لندلي فريزر » دعوة المبشرين بأنها دعاية قائلاً: « وأوجدت المسيحية لوناً جديداً من الدعاية، فقد نشطت جهود رجالها وأتباعها للعمل على نشرها في أرجاء الأرض وكان ذلك نهجاً جديداً في الدعوة الدينية وفي الدعاية على حد سواء »[٢].

وكانت الروح الصليبية هي المحرك للمبشر للعمل على نشر النصرانية، لننظر إلى أحدهم وهو يقول معبراً عن هذه الروح: « ويأتي المبشر تحت علم الصليب يحلم بالماضي، وينظر إلى المستقبل وهو يصغي إلى الريح التي تصفر من بعيد، من شواطئ رومية ومن شواطئ فرنسية، وليس من أحد يستطيع أن يمنع تلك الريح من أن تعيد على أذهاننا قولها بالأمس وصرخة أسلافنا (الصليبيين) من قبل : إن الله يريدها»[٣].

وهناك أهداف سياسية أخرى، يحاول المبشرون إخفاءها، ولكن الحقيقة لا تلبث أن تظهر في فلتات ألسنتهم.

---

(١) الدعاية السياسية – لندلي فريزر – ص ١٤.

(٢) المرجع نفسه ص ١٩.

(٣) « حينما جاء الصليبيون إلى الشرق كانوا يرددون صرخة واحدة: « إن الله يريدها» أي أن الله هو الذي أراد الحروب الصليبية».

- ارجع إلى كتاب التبشير والاستعمار – ص ٣٨.

يقول القس سيمون : « إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السمر (كذا) وتساعدهم على التملص من السيطرة الأوروبية، ولذلك كان التبشير عاملاً مهما في كسر شوكة هذه الحركة. ذلك لأن التبشير يعمل على إظهار الأوروبيين في نور جديد جذاب، وعلى سلب الحركة الإسلامية من عنصري القوة والتمركز الذين هما فيها: إذا كانت الوحدة الإسلامية تكتلاً ضد الاستعمار الأوروبي، ثم استطاع المبشرون أن يظهروا الأوربيين في غير مظهر المستعمر، فإن الوحدة الإسلامية حينئذ تفقد حجة من حججها وسبباً من أسباب وجودها، من أجل ذلك قالوا يجب أن نُحوّل بالتبشير مجاري التفكير في الوحدة الإسلامية حتى تستطيع النصرانية أن تتغلغل في المسلمين»[1].

وهذا يظهر خطر الوحدة الإسلامية على الغرب، وأن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوروبة .

« وهكذا كان التبشير هو طريق الاستعمار واستعباد الشعوب.. ومما لاريب فيه أن الباعث الحقيقي والأول في رأي القائمين على التبشير إنما هو القضاء على الأديان غير النصرانية توصلاً إلى استعباد أتباعها، ولما بدا لهم أن الإسلام أشد الأديان مراساً لذلك نراهم يتمنون أن ينصّروا المسلمين كلهم. والمقصود الأول بالجهود التبشيرية هم المسلمون»[2].

ويعترف المبشرون بأن التبشير الرسمي واكتساب المسلمين إلى صفوف النصرانية قد خاب. من أجل ذلك قنع هؤلاء المبشرون أن يكون عملهم قاصراً على زعزعة عقيدة المسلمين على الأقل.

---

(١) التبشير والاستعمار . ص ٣٧.

(٢) المرجع السابق ص ٤٥.

افتراءات المبشرين: لن نرد حتى على افتراءات المبشرين وسخافاتهم التي ملأوا الكتب بها، طعناً في الإسلام ونبي الإسلام.. والتي هي على لسان كل غربي.. حتى بلغت الأمثال.. وحتى أصبحت كلمة « مسلم » تثير الغضب الذي يغمر الشعور الشعبي في أوروبا(١) المتدين منهم وغير المتدين أيضاً .. إذ جاء وقت أخذ الشعور الديني فيه يخبو في أوروبا ولكن العداء للإسلام استمر. ومن أبرز الحقائق الدالة على ذلك أن الفيلسوف والشاعر الفرنسي فولتير ، وهو من ألد أعداء النصرانية وكنيستها في القرن الثامن عشر، كان في الوقت نفسه مبغضاً مغالياً للإسلام ولرسول الإسلام ﷺ(٢).

قلنا لن نرد على افتراءات المبشرين، لأن هذا مجال كتب أخرى، ولكننا نقدم بعض النماذج لأكاذيبهم السخيفة، والمضحكة أحياناً، « والذي لاحظناه في مئات مما كتبه المبشرون من الكتب أنهم لا يحجمون عن الاستهزاء والتهكم على كل مظهر من مظاهر الإسلام ثم هم ينكشفون عن جهل فاضح(٣) سندل على بعضه في الصفحات الآتية.

ومن أشد أعداء المسلمين رجل أرمني اسمه لطفي ليفونيان ألف بضعة كتب للنيل من الإسلام. ومع أن العلم قليل في كتبه، فإنه خص هذه الكتب باستعراض أركان الإسلام والتهكم عليها، ويبلغ بلطفي ليفونيان الجهل إلى أن يقول: إن المسلمين جهلة لأنهم يعتقدون التنزيه في الله تعالى.

ومن الأمور التي تستحق التفكه بها قول مبشرا اسمه (نلسن) يزعم فيه أن الإسلام مقلد، وأن أحسن ما فيه مأخوذ من النصرانية، وسائر ما فيه أُخذ من

---

(١) الإسلام على مفترق الطرق - ص ٥٩.

(٢) المرجع السابق ص ٦٠.

(٣) التبشير والاستعمار ص ٣٩.

الوثنية كما هو أو مع شيء من التبديل. ويبلغ التدجيل ذروته بمبشر آخر اسمه (المحترم جون تاكلي) أنه يقول عن المسلمين: يجب أن نستخدم كتابهم (أي القرآن الكريم) ، وهو أمضى سلاح في الإسلام، ضد الإسلام نفسه لنقضي عليه تماماً، يجب أن نُري هؤلاء الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد ليس صحيحاً.[1]

وأشهر هذه الافتراءات أن الإسلام قام بالسيف، وأن تاريخ الإسلام كان سلسلة مخيفة من سفك الدماء والحروب والمذابح، وكأنهم نسوا وحشية الصليبيين.. وأما المبشرون الذين يتعرضون لشخص الرسول ﷺ بالافتراءات فهم كثيرون جداً، بل كل المبشرين، فقد قال ف . ج . هاربر : إن محمداً كان في الحقيقة عابد أصنام ، ذلك أن إدراكه لله في الواقع « كاريكاتور » ، وسماه بعضهم « كذاب مكة » ومنهم من زعم أن محمداً لم يستطع فهم النصرانية، ولذلك لم يكن في خياله منها إلا صورة مشوهة بني عليها دينه الذي جاء به إلى العرب[2].

وسائل الدعاية التبشيرية: إن وسائل الدعاية التبشيرية تشبه وسائل أي دعاية أخرى، فقد استخدم المبشرون، الصحف والمجلات والكتب، ووسائل الإعلام الأخرى مثل الإذاعة[3] والرائي (التلفزيون) وغيرها من الوسائل المتجددة.. ويعتمدون أيضاً على الاتصال الشخصي، الذي هو يؤثر أكثر في سلوك الآخرين..

---

(١) المرجع السابق نفسه ص ٤٠.

(٢) المرجع السابق نفسه ص ٤٢.

- وارجع إلى نفس المرجع للإطلاع أكثر على افتراءات المبشرين، التي ملأوا بها الكتب والمجلدات..

ومن هذه الافتراءات كوّن الرأي العام الغربي صورته عن الشرق الإسلامي.

(٣) مثل إذاعة صوت الإنجيل التي تسمع في جميع دول الخليج.

إلا أن هناك وسائل للدعاية أعمق أثراً، وأبعد مدى ، في التاثير على سلوك الآخرين، نستطيع أن نطلق عليها الدعاية بالأعمال الرمزية[١] ومنها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

١- **التطبيب واستغلال آلام البشر:** سخّر المبشرون الطب في سبيل غاياتهم، وحسبك دليلاً على ذلك قولهم: « حيث تجد بشراً تجد آلاماً، وحيث تكون الآلام تكون الحاجة إلى الطبيب وحيث تكون الحاجة إلى الطبيب فهناك فرصة مناسبة للتبشير وهكذا اتخذ المبشرون الطب ستاراً يقتربون تحته من المرضى».

« ويقول الطبيب بول هاريسون » في كتابه : « الطبيب في بلاد العرب » : ص ٢٧٧ : « إن المبشر لا يرضى عن إنشاء مستشفى ولو بلغت منافع ذلك المستشفى منطقة (عمان) بأسرها، لقد وجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى»[٢].

«وإن وسيلة التطبيب هي أفضل الوسائل للدعاية بنظرهم .. لأن المريض المتألم يضحي بأعز شيء عنده للتخلص من آلامه .. وأقارب المريض القريبين مثل الأب والأم والزوج والزوجة، تقل في نظرهم قيمة أي شيء في سبيل شفاء قريبهم..

ولقد أدرك المبشرون هذا الميل في البشر، واستغلوه أبشع استغلال»[٣].

٢- **الإحسان:** الإحسان في حقيقته عطف من القوى على الضعيف، عطف يتبدى في صور مختلفة أبرزها وأشهرها دفع المال، ولكن الإحسان قد يجرى مجرى أخرى كالتعليم المجاني، وهبة الثياب والكتب، والمساعدة على إيجاد عمل.. إلخ.

---

(١) توجد فقرة كاملة عن الدعاية بالأعمال الرمزية بعد عدة صفحات ضمن عنوان الدعاية الغربية في الوقت الحاضر. أسلوبها ووسائلها..

(٢) التبشير والاستعمار ص ٥٩.

(٣) ارجع إلى كتاب التبشير والاستعمار للإطلاع أكثر على حيل المبشرين في هذا المجال .. ص ٥٨.. وما بعدها.

لم يكن المبشرون محسنون بالمعنى النبيل الذي نفهمه من الكلمة ولكنهم كانوا يستغلون ما بأيديهم من وسائل الإحسان حتى يصلوا إلى أهدافهم التبشرية.

ألف جماعة من المبشرين كتاباً اسمه: « أسس جديدة للتبشير » قالوا فيه: « كان التطبيب والتعليم من وسائل التبشير، ويجب أن يبقيا كذلك.

أما أعمال الخير فيجب أن تستعمل بحكمة فلا تنفق الأموال إلا في سبيلها.. يجب أن تعطى الأموال أولا للبعداء، ثم يقلل دفعها تدريجياً كلما زاد اقتراب هؤلاء إلى الكنيسة (أي كلما زاد الأمل بانضمامهم إلى المذهب الجديد) فإذا دخلوها منعت عنهم أعمال الخير. ثم يجب ألا نبالغ في الناحية الخيرية في كل حال»[١].

والمبشرون عرفوا أن الطريقة المباشرة للدعوة إلى النصرانية لا تجدي مع المسلمين، وهي خطابهم رأساً بأمور العقيدة والتعليم المسيحي، لذلك لجأوا إلى الطريقة غير المباشرة في الدعاية، وهذه هي الطريقة التي تقوم على الإحسان المادي.. وليس ضرورياً أن يكون هذا السبيل ناجحاً في جعل المسلمين نصارى، بل يكتفي بأبعادهم عن الإسلام في أغلب الأحيان.

كتب المتر دوغلاس مقالاً عنوانه « كيف نضم إلينا أطفال المسلمين في الجزائر» ذكر فيه أن ملاجئ قد أنشئت في عدد من أقطار الجزائر في شمال إفريقية لإطعام الأطفال الفقراء وكسائهم وإيوائهم أحياناً، ثم قال: إن هذه السبيل لا تجعل الأطفال نصارى، لكنها لا تبقيهم مسلمين كآبائهم»[٢].

---

(١) التبشير والاستعمار ص ١٩٤.

(٢) المرجع السابق ص ١٩٤ – وكذلك الصفحات : (١٦٥-١٩٦- ١٩٧ – ١٩٨).

للإطلاع أكثر على استخدام هذا النوع من الدعاية في التبشير.. ارجع إلى « الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية (مرجع سابق) الدكتور محمد الهواري « المدخل إلى العمليات النفسية الإعلامية » ص ٦٩.

وأما التعليم المجاني الذي يظهر عليه طابع الإحسان، فإن المبشرين يهتمون به. يعتقد « اليسوعيون »[١] أنه يجب أن يقوم إلى جانب كل مدرسة يدفع طلابها النفقات المدرسية مدرسة صغيرة للفقراء مجانية، لا لتعليمهم في الدرجة الأولى بل لحفظ المظهر التبشيري بادياً للعيان. إن الفقراء أكثر انقياداً لقبول هذا المظهر من أندادهم من أبناء الأغنياء[٢].

أي أن الغاية الأولى هي الدعاية فقط .. وهذه الدعاية تتضمن الاستهواء والاستمالة[٣].. تنتقل بعدها أفكار المبشرين إلى هؤلاء الفقراء..

وهذه النزعة في التعليم المجاني لا ينفرد بها اليسوعيون الفرنسيون وحدهم، بل يتنازعها جميع المبشرين . ولقد استطاع المبشرون المشيخيون[٤] الأمريكيون أن يغلبوا المبشرين الآخرين في هذا الضرب من الإحسان.

وهذه المدارس تقدم الكتب والطعام واللباس أحياناً بلا مقابل[٥].

- أما الوسائل الأخرى من الدعاية التي كان يستخدمها المبشرون، فهي باختصار ما يلي:

١ - **الصحافة**: إن الصحافة لا توجه الرأي العام فقط أو تهيئه لقبول ما تنشر فيه، بل هي توجد الرأي العام أيضاً، ويعلن المبشرون أنهم استغلوا الصحافة المصرية على الأخص للتعبير عن الآراء المسيحية، أكثر مما استطاعوا في أي بلد إسلامي

---

(١) اليسيوعيون فرقة من الكاثوليك من أصل فرنسي.

(٢) التبشير والاستعمار ص ٢١٠.

(٣) ارجع إلى « أسس علم النفس » الكتاب الأول . د. عبد العزيز القوصي . ص ١٥٧. القاهرة ١٩٥٠ لزيادة الإطلاع على معنى الاستهواء .

(٤) المشيخيون : فرقة من البروتستانت.

(٥) التبشير والاستعمار ص ٢١٠.

آخر[١]. على أن المبشرين أنشأوا في العالم صحفاً يومية وأسبوعية خاصة بهم، فهناك « بشائر السلام » و« الشرق والغرب» في مصر.

ثم هنالك النشرة الأسبوعية التي أنشأها البروتستانت في بيروت وظلت تصدر إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية. وهناك جريدة « البشير » التي كانت تصدر في بيروت والتي كانت تتمتع بحماية فرنسا، إلا أنها توقفت بعد الاستقلال[٢].

ولقد اعتمد المبشرون مدينتين لنشر كتبهم وصحفهم: القاهرة وبيروت. أما القاهرة فاتخذوه البروتستانت مركزاً لتوزيع المنشورات المسيحية في القطر المصري وفي جميع العالم الإسلامي، كما أنهم أقاموا المطبعة الأمريكية في بيروت، تلك المطبعة التي أصبحت أهم وسائل التبشير في الشرق كله.

أما اليسوعيون فقد ركزوا جميع جهودهم في المطبعة الكاثوليكية في بيروت منذ عام ١٨٧١م وقاموا من طريقها بعمل تبشيري في الدرجة الأولى[٣].

٢- الكتب والمنشورات: يرى المبشرون أن الكتب والمنشورات النصرانية، أشد الوسائل أثراً في المسلمين وبقطع النظر عن قيمة هذا الأثر الذي يزعمونه فإن سياستهم في إنتاج النشرات تتبع التوجيه الآتي[٤]: يحرص المبشرون في الدرجة الأولى على نشر الكتب الدينية كالأناجيل الأربعة، وعلىنشر أشياء من التوراة، ثم إنهم يطرقون في نشراتهم موضوعات مختلفة ولكن يفرغونها في قالب مسيحي ديني. والمبشرون حريصون كل الحرص على أن يتولى كتابة هذه الموضوعات أشخاص وطنيون لا مبشرون أجانب، أو أشخاص جاؤوا إلى النصرانية حديثاً، لأن هؤلاء

---

(١) ارجع إلى « الإعلام الإسلامي والعلاقات الدولية » (مرجع سابق) - مقال يوسف العظم ص ٤٧١.

(٢) التبشير والاستعمار ص ٢١٣.

(٣) التبشير والاستعمار ص ٢١٤.

(٤) المرجع السابق ص ٢٤٠ وما بعدها.

يكونون أقدر على فهم عقلية جماهيرهم، وعلى عرض تلك الموضوعات على شكل يقرب من فهم تلك الجماهير. وفي بعض الأحيان يختار المبشرون موضوعات إسلامية لها مقابل في الديانة النصرانية، ثم يموهون الحقائق ويقفزون فوق الفروق، إن القرآن الكريم يسمي المسيح « كلمة الله » ومعنى ذلك أن الله تعالى ألقى كلمته، أي أمره، بأن يولد المسيح على ذلك الوجه المعجز في التاريخ، ولكن المبشرون يأخذون « كلمة الله » ليفسرها التفسير النصراني، ووجه الخلاف أن كل شيء في هذا العالم كما يرى المسلمون كان بأمر الله: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس ٨٢] أما النصارى فيعتقدون أن التعبير « كلمة الله » تعبير خاص بالنصرانية يجب أن يفهم على أن المقصود به عيسى ابن مريم وحده، وأنه دال على الألوهية في المسيح.

ولقد تبنى المبشرون الفرنسيون خاصة هذه الطريقة، ثم أكثر من الكلام فيها المستشرق الفرنسي « لويس ما سينيون » الذي يقف علمه واستشراقه على التبشير الديني للوصول إلى أهداف استعمارية، شأن العدد الأكبر من المبشرين المتزيين بكل زي والمتلبسين بكل لباس.

ويرى المبشرون أن يتوجهوا بالكتب إلى طبقتين من المسلمين على الأخص، إلى طلبة الأزهر في مصر، على اعتبار أن الأزهر معقل الإسلام، وأن الصابئ الأزهري – إذا اتفق ذلك – يكون عوناً للمبشرين على زيادة التغلغل في العالم الإسلامي.

وأما الطبقة الثانية التي يجب المبشرون أن يصلوا إليها بكتبهم الدينية فهي طبقة النساء، إنهم يزعمون أن المرأة المسلمة محجوبة (عن المجتمع والعالم..) فيجب أن توضع لها كتب تتفق مع حالها وعقليتها ودرجة تفكيرها.

٣- الكشافة والمخيمات: جاء في مقررات مؤتمر المبشرين الذي انعقد في القدس ما يلي[١]: « نحب أن نؤكد الأهمية البالغة للعمل بين الصغار وللصغار قبل أن تتشكل

---

(١) المرجع السابق ص ٢١٤.

عقليتهم وأخلاقهم تشكلاً إسلامياً. إن جميع الوسائط التي استخدمت وظهر نجاحها يمكن أن تستخدم من جديد لتوقف عقول الصغار وتجلو أخلاقهم، سواء في ذلك ما تعلق بالمدرسة أو ما كان خارجاً عن نطاق المدرسة، فمن ذلك مثلاً: الكشفية للفتيان والفتيات – مدارس الأحد (الدروس الدينية التي تعطى أيام الآحاد بصورة مباشرة أو غير مباشرة) – جمعية الشبان المسيحيين وجمعية الشابات المسيحيات وسواهما من منظمات الشباب – المخيمات والمؤتمرات للطلاب والأندية الرياضية وما يتصل بذلك – بيوت الطلبة التي زادت الحاجة إليها لزيادة عدد الطلاب (إن هذه البيوت يجب أن تكثر حتى يمكن أن نجتذب هؤلاء الطلاب إلى مملكة المسيح) بيوت للأطفال يشرف عليها مبشرون فقط».

٤- الإذاعة: عرف المبشرون أهمية الإذاعة، وأنها وسيلة إعلامية سريعة البث واسعة الانتشار، وأن المذياع يتميز عن غيره من وسائل الإعلام بأنه يخول الإنسان الاستماع إليه وهو يقوم بعمل آخر، مما لا يتوافر لدى قراءة الصحيفة أو مشاهدة الرائي. لذلك استغلت الإرساليات التبشيرية « هذه الوسيلة بشكل كبير. وتقول دراسة[1] أنه يوجد أكثر من خمسين محطة إذاعة تبشيرية في أنحاء العالم. منها محطة في « كويتيو » في الإكوادور بأمريكا الجنوبية وأخرى في « منروفيا » في ليبريا وتسمى إذاعة « ألوا » أسست سنة ١٩٥٤ على يد اتحاد إفريقية، وهي مجموعة إذاعات أمريكية، ويتبع هذه المجموعة إذاعات في وسط إفريقية والشرق الأوسط (أي الشرق الإسلامي) وشمال إفريقية وتذيع بـ ١٥ لغة إفريقية عدا الإنكليزية والفرنسية والعربية.

---

(١) نشرت الدراسة مجلة « الدعوة » السعودية العدد ٦٩٨ ومجلة « الأمان » اللبنانية العدد ٤٦ صفر ١٤٠٠هـ ٢١ / ١٢/ ١٩٧٩ في مقال بعنوان « الإذاعة وسيلة تستخدمها كل القوى .. إلا المسلمين».

وهناك إذاعة « عبر العالم » ومركزها «مونت كارلو» وقد أسست عام ١٩٦٠م بعد نقلها من طنجة، ولهذه الإذاعة فرع في البحر الكاريبي.

وهناك إذاعة أخرى في قبرص أسست عام ١٩٧٤ ثم أسست أخرى في سويسرا في العام نفسه وفي « سري لانكا » عام ١٩٧٦م. وفي آسيا تعمل شركة إذاعة الشرق الأقصى الأسيوية من « مانيلا » في الفلبين، وقد أسست عام ١٩٤٨، وفتح لها فرعان في أوكيناوا عام ١٩٥٨م وسان فرانسيسكو عام ١٩٦٠م وابتداء من عام ١٩٧٩ افتتحت لها فروعاً في سيشل والهند وباكستان، ووضعت لها مقومات في شمال الهند والشرق الأوسط وشرق إفريقية. أما صوت الإنجيل[1]، الذي يبث من « أديس أبابا » في الحبشة بتوجيه من اتحاد الكنائس اللوثرية، فقد استولى عليه الشيوعيون. وآخر إذاعة أسستها الإرساليات التبشرية هي الإذاعة الموجودة في منطقة الشريط الحدودي بين لبنان وإسرائيل، والتي تسمى « بالمغامرة السماوية من صوت الأمل » والتي مولتها مؤسسات تبشيرية أمريكية[2].

٥- السينما والرائي: بالإضافة إلى هذه الوسائل، هناك الأفلام السينمائية، والمسلسلات التي تبث في الرائي، كثير منها يخدم أهداف التبشير، وكثير من هذه الأفلام يعرض في وسائل الإعلام الإسلامية..

من هذه الأفلام التبشيرية فيلم « الأفق الضائع » الذي فيه تلميع لرجل الدين النصراني.. فالقسيس في الفيلم يعرف كل شيء، ويسأل عن كل شيء، فيجيب عن

---

(١) يذيع في (١٦) لغة إلى ٢٠ بلداً – أسسته الكنيسة اللوثرية الأمريكية عام ١٩٦٦ – ارجع إلى مجلة المجتمع العدد ٤٥٧ / ١٣٩١هـ النشاط التبشيري .

(٢) بعد توقف بث البرامج النصرانية من راديو صوت الإنجيل في إثيوبيا نتيجة للانقلاب الشيوعي أخذت تسمع هذه الإذاعة في دول الخليج بشكل قوى جداً.. ويظهر أنها فتحت من جديد في إثيوبيا لأن قادتها لا يزالون على صليبيتهم وإن لبسوا ثوب الشيوعية..

الفلك والطب والدين، والراهب أجمل ما في السفينة أناقة وجمالاً.. بينما في المقابل نجد الأفلام العربية تخرج العالم المسلم في صورة مزرية..

وكثيراً من الأفلام تحكي قصة صلب المسيح مثل فيلم « آلام المسيح » الذي عرض في كثير من البلاد الإسلامية، وأفلام « الحروب الصليبية » تظهر بطولات ... الصليبيين ، وانكسار المسلمين أمامهم.. مثل فيلم « ريشارد قلب الأسد» وتغفل من وحشية الصليبيين في قتل النساء والأطفال والشيوخ، بشهادة مؤرخي الغرب أنفسهم..[١].

ب – الاستشراق: وهو المجال الثاني – الذي أفرزته الحروب الصليبية – للدعاية الغربية، والتي كانت هدفها الأول: تزييف عقيدة الإسلام، عن طريق الغزو الفكري المنظم، بناء على وصية « القديس لويس » ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية الثامنة[٢].

وقد سار التبشير والاستشراق في خطين متوازيين، بل في خط واحد[٣]، يكمل بعضهم بعضاً، وقد استفاد التبشير كثيراً من دراسات المستشرقين، والتي تحتوي على كثير من الأكاذيب والتي تلبس الثوب العلمي وهذه شهادة أحد القسس بعد أن هداه الله للإسلام، والذي عمل كثيراً في مضمار التبشير بالنصرانية بين المسلمين في مصر، وهو « إبراهيم خليل أحمد » في كتابه « المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي » وهي شهادة عارف خبير يقول:

---

(١) بالإضافة إلى الوسائل السابقة، أيضاً استخدم الصليبيون أشرطة الكاسيت في نشر النصرانية، وخاصة في إفريقية.

- (ارجع إلى المجتمع) . العدد ٤٥٧ عام ١٣٩٩هـ).

(٢) ارجع إلى الدعاية الغربية بعد الحروب الصليبية من هذا البحث.

(٣) ارجع إلى « الإسلام على مفترق الطرق » محمد أسد – فصل : شبح الحروب الصليبية ٥٢ ط ٩ ١٩٧٧ بيروت.

١- التبشير والاستشراق من دعائم الاستعمار، وعملاء التبشير والاستشراق عملاء للاستعمار وخداع لسياسته. وإن ظهروا بوجوه مقاومة الاستعمار وتحرير البلاد منه.

٢- تقاسم التبشير والاستشراق جوانب الأعمال المقررة في الخطة العامة لغزو الإسلام والمسلمين وديار الإسلام.

فحمل الاستشراق أعباء الأعمال في ميادين المعرفة (الأكاديمية وادعى لبحثه الطابع العلمي العالي، واستخدم الكتابة والتأليف وإلقاء المحاضرات والمناقشات في المؤتمرات العلمية العامة، وكراسي التدريس في الجامعات فألف المستشرقون المؤلفات الكثيرة، وألقوا المحاضرات والدروس الكثيرة وجمعوا الأموال، وأنشأوا الجمعيات الاستشراقية، وعقدوا المؤتمرات وأصدروا الصحف والمجلات، وسلكوا مسالك أخرى كثيرة مما رجوا أن يحقق أهدافهم. وحمل التبشير أعباء الدعوة الجماهيرية.. (وقد عرفنا وسائله في ذلك آنفا..).

٣- من الكتب الجدلية التي يستعين بها المبشر للوصول إلى غايته كتب المستشرقين التالية:

أ- كتاب « ميزان الحق » للدكتور فاندر المستشرق الأمريكي والدكتور سنكلير تسدل.

ب – كتاب « الهداية » ويقع في أربعة أجزاء، وهو يشتمل على مطاعن كثيرة للإسلام وللقرآن الكريم.

ج- كتاب « مقالة في الإسلام » تأليف المستشرق الدكتور سال.

د – كتاب « مصادر الإسلام » تأليف الدكتور سنكلير تسدل.

وهذه الكتب الأربعة تعتبر للمستشرقين والمبشرين من أخطر المراجع للهجوم على الإسلام والقرآن والرسول ﷺ .

٤- يدعو المبشرون والمستشرقون إلى قراءة الكتب ضمن الخطط التي يرسمونها فيؤسسون المكتبات العامة، ودور الطباعة، والصحف،...

٥- الاستشراق والتبشير قام على أكتاف الرهبان والآباء في أول الأمر فإنه لايزال حتى اليوم يعتمد على أولئك وإن تظاهروا برسالتهم الدينية والخيرية[١].

وقد استخلص الدكتور مصطفى السباعي - رحمه الله - بعد لقاءاته المباشرة مع عدد من المستشرقين في جولة طاف فيها على أكثر جامعات أوروبة عام ١٩٥٦م ما يلي[٢]:

أولاً: أن المستشرقين – في جمهورهم – لا يخلو أحدهم من أن يكون قسيساً أو استعمارياً أو يهودياً، وقد يشذّ عن ذلك أفراد.

ثانياً: أن الاستشراق في الدول الغربية غير الاستعمارية – كالدول الإسكندنافية – أضعف منه عند الدول الاستعمارية.

ثالثاً: أن المستشرقين المعاصرين في الدول غير الاستعمارية يتخلون عن « جولد تسيهر[٣] وأمثاله المفضوحين في لقبهم.

رابعاً: أن الاستشراق بصورة عامة ينبعث من الكنيسة، وفي الدول الاستعمارية يسير مع الكنسية ووزارة الخارجية جنباً إلى جنب ويلقي منها كل تأييد.

خامساً: أن الدول الاستعمارية كبريطانيا وفرنسا ما تزال حريصة على توجيه الاستشراق وجهته التقليدية، من كونه أداة هدم للإسلام وتشويه لسمعة المسلمين.

---

(١) ارجع إلى « المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي» تأليف : إبراهيم خليل أحمد – وكذلك ارجع إلى «أجنحة المكر الثلاثة » تأليف : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني – ص ١١٤ وما بعدها.

(٢) الاستشراق والمستشرقون – الدكتور السباعي ص ٥٧.

(٣) جولد تسيهر : مستشرق يهودي – ألف كتباً كثيرة منها: العقيدة والشريعة .

وسائل الدعاية الاستشراقية: اتبع المستشرقون لتحقيق هدفهم الأول والذي ليس سوى تزييف الإسلام وتشويهه ؛ وسائل الإعلام العادية، وأهمها وسائل النشر، من كتب وصحافة ويمكن إيجازها بما يلي[١]:

١- تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الإسلام والرسول والقرآن وتاريخ المسلمين ومجتمعاتهم، حتى بلغ عدد الكتب التي طبعت في أوروبة وأمريكا بين عامي (١٨٠٠ و ١٩٥٠) نحو ستين ألف كتاب[٢].

وفي معظم هذه الكتب كثير من التحريف المتعمد في نقل النصوص، أو في فهمها واستنباط المعاني منها، وكثير من التحريف في تفسير الوقائع التاريخية وتعليل أحداثها، واعتبار بعض الحوادث الفردية لها صفة العموم والشمول لكل الأفراد، ونحو ذلك تضليلات محرومة من المستوى الأدنى للأمانة العلمية.

٢- إصدار المجلات الخاصة ببحوثهم حول الإسلام والمسلمين وشعوبهم وبلادهم، وقد بلغ عدد المقالات التي تعرضت للإسلام والمسلمين بين عامي ١٩٠٦م وعام ١٩٦٧م حوالي ست وعشرين ألف مقالة، هذا العدد الضخم من المقالات يدل دلالة واضحة عن اهتمام المستشرقين الجدي في تزييف الإسلام.. والتأثير على الرأي العام الغربي.. وقد أُورثت مفاهيم مزيفة عن الإسلام، وصور مشوهة عن المسلمين لم يستطع العقل الأوروبي والغربي بشكل عام أن يتخلص منها حتى اليوم، بل يعتبرها حقائق لاريب فيها.

---

(١) ارجع إلى كتاب «أجنحة المكر الثلاثة» ص ٦٨.

(٢) ارجع إلى مجلة «قافلة الزيت» العدد العاشر المجلد الثامن والعشرون – شوال ١٤٠٠هـ مقال: المستشرقون. وهو تلخيص لكتاب بهذا الاسم لـ (إدوارد وليام سعيد) .. وكذلك مجلة الأمان اللبنانية العدد ١٤ – ٧ جمادى الآخرة ١٣٩٦هـ – ٤ أيار ١٩٧٦، وفيه مقال لمؤلف الكتاب نفسه فيه تلخيص لكتابه في مجلة (تايم) الأمريكية عنوان المقال: (الإسلام والاستشراق والغرب).

ومن أهم المجلات التي يصدرونها[1]:

أ- في عام ١٧٨٧م أنشأ الفرنسيون جمعية للمستشرقين ألحقوها بأخرى في عام ١٨٢٠م ثم أصدروا « المجلة الأسيوية ».

ب- وفي لندن تألفت جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية في عام ١٨٢٣م، وقَبِلَ الملك أن يكون ولي أمرها، وأصدرت « مجلة الجمعية الأسيوية الملكية ».

ج- وفي عام ١٨٤٢م أنشأ الأمريكيون جمعية ومجلة باسم « الجمعية الشرقية الأمريكية » وفي العام نفسه أصدر المستشرقون الألمان مجلة خاصة بهم، وكذلك فعل المستشرقون في كل من النمسا وإيطاليا وروسيا.

د- ومن المجلات التي أصدرها المستشرقون الأمريكيون في هذا القرن «مجلة جمعية الدراسات الشرقية» وكانت تصدر في مدينة جامبير بولاية (أوهايو) ولها فروع في لندن وباريس ولينبرج وتورنتو في كندا، ولا يعرف إن كانت تصدر الآن، وطابعها العام على كل حال طابع الاستشراق السياسي وإن كانت تعرض من وقت لآخر لبعض المشكلات الدينية. وخاصة في باب الكتب.

هـ - وأصدر المستشرقون الأمريكيون « مجلة شؤون الشرق الأوسط » وطابعها على العموم طابع الاستشراق السياسي كذلك.

و- وأخطر المجلات التي أصدرها المستشرقون الأمريكيون مجلة « العالم الإسلامي» أنشأها « صمويل زويمر »[2] في سنة ١٩١١م.

---

(١) ارجع إلى الاستشراق والمستشرقون - د. مصطفى السباعي . ص ٢٨، ٢٩.

(٢) زويمر : مستشرق مبشر، اشتهر بعدائه الشديد للإسلام، مؤلف كتاب : «الإسلام تحد لعقيدة» صدر في سنة ١٩٠٨م وناشر كتاب « الإسلام » وهو مجموعة مقالات قدمت للمؤتمر التبشيري الثاني في سنة ١٦١١م. بلكنهؤ في الهند. وتقديراً لجهوده التبشيرية أنشأ الأمريكيون وقفاً باسمه على دراسة اللاهوت وإعداد المبشرين . (المرجع السابق ص ٣٢).

ز- وللمستشرقين الفرنسيين مجلة شبيهة بمجلة «العالم الإسلامي» في روحها واتجاهها العدائي التبشيري وأسموها أيضاً «العالم الإسلامي».

٣- إمداد إرساليات التبشير بالخبراء من المستشرقين، ودعمها بما تحتاج إليه من جهودهم.

٤- إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية، وحتى في البلاد الإسلامية ليدرسوا فيها ما يتيسر لهم درسه من أفكار.

٥- عقد المؤتمرات الاستشراقية لتبادل الرأي فيما يحقق أهداف الاستشراق، وما زالوا يعقدون هذه المؤتمرات منذ أول مؤتمر استشراقي عقد في باريس عام ١٨٧٣م.

٦- إنشاء الموسوعة الإسلامية، وقد أصدروها بعدة لغات، وقد حشد لهذه الموسوعة كبار المستشرقين وأشدهم عداء للإسلام، وقد ملأت بالأباطيل عن الإسلام..[(١)]».

من أباطيل المستشرقين: عمد المستشرقون إلى تشويه الإسلام من عدة نواح:

أ- رددوا أن القرآن من وضع محمد - عليه الصلاة والسلام - وأن سذاجة الصحابة وإيمانهم دفعهم إلى نقله على أنه من عند الله.

ب- خلطوا في مصادر الأحكام الإسلامية بين المصادر الإلهية (القرآن والسنة) وبين الاجتمهاد.. ونظروا إلى الجميع على أنها من صنع البشر فسووا بينها في المنزلة!

---

(١) من الموسوعات أيضاً بالإضافة إلى «دائرة المعارف الإسلامية» هناك:

- المنجد في اللغة والعلوم والآداب - للأب لويس شيخو.
- الموسوعة العربية الميسرة. وكلها ملئت بالسموم والشبهات.

ج- ودعوا إلى التصوف الإسلامي لما يؤدي إليه في أكثر الأحيان من صرف أصحابه عن الجهاد وهو أكثر ما يثير الصليبيين ويفزعهم[١].

د- الإدعاء بأن الشريعة الإسلامية لا تختلف عن أعراف الجاهلية وهو إدعاء باطل ادعاه « شاخت » وأستاذه « جولد تسيهر » اليهوديان بالإضافة إلى أكاذيب كثيرة لا مجال لعرضها هنا، وقد تناولها كثير من الباحثين بالنقد، والرد الدافع ، مما لا مجال للتوسع في بحثنا هذا»[٢].

ومن المهم هنا أن نعرف أن المستشرقين صنعوا تلاميذ لهم في البلاد الإسلامية، اقتبسوا أفكارهم وأساليبهم، ورددوا مفترياتهم على الإسلام.

وقد كان « طه حسين » في مقدمة هؤلاء التلاميذ الذين أعلنوا الإعجاب والتقدير لمناهج المستشرقين ، ويعتبر حامل لواء الدفاع عنهم وعن أهوائهم.. حتى قال بعضهم: إن طه حسين ليس إلا مستشرقاً من أصل عربي.. وقد كانت أمانتُه للفكر الغربي ولمذاهب الاستشراق تفوق أمانة المستشرقين أنفسهم، وهكذا كان متابعاً لهم، مقتنعاً بما يقولون إلى أبعد حدود الاقتناع، حتى في تلك المسائل الخطيرة، كقولهم ببشرية القرآن[٣]، وكانت كتاباتهُ توحي بذلك وإن لم يعلنه جهاراً، بعد أن صودر كتابه « في الشعر الجاهلي» وفيه شك بوجود إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) وأعلن ذلك بالرغم من الإشارة إليها في التوراة والقرآن[٤].

---

(١) « أساليب الغزو الفكري » د. علي جريشة.

(٢) راجع :كتاب « دفاع عن العقيدة والشريعة » للشيخ محمد الغزالي. و« الإسلام في وجه التغريب: مخططات الاستشراق والتبشير» للأستاذ أنور الجندي.

(٣) ارجع إلى « الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي» للدكتور محمد البهي. رحمه الله.

(٤) الإسلام في وجه التغريب ص ٣٦٣ وكذلك : أساليب الغزو الفكري ص ٢٤ وقد كان هذا الإنكار وأمور أخرى سبباً في طرد طه حسين من الجامعة المصرية ومصادرة كتابه « في الشعر الجاهلي» ولكن نفوذ الاحتلال الإنكليزي سرعان ما أعادوه إلى الجامعة ومضى به صُعُد إلى أعلى المناصب» .

ومثل طه حسين في هذه التبعية للمستشرقين: سلامة موسى، وحسين فوزي، وزكي نجيب محمود، ومحمود عزمي، وعلي عبد الرازق.. وغيرهم في مصر...[1].

وفي لبنان: سعيد فريحة، وسعيد عقل، والآباء المارونيون، وعلي أيديهم رأينا الدعوة إلى العامية، وكتابتها بالأحرف اللاتينية.. وقد لَقَّحت مناهج المستشرقين في البحث والنقد العلمي قرائح كثير من تلاميذ المستشرقين، فنهجوا نهجهم، وأخذوا طريقهم فيما حاولوا من دراسات. وخاصة في مجال الجامعة والثقافة والصحافة، وحملوا نفس الروح التي يحملها أساتذتهم في خصومة الإسلام، وكانوا أشد قسوة من الغربيين»[2].

وقبل أن أنهي هذه الفقرة من البحث، لابد وأن ننوه أن هناك من المستشرقين المعتدلين من اتسموا بالإنصاف والاعتدال، فمنهم من أخطأ وأصاب، ومنهم من انتهى به البحث النزيه إلى الإيمان والإسلام.

- ويعتبر من الفريق الأول: رينان (الفرنسي) الذي انتهى به بحثه إلى أن السير العربية للنبي محمد ﷺ كسيرة ابن هشام لها ميزة تاريخية أكبر من الأناجيل المتداولة بين النصارى.

- ومنهم (كارليل) الذي عدَّ محمداً ﷺ في الأبطال وخصه بصفحات كثيرة في كتابه (الأبطال).

ومن الفريق الثاني الذي انتهى به البحث عن الحق إلى اعتناقه الإسلام (اللورد هيدلي) و(أتيين دينيه) « ناصر الدين » و(الدكتور جرينييه الذي كان عضواً في مجلس النواب الفرنسي[3].

---

(١) المرجع السابق ص ٣٦٣. وكذلك ارجع إلى « القومية الفصحى» د. عمر فروخ.

(٢) أساليب الغزو الفكري ص ٢٤.

(٣) المرجع السابق ص ٢٨.

(٤) أسلوب الدعاية الغربية ووسائلها: تلجأ الدعاية الغربية إلى أساليب مختلفة، من أجل تحقيق أغراضها السياسية والاقتصادية والفكرية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

أ- الأخبار: لقد فطن خبراء الدعاية والإعلام والعلاقات العامة من خلال تجارب الحربين العالميتين إلى أن تأثير الاتصال في الرأي العام يزداد قوة باستخدام الأخبار بدلاً من المقالات الجدلية، والكتابات الإنشائية.. واستخدام الأخبار بطريقة بارعة لأحداث انطباعات معينة في المجتمعات الأخرى، وهذا يعتمد على فن انتقاء الأخبار وأسلوب صياغتها وطريقة عرضها، وإبراز بعض جوانبها دون البعض الآخر[١] ..».

وقد أتقنت وكالات الأنباء الغربية هذا الأسلوب، وخاصة الوكالات الصحفية الأربع: « وكالة الصحافة الفرنسية » و«رويتر» و«أسوشيتدبرس» و«يونايتد برس» والتي احتكرت الأنباء العالمية، واستعبدت وسائل الاتصال في العالم، حيث يقع القارئ ضحية رؤية معينة تمليها تحليلات أحادية الجانب، لكنها متقنة في الصياغة، وبارعة في الإثارة بعيدة كل البعد عن القيم الأخلاقية.. بالإضافة إلى أن الخلفية العقيدية تؤدي دوراً مهماً في (فبركة) الأخبار حسب مصالح الغرب[٢]. وخاصة إذا كانت هذه الأخبار تتعلق بالمجتمعات الإسلامية فإن الروح الصليبية هي التي تنطق في هذا المجال.. وتلجأ وكالات الأنباء إلى تلفيق شهود العيان، وإلى أنَّ مصادرها: الأخبار الموثوقة فتقول مثلاً: « جاءنا من مصدر موثوق ما يلي...» ما هو هذا المصدر الموثوق؟ لا تذكر ذلك.. أو تقول: « وصف لنا شهود عيان تلك الحادثة بما

---

(١) الإعلام والاتصال بالجماهير . إبراهيم إمام . ص ٢٢٥.

(٢) فالإذاعات الموجهة من « هيئة الإذاعة البريطانية » مثلاً تمولها وزارة الخارجية لذلك تعكس وجهات نظرها.. !! وقسم الإذاعات الخارجية أنشئ عام ١٩٣٨م وكانت اللغة العربية هي أولى اللغات التي تبث إلى الخارج من هيئة الإذاعة البريطانية (انظر مجلة المجلة) (العدد ٨٦ – السبت ٥ ذي الحجة ١٤٠١هـ) .

يلي...» من هم شهود العيان؟ أيضاً لا تذكرهم .. وكذلك تلجأ إلى دس خبر كاذب بين خبرين صحيحين لتقويته ونشره لغاية في نفسها..

وإذا كان الخبر صحيحاً ، ولا مجال لتحويره، تلجأ الوكالة أو الإذاعة إلى تفسيره بما يلائم مصلحتها، وذلك بأن توصم القائمين بالحدث الذي تنقله بصفات سيئة، منفرة، فهي مثلاً عندما تتحدث عن حركة الطلاب الجامعيين في بلد إسلامي. تصفهم بالمتعصبين أو المتزمتين .. ويدرك القارئ إيحاء هذه الصفة وما تعني.. وما يؤسف له أن صحفنا العربية تنقل حرفياً هذه الأخبار في صحفها دون أي تعديل، والأمثلة كثيرة ولا تحتاج إلى برهان إذ إن نظرة واحدة على صحفنا تكفي في هذا المجال.

وقد برعت « الإذاعة البريطانية[١] » بهذا الأسلوب من نقل الأخبار ودس السم في الدسم، وتلفيق شهود العيان، وتشويه الأخبار وتحويرها وتفسيرها حسب مصالح « بريطانيا العظمى »[٢] خاصة والغرب والصهيونية عامة[٣] على الرغم مما تدعيه من حياد ونزاهة وموضوعية..ومازال المسلمون يذكرون موقفها عام ١٩٥٦م إبان الاعتداء الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م ، وكيف أسفرت عن وجهها وتسمت باسمها الحقيقي[٤] وكذلك موقفها إبان حرب رمضان عام ١٩٧١م وكيف

---

(١) « هيئة الإذاعة البريطانية» حصلت بموجب مرسوم ملكي عام ١٩٢٧م على احتكار البث الإذاعي والتلفزيوني فيما بعد في جميع أنحاء بريطانيا – وقسم الإذاعات الخارجية – ومنه الإذاعة باللغة العربية الذي تكلفت وزارة الخارجية البريطانية بتمويله أنشئ عام ١٩٣٨م.

(٢) على الرغم مما يقال من أن صلاحيات وزارة الخارجية – المولة للقسم الخارجي – مقصورة على تحديد عدد اللغات الأجنبية التي يبث بها، وعدد ساعات البث، إلا أن نفوذ الوزارة واضحاً في كل ما تبثه الإذاعة (المجلة العدد ٨٦) – ٥ ذي الحجة ١٤٠١هـ.

(٣) النفوذ الصهيوني في الإذاعة البريطانية لاشك فيه وخاصة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية (انظر المجلة – العدد ٨٦ مقال : تقرير خطير عن الإذاعة البريطانية).

(٤) كانت الإذاعة البريطانية قبل عام ١٩٥٦م (أي قبل الاعتداء الثلاثي) تسمى باسم (محطة الشرق الأدنى للإذاعة العربية) ثم تسمت باسمها الحقيقي: الإذاعة البريطانية من لندن.

اشتركت مع الإذاعة اليهودية في شن الحرب النفسية على القوات السورية بإذاعتها الأخبار الكاذبة لإضعاف الروح المعنوية للجيش[١].

٢- **الدعاية بالأعمال الرمزية**: مما لاشك فيه أن للعمل مغزى أبلغ من الكلمات، وهذا الأمر معروف في الدعوة الإسلامية بشكل خاص، إذ الدعوة بالقدوة الصالحة أبلغ تأثير من الكلام[٢] .. وإن كان لابد من الكلمات، فيجب أن تواكب العمل الرمزي.. وقد نجحت كثيراً الدعاية الغربية في هذا المجال، إذ إن المساعدات الاقتصادية[٣] وخاصة المساعدات الغذائية (كالقمح) مثلاً من وسائل الدعاية الرمزية للولايات المتحدة الأمريكية بشكل خاص[٤]، وكذلك المساعدات « الإنسانية » مثل عمليات الإنقاذ والإغاثة أثناء الأَزْمات والزلازل والفيضانات كلها أعمال رمزية يقصد منها الدعاية في أكثر الأحيان.

ومن الأعمال الرمزية أيضاً، تحريك الأساطيل البحرية من مكان إلى آخر ويقصد به الإرهاب والتخويف للدول الأخرى، وخاصة إذا رافق هذا التحريك الدعاية والشائعات حول احتلال مناطق معينة[٥].

---

(١) مازال المستمعون العرب يذكرون التقرير الملفق الذي نقله مراسل « بي . بي . سي الصهيوني» مايكل الكنز عن القيادة اليهودية في فلسطين المحتلة إبان حرب رمضان، وادعى فيه سقوط قرية « سعسع » السورية التي كانت تشهد معارك طاحنة ، وكانت الغاية استغلال موجات الإذاعة البريطانية الموجهة للتأثير على معنويات القوات السورية (التقرير المذكور آنفاً في مجلة المجلة (العدد ٨٦).

(٢) انتشار الإسلام في الشرق الأقصى (إندونيسيا ، وماليزيا، وفطاني جنوب تايلند). كان بالقدوة الصالحة للتجار المسلمين..

(٣) ارجع إلى كتاب « التبشير والاستعمار » ص ١٦٦، ١٦٧، ١٩٨).

(٤) وتصر الدول المساعدة على كتابه « هدية من الشعب الـ ... » على الركائب .. وهذه دلالة على المقصود من المساعدات.

(٥) لم ننس بعد تحركات الأسطول الأمريكي في المحيط الهندي عام ١٩٨٠م والشائعات التي روجتها وسائل الإعلام الغربية حول احتلال الخليج العربي..

وقد استخدم « التبشير هذا الشكل من الدعاية بأسلوب أعمق أثراً في النفس الإنسانية، فقد استخدم « التبشير » التطبيب ، واستغلال آلام البشر لنشر دعايته، وكذلك استخدم التعليم والإحسان في هذا المجال لتميع وجه المبشرين في نظر الآخرين»[١].

٣- **استخدام الدعاية الرمادية**: وهو أسلوب برع فيه الأمريكيون منذ الحرب العالمية الثانية، وقد مر معنا آنفاً كيف أن الدعاية الرمادية معروفة المصدر، إلا أنها ترمي إلى غايات ملتوية، فهي تلجأ إلى مدح العدو بقصد ضربه مثلاً، وكذلك برع في هذا النوع من الدعاية الشيوعيون بالإضافة إلى ربيبة الشرق والغرب « إسرائيل» .. وقد استخدم الغرب هذا الأسلوب من الدعاية في ضرب الحركات الإسلامية في العالم العربي[*].

٤- **الأفلام السينمائية**: وهذه تؤدي دوراً مهماً أيضاً في الدعاية الغربية، وخاصة بعد أن دخل الرائي إلى كل بيت، في مجتمعاتنا الإسلامية.. فالسيل من الأفلام الغربية، عم جميع وسائل الإعلام المرئية في البلاد الإسلامية.

وهذه الأفلام سُخِّرت لإشاعة الفاحشة، والإغراء بالجريمة، وتحطيم الأخلاق .. والعقائد الدينية...

حتى الأفلام التي ليس فيها ما يثير من الناحية الأخلاقية، نجدها دعاية لتقدم الغرب، واهتمامه بجميع الأمور، الاقتصادية والاجتماعية وغيرها..

أو لإظهار الإنسان الغربي بمظهر القوي الذي لا يغلب[٢] وإظهار الأُسر الغربية بشكل مثالي نموذجي.. يغاير واقع المجتمع الغربي تماماً...

---

(١) ارجع إلى كتاب « التبشير والاستعمار » ص ١٩٦ وما بعدها للإطلاع بتوسع على الدعاية الضخمة التي ترافق المساعدات الاقتصادية واستغلالها لغايات تبشيرية.

(*) انظر الفصل الرابع من هذا البحث.

(٢) المسلسلات التلفزيونية : السوبرمان، ستيف.. وغيرها...

وكذلك الأفلام التي تمجد أعداء الإسلام من اليهود، وتمجد التاريخ اليهودي وتبرر احتلال فلسطين، وأنها أرض الميعاد .. وكذلك الأفلام التي تحكي حياة الأنبياء، مثل حياة المسيح – عليه السلام – .. وتبين خرافة الصليب .. ولقد خدمت السينما الغربية المبشرين والصهيونيين كثيراً، بآلاف الأفلام منها ما عرض في البلاد الإسلامية ومها ما عرض في البلاد الغربية فقط..

٥- **التعتيم والتمويه:** وأسلوب آخر من أساليب الدعاية الغربية هو التعتيم.. وعدم نشر الحقائق إلا بمقدار ما يخدم مصالحها..

فأخبار ما يتعرض له المسلمون في العالم، لا تذكرها، ولا تطلع العالم عليها إلا ما ندر وأحياناً تنشر الأخبار التي تعيقها، أو تشوهها، أو تصورها بغير صورتها الحقيقية، وغايتها طمس الحقائق عنها، والسكوت على الجرائم التي ترتكب ضدها.. ومن ثم إعاقة امتدادها، وعدم مناصرتها من قبل الدول الأخرى المتعاطفة معها..»[(١)].

أما التمويه، وتسمية الأمور بغير أسمائها الأصلية، فتهدف منه الدعاية الغربية، إبعاد الآخرين عن جوهر المشكلة، وتوجيههم إلى أمر آخر، يصرفهم عنها تماماً..

ومن الأمثلة على التمويه في الدعاية الغربية:

– تسمية وجود « إسرائيل » واغتصابها لفلسطين، بمساعدة الغرب، بمشكلة « الشرق الأوسط »[(٢)] وذلك لأبعاد الضمير المسلم عن واقع المشكلة.. لأن ذكر فلسطين، والقدس تثيران في المسلم مشاعر خاصة تدفع المسلم إلى الجهاد لتحريرها من مغتصبها.

---

(١) مذابح المسلمين في الفليبين وأثيوبيا وأرتيريا والصومال والهند لا تعتبر سوى قضايا ثانوية في منظور الإعلام الدولي، لذا فإنه يتجنب تناولها لأنها لا تخدم قضيته... ويجب أن تبقى في عالم الظلام ومن ثم النسيان.

(٢) إن كلمة « الشرق الأوسط » يقصد بها تلك المنطقة التي تمتد من مصر حتى إيران شرقاً وحتى تركيا شمالاً . (ارجع إلى كتاب الحرب النفسية في المنطقة العربية – د. حامد ربيع ص ٥ بيروت ١٩٧٤م.

- وهذه التسمية أيضاً وسيلة لإبعاد القوى الإسلامية في « الشرق الأدنى والأقصى والعالم كله عن الارتباط بالمشكلة، وعندما تسمى بهذا الاسم، فكيف نفرض على المسلم في المناطق الأخرى من العالم أن يشعر بأن المشكلة مشكلة أيضاً بصفتها ترتبط باغتصاب جزء مقدس من أرض الإسلام؟ وهكذا تُصَفَّى القضية وكأنها قضية محدودة من غير مواجهة المشكلة بأبعادها الحقيقية.

- ومن الأمثلة الأخرى على هذا التمويه « تصوير معركة الإسلام مع أهل الباطل بصورة المعركة القومية أو الوطنية أو الاشتراكية، أو رفع رايات أخرى ما أنزل الله بها من سلطان، مع العلم أن المعركة، معركة عقائدية مصيرية وهدف الدعاية الغربية هو إطفاء شعلة العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين وخداعهم، وإبعادهم عن سلاح النصر في هذه المعركة، مع أن الغرب الصليبي كله يعامل المسلمين على أنهم أمة واحدة.. فلا فرق عنده بين هندي وعربي، أو إيراني أو غيره من بلاد المسلمين.. ونحن نشهد نموذجاً من تمويه الراية في محاولة الصليبية العالمية أن تخدعنا عن حقيقة المعركة، فتزعم لنا أن الحروب الصليبية كانت ستاراً للاستعمار.. كلا.. إنما كان الاستعمار الذي جاء متأخراً هو الستار للروح الصليبية التي لم تعد قادرة على السفور كما كانت في القرون الوسطى! والتي تحكمت على صخرة العقيدة بقيادة مسلمين من شتى العناصر.. العناصر التي نسيت قوميتها وذكرت عقيدتها فانتصرت تحت راية العقيدة»[١].

٦- **التزييف والتشويه**: ويقصد بالتزييف هنا هو تصوير الأمور بشكل جزئي ومشوه ومغلوط، وهكذا يصبح الحق باطلاً بعد أن يلبس ثوبه – والباطل مكروه من قبل كل إنسان – وبهذا الأسلوب تُبقي وسائل الإعلام والدعاية في الغرب على الروح العدائية بين الإنسان الغربي والإسلام ، والتي توارثها منذ الحروب الصليبية[٢]..

---

(١) معالم في الطريق – ط دار الشروق (بدون تاريخ) ص ١٨٦ (آخر فقرة من الكتاب)..
(٢) ارجع إلى « الإسلام على مفترق الطرق » محمد أسد – فصل : شبح الحروب الصليبية.

ويتناول التشويه الدعائي الغربي، في السنين الأخيرة عقيدة المسلمين وحياتهم وأنظمتهم وعاداتهم وتقاليدهم، ونضرب مثالين على ذلك:

المثال الأول: في تشويه العقيدة والتشريع، حيث لوحظ تركيز إعلامي غربي على الحدود في الشريعة الإسلامية، وكرس الرسامون الخبثاء في بعض الصحف الدولية أنفسهم لإبراز رسوم «الكاريكاتير» وهي تتناول بعض هذه الحدود كقطع يد السارق ورجم الزاني المحصن لتشويه سماحة الإسلام بإظهار هذه الحدود بالمظهر الوحشي الذي ينمي غريزة الحقد في العالم الغربي على عقيدة الإسلام والمسلمين.

المثال الثاني: ويتناول الجهد الإعلامي الدولي (الغربي بشكل خاص) في تشويه قضية المسلمين مع اليهود في فلسطين والأراضي العربية المحتلة، وهذا الجهد مازال حتى الآن يركز على:

- الأصول اليهودية التاريخية المزيفة في فلسطين.
- الاحتلال العربي زمن عمر بن الخطاب.
- الوحشية الإسلامية العاملة على طرد اليهود من أراضي أجدادهم.
- والوداعة والسلام والثقافة والحضارة عند يهودي الأراضي المحتلة..

كل هذه الصور المشوهة، تعمل على تبديل الحق بالباطل، بينما يقف الإعلام في العالم الإسلامي موقف المتفرج في أغلب الأحيان[١].

٧- **التحريض**: تقوم الدعاية الغربية في وسائل الإعلام الغربي والدولي أيضاً بدور التحريض على العالم الإسلامي وعلى الدعوة الإسلامية بشكل خاص.. وهناك شواهد كثيرة على هذا التحريض، ولا يمر يوم دون أن يرى المراقب المسلم عناصر التحريض الإعلامي على العالم الإسلامي، ومن أبرز عناصر هذا التحريض كما يلي:

---

(١) ارجع إلى مجلة (المجتمع) الكويتية – العدد ٤٨٦ – تاريخ ١٠ شعبان ١٤٠٠هـ.

أ- طرح الإعلام الغربي ولاسيما الإعلام الصهيوني في أوروبا وأمريكا لقضية أعداد المسلمين في العالم على أنها قضية مُرعبة للعالم الغربي.

ب- دور العقيدة الإسلامية المتمكنة من نفوس المسلمين تؤدي دوراً أولياً في وحدة المسلمين ووقوفهم أمام التيار الغربي الغازي ولهذا خطره على مصالح الغرب في العالم الإسلامي.

ج- فكرة الجهاد عند المسلمين ودورها في تكوين الجماهير الصلبة التي بدأت تنادي من جديد بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله في حياة المسلمين.

ولهذا خطر كبير على الأنظمة في العالم الإسلامي التي عرفت بولائها للغرب وتفهمها لمصالحه(١).

د- إمكانية المسلمين المستقبلية في نزع الدويلة اليهودية ودور عقيدة المسلمين المستمدة من القرآن والسنة في ذلك.

(٥) صورة المسلم في الإعلام الغربي: وحتى تتكون عندنا صورة كاملة للدعاية الغربية، لابد من تبيان الثمار الفاسدة التي أثمرتها هذه الدعاية، في المجتمعات الغربية خاصة، والمجتمع العالمي عامة.. فقد كونت صوراً مشوهة للمسلم، بل مضحكة أيضاً، ومما يؤسف له، أن الإعلام العربي ساعد في تركيز هذه الصورة في أذهان الجماهير الساذجة، البعيدة عن التصور الإسلامي الصحيح، باعتبار أن كثيراً من وسائل الإعلام العربية والإسلامية مازالت عبيدة لوكالات الأنباء الغربية، فهي تنقل عنها حرفياً، دون تمعن فيما تنقل.

---

(١) ارجع إلى مجلة (المجتمع) العدد ٤٤١ - تاريخ ٢٠ جمادى الأولى ١٣٦٦هـ - مقال: ((الصحف الغربية تثير حكام المسلمين ضد شعوبهم)). وكذلك العدد ٤٨١ - ٥ رجب ١٤٠٠هـ - مقال: ((حرب الشائعات ضد الحركة الإسلامية)). ومقال : ((صحف الغرب تهاجم الإسلام)). في (المجتمع) العدد ٤٨٥ - ١٤ ربيع الأول ١٣٩٩هـ .

ومن هذه الصور التي ترددها وسائل الإعلام الغربية، وغايتها الدعاية فقط، لاستهواء عقول الناس وقلوبهم ما يلي[١]:

١- صورة الغني السفيه الذي يملك مالا هائلاً، ولا يعرف كيف يتصرف به، ولذا يجب أن تكون عليه وصاية في ماله، فصورة المسلم هو الغني أكثر من اللازم.. مع العلم أن أكثر المجتمعات ترفاً هو الشعب الأمريكي ومثال ذلك: رجل يملك كلباً خصص له صاحبه سيارة خاصة وسائق خاص وطباخ وله جناح خاص في البيت، وعندما مات هذا الرجل ترك خمسة آلاف دولار وهبها للكلب.

فالواقع نحن لسنا أغنياء حقيقة، بل في حالة متوسطة.

٢- صورة الهمجي الجالس وراء برميل النفط يهدد حضارة الغرب بزيادة الأسعار.

٣- صورة العقال والجمل والإعلام العربي يسهم في هذه الصورة.

٤- صورة المزواج الشهواني .. مسلم يجر وراءه طابور من النساء، أو مسلم يملأ بيته بالإماء، أو مسلم ينثر الدنانير على أفخاذ غانية.

٥- صورة المتعصب المتشدد، فالإعلام الغربي يصوغ الخبر كالآتي:

- قام مسلمون متشددون بكذا..

- قام الطلاب المتعصبون في جامعة أسيوط بمظاهرات..

وصحفنا تنقل الخبر حرفياً دون تعليق...!

٦- صورة القاتل الظالم المتحمس للدم والقتل.. والأولى أن تكون هذه الصورة للإنسان الصليبي الحاقد على الإسلام مما شهد به كتابهم وعلماؤهم، وهذا واقعهم أيضاً يشهد بذلك في كثير من بلاد المسلمين..

٧ - صورة العاجز عن التفكير المنهجي: يقولون : إن العقلية الغربية هي العقلية الدقيقة التأمل التي تستطيع أن تفكر تفكيراً منطقياً سليماً، أما غيرهم من

---

(١) زين العابدين الركابي – من محاضراته التي ألقاها عام (١٣٩٨هـ) على طلبة السنة الثالثة – في المعهد العالي للدعوة الإسلامية في الرياض.

الشعوب – وخاصة الإسلامية – فإن عقليتهم ساذجة بسيطة ، أو بالأصح «ذرية» كما عبَّر بذلك المستشرق « جب» في كتابه « وجهة الإسلام » ويقصد بذلك أن – العقلية الإسلامية تدرك الأمور بواسطة الجزئيات ولا تدركها إدراكاً كليا[1].

– وأن عقلية المسلم خرافية – فهو يعتقد أن الأرض محمولة على قرن ثور.

– وأنه وثني يعبد محمداً ﷺ وأن محمداً ربط اسمه بسم الله في الشهادة وأنه أمر المسلمين أن يقلدوه في كل شيء.

٨- يصور المسلم بصورة المحتقر للمرأة المضطهد لها.. المرأة في الإسلام أقل من الرجل، المراة لها نصف الميراث، وهي مسجونة في البيت، وكل همها إرضاء نزوات الرجل، ومع الأسف أن المسلمين يعينون على تشويه صورتهم.. مع العلم أن الإسلام هو الذي كرم المرأة وخلصها من نير العبودية الجاهلية..

٩- يصور المسلم بصورة تاجر الرقيق... وفي إفريقية تتعمد الكنائس تصوير المسلم بهذه الصورة..

١٠- في الولايات المتحدة ، وارثة الإرث الاستشراقي، وظَّفت هذا الإرث في إعلامها، وجامعاتها، وثقافتها الشعبية وسياستها الاستعمارية فصورت المسلم في الأفلام السينمائية والكاريكاتورية كغوغاء متعطش للدماء أو ذوي أنوف معقوفة أو كالساديين[2] الفساق[3].

---

(١) الاستشراق والمستشرقون – د. مصطفى السباعي ص ٦٢.

(٢) السادية (أو جنون القسوة) : وهي الميل إلى التعذيب في نفس المعذب، وقد دعيت بالسادية نسبة إلى (الفونس دي ساد) وهو كاتب فرنسي اشتهرت عنه هذه النزعة، والسادية هي لفظة تطلق في معنى واسع على النزعة إلى القسوة بصورة عامة. (ارجع إلى معجم مصطلحات علم النفس) – (منير وهيبة الخازن) . ص ١٣٠ دار النشر للجامعيين – بيروت.

(٣) مجلة (الأمان) البيروتية – العدد ١٤ ٧ جمادى الأخرة ١٣٩٩هـ .
مقال: الإسلام والاستشراق والغرب للدكتور أدوار سعيد – ترجمة المجلة..

وبمقابل هذه الصورة القبيحة للإنسان المسلم، تصور الأمريكي، بأنه إنسان طموح، يلم بكل شيء، لا يُخدع ولا يستطيع أحد الضحك عليه، ويظهر بمظهر المروءة (إطفاء الحريق ، إنقاذ المرأة ...) .

هذه الصورة للرجل الأمريكي لا تعرض عفوياً، إنما تعرض بصورة منظمة، وإذا عرفنا أن أمريكا تصدر أكثر من ٢٠٠ ألف ساعة « براجمية تلفزيونية» كل عام ... تغزو أكثرها الدول العربية والإسلامية .. سندرك مقدار تأثير هذه الدعاية في المجتمعات الإسلامية.

الفصل الرابع
الحرب النفسية والدعوة الإسلامية

المبحث الأول: الحرب النفسية ضد الدعوة الإسلامية في الوقت الحاضر .
أولاً – أعداء الدعوة الإسلامية وسلاحهم.
- الإستراتيجية الغربية في الحرب النفسية.
(١) دراسة الحركات الإسلامية ورصدها.
(٢) السيطرة على الإعلام.
(٣) تغيير الوعي الثقافي والسياسي.
أ) التغيير التعليمي والثقافي.
ب) التسميم السياسي ومحو ذاكرة الأمة.
(٤) العولمة والهيمنة على العالم.
(٥) استهداف الإسلام بدعوى الحرب على الإرهاب.
(٦) دعم التوجيهات الحداثية والعلمانية.
(٧) إظهار الحركات الهدامة والتعتيم على الفكر الإسلامي الصحيح.
أ- إظهار الحركات الهدامة وتلميعها.
ب- حرب الإسلام الصحيح بإسلام مزيف.
ج- التمويه والتمييع للحقيقة.
د- الطمس والتعتيم.
المبحث الثاني: مبادئ الحرب النفسية في الإسلام.

المبحث الأول

الحرب النفسية ضد الدعوة الإسلامية في الوقت الحاضر

أولاً – أعداء الدعوة الإسلامية وسلاحهم

– من هم أعداء الدعوة الإسلامية؟

سؤال نطرحه ، لنتعرف على هؤلاء الأعداء الذين يشنون الحرب النفسية الحاقدة على الدعوة الإسلامية وحملتها من العلماء العاملين والمجاهدين المخلصين.. وذلك لتعريتهم من الثياب البراقة التي يلبسونها.. ويُخدع بها المغفلون من أبناء الإسلام .. وحتى يميز المسلم بين عدوه وصديقه.. ولا يُخدَع إذا لبس العدو ثياب الصديق ونطق بلسان الصديق..

وأعداء الإسلام اليوم كلهم، يلبسون ثياب النفاق، والرياء، وإن صورة المنافقين في الصدر الأول تتكرر مرة أخرى في الوقت الحاضر.. على مستوى الدول ومن خلال وسائل الإعلام المتعددة.

قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [المنافقون ٤] .

ولعدم وضوح صورة الأعداء للمسلمين، لتلوّن هؤلاء الأعداء بألوان شتى، لابد من مصدر حق، يوضح صورتهم، ويبينهم على حقيقتهم.. وهذا المصدر الحق هو كتابُ الله عز وجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.. والله عز وجل هو وحده العليم بأعدائه وأعداء المسلمين.. ويقرر هذه الحقيقة قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾ [النساء ٤٤-٤٥] .

ويبين الله عز وجل أعداء الإسلام والمسلمين بقوله: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [المائدة ٨٢] . وإن أعداء الدعوة الإسلامية لم يكونوا يحاربونها في الميدان بالسيف والرمح فحسب، ولم يكونوا يؤلبون عليها الأعداء ليحاربوها بالسيف والرمح فحسب، إنما كانوا يحاربونها أولاً في عقيدتها، كانوا يحاربونها بالدس والتشكيك، ونشر الشبهات، وتدبير المؤامرات... وهكذا كانوا في العصر الأول .. وهكذا هم في كل زمان ومكان، لم تنقطع هذه العداوة والحرب بالسلاح وبغير السلاح، مروراً بالحروب الصليبية، ومروراً بتشويه الإسلام وتزييفه على يد المستشرقين والمبشرين.. حتى الوقت الحاضر، فإنهم لم يلقوا السلاح، ولم يضعوا السيف في غمده.

وأعداء الإسلام لم يرفعوا راية العقيدة في حربهم للعقيدة الإسلامية في الوقت الحاضر .. إنما يرفعون أعلاماً شتى في خبث ومكر، لأنهم جَرَّبوا حماسة المسلمين لدينهم حين يواجهونهم تحت راية العقيدة، ومن ثم استدار الأعداء فغيروا أعلام المعركة، لم يعلنوها حرباً باسم العقيدة ، خوفاً من حماسة العقيدة وجيشانها، إنما أعلنوها باسم الأرض، والاقتصاد، والسياسة ومناطق النفوذ، وما إليها.. وألقوا في روع المخدوعين الغافلين منا أن حكاية العقيدة قد صارت قديمة لا معنى لها، ولا يجوز رفع رايتها، فهذه في رأيهم، سمة المتخلفين المتعصبين، ذلك كي يأمنوا جَيَشَان العقيدة وحماستها، بينما هم في قرارة نفوسهم، يخوضون المعركة أولاً وقبل كل شيء لتحطيم هذه الصخرة العالية – صخرة الإسلام العظيم – التي نطحوها طويلاً فأدمتهم جميعاً[1].

---

(١) ارجع إلى الظلال – تفسير سورة المائدة آية ٨٢ – والبقرة آية ١٢٠.

وكلما ارتقت وسائل الكيد لهذه العقيدة والتشكيك فيها، والتوهين من عراها، استخدم أعداؤها هذه الوسائل المترقبة الجديدة، والحرب النفسية اليوم، والتي يشنها هؤلاء الأعداء على الإسلام والمسلمين، تَستخدم أرقى ما وصلت إليه وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، ومن خلال هذه الوسائل تشهر الحرب النفسية أسلحتها، من دعاية وشائعة، وتحريف للأفكار، وتزييف للحقائق، وتشويه للأشخاص والجماعات. بالإضافة إلى الأسلحة الأخرى، التي توحي بها الحكومات الاستعمارية إلى تلامذتها وصنائعها، الذين جعلوا منهم أعداء لدينهم وأبناء أمتهم وأصبحوا طوع بنان الأعداء، في استخدام كل وسيلة لتوهين العقيدة في نفوس الناس، والتضييق على دعاة الإسلام ومحاربتهم نفسياً ومادياً، واستخدموا كل وسيلة ممكنة لتيئيس هؤلاء الدعاة.. وإبعادهم عن أتباعهم وجماعتهم.. ومن تلك الوسائل سجنهم وتعذيبهم ومحاولة غسيل دماغهم وتشويه سمعتهم، وإقامة المحاكمات الصورية لهم.. كل هذه الأساليب استخدمت ضد رجال الدعوة الإسلامية، الذين هم نبض هذه الأمة ، وروحها المعبر عن هذه العقيدة..

ثانياً: الإستراتيجية الغربية في الحرب النفسية في العالم الإسلامي: بعد سقوط الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١م أخذ الغرب يفتش عن عدو جديد له، فلم يجد إلا الإسلام والعالم الإسلامي، وبخاصة وهو يرى الصحوة الإسلامية بعد سبات طويل للعالم الإسلامي المقهور من قبل جميع القوى الصليبية والشيوعية والوثنية في الماضي القريب.. وبصفة أن شبح الحروب الصليبية – على حد تعبير محمد أسد في كتابه القيم « الإسلام على مفترق الطرق » والذي ذكرناه آنفاً في هذه الدراسة، أقول بصفة أن شبح الحروب الصليبية مازال يلاحق الغربيين بخاصة.. فالعدو الحاضر في أذهانهم هو الإسلام لا غير..

وهذا ما عبر عنه الرئيس نيكسون – الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية في كتابه « اقتناص الفرصة» بقوله : « إن الإسلام سوف يصبح قوة

سياسية متعصبة، فمن خلال نمو سكانه ، ومن خلال تبوئه مركزاً مالياً مهماً، سيفرض تحدياً رئيساً يحتم على الغرب أن يقيم تحالفاً قوياً مع موسكو للتصدي لعالم إسلامي معاد وعدواني»[١].

ويعد نيكسون أن العالم الإسلامي هو التحدي الحقيقي للإستراتيجية الأمريكية في القرن الواحد والعشرين[٢]. بعد الهيمنة السياسية والاقتصادية والثقافية على العالم باسم النظام العالمي الجديد، والعولمة، ومحاربة الإرهاب.. واقتنصت الولايات المتحدة الفرصة بعد الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) وضرب البرجين التجارية في نيويورك عام ٢٠٠١م لتعلنها حرباً شعواء نفسياً ومادياً ضد العالم الإسلامي.

فهاجمت أفغانستان عام ٢٠٠١م وهاجمت العراق عام ٢٠٠٣م وأخذت تهدد وتتوعد أي دولة لا تسير معها في سياستها ضد ما تسميه بالإرهاب – حتى المقاومة المشروعة ضد الاحتلال العسكري لبعض بلاد العالم الإسلامي صنفتها ضمن الإرهاب .. وأخذت تطلق الألقاب على الدول المعارضة لها، مثل مثلث الشر، الدول الداعمة للإرهاب.. إلخ..

وعداء حكومة الولايات المتحدة للإسلام لا ينطلق من فراغ، بل من جذور إنجيلية، لذا أطلق عليها من قبل جميع المفكرين في الشرق والغرب وحتى من الولايات المتحدة بالذات، اسم اليمين المسيحي المحافظ، أو المتطرف[٣].

---

(١) ص ١٩٥.

(٢) ص ٢٠٩.

(٣) انظر التقرير الخاص: الجذور الإنجيلية للأحادية الأمريكية ، اليمين المسيحي وكيفية مواجهته بقلم دوان أولدفيد، الأستاذة المشاركة في العلوم السياسية في جامعة نوكس – مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية – لندن – آذار ٢٠٠٤م قدم في الاجتماع السنوي بجمعية العلوم السياسية الأمريكية المنعقد في الفترة ٢٨-٣١ آب ٢٠٠٣م.

والولايات المتحدة الأمريكية – زعيمة العالم الغربي في الوقت الحاضر – في حربها النفسية والمادية لا يخبط خبط عشواء، بل هي تسير في خطى مدروسة، وتعتمد على دراسات اجتماعية ونفسية موثقة من علماء غربيين، وعملاء حرب ومسلمين ممن يعيش في الغرب أو في العالم الإسلامي.. من هنا نستطيع رصد إستراتيجيتها في هذه الحرب من خلال النقاط الآتية:

١- دراسة الحركات الإسلامية ورصدها.

٢- السيطرة على الإعلام.

٣- تغيير الوعي الثقافي والسياسي لدى المجتمع الإسلامي.

٤- العولمة والهيمنة على العالم.

٥- استهداف الإسلام بدعوى محاربة الإرهاب.

٦- دعم التوجيهات الحداثية والعلمانية.

٧- إظهار الحركات الهدامة والتعتيم على الفكر الإسلامي الصحيح.

(١) دراسة الحركات الإسلامية ورصدها:

والباعث لهذه الدراسة هو خشيتهم من الصحوة الإسلامية الحاضرة، المطالبة بتحكيم الإسلام في الحياة بعد أن فشلت النظم الجاهلية كلها من رأسمالية وشيوعية في تحقيق ما يصبو إليه الإنسان المسلم من عزة وكرامة وحياة آمنة... ولذلك دبت روح جديدة في ضمائر كثير من المفكرين المسلمين صارت تنادي بالرجوع إلى الإسلام عقيدة وشريعة في الحياة.

فقد بدأت صحف الغرب خاصة تنبه العالم الغربي إلى هذه الصحوة وتبين خطرها.. فالصحف الفرنسية والإنجليزية والأمريكية والصهيونية كلها تتحدث عن هذه الصحوة الإسلامية، والعودة إلى الإسلام في العالم الإسلامي فصحيفة «لوموند» وغيرها من الصحف الفرنسية تكتب سلسلة مقالات عن الإسلام وعن الرسول محمد ﷺ وعن هذه النهضة الإسلامية التي بدأت تظهر بوادرها، وصحيفة «التايمز» «تقول : «ليست هذه الصحوة الإسلامية مقصورة على مصر بالطبع، فهناك أكثر منها وضوحاً في إيران وأخرى في باكستان وهناك علامات على وجودها في إندونيسيا ومؤشرات على انبثاقها في بعض مناطق الاتحاد الروسي المسلمة، أما إفريقية فقد أحرز الدين الإسلامي بعض التقدم على حساب المسيحية والديانات المحلية الأخرى، وعلى المستوى الدولي فقد ازداد الشعور التضامني الإسلامي بعد أن احتلت إسرائيل القدس الشريف ثم تقول: «إن المسلمين يكرهون الغرب، لأنه برز واشتهر على حساب انحسار المد الإسلامي، وفرضوا عليه كل ألوان الخزي والعادات السيئة» وتختم مقالها قائلة: «العالم الإسلامي يعتريه اليوم تطلع وحاجة لتأكيد ذاته وهويته» ثم تصيح منذرة محذرة: «الغرب اليوم أمام خطر، سيجعله يدفع الغالي والرخيص بسبب عجرفته الماضية ونجاحه السابق»[1].

---

(١) انظر البلاغ العدد ٤٦٩ – تاريخ الأحد ١٤ ذي القعدة ١٣٩٨.

وهذه جريدة «باري ماتش» الفرنسية تتكلم عن المد الإسلامي الذي يغزو العالم، وأن على دول الغرب أن تتخذ الاحتياطات اللازمة لكي لا تُفاجأ بالأحداث»[١] . وجريدة «هيرالد تريبيون» الأمريكية تكتب مقالاً بعنوان: «رياح البعث الإسلامي تقلق العالم» ، ثم تشرح الأخطار التي تهدد إسرائيل من جراء هذا البعث الإسلامي»[٢].

إن ما نشرته هذه الصحف يدل على أن هناك تخوفات من هذه الصحوة وأيادي تعمل على كبت انتفاضات الشعوب الإسلامية، والوقوف ضد كل صحوة إسلامية وبعث إسلامي، من شأنهما أن يزيحا الكابوس الاستعماري الظاهر والخفي على الشعوب الإسلامية، والذي يريد أن تبقى هذه الشعوب في ابتعاد عن حقيقتها ووجودها طامسة شخصيتها في شخصية الأجنبي، ومستبدلة بثقافتها وتفكيرها وقيمتها ثقافة وفكر وقيم الأجنبي.

وكذلك الصحف «الإسرائيلية» بدورها رفعت عقيرتها منذرة الغرب الخطر الذي يهددها مما أسمته بالرجعية الإسلامية الزاحفة ومثيرة في الوقت نفسه حمية حكومة موسكو محذرة من خطر البعث الإسلامي وتأثيره على المسلمين في الاتحاد السوفيتي (سابقاً) في صحيفة «جويش كرونيكل» الأسبوعية: «إنه ليس في وسع الغرب أو الاتحاد السوفيتي إغفال النتائج المترتبة على نمو الثقة بالنفس عند المسلمين يمكن أن يزعزعا توازن قسم كبير من الكرة الأرضية»[٣]. وهكذا نلاحظ أن هذا الانبعاث الإسلامي الذي أصبح يشق طريقه في البلاد الإسلامية يخطط الأعداء للتآمر عليه حتى لا يعم انتشاره، ويعملون على القضاء عليه وإلصاق

---

(١) مجلة الإصلاح العدد ١١ – تاريخ ربيع الأول ١٣٩٩هـ.

(٢) البلاغ العدد ٤٦٩ – ١٤ ذي القعدة ١٣٩٨هـ.

(٣) البلاغ – العدد ٤٦٩ – ١٤ ذي القعدة ١٣٩٨هـ.

التهم المكذوبة به، ورميه أحياناً بالرجعية الزاحفة وأحياناً أخرى بالتواطؤ مع الشيوعية..

ويتأكد هذا من الخبر الذي نشرته صحيفة « واشنطون بوست » من أن البيت الأبيض كلف وكالة المخابرات الأمريكية بالعمل على دراسة الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي كله، وستضم هذه الدراسة التي أمر بإجرائها مستشار الرئيس كارتر لشؤون الأمن القومي « زبغنيو بريجنسكي» تقارير مستقاة من وكالات الاستخبارات المدنية والعسكرية ، وقد وصف مسؤولون أمريكيون الدراسة بأنها بالغة الحساسية نظراً للتأثيرات المتعاظمة للتعاليم الإسلامية في العديد من الدول، وللأهمية السياسية المتزايدة لعدد من البلدان الإسلامية. وقالت « الواشنطن بوست»: إن بريجنسكي مصمم على عدم السماح لمثل هذه التأثيرات بأن يكون لها دور في مناطق الأزمات في العالم كما حدث في إيران[1].

ومما يؤكد هذه الأخبار أيضاً « أن مجلس الأمن القومي الأمريكي طلب من الاستخبارات البريطانية تزويده بكل ما يمكن من معلومات تتعلق ببعض الحركات الإسلامية، بسبب افتقار الولايات المتحدة إلى المعلومات الوافية عن هذه الحركة، ويشكل هذا الطلب جزءاً من المشروع الكبير الذي أمرت الحكومة الأمريكية بإعداد الدراسات اللازمة حوله قبل أيام لمعرفة تأثير الحركات الدينية»[2].

ومن المعلوم أن الاستخبارات البريطانية لها خبرة كافية في هذه الحركات بصفتها الدولة الاستعمارية الأولى للعالم الإسلامية وتعرف ما يجري فيه .

---

(١) نشرت النبأ:

أ- صحيفة الشرق الأوسط – ٣١/ ١/ ١٩٧٩م.

ب- صحيفة القبس الكويتية – ٢٢ صفر ١٣٩٩هـ (٢١/ ١/ ١٩٧٩م).

ح- مجلة المجتمع (عن القبس) في ٢ ربيع الأول ١٣٩٩هـ (٣٠/ ١/ ١٩٧٩م).

(٢) صحيفة القبس ٢٥- ١٣٩٩هـ و ٢٤/ ١/ ١٩٧٩م.

ويسهم الصهاينة في فلسطين المحتلة في هذه الدراسة، مما يظهر تخوفها من هذه اليقظة الإسلامية وذلك أنها عقدت ندوة خصوصية شارك فيها عدد كبير من الاختصاصيين الصهاينة من جملتهم البروفيسور « شارون » مستشار رئيس الوزراء للشؤون العربية وغيره من الأساتذة الكبار. ولقد ذكر « البروفيسور شارون» في هذه الندوة أنه ما من قوة في العالم تضاهي قوة الإسلام من حيث قدرته على اجتذاب وإثارة الجماهير، وأنه يشكل القاعدة الوحيدة للحركة الوطنية الإسلامية، ولم ينس « شارون » كفاح ونشاط المفتي الحاج أمين الحسيني – رحمه الله – الذي اعتبره أعدى أعداء الصهيونية والمكافح الأول ضدها. ثم قال: « إن المساجد هي دائماً منبع دعوة الجماهير العربية إلى التمرد على الوجود اليهودي» واختتمت الندوة أعمالها مؤكدة أن هناك يقظة إسلامية حقيقية بين صفوف الفلسطينيين أيضاً وأن الاختلافات الموجود بين المسلمين لا تمنعهم من أن يتنادوا ليقفوا صفاً واحداً»[(١)].

(٢) السيطرة على الإعلام: رأينا آنفاً أن الإعلام من العوامل المهمة المؤثرة في السلوك، وفي قناعات الطرف المستهدف، من هنا يصبح الإعلام من أهم الأدوات الميسورة للحرب النفسية، حيث الاستخدام المنظم لوسائله ومواده للتأثير على الآخرين.. فالإعلام هو الذي ينقل الأخبار وتفاصيل الحروب . بصيغ تزيد المعنويات أو تضعفها، وهو الذي يهول بعض الأمور ويضخمها، ويقلل من شأن أمور أخرى بنية تكوين حالة إحباط مؤلمة.. فضلاً عن طريقته في نقل الأفكار والمعلومات وحاجة الجمهور إليه في المتابعة وإشباع الحاجات، وكذلك قدرته وشموليته في التأثير. لهذا كله يكون الإعلام من الأدوات الفاعلة جداً من بين

---

(١) مجلة البلاغ الكويتية –العدد نفسه المذكور سابقاً – في مقال بعنوان « رياح البعث الإسلامي تقلق العالم الغربي ».

أدوات الحرب النفسية.. ولهذا أيضاً كان الهدف الإستراتيجي للغرب هو السيطرة على الإعلام، وفعلاً أصبح بيده يصرفه كيف يشاء والدليل على ذلك[١]:

أ- غالبية الشركات العملاقة (متعددة الجنسيات) للصحافة والبث التلفازي والأقمار الصناعية الناقلة للبث الفضائي موجودة في اليد الأمريكية التي أنشأت النظام العالمي الجديد.

ب- أساس عمل شبكة المعلومات (الإنترنت) أمريكي ورأس مالها أمريكي ومراكزها عبر العالم أمريكية، والقدرة على مراقبتها والتحكم بها في يد أمريكية تسعى لتعميم النظام العالمي الجديد.

ج- ٨٠% من الأنباء العالمية التي تتداولها وكالات الأنباء في الدول النامية مصدرها الولايات المتحدة الأمريكية القادرة على « الفبركة » والصياغة حسب توجيهات النظام العالمي الجديد.

د- خمس عشرة شركة إعلامية أمريكية - غربية تتحكم في الوسائل والمواد والمؤسسات والتقنيات الإعلامية، والإعلانية في العالم، وأن ٧٥% من إجمالي الإنتاج العالمي من البرامج التلفزيونية أمريكي. و٩٠% من إجمالي الأخبار المصورة ، و٨٢% من إنتاج المعدات الإعلانية والإلكترونية ، و٩٠% من المعلومات المخزنة في الحاسبات جهد أمريكي.

هـ - رأس المال البالغ نحو (٤٨٩) مليار دولار الذي يتحكم في سوق التقنية الإعلامية غالبيته أمريكي، يسعى أصحابه إلى استثماره للامتداد إلى السوق العالمي بدفع من النظام العالمي الجديد[٢].

---

(١) انظر : الحرب النفسية في النظام الدول الجديد - د. سعد العبيدي - مجلة النبأ المصرية - ذو الحجة ١٤٢١هـ / آذار ٢٠٠١م.

(٢) المرجع السابق وانظر أيضاً: اتجاهات الشركات متعددة الجنسيات في ظل ثورة التكنولوجيا والإعلام - د. حسن زعرور - مجلة الفكر العربي - العدد ٨٩ - ص ٢٠١ - صف ١٩٩٧م.

لهذه كله نجد أن المهيمن على النظام العالمي الجديد استبدل في كثير من الأحيان، الحرب النفسية بالحرب التقليدية، لأنها أكثر تأثيراً، وأقل خسارة من الناحتين المادية والبشرية، ووجد في الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة أخطر أسلحة الحرب النفسية.

أما مضمون الإعلام المسيطر هذا فيوضحه ناعوم تشومسكي – المفكر الأمريكي- في كتابه « السيطرة على الإعلام » ، حيث يورد في كتابه الكثير من الأمثلة التي تبين حجم الأكاذيب والخدع والتضليل الذي يمارس على الجمهور، ويخلص إلى نتيجة رئيسة، وهي: أن « صورة العالم التي تقدم لعامة الجمهور أبعد ما تكون عن الحقيقة، وحقيقة الأمر عادة ما يتم دفنها تحت طبقة وراء طبقة من الأكاذيب»[1].

وهكذا نجد أن زعيمة العالم الغربي تستعمل الإعلام الكاذب المزيف لسلاح من أسلحة الحرب النفسية الموجهة للعالم الإسلامي، لأن الدولة التي تكذب على جمهورها، ألا تكذب على الشعوب الأخرى التي تسعى الهيمنة عليها مادياً وثقافياً وحتى نفسياً.

(٣) تغيير الوعي الثقافي والسياسي : ويتضمن :

أ- التغيير التعليمي والثقافي.

ب- التسميم السياسي ومحو ذاكرة الأمة.

أ- التغيير التعليمي والثقافي: تغيير الوعي عن طريق التغيير الثقافي والتعليمي هذا ليس جديداً، فقد حاولة الغرب عن طريق المستشرقين ، وتلامذتهم في العالم الإسلامي، وفشلوا في ذلك، وبقي الوعي الإسلامي المحرك الأساسي للمجتمع..

---

(١) انظر كتاب « السيطرة : على الإعلام » لناعوم تشومسكي – ترجمة أميمة عبد اللطيف دار الشروق الدولة – القاهرة – ط ١ – ٢٠٠٣هـ .

أنشؤوا المدارس التبشيرية، والمؤسسات الثقافية، واستخدموا التعليم وكل الوسائل الممكنة للقضاء على الثقافة الإسلامية، ولم يفلحوا، إذاً لابد من استعمال القوة أو التهديد بها.. لابد من الحرب النفسية وتوجيه جميع أسلحتها الفتاكة تجاه مصدر القوة الكامن في المجتمع الإسلامي.. وجاءت الفرصة لذلك بعد تفجير برجي التجارة العالمية في نيويورك عام ٢٠٠٢م.

* وبدأت الحرب النفسية الموجهة نحو العالم الإسلامي والعربي بشكل خاص، والمملكة العربية السعودية بشكل أخص.. بحملات إعلامية دعائية مخططة وهادفة تقول فيها:

- الوهابية السعودية مسؤولة عن التطرف في العالم الإسلامي كله.

- السعودية تصدر كره الكفار إلى الأمة الإسلامية.

- وتعلم الأطفال السعوديين كره الأمريكيين في المدارس الحكومية.

- السعودية هي التي أسست طالبان ومولتها[١].

- السعودية تمول الجماعات الإسلامية المتطرفة في الولايات المتحدة الأمريكية عبر جماعات ومؤسسات، مثل رابطة العالم الإسلامي، وهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، ومؤسسة الحرمين الإسلامية. وكذلك عبر الشؤون الإسلامية في السفارات السعودية والقنصليات على مستوى العالم[٢].

* ثم بدأت وسائل الإعلام تركز على المناهج التعليمية في العالم العربي والإسلامي:

---

(١) انظر: أمريكا والسعودية .. حملة إعلامية أم مواجهة سياسية . د. غازي القصيبي نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت – ط١ – ٢٠٠٢م.

(٢) التقرير الخاص – جيف كاري – معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى – موقع مركز الشرق العربي للدراسات – ١١/٦/ ١٤٢٥هـ.

- لابد من التغيير في العقلية التي تمثلها التقاليد الوهابية.

- يجب إلغاء فصول كاملة من الكتب التي تتحدث عن العداوة التاريخية بين المسلمين وغير المسلمين.

- التوقف عن دعم المدارس الإسلامية في الخارج أو تصدير نموذجها الديني إلى دول أخرى.

- حذف الأحاديث النبوية والآيات التي تتحدث عن اليهود والنصارى[١].

* وقد يأتي يوم تطلب فيه الولايات المتحدة الأمريكية التوقف عن تدريس القرآن الكريم والسنة النبوية بصفتهما من منابع الإرهاب.. وقد رأى الملايين من مشاهدي القنوات الفضائية، كيف أن مراسل (س . إن . إن) وقف على مجموعة من الأطفال في بيشاور – باكستان يتعلمون القرآن الكريم وقال: هذا مطبخ الإرهاب».

* وإتماماً لتغيير الوعي لدى الفرد المسلم، فقد صدر عن داري النشر الأمريكية (Wine Pres , Omega٢٠٠١) كتاباً سمياه « الفرقان الحق » نشره المدعوان الصفي والمهدي عدّاه الكتاب المقدس للقرن الحادي والعشرين، وذكرا أنه للأمة العربية خصوصاً وللعالم الإسلامي عموماً. ويحتوي الكتاب على آيات من القرآن الكريم محرفة مع تلفيق وإضافات ما أنزل الله بها من سلطان.. وهدفهما نشر ثقافة الغرب في الأناجيل والتوراة .. فضلاً عن نشر ثقافة الاستسلام والخضوع والضعف والجبن في ديار المسلمين[٢].

---

(١) انظر مجلة النبأ الأسبوعية المصرية – القاهرة رجب ١٤٢٤هـ - ١٤ سبتمبر ٢٠٠٣م نقلاً عن وكالة الأنباء السعودية في ١٤/ ٩/ ٢٠٠٣م.

(٢) انظر موقع محيط على الإنترنت في ٢٨/ ١٢/ ١٤٢٥هـ نقلاً عن مجلة الفرقان التي تصدرها جمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت، والكتاب المذكور مترجم إلى اللغتين العربية والإنكليزية.

ب- التسميم السياسي ومحو ذاكرة الأمة: مفهوم « التسميم السياسي» يتلخص في استخدام جميع الأمور المتاحة للتأثير في نفسيات وعقول وذاكرة الجماعة أو الأمة بقصد تغيير أو تدمير مواقف معينة، وإحلال مواقف أخرى تؤدي إلى سلوك يتفق مع مصالح الطرف الآخر وأهدافه..

ويتوجه التسميم السياسي إلى عقل الإنسان ونفسيته ، محاولاً التأثر في ثوابته ومنهج تفكيره.. وهو بهذه الصورة من أسلحة الحرب النفسية، ويشبه إلى حد بعيد غسيل الدماغ الذي بسط في غير هذا الموضع من هذه الدراسة ويمكن تلخيص غايات التسميم السياسي وتحديدها في العالم الإسلامي في الآتي:

١- تحطيم إيمان المسلم بعدالة قضية التي يدافع عنها ومشروعيتها.

٢- تمزيق أسس المسلم الدينية والعقدية ومبادئه.

٣- إضعاف ثقة المسلم بهذه الأسس والمبادئ.

٤- تحطيم التماسك الإدراكي والعقلي للمسلم . والوصول به إلى مرحلة الإحباط .

٥- الهزيمة النفسية قبل الهزيمة العسكرية.

٦- زرع قيم جديدة تخدم أهداف العدو.

* والوصول إلى هذه الغايات لا يتم دفعة واحدة، بل ضمن مراحل متعاقبة، كل مرحلة تؤدي إلى الأخرى ولنضرب مثالاً على ذلك بقضية فلسطين:

- قضية مجتمع احتلت أرضه، فمن حقه لاسترجاعها المقاومة .. وهو حق عادل وشرعي.

- تبدأ عملية التسميم برزع قيم جديدة لدى المجتمع المحتل مثل: الاعتراف بالآخر، والحرب ليس حلاً لأي مشكلة، والسلام والتنمية الاقتصادية...إلخ.

- تُضخم وسائل الإعلام والاتصال والتعليم والتربية هذه القيم حتى توصلها إلى قمة سلم القيم الهرمي، وعندئذ تحدث عملية إحلال شعورية ولا شعورية لها محل القيم القديمة الثابتة والعادلة، وهكذا تمسح الأمة ذاكرها..

- وهكذا تتخلى الأمة عن حقوقها الأصلية ومقدساتها في سبيل حل مشكلاتها الاقتصادية والرفاهية أو حتى إنها تتوهم تحقيق ذلك.

- وحتى إذا اكتشفت الأمة الحقيقة فإنه يترتب على ذلك نوع من الصدمة تؤدي إلى الشلل النفسي، والإحباط، ومن ثم عدم القدرة على المواجهة لما توجده من تمزيق في الشخصية، فيتحقق النصر للعدو بأقل تكلفة..

- وهكذا يتم التسميم السياسي والفكري الذي يُعدُّ المقدمة المنطقية لتشكيل الرأي العام في الأمة.. إزاء القضايا المهمة، وبهذا الأسلوب تخضع ذاكرة الأمة ووعيها الجمعي منذ عقدين من الزمن على الأمل في صراعها مع الكيان الصهيوني[١].

(٤) **العولمة .. والهيمنة على العالم:** تقف الأمة الإسلامية اليوم على مفترق الطرق، بعد أن برزت ثقافة معينة ذات لون واحد هو اللون الغربي للحياة، تريد أن تفرض على العالم البشري باسم « العولمة ».

هذا اللون الغربي للحياة ، أو هذا النموذج ، صورة لمجتمع واحد، له تراثه وأخلاقه وقيمه التي لا تتفق، في أغلبها ، مع الثقافة الإسلامية، أو العقيدة الإسلامية بخاصة، ومع الثقافات الأخرى للمجتمعات بعامة.

وليت الأمر كان عولمة .. للعلاقات الإنسانية القائمة على التعاون والتفاعل والموارد البناء من أجل تكوين حضارة إنسانية المبدأ تقوم على الحرية والمساواة بين

---

(١) انظر د. حامد عبد الماجد – التسميم السياسي ومحو الذاكرة – مجلة الانتفاضة الإلكترونية – العدد السادس – ١٤/ ١١/ ١٤٢٥هـ – الوقع على الإنترنت : WWW Pinonlin . net

الشعوب، وتحقيق إنسانية الإنسان في الحياة، ولكن الصور السلبية للعولمة تظهر بمحاولة هيمنة مدنية معينة، وهي المدنية الغربية [ولا نقول حضارة] على الحضارات الأخرى .

هذا مع العلم أن العولمة تلبس ثوباً قشيباً براقاً، يخدع المشاهدين، وهي تتزين بهذا الثوب ليقبلوها على علاتها..

ومن أهم السلبيات التي تتصف بها « العولمة » بصورتها الحالية الواقعية هي الهيمنة الشمولية، ومحاولة فرضها على العالم بالقوة أو التهديد بها، كسلاح من أسلحة الحرب النفسية، حتى لا يكون في العالم إلا ثقافة واحدة، وفكر واحد، وعقيدة واحدة، بينما نجد الحضارات ، على مر التاريخ ، لم تكن واحدة، بل كانت متنوعة، وهذا التنوع دفعها إلى الإبداع والابتكار في المجال المادي والفكري.

ولعل نظرة على الواقع في الساحة الدولية والساحة العربية والإسلامية تقنع أن منطق القوة هو السائد في عصر ما يسمونه « بالعولمة » و« الكوكبية » أو اختصاراً عصر القطب الواحد.. المتمثل بالولايات المتحدة الأمريكية ، زعيمة العالم الغربي دون منازع.

والغرب هو وارث المدنية الرومانية واليونانية، حيث القوة واستعمار الشعوب هو ديدنها.. ويظهر هذا واضحاً في رد الملك فيليب والد الإسكندر الأكبر على أستاذه الفيلسوف أرسطو الذي اعترض على نية الملك في غزو الشرق، قائلاً : « إنه يغزو الشرق حتى يجعل الثقافة اليونانية والفكر اليوناني هو فكر العالم وثقافته»[١].

وهو الهدف نفسه الذي سعى إليه الاستعمار الأوروبي، سواء كان إنكليزياً أو فرنسياً أو برتغالياً أو إسبانيا في القرن التاسع عشر، لقد استخدم القوة العسكرية في غزو العالم وقهر شعوبه بحجة تحديثها وتمدينها وإعمارها[٢].

---

(١) انظر : د. مصطفى النشار – ضد العولمة ص ٤٩ – دار قباء – القاهرة ط ١٩٩١م.

(٢) المرجع السابق ص ٥١.

وقد وصف جارودي في كتابه « حوار الحضارات » ما صنعه الغربيون بشعوب العالم الأخرى بأنه صنع « الشر الأبيض » وأطلق على إمبراطوريتهم اسم « إمبراطورية الشر الأبيض » « وهو أدق وصف يمكن أن توصف به أمم الغرب طوال تاريخها، فهي الأمم التي كانت دائمة السطو على إنجازات الآخرين، ودائمة الاعتداء على حقوقهم وأراضيهم ومواردهم تحت حجج واهية ودعاوى فارغة لا تنطلي على أحد»[(١)].

وها هو التاريخ يعيد نفسه، الغرب يريد الهيمنة على العالم الإسلامي تحت ذريعة « العولمة » ، وتحت دعاوى الإصلاح ونشر الديمقراطية، والتنمية الاقتصادية، وحقوق الإنسان، ولا ندري هل هذه الدعاوى صادقة؟ بينما نرى جيوشه الحرارة تدك أفغانستان والعراق وفلسطين، وتقتل الآلاف بالغازات السامة، والقنابل والصواريخ، إنه الغرب الحاقد على الإسلام، إنه الغرب الذي مازال شبح الحروب الصليبية يلاحقه، والصهيونية العالمية تنفخ في كيره.. ويمثلهم الدكتور برنارد لويس[(٢)] الذي نجح في إقناع الساسة وصناع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية بآرائه التي ثبت فشلها، ولكن لجهل الأمريكان بالتاريخ والجغرافية، استسلمت عقولهم لصياغات برنارد لويس المنحازة والعنصرية[(٣)] ففي مقالته « جذور الغرب الإسلامي » التي نشرها عام ١٩٩٠م يرى أن الإسلام خطر على الغرب، ويرى أنه

---

(١) المرجع السابق .

(٢) برنارد لويس مفكر بريطاني الأصل، كان رئيس قسم التاريخ في كلية الدراسات الإفريقية والشرقية ثم انتقل إلى أمريكا للتدريس في جامعة برنستون ، وأصبح من المقربين إلى البيت الأبيض في عهد بوش، وصديقاً حميماً لعدة رؤساء صهاينة – ألف عدة كتب عن العالم الإسلامي من أولها: الغرب والشرق الأوسط..

(٣) انظر : الندوات الثقافية – المهرجان الوطني للتراث والثقافة الحادي عشر ١٤١٦هـ في الرياض – ندوة : الخط الإسلامي بين الحقيقة والوهم ص ١٧٢، ١٧٣.

لا التقاء بين الإسلام والحضارة النصرانية الغربية، ولكنه يبعد أكثر من ذلك، فيقرر في ذلك المقال بأن الإسلام دين الحقد والعنف، وأن من سوء حظ الغرب أنه يعيش في هذه الحقبة التي وجه ذلك الحقد ضد الغرب.

ويرى الدكتور لويس رأياً خطيراً أيضاً، فهو يقرر في تلك المقالة بأن المسلمين متأثرون في نظرتهم على الغرب بالفكر النازي، وهذه النظرة هي أيضاً موجودة عند آخرين من الكتاب الغربيين - فهم يربطون الإسلام بالمبادئ المفروغ منها عند الغرب من حيث الوحشية والتطرف مثل الشيوعية والنازية الفاشستية[(١)].

ويؤكد عدم التقاء الحضارتين الإسلامية والغربية أيضاً « أيوجين روستو » رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية ومساعد وزير الخارجية، ومستشار الرئيس الأمريكي « جونسون » لشؤون الشرق الأوسط فيقول: « يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول وشعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية (الغربية)، لقد كان الصراع محتدماً بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى... إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا هي جزء مكمل للعالم الغربي، فلسفته، وعقيدته، ونظامه، ذلك يجعلها تقف معادية للشرق الإسلامي، بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامي»[(٢)].

وهكذا يتبين لكل ذي بصيرة أن « العولمة » التي ينادي بها الغرب، ويريد فرضها على العالم الإسلامي للهيمنة عليه، ليست هي العولمة العلمية والتقدم العلمي، ولا العولمة الاقتصادية لخير الإنسان عامة دون تمييز بين دين ولون وعرق..

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٣، وانظر أيضاً : د. سعيد حارب - الثقافة والعولمة ، ص ٦٠ ومابعدها - دار الكتاب الجامعي - العين الإمارات العربية المتحدة ٢٠٠٠م.

(٢) المرجع السابق (الثقافة والعولمة) ص ١١٦.

إنها نظام عالمي سياسي وعسكري واقتصادي وثقافي.. وحضاري إن صح القول.. إنها تسعى إلى إخضاع الإنسانية ومصيرها لاستبداديات إرهابية تحكم مسلك الأفراد والدول بل وجميع المجتمعات ، إنها « عولمة الرعب » إن سلكت طريق الإرهاب والحرب النفسية لفرض إرادتها.

(٥) **استهداف الإسلام بدعوى الحرب على الإرهاب**[١]. الإستراتيجية الأمريكية – زعيمة العالم الغربي – في منطقة الشرق الإسلامي – الذي يطلقون عليه الشرق الأوسط – تركزت في ثلاث دوائر متشابكة وهي:

- ضمان أمن إسرائيل.
- تأمين منابع النفط .
- مكافحة الإرهاب.

وقضية مكافحة الإرهاب أصبحت الأساس في هذه الإستراتيجية بعد أحداث الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) عام ٢٠٠١م، واتخذت هذه الحرب أبعاداً لا يمكن فهمها إلا أنها حرب على الإسلام، والدليل على ذلك هو الاستهداف الواضح لكل ما هو إسلامي يحمل مشروعاً حضارياً أو جهادياً لمقاومة الاحتلال، وَرَفَضَ الهيمنة الغربية على المنطقة، وإلا فما معنى الاتهامات الأمريكية المتكررة لحركات المقاومة الإسلامية في فلسطين ولبنان وكشمير وغيرها.. وهؤلاء لم يهاجموا أمريكا وليست لهم علاقة بالقاعدة التي تحاربها.. وهذا يؤكد النهج الذي اعتمده اليمين المحافظ والتطرف في الحكومة الأمريكية لتمكين إسرائيل لبسط نفوذها بالمنطقة تحت ما يسمى بمشروع الشرق أوسط الكبير. وهذا ما يفسر الحملات المحمومة للضغط

---

(١) ملخص من مقال د. أحمد يوسف الكاتب الإسلامي المقيم في واشنطن ، الذي عنوانه: الاستراتيجية الأمريكية الجديدة في الشرق الأوسط : استهداف الإسلام بدعوى محاربة الإرهاب . [www . algudr. Co]

على الدول الخليجية بعامة والسعودية بخاصة لوقف الدعم الشعبي والرسمي كافة للمقاومة الفلسطينية تحت ما يسمى بسياسة تجفيف المنابع حيناً، وقطع الطريق على دعم الإرهاب حيناً آخر.

وهكذا نجد أن الحرب على الإرهاب أصبح إستراتيجية ثابتة للقضاء على كافة القوى الوطنية والإسلامية، لتسهيل المهمة أمام إسرائيل للتوسع وبسط النفوذ في المنطقة خلال مشروع الشرق أوسط الكبير. إلا أن هذه القوى ستظل الحائط المتين الذي يمنع أمريكا من الوصول إلى غاياتها الاستعمارية، وتحقيق أحلامها في الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس.

حتى نؤكد أن الحرب التي يشنها الغرب على بعض دول العالم الإسلامي هي حرب صليبية بكل معنى الكلمة، ويطلق عليها الحرب على الإرهاب للتعمية على بقية دول العالم الإسلامي، نأتي بشواهد منهم، على حد قول مِنْ فَمِكَ أُدينكَ-:

أ- الباحث الأمريكي صموئيل هنتجون[1] في الشؤون السياسية قال في حديث صحفي نشر في عمَّان ، وفي صحيفة الدستور[2] : « إن حرب الخليج الثانية التي حدثت في الربيع الماضي بمثابة حرب بين العالم الإسلامي من جهة، والولايات المتحدة وإسرائيل من جهة ثانية، حيث تمثل إسرائيل وأمريكا الغرب، وكانت تلك الحرب صورة حقيقية لصراع الحضارات الغربية مع الإسلام».

---

(١) صموئيل هنتجون: مدير معهد ألن للدراسات الإستراتيجية في جامعة هارفارد الأمريكية، سبق وعمل في البيت الأبيض عام ١٩٧٧م كمنسق للتخطيط الأمني لمجلس الأمن القومي الأمريكي وله عدة كتب أهمها: صدام الحضارات - انظر كلمته في الندوة التي عقدت في ظل المهرجان الوطني للتراث والثقافة الحادي عشر ١٤١٦هـ . الندوات الثقافية - نشر الحرب الوطني - ص ١٧٣ الرياض .

(٢) صحيفة الدستور - عمان في ١٦ رجب ١٤٢٤هـ/ ١٣ سبتمبر ٢٠٠٣م - وكذلك وكالة الأنباء السعودية (واس) في ١٣/ ٩/ ٢٠٠٣م.

وأضاف يقول: « إن القرن الحادي والعشرين يشهد حالياً الحرب الشاملة على المسلمين » وزعم الباحث الأمريكي الحاقد : « إن الحضارة الإسلامية هي العدو اللدود للحضارة الغربية التي تمثل المسيحية واليهود».

وقال : « إنه لابد للحضارة الغربية من مواجهة الصدام المنتظر بين المسلمين من جهة واليهود والمسيحيين من جهة ثانية.. داعياً الدول الغربية إلى تشكيل تكتل وتحالف غربي يضم المسيحيين واليهود لمواجهة الإسلام والمسلمين».

ب – الجنرال وليام بويكن الناطق باسم البنتاغون (وزارة الدفاع الأمريكية) وصف الحرب على الإرهاب بأنها صراع المسيحية ضد الإسلام.

والجنرال نفسه هاجم المسلمين في شخص عيديد، زعيم الحرب الصومالي واعتبر إلههم صنم، حيث قال عنه: « كنت أعرف أن إلهي أعظم من إلهه، كنت أعرف أن إلهي إله حقيقي وأن إلهه ليس سوى صنم»[(١)].

ج- برنارد لويس – ورأيناه آنفاً كيف يصف الإسلام بأنه دين الحقد والعنف، وكيف ربط الإسلام بالوحشية والتطرف، مثل الشيوعية والنازية.. وما في كلامه من تحريض على الإسلام والمسلمين، وما الحرب التي تشن على المسلمين إلا نتيجة تنظيره المزور الحاقد لمبادئ الدين الإسلامي.

د- ويلي كلاس – الأمين العام لحلف شمال الأطلسي ، وصف الإسلام بأنه العدو الأول بعد سقوط الاتحاد السوفيتي[(٢)].

هـ – ويقول مورو بيرجر في كتابه « العالم العربي المعاصر»: « إن الخوف من العرب، واهتمامنا بالأمة العربية، ليس ناتجاً عن وجود البترول بغزارة عند العرب، بل بسبب الإسلام، يجب محاربة الإسلام، للحيلولة دون وحدة العرب، التي تؤدي

---

(١) انظر وكالة الأنباء الفرنسية – تاريخ ٢٢/ ١٠/ ٢٠٠٣م.

(٢) د. سعيد حارب – الثقافة والعولمة – (مرجع سابق) ص ١١٧.

إلى قوة العرب، لأن قوة العرب تتصاحب دائماً مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره. إن الإسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر بيسر في القارة الإفريقية»[١] .

- وهناك عشرات المقالات والأقوال لساسة الغرب ومفكريهم تؤكد أن المستهدف من شن الحروب الغربية بزعامة أمريكا هو الإسلام وليس شيئاً آخر[٢].. وقد لبست هذه الحروب ثوباً جديداً الآن وهو ثوب الحرب ضد الإرهاب العالمي.. على الرغم من أن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية صرح بأنها حرب صليبية إلا أن الكثير في العالم العربي والإسلامي لا يريد أن يصدق ذلك، وبقي يتعاون مع الإرهاب الدولي – كما يزعمون – الذي تقوده أمريكا ضد الشعوب الإسلامية، وهكذا يتبين لنا بعد هذه الأقوال الصريحة الواضحة أن الإستراتيجية الأمريكية في العالم الإسلامي هو محاربة الإسلام.

(٦) دعم التوجهات الحداثية. الحرب العسكرية التي تشنها الولايات المتحدة على بعض دول العالم الإسلامي مباشرة مثل أفغانستان والعراق، أو بالوكالة في فلسطين ليست كافية في حرب الإسلام بنظر المحافظين الجدد، بل لابد من دراسة دور الإسلام في المجتمعات الإسلامية، ثم محاولة السيطرة على هذه المجتمعات بمساعدة المسلمين « المعتدلين » . وتقوم بهذه الدراسة مؤسسات علمية ضخمة تعني بالفكر الإستراتيجي وتحويله إلى خطط، وخرائط، وبرامج، وأولويات، ويطلق على هذه المراكز Think Tanks أي « دبابات الفكر»وهي تَسْمِيَة تمزج الفكر بفلسفة القوة، وهي تعبر عن التحالف بين الفكر والسلاح في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي تمثل قوى ضاغطة وفاعلة تعمل

---

(١) انظر مجلة روز اليوسف – تاريخ ٢٩/٦/١٩٦٣م.

(٢) ارجع إلى كتاب جلال العالم – قادة الغرب يقولون : دمروا الإسلام ، أبيدوا أهله – دار الاعتصام – القاهرة ١٩٧٤م.

بنشاط قل مثيله في العالم. ومؤسسة « راند البحثية» التي سنبسط تقريرها الإستراتيجي، أحد هذه الدبابات الفكرية[١].

وقبل تبيان ما في التقرير من خطط لابد من التنويه أنه ركز على مجتمع معين تنطبق عليه أطياف المجتمع التي ذكرها، وهذا المجتمع هو مجتمع المملكة العربية السعودية، وإن كان قد تعرض في بعض فقرات التقرير لمناطق مثل إيران وباكستان، إلا أنه يذكر أشياء لا وجود لها إلا في المملكة العربية السعودية.

عنوان التقرير : « الإسلام الحداثي أكثر لياقة»[٢]

- يقسم التقرير المجتمع إلى أربعة أقسام: الأصوليين والتقليديين والحداثيين والعلمانيين.

١- **الأصوليون** : وهم الذين يرفضون القيم الديمقراطية والثقافية الغربية الراهنة.

- وهؤلاء موقفنا تجاههم عدم تأييدهم؛ إلا إذا كان الأمر متعلقاً باعتبارات تكتيكية مؤقتة.

---

(١) مؤسسة راند ، مؤسسة بحثية تأسست ١٩٤٨م وذات توجهات صهيونية، وتتبع وزارة الدفاع الأمريكية، ومنهم من يقول أنها تتبع الكونجرس ويوجد لها أربعة مواقع رئيسة في الولايات المتحدة الأمريكية، ثلاثة فروع في أوروبا في كل من هولندا وألمانيا، والمملكة المتحدة، كما أنشأت راند - قطر للسياسات في إبريل ٢٠٠٣م، برئاسة « شيرلي برنارد» عالمة الاجتماع، والباحثة الرئيسة، وكاتبة التقرير وزوجة زلمي خليل زاد الذي يشغل منصب المساعد الخاص للرئيس بوش، ومبعوثه الخاص إلى أفغانستان، وأحد المقربين منه، وهو أيضاً رئيس لمجلس إدارة مؤسسة «راند» التي أعدت التقرير المذكور بتمويل من مؤسسة سميث ريتشارد سون (انظر سليمان البطحي - حوار معه - نشر في موقع الإسلام اليوم في ٢٠/ ٥/ ١٤٢٥هـ / ٨/ ٧/ ٢٠٠٤م، (وانظر أيضاً، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية).

(٢) ترجمة وتحرير شيرين حامد فهمي - في ١٨/ ٥/ ٢٠٠٤م. انظر موقع الساحة السياسية على الإنترنت.

٢- **التقليديون**: وهم الذين يسعون إلى مجتمع محافظ ، مع الابتعاد بقدر الإمكان عن كل ما يمت إلى التغيير والتجديد والحداثة.

- وهؤلاء ندعمهم ضد الأصوليين ..

٣- **الحداثيون** الذين يبغون عالماً إسلامياً مندمجاً في داخل الحداثة العالمية، مما يستلزم – من وجهة نظرهم – تحديث الإسلام وتغييره ليتماشى مع ظروف العصر. وهؤلاء هم الأقرب إلى الغرب إذا ما تحدثنا عن القيم والسياسات، ويجب دعمهم.

٤- **العلمانيون**: وهم يريدون عالماً إسلامياً بعيداً عن الدين، على غرار الديمقراطية الغربية – حيث الفصل بين الدولة والكنيسة.

- وهؤلاء أيضاً الأقرب إلى الغرب، ويجب دعمهم أيضاً.

* وينصح التقرير بالنظر وبإمعان وتدقيق في هذه القوى الاجتماعية الأربع، والعمل مع كل قسم ما يتواءم مع الأهداف الإستراتيجية للولايات المتحدة، وذلك كالآتي:

أولاً: تأييد الحداثيين: ويشمل التأييد:

- القيام بنشر وتوزيع أعمالهم بأسعار مدعمة.

- تشجيعهم على مخاطبة الجماهير والشباب والكتابة إليهم.

- تقديم آرائهم في مناهج التعليم الإسلامي.

- منحهم منبراً جماهيرياً يعبرون من خلاله عن وجهات نظرهم.

- جعل أحكامهم الشرعية تجاه المسائل الجذرية في متناول أيدي الجماهير، لنوع من المنافسة مع الأصوليين والتقليديين ..

- وضع العلمانية في اتجاه معاكس للحداثة، حتى لا يأتي بالأثر السلبي على الشباب المسلم.

- جعل كل ما يخص تاريخهم وثقافتهم متداولة، يسهل الوصول إليها في دور الإعلام وفي المناهج التعليمية للدول وثيقة الصلة بالموضوع.

- المساعدة على تنمية المنظمات المدنية المستقلة.

ثانياً : دعم التقليديين ضد الأصوليين : ويكون ذلك بـ:

- نشر وترويج النقد التقليدي للعنف والتشدد الأصولي، وتغذية نقاط الاختلاف بين التقليديين والأصوليين.

- دحض أي فرصة للتقارب بين التقليديين والأصوليين.

- تعزيز ودفع التعاون بين الحداثيين والتقليديين الغربيين للفكر الحداثي.

- تدريب وتثقيف التقليديين بجعلهم أكثر دراية وخبرة في مجال الأصوليين.

- تعزيز الوجود الحداثي في المؤسسات التقليدية.

- تأييد الاتجاه الصوفي، ونشره، والدعوة إليه!!!.

- التمييز والتفريق بين الفئات المتباينة في داخل التيار التقليدي، ومن ثم تأييد تلك التوجهات التقليدية الأقرب للحداثة.

ثالثاً: مواجهة ومعارضة الأصوليين : ويكون ذلك بـ :

- دحض نظرياتهم حول الإسلام، وإظهار عدم دقتها وصحتها.

- إظهار اتصالاتهم وعلاقاتهم بالجماعات والأنشطة غير القانونية.

- نشر العواقب الوخيمة الناتجة عن أعمال العنف التي ينتهجونها.

- إبداء قدراتهم الهشة في الحكم، وإمكانياتهم الضعيفة في الوصول إلى تنمية حقيقة تفيد مجتمعاتهم.

- توصيل هذه الرسائل - المذكورة آنفاً - إلى الشباب المسلم ، وإلى الجموع الغفيرة من المتدينين التقليديين ، وإلى الأقليات المسلمة في الغرب، وأخيراً إلى المرأة المسلمة.

- تجنب إظهار أي بادرة احترام أو تقدير لأعمال العنف التي يتبنونها، وصبهم جميعاً في قالب « الجبناء » و« المخبولين » ، وليس « الأبطال الأشرار ».

- تغذية عوامل الفرقة بينهم.

- دفع الصحفيين للتنقيب والبحث في جميع القضايا المهنية التي يمكن أن تشوههم وتنال منهم، مثل الفساد والنفاق، وسوء الأدب.

رابعاً: التأييد الانتقائي للعلمانيين: ويكون بـ :

- تأييد أولئك العلمانيين الذين يناهضون الأصوليين، والوقوف معهم في الخندق نفسه لمحاربتهم. ولكن من الناحية الأخرى التثبيط من أي تحالف علماني مع القوى المعارضة للولايات المتحدة، سواء على الأرضية الوطنية أو الأرضية اليسارية.

- التعزيز من فكرة فصل الدين عن الدولة في الإسلام، وأن الأخير لن يتضرر من هذا الفصل، بل على العكس سيستفيد منه أكبر استفادة.

* هذه بعض النقاط المهمة في تقرير « راند » ذكرت حرفياً .. دون تعديل ليعرف القارئ ما يفكر فيه الغرب تجاه الإسلام والمسلمين، وعقلية المستعمر الذي يلجأ إلى الفتنة والتفريق بين أبناء الوطن الواحد، ليسهل عليه الهيمنة عليهم..

- فهو يضع الأصوليين وجميع الحركات الإسلامية في دائرة العنف.. وإذا كان يقصد بالأصوليين المتمسكين بدينهم . وهم المقصودون عنده – فإن الأكثرية منهم ذوو تفكير معتدل، ويؤمنون بالوسطية التي تعبر عن الإسلام الحقيقي، وهم لا يؤمنون بالعنف كوسيلة للتغيير .

- والإسلام الذي يريده التقرير هو « إسلام ديمقراطي مدني » يتناسب مع توجهات الغرب والولايات المتحدة الأمريكية، يسهل توجيهه وتحويله صوب المزيد من الديمقراطية والحداثة والتأقلم مع النظام العالمي الجديد.

وباختصار يريدون إسلام خاملٌ هش يمكن اختراقه وتشكيله لكي يتناسب مع « أجندتهم »[١].

- ويصرح التقرير بوجوب دعم الحداثيين وقسم من العلمانيين الذين يحققون مصالح الولايات المتحدة - دعماً مادياً ومعنوياً ، أي تشكيل طابور خامس في المجتمع، لإفساده دينياً وثقافياً، مع رفع شأن هذا الطابور في الإعلام وتزكيته في التعليم ومنابر المجتمع الأخرى.

أما العلمانيون فيطلب التقرير من أصحاب القرار دعم من ينادي بفصل الدين عن الدولة، ومن يحارب الأصوليين علانية ، أما الوطنيون منهم الذين لا يرضون بالهيمنة الأمريكية فهم لا يؤيدونهم، حتى لا يتحالفوا مع القوى الأخرى، للوقوف ضدهم.

(٧) إظهار الحركات الهدامة والتعتيم على الفكر الإسلامي الصحيح.

ومن أسلوب الحرب النفسية أيضاً، حرب الإسلام الصحيح بإظهار الحركات الهدامة في الفكر الإسلامي، والتعتيم أو التزييف للفكر الإسلامي الصحيح. ويمكن إيجاز هذا الأسلوب بما يلي:

أ- إظهار الحركات الهدامة وتلميعها: هذا الأسلوب في محاربة الفكر الإسلامي الصحيح اقتبسه تلامذة المبشرين والمستشرقين من أساتذتهم، الذين أكبوا السنين الطوال في بحوثهم ودراساتهم على كل الآراء المناهضة للإسلام، والحركات المخربة والبدع الهدامة ثم خرجوا بنتيجة : أن الحركة المخربة: هي ثورة جماعية مظلومة، طفح بها كيل الشقاء، وإن البدعة الهدامة فلسفة، وتفكير سليم، والرأي المناهض حرية فكر.

---

(١) انظر : سليمان البطحي (مرجع سابق).

وبين أيدينا كتاباتهم، وكلها مديح واستحسان للمذاهب الضالة، التي أنزلت بالإسلام أبلغ الضرر، في عصره الأول، كحركة القرامطة، والباطنية، والخرمية، والبابكية وغيرها..

وهم يرددون شعارات براقة، ظاهرها الرحمة، وباطنها العذاب مثل: « التحليل العلمي » و« إعادة كتابة التاريخ » و « الدراسة الموضوعية المنهجية » فجعلوا باسم « التحليل العلمي » الحركات الشعوبية الحاقدة على هذه الأمة، منارات هدى في تاريخنا[١].

و« أرخوا للقرامطة معتمدين على كتب عرف مؤلفوها بشعوبيتهم، وبعدائهم لأمتنا والإسلام معاً، ككتاب ناصر خسرو الفارسي « سفرنامه » علماً أن المؤلف كان رحالة وليس مؤرخاً: فإذا النتيجة التي خرجوا بها تفاجئنا لتقرر أن : « القرامطة أول جمهورية اشتراكية في وطننا العربي قامت كرد فعل ضد الدولة العباسية الإقطاعية الرأسمالية اليمينية»[٢].

ومثل هذا الكلام يردده الآن كل أعداء الإسلام في بلادنا الإسلامية.. ومن الغريب أن هؤلاء حولوا الكذابين والأفاقين ومدعى النبوة والإباحيين إلى أبطال تحرير، وقواد ثورة.. إلخ ومن هؤلاء مثلاً « الأسود العنسي »[٣] المشهور بـ : «كذاب اليمن » حولوه إلى بطل من أبطال الأساطير في اليمن برغم أنه كذاب

---

(١) الإسلام وحركات التحرر العربية – ص ٥ – دار الفكر – دمشق ط ٢ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) الأسود العنسي : هو عبهلة بن كعب بن غوث من بلد يقال لها كهف حنان، ابن عنزة العبسي لقب بذي الخمار، كان كاهنا مشعوذاً يقيم بجنوب اليمن.. تنبأ وادعى النبوة وأطلق على نفسه « رحمان اليمن » وقتله وزيراه وزوجه الذين أسلموا وشهدوا بكذبه.. واستأصلت فتنته بعهد الصديق رضي الله عنه.

أحمق، زعم النبوة، وقام بفتن واضطرابات كثيرة وقد قضى عليه المسلمون وعلى أتباعه في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه[١].

وكذلك الدعوة إلى القاديانية في القارة الهندية، التي أيدها الإنجليز بل صنعوها على أعينهم.. لتكون خنجراً مسموماً في جسم الأمة الإسلامية قال الدكتور (رحمة الله) : «إن القاديانية مؤامرة مدروسة ترمى إلى تأسيس طائفة جديدة تدعمها نبوة جديدة منافسة لنبوة محمد ﷺ »[٢] أسسها الميرزا غلام أحمد عام ١٨٧٦م في مدينة قاديان إحدى مدن مقاطعة البنجاب بالهند.. وهو من بيت اشتهر بخدمة سياسة الإنجليز الاستعمارية وتحقيق مصالحهم البغيضة[٣] وقد انتشرت هذه الدعوة المنحرفة المارقة في العالم أجمع بتأثير الإنجليز. ففي البلاد العربية مثلاً أسس القاديانيون مكتباً لهم في فلسطين على جبل الكرمل في حيفا، وذلك قبل اغتصاب فلسطين من قبل اليهود وكانت لهم علاقات حسنة مع اليهود بعد الاحتلال، مع العلم أنهم يقيمون في فلسطين المحتلة على الجواز البريطاني[٤] ودعوتهم نشطة إذ عندهم دار للتبشير ومكتبة عامة، ومكتبة لبيع الكتب، ومدرسة ويصدرون مجلة شهرية اسمها « البشرى ».

ومن المهم أن نذكر أن « دعاة القاديانية عندما يشرعون في بث دعوتها وفكرتها في أوساط المسلمين لا يظهرون إلا بمظهر دعاة الإسلام، ولا يطلقون على مهمتهم إلا كلمات البعث والتجديد، لإيقاع المسلمين السذج في مصيدتهم.. »[٥].

---

(١) ارجع إلى مجلة « الإرشاد » اليمنية العدد « الثامن والتاسع » ذو القعدة وذو الحجة ١٣٩٩هـ مقال بعنوان « كذاب حولوه إلى بطل .. كذاب اليمن الأسود العنسي».

(٢) المودودي – ماهي القاديانية – ص ٥٥ دار القلم – الكويت ١٣٨٨ / ١٩٦٧.

(٣) المرجع نفسه ص ٩.

(٤) المودودي – ما هي القاديانية ص ٦٤.

(٥) المرجع نفسه ص ٦٧.

والقاديانية نشطة أيضاً في أوروبا وإفريقية، وخاصة في إفريقية، وذلك للوقوف في وجه البعث الإسلامي هناك، وخاصة في نيجريا، حيث يشكل المسلمون كثافة سكانية كبيرة، وأن عدد مراكزهم في العالم حسب تصريحهم أنفسهم يقارب واحداً وثلاثين مركزاً [(١)].

ب – حرب الإسلام الصحيح بإسلام مزيف ومشوه : وهذا وجه آخر من وجوه حرب الإسلام ، وقد رفع الستار عنه أعداء الإسلام حديثاً، بعد أن شعروا أنهم أمام موج طافح من البعث الإسلامي، إذا لابد لهم من أن يركبوا الموجه، بوساطة صنائعهم، ويدعون للإسلام، ولكن أي إسلام؟ إسلام مزيف.. مشوه بعيد كل البعد عن الإسلام الحقيقي .. ولنسمه « إسلام إنجليزي » أو «إسلام أمريكاني» إن جاز التعبير، لأنه فعلاً يعبر عن أهوائهم وأطماعهم في ضرب الإسلام الصحيح[(٢)].

---

(١) المرجع نفسه ص ٦٤.

(٢) ومن نوع هذا الإسلام الذين يدعون إليه: إسلام القذافي مثلاً – صاحب « النظرية الثالثة » – كما يسميها في كتابه « الكتاب الأخضر » الذي ملأه شعارات فارغة لا مضمون لها، ولست هنا في مجال عرض هذا الكتاب وما فيه من تخرصات... ولكن المهم أن نعرف أن « القذافي » جاهر بإلغاء السنة، وكانت أول محاولة لإلغاء السنة وعدم الاعتراف بها في مؤتمر الشعب العام عام ١٩٧٧م عندما قرر أن القرآن فقط شريعة المجتمع، ثم كان بعد ذلك المجاهرة بإنكار السنة حيث ألقى القذافي كلمته بمناسبة المولد النبوي في سنة ١٩٧٨م في مسجد « مولاي محمد » بطرابلس وقد ذكر يومها أن من بقايا الوثنية التي بقيت في النفوس قولنا « ﷺ ».

المبحث الثاني
مبادئ الحرب النفسية في الإسلام

أولاً : أسس الحرب النفسية في الإسلام .

(١) إعداد القوة البشرية والمادية المرهبة للعدو.

(٢) مدد الله للمؤمن بقذف الرعب في قلوب أعدائهم.

(٣) استخدام أسلحة الحرب النفسية بشكل متقن:

(أ) الدعاية.

١- الشعارات والهتافات والرجز.

٢- الدعاية بالأعمال الرمزية.

(ب) إشاعة الفرقة بين الأعداء .

(ج) الشائعات.

ثانياً: مقاومة الحرب النفسية المعادية - وطرقها.

١- الإيمان الصادق بالله .

٢- الوعي بأهداف العدو وأساليبه في الحرب النفسية.

٣- كتمان الأسرار ومنع ترويج الشائعات.

٤- التصدي للقوى المضادة المستترة.

٥- مواجهة الشائعات والدعايات بالحقائق.

المبحث الثاني

مبادئ الحرب النفسية في الإسلام

بعد أن بينا الحرب النفسية وأسلحتها، والأسس التي تقوم عليها في التصور الغربي والماركسي، وكذلك الحرب النفسية التي شنت من قبل الغرب والشرق على الإسلام والمسلمين في الوقت الحاضر.. ووزنا كل ذلك بميزان الإسلام العظيم..

بعد كل ذلك لابد من أن نبين مبادئ هذه الحرب في التصور الإسلامي والأسس التي قامت عليها، والوقاية منها، ومقاومتها إذا صدرت من الأعداء وتطبيقاتها العملية في الحروب الإسلامية الماضية، التي قصرنا كثيراً تجاهها في الوقت الحاضر، ولعل في عرضنا لهذه المبادئ، ما يكون حافزاً لبناء تصور كامل للحرب بنوعيها المادية والنفسية..

ومن ثم تطبيقها كما طبقها أجدادنا، وخاصة وأن هذه المبادئ مستوحاة من كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن سنة رسول الله العظيم محمد ﷺ.

أولاً : أسس الحرب النفسية في الإسلام: تقوم الحرب النفسية في الإسلام على ثلاثة أسس مهمة هي:

(١) إعداد القوة البشرية والمادية المرهبة للعدو.

(٢) مدد الله للمؤمنين تفوق الرعب في قلوب أعدائهم.

(٣) استخدام أسلحة الحرب النفسية بشكل متقن.

(١) إعداد القوة البشرية والمادية المرهبة للعدو. قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [الأنفال ٦٠] .

والتعبير القرآني « ما استطعتم من قوة » يتضمن القوى البشرية والمادية والأسلحة بجميع أشكالها وأنواعها ولا يخفى ما لاستعراض القوة من إرهاب للآخرين.. وتعبير « رباط الخيل » يشير إلى أن المرابطة الدائمة والتأهب لملاقاة الأعداء في كل وقت .. من أسباب إرهاب الأعداء.

وتعبير « وآخرين من دونهم » يدلل على أن الإرهاب للعدو يتعدى العدو المباشر، إلى أعداء لا يعلمهم المسلمون، وهذه القوة ترهبهم وتردعهم بحيث لا يفكرون في التصدي لهم.

« وإعداد القوة أمر لابد منه للإسلام لكي ينطلق في « الأرض » لتحرير الإنسان .. وأول ما تصنعه القوة في حقل الدعوة: أن تؤمن الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم في اختيارها، فلا يصدوا عنها، ولا يفتنوا كذلك بعد اعتناقها..

« والأمر الثاني: أن ترهب أعداء هذا الدين فلا يفكرون في الاعتداء على « دار الإسلام » التي تحميها تلك القوة »[1].

ومصادر القوة في الإسلام كما توحيها هذه الآية الكريمة هي:

أ- القوى البشرية المدربة على السلاح، كيفما كان، وعلى جميع أنواعه.

والإسلام حض على تقوية الجسم والتدرب على السلاح منذ الصغر، عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً قال: « علموا أبناءكم السباحة والرمي والمرأة المغزل»[2].

---

(١) ارجع إلى « الظلال » مجلد ٣/ ص ١٥٤٣ (تفسير سورة الأنفال).

(٢) رواه البيهقي (المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة) للسخاوي حرف العين).

والرماية فن وتدريب ، واهتمام الإسلام بها في تربية الأبناء ، دليل على أن أمة الإسلام أمة مجاهدة لا تعرف الخضوع والذل.. وقد خص الرسول ﷺ القوة في الرمي فقط بقوله ﷺ وهو على المنبر : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي»[١].

والرمي هو رمي السهام على الأعداء في عهد رسول الله ﷺ .. واليوم الرمي هو أكبر قوة رادعة في العالم، بل هو الذي يتحكم بنتائج المعارك الحربية. ويبدأ من رمي البندقية العادية إلى رمي الصواريخ العابرة للقارات الحاملة للرؤوس النووية، وإن الخوف من بطشها الشديد بين المعسكرات القوية اليوم هو الذي يمنع قيام الحروب، وتؤدي دوراً مهماً في الحروب النفسية في الوقت الحاضر.

ب – ومصدر آخر للقوة هو قوة السلاح .. لذا نجد بعض المفسرين ينقل قول سعيد بن المسيب رحمه الله: « القوة : الفرس إلى السهم فما دونه»[٢].

وهذا يشمل في الوقت الحاضر: الطائرات والقنابل والصواريخ بأنواعها وقال بعضهم: « القوة الحصون » وهي تشمل في الوقت الحاضر الدبابات والمدرعات بأنواعها البرية والمائية.. بل وحتى الصواريخ المضادة لصواريخ الأعداء، بحيث تبطل مفعولها، مادام مفهوم الحصن هو المانع للأعداء من تحقيق النصر.

ج- التأهب الدائم والمرابطة[٣]: والتأهب الدائم من العناصر التي تقنع العدو بحيث لا يستطيع مباغتة المسلمين، والمعروف أن تعرض الجيش للمباغتة بضعف من قدرته وكفاءته القتالية. من أجل ذلك عُني الإسلام عناية بالغة بالحذر واليقظة والتأهب وجعلها من العناصر التي لا تنفصل من القوة، فلو تأملنا الآية الكريمة:

---

(١) رواه مسلم. باب « فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه » ج ١٣/ ٦٤ صحيح مسلم بشرح النووي.

(٢) انظر « فتح القدير » تفسير سورة الأنفال.

(٣) ارجع إلى: النظرية الإسلامية في الحرب النفسية – ص ٢٩ جمال الدين محفوظ.

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ...﴾ « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل .. » الآية نجد أن الله تعالى خص « رباط الخيل » بالذكر مع مع أنها داخلة فيما قبلها « من قوة » وهذا دليل على أهمية المرابطة وتأكيد لما بينها وبين القوة من ارتباط وثيق بحيث لا يستغني إحداهما عن الآخر:

- فالقوة: تحميها المرابطة بالحراسة واليقظة والإنذار المبكر، وهي بدونها تفقد فاعليتها وقيمتها إذا تمكن العدو من المباغتة.

- والمرابطة : في حاجة إلى القوة التي تساندها وتدعمها، وهكذا تشترك المرابطة مع القوة في تحقيق الهدف وهو إيقاع الرهبة في قلب العدو « من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم..» الآية.

وقد حث رسول الله ﷺ المسلمين على أن يكونوا على أقصى درجات التأهب، وهو ما يفهم من قوله ﷺ : « من خير معاش الناس لهم رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله ، يطير على متنه، كلما سمع هَيْعَة – أو فزعة – طار يبتغي القتل أو الموت مظانّه ... الحديث »[1].

وقد قدم الرسول ﷺ بنفسه مثلاً على درجة التأهب العالية حينما سبق أهل المدينة جميعاً ذات ليلة إلى مصدر صوت قوى غير عادي أفزعهم، فانطلق بعضهم

---

(١) رواه مسلم في « الإمارة » باب : فضل الجهاد والرباط تتمة الحديث : « أو رجل في غنيمة في رأس شعفة من هذه الشعف أو بطن واد من هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس إلا في خير» ارجع إلى صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٣ ص ٣٤، ٣٥.

هيعة : الصوت عند حضور العدو.

مظانه: يطلبه في مواظبة التي يُرجى فيها الشدة رغبة في الشهادة.

الفزعة: النهوض إلى العدو. (انظر الشرح في صحيح مسلم بشرح النووي ص ٣٥ ج١٣).

نحو الصوت، فإذا هم برسول الله ﷺ عائد من هناك راكباً فرسه عارياً والسيف على عنقه وهو يقول: لم تراعوا ، إنه لبحر» أي سريع الجري[(١)].

د- العقيدة الصادقة : الإيمان بالله، قوة عظيمة، تزود المؤمن المجاهد في سبيل الله، ثباتاً في المعارك، وشجاعة في القتال، لأن المؤمن يعلم أن الآجال بيد الله فهو لا يخاف على الحياة، وإن استشهد فهو حي عند الله تعالى.. وهذه القوة يرهبها العدو، ويحسب لها ألف حساب بعد أن خبر المؤمنين في قتالهم، لذلك فهي قوة رادعة أيضاً، تضاف إلى قوة الجسم وقوة السلاح..

ويشهد التاريخ أن الفتوحات الإسلامية، والانتصارات على الشرك والكفر لم يكن بعدد وعدة بقدر ما كان بالإيمان الراسخ المتين .. وكثيراً ما جابه المسلمون عدداً يفوق عددهم بعشرات الأمثال، وعدة تفوق عدتهم.. ومع ذلك انتصروا بإذن الله. وذلك بإيمانهم وتضحياتهم.. والشواهد على ذلك كثيرة في كتب السنن والتاريخ.

هـ - الوحدة وعدم التفرق: قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنفال ٤٦] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴿٤﴾ ﴾ [الصف ٤].

في الآية الأولى نهى الله عز وجل المسلمون عن التنازع وهو الاختلاف في الرأي، فإن ذلك يتسبب عنه الفشل وهو الجبن في الحرب، وذهاب القوة والنصر[(٢)].

---

(١) رواه البخاري في باب السرعة والركض في الفزع (رقم ٢٩٦٩ - فتح الباري) وكذلك باب مبادرة الإمام عند الفزع رقم ٢٩٦٨ وفي أبواب أخرى.

(٢) انظر تفسير الآية في «فتح القدير».

والآية الثانية فيها «إخبار من الله تعالى بمحبته عباده المؤمنين إذا صفُّوا مواجهين لأعداء الله في حومة الوغى يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله لتكون كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر العالي على سائر الأديان»(١).

«كأنهم بنيان مرصوص» مثبت لا يزول ملصق بعضه بعضاً»(٢).

وهكذا فإن الوحدة بين المسلمين، وخاصة في جو المعركة مع الأعداء، قوة عظيمة وذهاب هذه الوحدة معناه الفشل وعدم النصر.

و- الجهاد بالنفس والمال: الجهاد بالنفس وهو القتال المباشر، وهذا يكون على أرض المعركة.

أما الجهاد بالمال فهو من مقتضيات إعداد العدة لإرهاب العدو، ومما لاشك فيه أن المال والاقتصاد عصب الحرب وعدة القوة الحربية بلا جدال. لذلك ربط الإسلام بين الاستراتيجية والعسكرية والاقتصاد برباط وثيق، وهذا الرباط واضح في الآية ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِۦ ... وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنفال ٦٠] .

كما يتضح أيضاً فرض الجهاد بالمال مع الجهاد بالنفس على الأمة الإسلامية، بل إن الجهاد بالمال ورد مقدماً على الجهاد بالنفس في أكثر الآيات التي تحث على الجهاد:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [التوبة ٢٠]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الصف ١٠-١١](٣).

---

(١) انظر تفسير ابن كثير في تفسير سورة الصف.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) وكذلك انظر الآيات: ١٦، ٤١، ٨٨ من سورة التوبة و ١٥ من سورة الحجرات، و٩٥ من سورة النساء.

وقال رسول الله ﷺ : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم »[١].

وهكذا يحقق الجهاد بالمال الرهبة في قلوب الأعداء من قوة المسلمين، فإذا رأى العدو أنه سيواجه من المسلمين قوة عسكرية مؤمنة وقوة اقتصادية لا تنفد فسوف لا يستهين بالمسلمين، ولا يعلن أمله في التغلب عليهم[٢].

(٢) مدد الله للمؤمنين بقذف الرعب في قلوب أعدائهم. قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾ [الأحزاب ٢٦]. وقال تعالى: ﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحشر ٢] وقال تعالى: ﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران ١٥١] ﴿ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنفال ١٢] . في هذه الآيات الكريمة تبيان لنصر الله للمؤمنين على أعدائهم وذلك بقذف الرعب وهو الخوف الشديد في قلوب الأعداء، وهو وعد من الله تعالى للمؤمنين الصادقين بإلقاء الرعب في قلوب الذين كفروا، وهذا الوعد كفيل بنهاية المعركة لصالح المسلمين وضمان لهزيمة أعدائه ونصر أوليائه. قال رسول الله ﷺ : « .. ونصرت بالرعب على العدو بين يدي مسيرة شهر.. »[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود رقم ٢٥٠٤ في الجهاد – باب كراهية ترك الغزو . والنسائي ٦/ ٧ في الجهاد باب وجوب الجهاد (ارجع إلى جامع الأصول ٢/ ٥٦٤) وكذلك (ارجع إلى صحيح الجامع الصغير) الألباني ج ٣ / ٤ .

(٢) النظرية الإسلامية في الحرب النفسية ص ٢٦.

(٣) جزء من حديث رواه البخاري ١/ ٣٦٩ باب التيمم. ومسلم رقم ٥٢١ في المساجد (ج ٥ ص ٣ ط دار الفكر ببيروت ١٣٩٢هـ) والنسائي (١/ ١٦٠) في الغسل (ارجع إلى جامع الأصول ج ٨ ص ٥٢٩) نشر دمشق – تحقيق عبد القادر الأرناؤوط – ١٣٩٢هـ والحديث في البخاري : « عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: أعطيت خمساً لم يُعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركه الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة».

والرعب هو الفزع والخوف الذي أوقعه الله في قلوب أعداء النبي ﷺ وأعداء الله، وبينه وبينهم مسيرة شهر، لذا لا يقدمون على لقائه[١] وهذه خاصية للرسول ﷺ أعطاها الله للرسول ﷺ لم يعطها لأحد قبله. وهي حاصلة لأمته من بعده بإذن الله..

(٣) استخدام أسلحة الحرب النفسية بشكل متقن : تستخدم الحرب النفسي في الإسلام أسلحة الحروب النفسية التي تستخدمها الدول الأخرى من دعاية وشائعة وإرهاب بأساليب مختلفة نذكر منها:

أ- الدعاية: وهي من أهم أسلحة الحرب النفسية ، ولقد عَرفت الحرب النفسية ذاتها بأنها الاستخدام المخطط للدعاية بهدف التأثير على عواطف وأفكار وسلوك شعوب الدول المعادية لتحطيم روحها المعنوية وإرادتها القتالية..[٢].

والجهاد باللسان حَضّ عليه الإسلام وأمر به، وقرنه بجهاد النفس والمال قال ﷺ : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم »[٣].

ومن أشكال جهاد اللسان « هجاء المشركين » بالشعر الذي كان من أهم وسائل الإعلام في عهد رسول الله ﷺ ، وعند العرب في الجاهلية وكان وقع الهجاء في نفوس المشركين كبيراً: « عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: أهجو قريشاً فإنه أشد عليهم من رشق النبل»[٤].

---

(١) ارجع إلى جامع الأصول ج ٨ ص ٥٢٩ وما بعدها – ط دمشق .

(٢) ارجع إلى تعريفات الحرب النفسية في الباب الأول من هذا البحث.

(٣) (مسند أحمد، أبو داود، النسائي ، ابن حبان، الحاكم) عن أنس رضي الله عنه صحيح (صحيح الجامع الصغير ج (٣ – ٤) الألباني.

(٤) رواه مسلم – كتاب فضائل الصحابة – باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه.

والرسول ﷺ كان يحض حسان بن ثابت رضي الله عنه على هجاء المشركين. عن البراء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لحسان: أهجهم – أو قال هاجهم – وجبريل معك »[١].

كل هذه الأحاديث تبين أهمية الجهاد باللسان ، وشدة تأثيره على الأعداء ، حتى إن أهمية الكلمة الموجهة على الأعداء أشد من وقع النبل..

ومن أشكال أو صور الدعاية في الإسلام ما يلي:

١- **الشعارات والهتافات والرجز:** اتخذ المسلمون الشعارات والهتافات لتحقيق عدة أهداف كالتعارف فيما بينهم أثناء الالتحام بالأعداء أو في الظلام، وإثارة انفعالات الشجاعة والحماسة في نفوسهم، مع ترويع العدو وبث الرهبة والخوف في قلبه في الوقت نفسه، ومن أمثلة صيحات القتال التي استخدمها المسلمون في عصر النبوة: « أحد ، أحد » في غزوة بدر و« أمت، أمت »[٢] في غزة أحد، ومنها أيضاً « يا خيلُ الله اركبي » و« يا صباحاه»[٣] .. في غزوة ذي قَرَد ، هذا إلى جانب التكبير الذي كان شعار كل مسلم « الله أكبر ».

وقدوة المسلمين في التكبير هو الرسول القائد ﷺ عندما كبر قبل فتح خيبر وأنزل الهلع والخوف في اليهود.

عن أنس رضي الله عنه قال: « صبح النبي ﷺ خيبر وقد خرجوا بالمساحي على أعناقهم، فلما رأوه قالوا: محمد والخميس، محمد والخميس، فلجأوا إلى

---

(١) رواه البخاري في مواضع متعددة: كتاب الأدب – باب هجاء المشركين رقم ٦١٥٣ وكذلك في كتاب المغازي وكتاب بدء الخلق.

(٢) أبو داود رقم (٢٥٩٦) في الجهاد. وأحمد في مسنده ٤/ ٤٦ (ارجع إلى جامع الأصول ٢/ ٥٧٣) – (وكذلك انظر «النظرية الإسلامية في الحرب النفسية » ص ٣٣).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي « باب غزوة ذي قَرد ج ١٢ ص ١٧٣). (وذي قرد: ماء على بعد يوم من المدينة مما يلي بلاد غطفان). وانظر السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٣٢٣).

الحصن، فرفع النبي ﷺ يديه وقال: الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين »[(١)].

والرّجز يستخدم في المعارك أو قبلها لتقوية الروح المعنوية للمقاتلين وزيادة حماسهم، واندفاعهم أثناء القتال.. ومما ورد في الرجز.. أن رسول الله ﷺ كان يوم الأحزاب ينقل التراب وقد وارى بياض بطنه وهو يقول:

والله لولا أنتَ ما اهتدينا ... ولا تَصدّقنا ولا صلّينا

فَأَنْزِلَنْ سَكينة عَلينا ... إن الألى قد أَبْوْ علينا

ويرفع بها صوته[(٢)].

ومنها ما ارتجزه سلمة بن الأكوع - رضي الله عنه - عندما استأذن رسول الله ﷺ والمسلمون قافلون من خيبر بعد فتحها..[(٣)].

وكذلك أثناء حفر الخندق رُوي عن النبي ﷺ أنه ارتجز:

اللهمَّ لا عَيْشَ إلا عَيْشَ الآخرة ... فاغفر للأنصار والمهاجرة

وكذلك كان الأصحاب - رضي الله عنهم - يقولون:

نحن الذين بايعوا محمدا ... على الإسلام ما بقينا أبدا[(٤)]

---

(١) رواه البخاري (انظر فتح الباري رقم ٢٩٩١ج ٦ ص ١٣٤) باب التكبير عند الحرب.. قال الشارح : قوله (باب التكبير عند الحرب) أي جوازه أو مشروعيته . (المساحي): آلة الزرع، (محمد والخميس): أي محمد والجيش.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٢ ص ١٧١ (كتاب الجهاد والسير – غزوة الأحزاب وكذلك البخاري (انظر فتح الباري رقم ٣٠٣٤).

(٣) المرجع السابق (نفس الكتاب – غزوة خيبر) ص ١٧٠.

(٤) المرجع نفسه (كتاب الجهاد ، غزوة ذي قرد).

وأيضاً ما روي عن ابن الأكوع - رضي الله عنه - أنه عندما سمع أن غطفان أخذت لقاح رسول الله ﷺ قال: « فصرخت ثلاث صرخات يا صباحاه قال: فأسمعت ما بين لا بتي المدينة ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم بذي قرد وقد أخذوا يسقون من الماء فجعلت أرميهم بنبلي وكنت راميا وأقول:

أنا ابن الأكـــوع   واليــوم يوم الرضـع

فارتجز حتى استنقذت اللقاح منهم..»[1].

٢- **الدعاية بالأعمال الرمزية**: قلنا سابقاً (*) إن للعمل مغزى أبلغ من الكلمات، وبينا نجاح الدعاية الغربية في هذا المجال.. ولو رجعنا إلى تاريخنا الإسلامي لوجدنا أن هذا النوع من الدعاية قد استخدم بغرض إرهاب العدو وتخويفه.. ومن ثمَّ الانتصار عليه.. وهزيمته بلا قتال..

وكمثال على هذا النوع من الدعاية.. ما جرى قبل فتح مكة من تخطيط وضعه رسول الله ﷺ .. وفعلاً نجحت الخطة .. وفتحت مكة بلا قتال والحادثة التاريخية الآتية تبين نوعين من الأعمال الرمزية لإرهاب مشركي مكة نذكرها بعد إيراد الحديث: الذي رواه البخاري في صحيحه عن هشام عن أبيه قال: « لما سار رسول الله ﷺ عام الفتح، فبلغ ذلكِ قريشاً ، خرج أبو سفيان بن حرب وحَكيم بن حُزام وبُدَيْل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله ﷺ ، فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مرّ الظهران فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة فقال أبو سفيان: ما هذه ؟ لكأنها نيران عرفة. فقال بديل بن ورقاء: نيران بني عمرو. فقال أبو سفيان:

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٤ (غزوة ذي قرد) قال الإمام النووي رحمه الله في شرحه للحديث: (أنا ابن الأكوع) « وفيه جواز قول مثل هذا الكلام في القتال وتعريف الإنسان بنفسه إذا كان شجاعاً ليرعب خصمه.. (ذي قرد) هو ماء على بعد يوم من المدينة (بوسائل مواصلاتهم المستخدمة في ذلك الحين).

(*) في الفصل الثاني (الدعاية الغربية).

عمرو أقل من ذلك. فرآهم ناس من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم، فأتوا بهم رسول الله ﷺ فأسلم أبو سفيان فلما سار قال للعباس: احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين، فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع النبي ﷺ تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان، فمرت كتيبة فقال. يا عباس من هذه ؟ فقال: هذه غفار، قال: مالي ولغفار، ثم مرت جُهينة، قال: مثل ذلك الحديث[١] حتى مرت جميع القبائل».

في هذا الحديث عملان من الأعمال الرمزية لإرهاب العدو وتخويفه وهما:

الأول: إيقاد النيران الكثيرة وفي رواية ابن سعد « أن النبي ﷺ أمر أصحابه في تلك الليلة فأوقدوا عشرة آلاف نار»[٢].

وكذلك عن « ابن إسحاق » « أن المسلمين أوقدوا تلك الليلة عشرة آلاف نار»[٣] ورؤية هذه النيران الكثيفة دلالة على ضخامة الجيش، ولا يخفى ما في ذلك من تخويف وإرهاب للنفوس.

الثاني: قول الرسول ﷺ للعباس: « احبس أبا سفيان عند حطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين..».

وفي رواية موسى بن عقبة أن العباس قال لرسول الله ﷺ لا آمن أن يرجع أبو سفيان فيكفر، فاحبسه حتى تُريه جنود الله، ففعل فقال: أبو سفيان: اغدرا يا بني هاشم؟ قال: العباس: لا ولكن لي إليك حاجة فتصبح فتنظر جنود الله للمشركين

---

(١) رواه البخاري (انظر فتح الباري) رقم ٤٢٨٠ ج ٨ ص ٥ (للحديث بقية). « مر الظهران » : مكان قرب مكة. « نيران عرفة » : إشارة إلى ما جرت به عادتهم من إيقاد النيران الكثيرة ليلة عرفة. (انظر فتح الباري شرح الحديث).

(٢) المرجع السابق: شرح الحديث (وخطم الجبل: أنف الجبل.. وهو شيء يخرج منه يضيق به الطريق).

(٣) المرجع السابق.

وما أعد الله للمشركين، فحبسه بالمضيق دون الأراك حتى أصبحوا » وأمر النبي ﷺ منادياً ينادي: لتظهر كل قبيلة ما معها من الأداة والعدة وقدم النبي ﷺ الكتائب..»[١].

وفي رواية ابن إسحاق : « حتى مر رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم، لا يُرى منها إلا الحدق من الحديد فقال: سبحان الله يا عباس من هؤلاء؟ قال: قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار قال: ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً، قال: قلت: يا أبا سفيان إنها النبوة قال: نعم إذن قال: قلت: النجاء[٢] إلى قومك، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به...»[٣].

واختيار الرسول ﷺ لمضيق الوادي بالذات لوقوف أبي سفيان يدل على براعة وإحكام في تدبير أمر التخويف، فمرور الجيش في مضيق ، يجعل أبا سفيان يرى قوة الجيش عن كثب وهي تمر عليه، ولو كان اختار موضعاً في الصحراء المكشوفة لتفرق الجيش فيها، ولما وقع التأثير المعنوي المطلوب.

(ب) **العمل على الفرقة بين الأعداء:** ووسيلة المسلمين في ذلك كان الاتصال الشخصي، لعدم توافر وسائل الإعلام الموجودة اليوم.. وغاية المسلمين من العمل على الفرقة بين الأعداء، التخذيل بينهم حتى لا يكونوا وحدةً على المسلمين، ومن ثَمَّ إضعافهم وفشلهم..

---

(١) المرجع السابق: شرح الحديث (وخطم الجبل: أنف الجبل.. وهو شيء يخرج منه يضيق به الطريق).

(٢) النجاء إلى قومك: أسرع على قومك.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٢٢.

وقصة نعيم بن مسعود رضي الله عنه في غزوة الأحزاب مشهورة، روتها كتب السيرة.. إذا استطاع نعيم أن يفرق بين قريش وبني قريظة، بعد أن قال له رسول الله ﷺ وقد جاءه مسلماً، ولم يعلم قومه بإسلامه « إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت ، فإن الحرب خدعة»[(١)].

وقام نعيم بن مسعود بالمهمة خير قيام بأسلوب بارع حاذق بحيث حققت مهمته هدفها في الوقيعة بين المتحالفين (قريش ويهود بني قريظة) وفي إزالة الثقة فيما بينهم.

(ج) **الشائعات**: وهي من أسلحة الحرب النفسية التي استخدمها المسلمون: وهي من أفتك الأسلحة لما لها من خاصية سرعة الانتشار ، وخاصة إذا تحولت الشائعة إلى أسطورة دائمة.. في أذهان الناس لا تموت على مر الزمان.. واستخدام الشائعة – الأسطورة – إن جاز لنا التعبير يحتاج إلى حنكة ودهاء لبث الرعب في قلوب الأعداء .

ويذكر لنا التاريخ أن سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه استخدم الشائعة في حربه النفسية مع الروم قبيل وقعة اليرموك إذ « إن ماهان – قائد الروم – طلب خالداً ليبرز إليه فيما بين الصفين، فيجتمعا في مصلحة لهم فقال ماهان: « إنا قد علمنا أن ما أخرجكم من بلادكم الجهد والجوع فهلموا إلي أن أعطى كل رجل منكم عشرة دنانير وكسوة وطعاماً وترجعون إلى بلادكم فإذا كان من العام المقبل بعثنا لكم بمثلها » فقال خالد: « إنه لم يخرجنا من بلادنا ما ذكرت، غير أنا قوم نشرب الدماء ، وأنه بلغنا أنه لا دم أطيب من دم الروم فجئنا لذلك فقال أصحاب ماهان: « هذا والله ما كنا نحدث به عن العرب»[(٢)].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ١١١ – مكتبة المعارف – بيروت ط ١٩٧٨ وكذلك السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ / ٢٤٧.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (ج ٧ ص ١٠).

وكلمات خالد فعلت فعلها، في زرع الخوف في صميم قلوب الأعداء لذلك صدق أصحاب ماهان ما قاله.. وكان بعد ذلك الانتصار العظيم للمسلمين على الروم في الشام وقد كان عدد الروم يومها يفوق عدد المسلمين أضعافاً مضاعفة.

هذه بعض أسلحة الحرب النفسية في الإسلام، وقبل ختام هذه الفقرة قد يخطر ببال البعض، أن أسلحة الحرب النفسية هذه، من دعاية وشائعة والتي تستخدم من قبل أعداء الإسلام بصورها السلبية، المبنية على الكذب والخداع في جميع المجالات .. وفي كل الأوقات.. في وقت السلم وفي وقت الحرب، فكيف يسيغ للمسلم الكذب والخداع ، وهل يشرع له الكذب والخداع؟ وفي أي مجال؟ ..

وحتى تتضح الصورة في ذهن الإنسان المسلم ، لابد من إيضاح هذا الأمر..

إن الإسلام دين صدق وعدل في معاملته، حتى مع أعدائه، فهو لا يحب الظلم، والكذب .. قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المائدة ٨] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة ١١٩] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأحزاب ٠٧٠] .

والإسلام يريد للبشرية أن ترتفع، ويريد للبشرية أن تعف، فلا يبيح الكذب والظلم في سبيل الغلب، وهو يكافح لأسمى الغايات وأشرف المقاصد، ولا يسمح للغاية الشريفة أن تستخدم الوسيلة الخسيسة .. وليس مسلماً من يسوّغ الوسيلة بالغاية، فهذا المبدأ غريب على الحس الإسلامي والحساسية الإسلامية لأنه لا انفصال في تكوين النفس البشرية وعالماً بين الوسائل والغايات من أجل ذلك نهى الله عن الكذب والظلم وأنذر الكاذبين بعذاب أليم: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [البقرة ١٠] .

وقال ﷺ حاضًا على الصدق، ناهياً عن الكذب، مبيناً عاقبة كل منهما: « إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا»(١).

وكذلك فإن الإسلام لا يخدع ولا يغش وخاصة مع الأمم التي بينه وبينها ميثاق فهو لا يصافح باليد اليمنى، والخنجر المسموم في اليد اليسرى، كما هو سبيل الدعاية الغربية والشيوعية، وهو لا يبيت الآخرين بالهجوم الغادر الفاجر وهم آمنون مطمئنون .. فإذا نبذت المواثيق، وأعلنت الحرب، في هذا الوقت بالذات؛ الحرب خدعة، لأن كل خصم قد أخذ حذره، فإذا جازت الخدعة عليه فهو غير معذور به إنما هو غافل ، وكل وسائل الخدعة حينئذ مباحة لأنها ليست غادرة(٢).

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ « الحرب خُدعة»(٣).

قال الإمام النووي رحمه الله : « واتفقوا على جواز خداع الكفار في الحرب كيفما أمكن ، إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يجوز»(٤).

وهذه المخادعة يمكن أن تتم بأسلوب التخذيل والتفرقة بين أعداء الإسلام، كمثل الذي تم قبيل غزوة الأحزاب بوساطة نعيم بن سعود -رضي الله عنه- الذي عمل على إثارة الفرقة بين مشركي مكة وبني قريظة من يهود المدينة، وقد ثبت في الصحيح أنه يجوز الكذب والاحتيال في الحرب.

---

(١) متفق عليه (باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله) واللفظ لمسلم (ارجع إلى صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٦ ص ١٥٩).

(٢) انظر « في ظلال القرآن » تفسير سورة الأنفال.

(٣) أخرجه الجماعة إلا الموطأ والنسائي (جامع الأصول ج ٢ ص ٥٧٥).

(٤) صحيح مسلم (باب جواز الخداع في الحرب) (ج ١٢ ص ٤٥) (بشرح النووي).

قال ﷺ : « ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً»[١] وزاد مسلم في رواية « قالت أم كلثوم ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث : الحرب والإصلاح بين الناس وحديثُ الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها»[٢].

ثانياً: مقاومة الحرب النفسية المعادية: ذكرنا آنفاً [٣] عند بحثنا للشائعة – باعتبارها سلاحاً من أسلحة الحرب النفسية طرق مقاومتها في المجتمع الإسلامي وخاصة خلال الأزمات التي يتعرض لها المجتمع في الحروب وغيرها..

وكذلك في بحثنا لعلم النفس العسكري[٤] بيّنا قيمة الروح المعنوية للمقاتلين والتي هي من أولى دعائم النصر في المعركة، وأن الحرب النفسية تستهدف تحطيم هذه الروح، لذلك تتخذ الجيوش كل التدابير التي من شأنها رفع الروح المعنوية وتقوية إرادة القتال لدى رجالها ومقاومة الحرب النفسية التي تشن من قبل الأعداء، وإزالة آثارها إن استجاب لها بعض الأفراد واستعادة الروح المعنوية العالية. ومن أهم طرق مقاومة الحرب النفسية في التصور الإسلامي ما يلي[٥]:

١ – **الإيمان الصادق بالله:** فالمؤمن لا يخاف ولا يرهب، لذا هو لا يستجيب للدعاية التي تَوَد إرهابه وإرعابه: ولا يخاف إلا من الله عز وجل وحده.

---

(١) أخرجه الجماعة إلا الموطأ والنسائي (جامع الأصول ج ٢ ص ٥٧٥).

(٢) صحيح مسلم (باب تحريم الكذب وبيان ما يباح منه) ج ١٦ ص ١٥٧. وأم كلثوم هي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وكانت من المهاجرات الأول اللائي بايعن النبي ﷺ وهي زوج عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

(٣) الفصل الثالث – أسلحة الحرب النفسية – الشائعات.

(٤) الفصل الأول – علم النفس الاجتماعي – فقرة علم النفس العسكري.

(٥) ارجع إلى النظرية الإسلامية في الحرب النفسية [ص ٣٨ – ٥٨] اللواء الركن محمد جمال الدين علي محفوظ – دار الاعتصام – القاهرة . لقد استفدت منه كثيراً في هذه الفقرة ، جزاه الله خيراً.

قال تعالى :﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران ١٧٥] وقال تعالى واصفاً المؤمنين المجاهدين :﴿ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ [المائدة ٥٤] .

- أما المنافقون الجبناء فقد قال فيهم تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ [الأحزاب ١٩] .

- وأما المؤمنون فلا يزيدهم التهديد إلا إيماناً: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [آل عمران ١٧٣] .

- وإذا كان من أهم أهداف الحرب النفسية التخويف من الموت والفقر، ومن القوة الضاربة للمنتصر، ومن محاولة جعل النصر حاسماً بالدعوة إلى الاستسلام وبث الشائعات والأراجيف وإشاعة اليأس والقنوط.

- فإن المؤمن لا يخشى الموت لأنه يؤمن بأنه لا يموت إلا بأجله الموعود: قال تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [يونس ٠٤٩] وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ [آل عمران ١٤٥] وقال تعالى:﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء ٧٨]

- إن المؤمن يعتقد بأن الآجال بيد الله سبحانه وتعالى، وما أصدق قول خالد ابن الوليد - رضي الله عنه- عندما حضرته الوفاة : « لقد حضرت كذا وكذا زحفاً، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء»[1].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص ١١٤.

- والمؤمن لا يخاف الفقر، لأنه يعتقد اعتقاداً راسخاً بأن الأرزاق بيد الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [البقرة ٢١٢] ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا ﴾ [هود ٦] ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات ٢٢] والمؤمن لا يخشى قوات العدو الضاربة، فما انتصر المسلمون أيام الرسول القائد ﷺ وفي أيام الفتح الإسلامي بعدة أو عدد، بل كان انتصارهم بالإسلام. قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة ٢٤٩] .

- والمؤمن لا يقر بانتصار أحد عليه مادام في حماية عقيدته، فهو لا يستسلم أبداً ولا يفكر بالاستسلام لأنه يؤمن بأن انتصا العدو عليه قد يدوم ساعة ولكنه لا يدوم إلى قيام الساعة. قال تعالى:﴿ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران ١٤٠] .

- وكذلك المؤمن لا ييأس أبداً.. لأن النصر له في النهاية بإذن الله وأن اليأس شيمةُ الكفار. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف ٨٧] . وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا ﴾ [يوسف ١١٠] وأن المؤمن يشعر دائماً أنه الأعلى في عقيدته وأن أعداءه ما هم إلا كفرة فجرة، فكيف يخضع لهم.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[آل عمران ١٣٩] هذا الشعور يرفع من روح المؤمن المعنوية ولهذا فهو لا يستسلم.. وقال تعالى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [المنافقون ٨] . وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ ﴾ [يونس ٦٥].

- والمؤمن يقاوم الغزو الفكري والحضاري ومحاولات التنصير والتزييف التاريخي من قبل المستشرقين .. ويعتقد أن ما في دينه من حضارة وفكر يغنيه عن

استيراد العقائد المشبوهة: ﴿ قُلْ يَتَأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦ ﴾ [الكافرون ١-٦] وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٠٨ ﴾ [يوسف ١٠٨] .

٢- الوعي بأهداف العدو وأساليبه في الحرب النفسية: إن الوعي بأهداف العدو وأساليبه في الحرب النفسية من أهم عناصر المقاومة لهذه الحرب، لذلك نجد كل الجيوش تطالب كل جندي بأن يكون واعياً ومدركاً وعارفاً بما يلي، حتى لا يخدعه أو يضلله:

- ماذا يدبر العدو ضد أمته؟
- ما هو هدف دعايته؟
- ماذا يريد العدو منك أن تفعله؟
- ما هو أسلوب الحرب النفسية للعدو وما هي طبيعة دعايته؟

وهذا الوعي يجعل المقاتل مستعداً استعداداً نفسياً لمواجهة الحرب النفسية، وعدم الاستجابة لها والتأثر بها، وخاصة إذا كان مسلماً بالإضافة إلى الوعي والمعرفة والإيمان القوي والعقيدة الراسخة.

وقد عُني القرآن بكشف أهداف أعداء الإسلام والمسلمين من الكفار والمنافقين وفضح أساليبهم ومحاولاتهم للتفريق بين المسلمين، والقضاء على وحدتهم وأمنهم، ودورهم في التخذيل والتوهين وتثبيط العزائم، ومحاولتهم للتشكيك وزعزعة الثقة في النصر على الأعداء، وأرشد القرآن والمسلمين إلى طريق مواجهة هذه المحاولات ومقاومتها والقضاء عليها، وهذا ما نبينه باختصار فيما يلي:

أ- فضح محاولات التفرقة ومقاومتها: قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾[آل عمران ١٠٠] ثم قال تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [آل عمران ١٠١].

ثم قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران ١٠٢-١٠٣].

والقرآن يدعو المسلم إلى الحذر من الأعداء مع تبيان هؤلاء الأعداء: ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [المنافقون ٤].

ويقصد بهم المنافقون في هذه الآية.. وكذلك اليهود من أعداء الله وأعداء المسلمين قال تعالى: ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ ﴾ [المائدة ٨٢].

ب- كشف محاولات التخذيل وتثبيط العزائم: يقرر القرآن الكريم أن الدور الذي يؤديه أعداء الإسلام في التخذيل وتثبيط العزائم وإضعاف الهمم له خطورته إذا انساق في تياره أبناء الأمة، ويوضح أنه كلما لقيت دعواتهم آذاناً صافية فإنهم يفرحون بذلك ويستبشرون، وهذا شأنهم في كل عصر.

ومن الأمثلة التي أوردها القرآن في هذا المجال أولئك المنافقون الذين دعوا المسلمين – عندما أمر الرسول عليه السلام بالإعداد لغزوة تبوك – إلى أن يتخلوا عن الرسول ولا ينفروا في لظى الشمس ووهج الحر.. فجاءت الآية الكريمة تحذر من اتباعهم وتنبئهم بأن جهنم أشد حراً وتطلب من الرسول ألا يستعين بهم في

غزوة أخرى: قال تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [التوبة ٨١-٨٣] فالقرآن هنا لا يكشف محاولات تثبيط العزائم، ويحذر المسلمين من الاستجابة لها فحسب، بل يقرر أيضاً ضرورة تطهير الجيش من أمثال هؤلاء المنافقين لشدة خطرهم عليه.

ج- كشف محاولات زعزعة الثقة في النصر: ويكشف القرآن أيضاً محاولات أعداء الإسلام لزعزعة المسلمين في النصر فأورد مثالاً على ذلك أولئك المنافقين الذين أرادوا أن ينفثوا سمومهم في أهل المدينة يشككونهم في وعد الله ورسوله بالنصر والفتح المبين، فركزوا على جانب التوهين والتخذيل والتخويف وإضعاف العزائم ليتركوا الرسول - في غزوة الخندق - وحده مع نفر قليل، وليرجعوا إلى بيوتهم متعللين بأنها غير محصنة (وكان الخندق خارج المدينة): قال تعالى:﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [الأحزاب ١٢-١٣].

٣- **كتمان الأسرار ومنع ترويج الشائعات:** إن توجيهات الإسلام تسد منافذ الحرب النفسية ولا تعطي غير أهل العلم من القادة والرؤساء حق الحديث عن أسرار الجيش والأمة، لأن هؤلاء أدرى بما يصلح أن يقال وما لا يقال، وخاصة في الظروف الحساسة، ولذلك لام القرآن المنافقين الذين كانوا يتظاهرون بالإسلام كما لام ضعفاء المسلمين لأنهم كانوا يفشون أمر رسول الله ﷺ ويذيعونه ويتحدثون به

قبل أن يقفوا على حقيقته سواء كان هذا الأمر يتصل بحالة الحرب أم بحالة السلام والأمن وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [النساء ٨٣] .

وكما حذر الإسلام من إذاعة الأسرار طلب من المسلمين أن يتثبتوا مما يصلهم من الأنباء قبل الركون إليها والعمل بها: قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجرات ٦] .

وحذر القرآن من تناول ما لم نستيقنه أو نعلمه:﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء ٣٦] .

ولقد نهى الله تعالى أن يكون مصدر العلم الظن ووصف الكافرين باتباع الظن ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾ [النجم ٢٣] ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النجم ٢٨] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات ١٢] وأن على المسلم تحري الصدق في القول والعقل.. ومراقبة لسانه جيداً فقد تجر كلمة واحدة عواقب وخيمة: يقول ﷺ : « إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق»[(١)]. وعند مسلم: « أبعد مما بين المشرق والمغرب».

ويحذر الإسلام من ترويج الشائعات وإن من أشد أنواع الكذب أن يدعي الرجل بالباطل أنه رأى بنفسه الشيء الذي يذيع عنه: قال ﷺ : « أفرى الفرى، أن يُري الرجل عينيه ما لم تريا»[(٢)].

---

(١) متفق عليه – (ارجع إلى فتح الباري رقم (٦٤٧٧) باب حفظ اللسان... ومعنى يتبين : يفكر أنها خير أم لا.

(٢) رواه البخاري في التعبير (باب من كذب في حلمه).

كما يكشف الإسلام مدى الجريمة التي يقترفها مروجو الشائعات كما يفهم من قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ۝ ﴾ [النور ١٥] .

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ ﴾ [النور ١٩] .

وهكذا يدعو الله تعالى المسلمين لكي يكونوا صادقين فيما يقولون وفيما يفعلون، وأن يقدروا الكلمة قبل أن ينطلق بها اللسان، وأن يعرفوا أبعادها وعواقبها ويدركوا أنها أمانة، وأن الكذب فيها أو قولها لغير ما قيلت له غش وخداع وكذب على الله الذي يكشف الدخائل ويدرك الخفايا: قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝ ﴾ [الأحزاب ٧٠-٧١] .

٤- **التصدي للقوى المضادة المستترة:** ومما تتميز به « الإستراتيجية » الإسلامية في إعداد القوة الرادعة التي ترهب العدو أنها لا تهدف إلى ردع العدو الخارجي الظاهر فقط ، بل تهدف أيضاً إلى ردع أعداء الإسلام من القوى المضادة التي تعمل في الخفاء والتي قد يكون خطرها – إذا غفلت الأمة عنها أو لم تتصد لها – أفدح بكثير من خطر العدو الظاهر: قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ ﴾ [الأنفال ٦٠].

إن « عدو الله » و« عدو المسلمين » هم المشركون والكافرون واليهود قديماً، أما حديثاً فهم أعداء الإسلام والمسلمين من اليهود والنصارى والشيوعيين الملحدين الذين يجاهرون بالعداء ويعلنون الحرب بحجج يعلمها كل مسلم أنها باطلة.

أما الفئة الثالثة: وهي المعبر عنها بقوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ ﴾ .

فقد فسرها العلماء السابقون بالمنافقين الذين يلبسون ثوباً ظاهره الرحمة وباطنه العذاب.. إن قوله تعالى هذا ينطوي في الوقت الحاضر على كل القوى المضادة التي تحقد على الإسلام، وتنفث سمومها في الخفاء، وتروج الشائعات، وتثير الفتنة، وتغرى بالفساد .. ومن هذه الفئة من يكون داخل البلاد الإسلامية وبين صفوف أبنائها، ومنهم من يكون خارجها يدبر ويخطط ويتحرك بكل الأساليب العلمية للحرب النفسية والغزو الفكري الهدام..

ومن أجل ذلك فقد نبه القرآن المسلمين إلى تلك الفئة من الأعداء الخفيين وأوجب على الأمة الإسلامية إعداد كل وسائل القوة التي تردعهم.

٥- مواجهة الشائعات والدعاية بالحقائق: ليس هناك مثل الحقائق وسيلة للقضاء على الشائعات والدعايات الخبيثة التي تريد النيل من الإسلام ، هذه حقيقة علمية يقررها علماء النفس وخبراء الحرب النفسية.. إن غيبة الحقيقة تولد لدى الإنسان فراغها فكرياً يجعله فريسة سهلة للإشاعات والأخبار المضللة التي يذيعها الأعداء مستغلين ذلك المناخ الصالح الذي يتهيأ لهم لتحقيق أعراضهم في تدمير الروح المعنوية.

ولا تفلح وسائل تكذيب الشائعات والأخبار المضللة في إزالة تلك الآثار الهدامة مثلما تفلح الحقيقة التي هي السبيل الأوحد لقطع الشك والقضاء على البلبلة والغموض.

ومن الأمثلة التي تساق في هذا المجال ما حدث في عمرة القضاء سنة سبعة للهجرة قبل فتح مكة.. إذ أشاع المشركون أن المسلمين لا يستطيعون أن يطوفوا بالبيت من الهزال وقد وهنتهم حمى يثرب، فخرج أهل مكة لينظروا ذلك حتى

النساء والأطفال.. فما كان من الرسول ﷺ وقد بلغته هذه الدعاية وما بالمسلمين من حمى.. إلا وأمر أصحابه الاضطباع(١) والرمل(٢) ثلاثاً أثناء الطواف ليري المشركين قوة المسلمين.

« عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما– قال: إن رسول الله ﷺ قدم مكة فقال المشركون إن محمداً وأصحابه لا يستطيعون أن يطوفوا بالبيت من الهزال وكانوا يحسدونه قال: فأمرهم رسول الله ﷺ أن يرملوا ثلاثاً ويمشوا أربعاً..»(٣).

وفي رواية أخرى: « وأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا ثلاثة أشواط ويمشوا ما بين الركنين ليرى المشركون جلدهم، فقال المشركون هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم هؤلاء أجلد من كذا وكذا..»(٤).

وفي رواية : « فتقول قريش: كأنهم الغزلان»(٥)

وهكذا كانت الحقيقة الدامغة بما قام به المسلمون من الرمل، أبلغُ رد يقضي على ما أشيع عن هزال المسلمين، وكان قول المشركين بعد ذلك هو الدليل على القضاء على الشائعة..

ومثال آخر على مواجهة الشائعات بالحقائق الدامغة ما حدث في غزوة أحد من إشاعة مقتل النبي ﷺ .. والأثر السيِّئ الذي تركته هذه الشائعة في المسلمين ، ثم رد

---

(١) الاضطباع : هو أن تدخل الرداء من تحت إبطك الأيمن فيبدوا منكبك الأيمن ويتغطى الأيسر وسمى بذلك : لإبداء الضبعين وهما العضدان ما تحت الإبط.

(٢) الرمل: سرعة المشي والهرولة.

(٣) رواه مسلم – باب استحباب الرمل والطواف والعمرة ج ٩ ص ١٠ صحيح مسلم بشرح النووي.

(٤) المرجع السابق –الباب نفسه – والحديث رواه أيضاً الترمذي والنسائي وأبو داود وأحمد (ارجع إلى جامع الأصول تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ج ٣/ ١٦٢).

(٥) رواية أبي داود رقم ١٨٨٦ في المناسك باب الرمل .

الرسول القائد ﷺ على إشاعة مقتله أن صعد فوق الجبل ليطمئن أصحابه ويرد إليهم الثقة في أنفسهم.. وقد أتينا على ذكر هذه الحادثة في الفصل الثاني من هذا البحث.. بالإضافة إلى ما ذكرنا من مقاومة الحرب النفسية.. نجد أن الإسلام يوجه أبناءه دائماً إلى الطريق القويم لاستعادة قواهم المعنوية وخاصة بعد الأزمات والضغوط النفسية من قبل الأعداء وذلك على الأسس الآتية:

- سرعة الرجوع إلى أصول العقيدة والاعتصام بالكتاب والسنة.
- الاستعانة بالصبر والصلاة.

ومن الأمثلة على النقطة الأولى ما حدث بعد وفاة الرسول ﷺ فقد استغل المنافقون الموقف على الفور.. وأخذوا يشنون الحرب النفسية ضد المسلمين لزعزعة إيمانهم وإثارة الفتنة بينهم..

وقول عمر بن الخطاب في المسجد « إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفي، وأنه والله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران...»[(١)] يظهر هذه البلبلة في الموقف .. لولا أن خرج أبوبكر الصديق -رضي الله عنه- وحسم الموقف بخطبته المشهورة التي قال فيها بعد أن حمد الله وأثنى عليه: « أيها الناس، إنه ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت» ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران ١٤٤] .

وهكذا زايل القلوب كل شك في أن محمداً قد مات.. ولما كان الغد من ذلك اليوم خطب عمر الناس فقال: « إني قد قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مما وجدتها في كتاب الله ولا كانت عهداً عهده إلي رسول الله، ولكني قد كنت أرى أن

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٣٣٤.

رسول الله سيدبر أمرنا ويبقى ليكون آخرنا، وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى رسوله ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له»(١).

وهكذا يكون الاعتصام بالكتاب والسنة أقوى أسباب الوقاية من الضلال والانحراف. وأما النقطة الثانية وهي الاستعانة بالصبر والصلاة لإزالة الضغوط النفسية يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [البقرة ١٥٣-١٥٥] ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [آل عمران ١٨٦]

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [البقرة ٢١٤] .

والأحاديث النبوية الشريفة كثيرة في هذا الباب.. نقتصر على حديث واحد منعاً للإطالة : يقول الرسول الكريم ﷺ واصفاً المؤمن: « عجباً لأمر المؤمن إن أمره كلّه له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»(٢).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤ / ٣٤٠.

(٢) رواه مسلم (كتاب الزهد).

خـــاتـــمة

عرضت في هذا البحث صفحات موجزة عن الحرب النفسية، ماهيتها وتاريخها وأسلحتها الفتاكة، وقد اخترت من هذه الأسلحة أهمها وأشدها أثراً، وهي الدعاية والشائعة وغسيل الدماغ، ثم رأيت الحاجة الماسة في عرض نماذج عملية من الدعايات المعادية ليطلع المسلم على ما يخطط له وما ينفذ سراً وجهراً، واخترت من هذه الدعايات أشدها خطراً على الإسلام والمسلمين والمتمثلة بالثالوث العتيق في عداوته، المخادع في معاملته ، وهذه الدعايات هي:

- الدعاية اليهودية.
- الدعاية الشيوعية.
- الدعاية الغربية.

وقد رأينا كيف أن هذا الثالوث الرهيب بنى دعايته، التي هي أمضى سلاح من أسلحة الحرب النفسية على أسس مدروسة ومخططة بشكل دقيق، وعلى مراحل متممة بعضها لبعض، ثم نفذها عملياً وواقعياً في مجتمعاتنا العربية بشكل خاص والإسلامية عامة ، وخاصة ما طبقت منها ضد الحركات الإسلامية المعاصرة، وكيف أنهم حاربوها بكل الأسلحة من دعاية وشائعة وغسيل دماغ.

وقد رأينا كيف أن العدو على علم بطبيعة الحرب النفسية وأساليبها وذلك من خلال التنظيم الدقيق لدعايته الداخلية والخارجية، خصوصاً الدعاية المسمومة الموجهة ضد المسلمين في البلاد العربية خاصة، ويظهر هذا واضحاً في الدعاية اليهودية في فلسطين المحتلة وفي أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية.

إذا عرفنا كل هذا، وعرفنا أن عدونا يقظ دائماً، وهدفه تدميرنا نفسياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، فمن النتائج التي تترتب على ذلك ما يلي:

أ- إعادة النظر في إعلامنا ووسائله وأسلوبه وخططه.

ب- دراسة الحرب النفسية دراسة علمية دقيقة.

ج-اهتمام الجامعات بالدراسات العلمية للحرب النفسية، وتخريج الاختصاصيين بها.

د- إنشاء ملاك كامل من الخبرات في الحرب النفسية والإعلام للعمل في وزارة الإعلام.

وحتى نخرج من المجال النظري إلى المجال العملي والتطبيقي للرد على الحرب النفسية العدوة أقترح إنشاء إدارة خاصة في وزارة الإعلام ولها صلة بوزارة الخارجية تسمى « إدارة الحرب النفسية » تُوطد علاقتها بشكل جيد مع :

١- وسائل الإعلام الإسلامية في الداخل والخارج.

٢- السفارات العربية والإسلامية.

٣- المراكز الإسلامية في أوروبا وأمريكا.

وتتعاون هذه الإدارة مع وزارة التعليم العالي لتأمين ملاكها من الموظفين والمختصين وعلماء النفس والاجتماع وخبراء الإعلام والحرب النفسية .. الذين يقومون عليها.. وقبل أن نبين وظيفة هذه الإدارة لابد أن نشير إلى الأسس والمرتكزات التي تبنى عليها الحرب النفسية المضادة التي نطمح أن تشنها هذه الإدارة على الأعداء، وهذه الأسس هي:

١) العقيدة الإسلامية الصحيحة.

٢) الشريعة الإسلامية هي نظام الحياة.

٣) الأخلاق الإسلامية هي أساس المعاملات والعلاقات الإنسانية.

٤) التخطيط السليم المبني على أسس علمية دقيقة.

وإن النقاط الثلاثة الأولى واضحة في أذهاننا، أما النقطة الرابعة المتممة للنقاط الأولى، مازلنا لا نراها بوضوح، لذلك نتجاهلها، ولعلنا رأينا من خلال بحثنا للدعاية اليهودية كيف كانت تستند على دراسة وتخطيط في كل مرحلة من مراحلها، ويقوم عليها علماء النفس وخبراء الإعلام ... فمن الغباء مواجهة هذه الدعاية بدعاية ساذجة وارتجالية لا تحتوي سوى الصيحات الانفعالية، والخطب الرنانة المتلاعبة بعواطف الناس، فلابد إذاً من التخطيط البناء، للإعلام والدعاية، التخطيط الذي يستند على إيمان يقيني وإسلام صادق وأخلاق قرآنية .. وبهذا الشكل ستؤدي الحرب النفسية المضادة ثمارها بإذن الله.

أما وظيفة هذه الإدارة ، فنذكر منها ما يلي:

١- التخطيط للحرب النفسية المضادة قبيل المعارك الفاصلة مع العدو.

٢- تقويم حقيقي وعلمي للدعاية الغربية والشيوعية بشكل عام والدعاية اليهودية بشكل خاص.

٣- رصد أسلحة الحرب النفسية العدوة والرد عليها بالأسلوب الملائم.

٤- كشف أساليب الأعداء بالحرب النفسية وتوعية الرأي العام الإسلامي بذلك.

٥- إيجاد رأي عام إسلامي واحد تجاه الأحداث الجارية.

٦- دراسة دقيقة للرأي العام غير الإسلامي ومعرفة سبل تفكيره ونقاط ضعفه.

٧- التعبئة الروحية والفكرية للأفراد والجماعات وذلك بإيقاظ روح الإيمان والتضحية بالنفس والمال في سبيل الله.

٨- تجنيد كل مفكر مخلص وداعية إسلامي في الداخل والخارج والاستفادة من جميع طاقاته لخدمة الإسلام والمسلمين.

٩- تجنيد جميع المراكز الإسلامية في أوروبا وأمريكا، لخدمة الإعلام الإسلامي والحرب النفسية المضادة .

هذه بعض الوظائف التي يمكن أن تؤديها هذه الإدارة ، وقد تجد وظائف أخرى كثيرة لها من خلال العمل الدؤوب والمخلص، والله أسأل أن يوفق الجميع إلى ما فيه خير المسلمين وعزّتهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مراجع البحث

١- كتب التفسير والحديث والسيرة

أ- التفسير:

١- الطبري (محمد بن جرير) جامع البيان في تفسير القرآن دار المعرفة - بيروت ١٣٩٨/ ٧٨.

٢- الشوكاني (محمد بن علي) فتح القدير دار العرفة - بيروت (دون تاريخ).

٣- ابن كثير (إسماعيل) تفسير القرآن العظيم دار الفكر - بيروت (دون تاريخ).

٤- قطب (سيد) في ظلال القرآن - دار الشروق - القاهرة ط٤ ١٣٩٧/ ٧٧.

ب- الحديث:

١- العسقلاني (ابن حجر) فتح الباري شرح صحيح البخاري - تحقيق محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية .

٢- النووي، صحيح مسلم بشرح النووي ، دار الفكر - (دون تاريخ) .

٣- ابن الأثير الجزري ، جامع الأصول - تحقيق الأرناؤوط، مكتبة الحلواني - دمشق ١٣٩١/ ١٩٧١م.

٤- ناصر الدين الألباني ، صحيح الجامع الصغير (١٤٠٣هـ)، المكتب الإسلامي دمشق.

ج - السيرة:

١- ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف - بيروت ١٩٧٨م.

٢- ابـن هشـام ، السـيرة النبوية – تحقـيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر – (دون تاريخ).

٣- أبـو الحسن الندوي، السيرة النبوية ، دار الشروق – جدة ط١، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٥م.

٢- الكتب العربية

١- الدكـتور إبراهـيم إمـام، الإعـلام والاتصـال بالجمـاهير ، مكتـبة الأنجلـوا المصرية ١٩٧٥م.

٢- الإعلام الإذاعي والتلفزيوني، دار الفكر العربي – القاهرة ١٩٧٩م.

٣- إبراهـيم خليل أحمد ، المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي ، مكتبة الوعي- القاهرة ١٩٦٤م.

٤- أبـو الأعـلى المـودودي، مـا هـي القاديانـية ، دار القـلم – الكويـت (دون تاريخ).

٥- ابـن القـيم – تحفـة المـودود بأحكـام المولـود – تحقـيق الشـيخ عبد القادر الأرناؤوط، دار البيان – دمشق ١٣٩١هـ/ ١٩٧١هـ.

٦- أحمـد عـبد الوهـاب – إسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسة، مكتبة وهبة ط١ ، ١٩٧٢م.

٧- الدكتور أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، القاهرة ١٩٥٣م.

٨- أحمـد عـبد الغفور عطار – محمد بن عبد الوهاب، مكتبة العرفان – بيروت ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

٩- أنـور الجندي - مفاهـيم العلـوم الاجتماعـية ، دار الاعتصـام – القاهرة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

١٠- الإسلام في وجه التغريب .

١١- الدكتور حامد ربيع - الحرب النفسية في المنطقة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ١٩٧٤م.

١٢- فلسفة الدعاية الإسرائيلية ، منظمة التحرير الفلسطينية بيروت ١٩٧٠م.

١٣- الدكتور حامد عبد السلام زهران - علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب ، ط ٤، ١٩٧٧م.

١٤- زين العابدين الركابي - محاضرات عام ١٣٩٨هـ في المعهد العالي للدعوة الإسلامية.

١٥- سعد جمعة- الله أو الدمار، المختار الإسلامي - القاهرة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

١٦- سعيد حارب - الثقافة والعولمة - الكتاب الجامعي ، العين ٢٠٠٠م.

١٧- سيد قطب - معالم في الطريق ، دار الشروق - (دون تاريخ) .

١٨- شوقي أبو خليل - عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي ، دار الفكر - دمشق ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٩- الإسلام وحركات التحرر العربية ، دار الفكر - دمشق (دون تاريخ).

٢٠- الدكتورة . جيهان أحمد رشتي - النظم الإذاعة في المجتمعات الاشتراكية، دار الفكر العربي ١٩٧٩م القاهرة.

٢١- صلاح نصر - الحرب النفسية (جزءان) دار القاهرة للطباعة والنشر ط٢ ١٩٦٧م.

٢٢- الدكتور صلاح مخيمر وعبدو رزق - المدخل إلى علم النفس الاجتماعي، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٠م.

٢٣- الدكتور طارق حجي - الشيوعية والأديان ، مطبوعات الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٢٤- عارف العارف - الفصل في تاريخ القدس ، مكتبة الأندلس في القدس - شوال ١٣٩٠هـ نيسان ١٩٦١م.

٢٥- عبد الرحمن الباني - مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام - المكتب الإسلامي - دمشق ١٤٠٠هـ.

٢٦- عبد الرحمن الميداني - أجنحة المكر الثلاثة ، دار القلم - دمشق ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٢٧- عبد الرحمن النحلاوي - المدخل إلى علم النفس، (طبع على الاستنسل) كلية الدراسات الاجتماعية.

٢٨- عبد الستار فتح الله سعيد - معركة الوجود بين القرآن والتلمود، دار النصر للطباعة الإسلامية - القاهرة (دون تاريخ).

٢٩- د. عبد العزيز القوصي - أسس علم النفس ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٠م.

٣٠- علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية ، ١٩٦٤م.

٣١- أسس الصحة النفسية ، مكتبة النهضة المصرية ط ١٩٦٩م القاهرة.

٣٢- د. عبد الكريم العثمان - الدراسات النفسية عند المسلمين ، مكتبة وهبة - القاهرة ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.

٣٣- د. عبد الكريم اليافي - تمهيد في علم الاجتماع ، مطبعة الجامعة السورية - ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

٣٤- د. عبد اللطيف حمزة - الإعلام والدعاية - دار الفكر العربي القاهرة ١٩٧٨م.

٣٥- د. عبد المنعم الحفني – موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، مكتبة مدبولي – القاهرة – ١٩٧٨م.

٣٦- عبد المجيد عبد الرحيم – علم النفس الاجتماعي ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٩.

٣٧- عقيل هاشم – تخطيط الإعلام العربي ، منظمة التحرير الفلسطينية – بيروت – ١٩٦٨م.

٣٨- علي جريشة – ومحمد شريف الزيبق – أساليب الغزو الفكري – دار الاعتصام – القاهرة ١٣٩٧هـ.

٣٩- في الزنزانة – دار الشروق – القاهرة ١٩٧٥م.

٤٠- غازي القصيبي – أمريكا والسعودية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ٢٠٠٢م.

٤١- الغزالي (أبو حامد) – إحياء علوم الدين، عيسى البابي الحلبي ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.

٤٢- الاقتصاد في الاعتقاد ، المكتبة التجارية – القاهرة (دون تاريخ).

٤٣- كيمياء السعادة ، من رسائل الغزالي – المطبعة المحمودية التجارية – القاهرة.

٤٤- الغزالي (محمد) – دفاع من العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ، دار الكتب الحديثة – القاهرة.

٤٥- د. فخري الدباغ ، غسيل الدماغ ، المؤسسة اللبنانية للنشر ١٩٧٠م.

٤٦- مالك بن نبي – الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ، دار الفكر – دمشق ١٣٨٩/ ١٩٦٩م.

٤٧- محمد أحمد النابلسي – الحرب النفسية في العراق ، مركز الدراسات النفسية – بيروت ٢٠٠٣م.

٤٨- د. مختار التهامي – الرأي العام والحرب النفسية ، دار المعارف – القاهرة ١٩٧٥م.

٤٩- محمد جمال الدين محفوظ – النظرية الإسلامية في الحرب النفسية ، دار الاعتصام – القاهرة (دون تاريخ).

٥٠- د. محمد علي العويني – الإعلام العربي ، عالم الكتب – القاهرة ١٩٧٩م.

٥١- د. محمد عبد القادر – الرأي العام وتأثره بالدعاية والإعلام ، مكتبة لبنان – بيروت ١٩٧٣م.

٥٢- د. محمد صادق – الدبلوماسية والمكيافيلية في العلاقات العربية الأمريكية، بيروت – ١٣٩١هـ – ١٩٧١م.

٥٣- محمد قطب– الإنسان بين المادية والإسلام، دار الشروق– ط–١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٥٤- د. محمد بن لطفي الصباغ – الابتعاث ومخاطره ، (دراسة نشرت في أضواء الشريعة العدد ٨-١٣٩٧هـ) وهي مجلة تصدرها كلية الشريعة بالرياض.

٥٥- د. محمود محمد شاكر – أباطيل وأسمار ، القاهرة – ١٩٧٢م.

٥٦- د. مصطفى السباعي – الاستشراق والمستشرقون ، المكتب الإسلامي – دمشق – ١٣٩٩/ ١٩٧٩م.

٥٧- د. مصطفى الحفناوي – الدعاية السياسية والإعلام ، مطبعة جريدة قناة السويس – القاهرة – ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م.

٥٨- د. مصطفى سويف – مقدمة لعلم النفس الاجتماعي، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٦م.

٥٩- د. مصطفى الخالدي وعمر فروج - التبشير والاستعمار ، المكتبة العمرية بيروت ط ٥ - ١٩٧٣م.

٦٠- د. مصطفى النشار ، ضد العولمة / دار قباء ، القاهرة ، ١٩٩٠م.

٦١- د. منذر عنتباوي - أضواء على الإعلام الإسرائيلي ، مركز الأبحاث الفلسطيني ١٩٦٨م.

٦٢- منير وهيبة الخازن - معجم مصطلحات علم النفس ، دار النشر للجامعيين بيروت - (دون تاريخ).

٦٣- الندوات الثقافة-المهرجان الوطني للتراث والثقافة الحادي عشر١٤١٦هـ - الرياض . ندوة : الخطر الإسلامي بين الحقيقة والوهم.

٣- المراجع المترجمة

١- أحمد رضا بك - الخيبة الأدبية للسياسة الغربية في الشرق - ترجمة محمد الصادق الزمرلي ومحمد بورقيبة ، دار بوسلامة - تونس ١٩٧٧م.

٢- الكسيس كاريل - الإنسان ذلك المجهول - ترجمة شفيق أسعد فريد، دار المعارف - بيروت (دون تاريخ).

٣- المهتدية مريم جميلة- الإسلام في النظرية والتطبيق -مكتبة الفلاح - الكويت - ١٣٩٨هـ .

٤- برنارد لويس - الغرب والشرق الأوسط - ترجمة نبيل صبحي ، المختار الإسلامي ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٥- ج - جيلفورد - ميادين علم النفس - ترجمة يوسف مراد ، دار المعارف - القاهرة - ١٩٦٢م.

٦- رجاء جارودي - الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل.

٧- روبير جاكسون – الرجل القرآني – ترجمة أنور الجندي – دار المعارف – القاهرة – ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٨- شانتال لمربيه- المسلمون في الاتحاد السوفيتي- ترجمة الدكتور إحسان حقي، مؤسسة الهالة – بيروت – ١٣٩٧هـ.

٩- د. ريتشارد ميتشل – الإخوان المسلمون – ترجمة منى أنيس – عبد السلام رضوان ، مكتبة مدبولي – القاهرة ١٩٧٧م.

١٠- فرانسيس ستوز سوندرز – الحرب الباردة الثقافية – ترجمة طلعت الشباب – المجلس الأعلى للثقافة مصر ٢٠٠٢م.

١١- كولبانوفسكي وآخرون – علم النفس الاجتماعي وقضايا الإعلام والدعاية – ترجمة نزار عيون السود، دار دمشق ١٩٨٧م.

١٢- لندلي فريزر – الدعاية السياسية وأثرها على مستقبل العالم – ترجمة عبد السلام شحاته ، سلسلة الفكر العالمي ١٩٦٠م.

١٣- لوثروب ستودارد – حاضر العالم الإسلامي – ترجمة عجاج نويهض، دار الفكر ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

١٤- مايلز كوبلاند – لعبة الأمم – تعريب مروان خير ، مكتبة الزيتونة – بيروت – ١٩٧٠م.

١٥- محمد أسد – الإسلام على مفترق الطرق – ترجمة عمر فروخ – دار العلم للملايين – بيروت – ١٩٧٩م.

١٦- بروتوكولات حكماء صهيون ، مكتبة دار العروبة – القاهرة ١٩٦١م.

١٧- موريس جنز برغ – علم الاجتماع – ترجمة فؤاد زكريا ، (دون تاريخ).

١٨- نعـوم تشومسكي – السيطرة على الإعلام – ترجمة أميمة عبد اللطيف – دار الشروق الدولة ط ١- ٢٠٠٣م.

١٩- هربـرت شـيللر – المتلاعـبون بـالعقول – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت – ط ٢ ، ١٩٩٩م.

٤- المقالات

١- « الحرب النفسية ما صنع بها العدو وما صنعنا»؟ للدكتور عبد الله ناصر ، مجلة « العربي » العدد ١١٧ – جمادى الأولى ١٣٨٨هـ آب ١٩٦٨م.

٢- الـرأي العام الدولي والسلوك السياسي مجلة « السياسية الدولية » للدكتور حامد ربيع ٦ أكتوبر ١٩٦٦م.

٣- « حرب القصاصات» ، مجلة المختار من « ريدرز دايجست» آذار ١٩٤٤م.

٤- « كذاب حولوه إلى بطل» كذاب اليمن: الأسود العنسي، مجلة « الإرشاد » اليمنية العددان (٨و٩) ذو القعدة ١٣٩٩هـ.

٥- « مـا هـو المقصود من تأليف الكتاب الأخضر »؟ مجلة « الرائد » (آخن – ألمانيا الاتحادية العدد ٤٢/ ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

٦- حـرب الشـائعات ضـد الحـركة الإسـلامية – مجلة المجتمع – العدد ٤٨١/ ٥ رجب ١٤٠٠هـ.

٧- الحـركة الإسـلامية في الصـحافة الغربية – مجلة المجتمع – العدد ٤٣٣/ ٢٣ ربيع الأول ١٣٩٩هـ.

٨- الغـارة الإعلامـية على العالم الإسلامي – مجلة المجتمع – العدد ٤٨٦/ ١٠ شعبان ١٤٠٠م.

٩- هـل يسـتطيع الإسـلام التكيـف مـع الـثورة الاجتماعـية المعاصـرة؟، مجلة « الإصلاح» العدد ١٦ شعبان ١٣٩٩هـ.

١٠- صحف الغرب تهاجم الإسلام - المجتمع - العدد ٤٨٥ - ١٤ ربيع الأول ١٣٩٩.

١١- رياح البعث الإسلامي تقلق العالم - البلاغ - العدد ٤٦٩- ١٤ ذو القعدة ١٣٩٨هـ.

١٢- الإسلام والاستشراق والغرب (إدوارد سعيد) مجلة الأمان العدد ١٤.

١٣- سيكلوجية الإشاعة د. فاخر عاقل مجلة العربي العدد ٩٤ أيلول ١٩٦٦م.

١٤- إعرف عن التحليل النفسي - هـ - إيسنك - المختار آذار ١٩٦٠م.

١٥- الحرب النفسية في النظام الدولي الجديد - د. سعد العبيدي - النبأ - ذو الحجة ١٤٢١هـ.

٤ - الدوريات

أ- المجلات الشهرية:

١- البيان ٢ شوال ١٤٢٣هـ .

٢- الهلال (القاهرة) عدد ربيع الأول ١٣٩٧هـ.

٣- المختار (من ريدرز دايجست) آذار ١٩٤٤ (القاهرة).

٤- السياسة الدولية (القاهرة) عدد ٦ أكتوبر ١٩٦٦م.

٥- العربي (الكويت) الأعداد ٩٤ و ١١٧.

٦- الدعوة (المصرية) الأعداد ٣٢ و ٣٨.

٧- الإصلاح (الإمارات) الأعداد ١١ و ١٦.

٨- الفكر العربي العدد ٨٩ - صيف ١٩٩٧م.

ب – المجلات الأسبوعية:

١- الدفاع (الرياض) العدد ١٣٢ ١/ ١١/ ٢٠٠٣م.

٢- المجتمع (الكويت) الأعداد: ٤٢٢، ٤٣٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٧٤، ٤٨١، ٤٨٥، ٤٨٦، ٥٠١، ١٦٠٣.

٣- روز اليوسف ٢٩/ ٦/ ١٩٦٣م.

٤- الإرشاد (اليمنية) الأعداد : (٢ و ٣) و (٨ و ٩).

٥- الأمان (اللبنانية) الأعداد : ١٤، ٧٨.

٦- البلاغ (الكويتية) الأعداد : ٤٠٦، ٤٦٩.

٧- النبأ (المصرية) العدد : ٥٥ ذو الحجة ١٤٢١هـ.

ج – الصحف اليومية:

١- الإندبندت البريطانية.

٢- المدينة (السعودية) العدد (٤٥٧٠).

٣- الشرق الأوسط (السعودية) تاريخ ٢١/ ١/ ١٩٧٩م.

٤- الرياض (السعودية) العدد ٤١٦٩).

٥- القبس (الكويتية) الأعداد : ٣١٨٢ و ٣١٨٥ و ٢٥٣٩.

٦- السياسة (الكويتية) عدد ٢٢/ ١٢/ ١٩٨٠م.

٧- الدستور (عمان) ١٦ رجب ١٤٢٤هـ .

د- دوريات أخرى:

١- الرائد (ألمانيا الغربية – آخن) العدد ٤٢.

٢- قافلة الزيت (السعودية) العدد ١٠ شوال ١٤٠٠هـ.

٥- مواقع الإنترنت والمجلات الإلكترونية

١- الإسلام اليوم في ١١/ ١٢/ ١٤٢٣هـ ، ٤/ ١٢/ ١٤٢٤هـ، ٢٢/ ١٢/ ١٤٢٥.

٢- محيط ٢٨/ ١٢/ ١٤٢٥هـ .

٣- مجلة الانتفاضة الإلكترونية – التسميم السياسي ومحو الذاكرة.

٤- الساحة السياسية.

فهرس تفصيلي للبحث

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
الفصل الأول: ماهية الحرب النفسية	٩
المبحث الأول: علم النفس الاجتماعي	١٠
- مفهوم علم النفس الاجتماعي	١٠
- السلوك الاجتماعي	١٥
- السلوك عند الغزالي وعند المدرسة السلوكية	١٧
- الدوافع الاجتماعية للسلوك	٢٠
- الغزائز عند مكدوجال وفرويد	٢٣
- نقد نظرية فرويد	٢٧
- الغريزة في الإسلام	٣١
- تعديل الدوافع	٣٤
المبحث الثاني : العوامل المؤثرة في السلوك	٤٣
١- التربية	٤٣
٢- العقيدة	٤٧
٣- الرأي العام	٤٩
٤- الإعلام	٥٣

الموضوع	الصفحة
المبحث الثالث : علم النفس العسكري والحرب النفسية	٦١
أولاً: علم النفس العسكري....................................	٦١
ثانياً: الحرب النفسية...	٦٦
الفصل الثاني: نظرة تاريخية..	٧٣
المبحث الأول: ظاهرة الحرب النفسية قبل الإسلام وفي العهد النبوي	٧٤
أولاً: ظاهرة الحرب النفسية قبل الإسلام................................	٧٤
ثانياً: الرسول ﷺ والحرب النفسية......................................	٨٥
١- المرحلة المكية..	٨٦
٢- المرحلة المدنية..	١٠٣
المبحث الثاني: صور من الحرب النفسية..................................	١٢٢
أولاً: صور من الحرب النفسية على مر التاريخ...........................	١٢٢
ثانياً: الحرب النفسية في الحربين العالميتين وما بينهما..................	١٢٨
ثالثاً : صور من الحرب النفسية ما بعد الحرب العالمية الثانية............	١٤٠
١- صور من الحرب النفسية الصهيونية..................................	١٤٠
٢- صور من الحرب النفسية بعد الثورة المصرية ١٩٥٢م...................	١٤٣
٣- صور من الحرب النفسية في حرب الخليج.............................	١٤٤
٤- صور من الحرب النفسية في العراق...................................	١٤٥
٥- صور من الحرب النفسية ضد الشعب الأفغاني..........................	١٤٧
٦- صور من الحرب النفسية الأمريكية الحديثة...........................	١٤٩

الموضوع	الصفحة
الفصل الثالث: أسلحة الحرب النفسية	١٥٥
المبحث الأول: أسلحة الحرب النفسية	١٥٦
أولا: الدعاية	١٥٦
١- مفهوم الدعاية	١٥٦
٢- تعريف الدعاية	١٥٩
٣- أنواع الدعاية	١٦٠
٤- وسائل الدعاية	١٦٣
٥- نفسية (سيكلوجية) الدعاية	١٦٣
ثانياً: الشائعة	١٦٥
١- تعريف الشائعة	١٦٦
٢- أهداف الشائعة	١٦٦
٣- تصنيف الشائعات	١٦٧
٤- نفسية الشائعة (سيكولوجية)	١٦٨
٥- الرأي العام والشائعة	١٧٣
٦- مقاومة الشائعات	١٧٥
ثالثا: غسيل الدماغ	١٧٩
١- مفهوم غسيل الدماغ	١٧٩
٢- الأساس النفسي لغسيل الدماغ	١٨٠
٣- طريقة غسيل الدماغ	١٨٤

الموضوع	الصفحة

٤- مقاومة غسيل الدماغ والوقاية منه.................. ١٩٤
المبحث الثاني: نماذج من الدعاية المعادية.................. ١٩٨
أولاً: الدعاية الصهيونية.................. ١٩٩
١- مراحل الدعاية اليهودية.................. ١٩٩
٢-المرتكزات الأساسية للتخطيط الدعائي اليهودي.................. ٢١٦
٣-الدعاية اليهودية والإسلام.................. ٢١٨
٤-الدعاية اليهودية وتسخيرها للنصرانية.................. ٢٢٢
٥- مصادر الدعاية اليهودية ووسائلها.................. ٢٢٤
ثانياً: الدعاية الشيوعية.................. ٢٣٤
١) نشأة الدعاية الشيوعية.................. ٢٣٢
٢)أسلوب الدعاية الشيوعية.................. ٢٣٤
٣)وسائل الدعاية الشيوعية.................. ٢٣٩
٤)الدعاية الشيوعية والإسلام.................. ٢٤٦
ثالثاً: الدعاية الغربية.................. ٢٦٥
١- أسس الدعاية الغربية.................. ٢٦٥
٢- الدعاية الغربية والإسلام.................. ٢٦٧
٣- مراحل الدعاية الغربية ضد الإسلام.................. ٢٦٨
٤- أسلوب الدعاية الغربية ووسائلها.................. ٢٩٤
٥- صورة المسلم في الإعلام الغربي.................. ٣٠١

الموضوع	الصفحة
الفصل الرابع: الحرب النفسية والدعوة الإسلامية..........................	٣٠٥
المبحث الأول: الحرب النفسية ضد الدعوة الإسلامية في الوقت الحاضر..........................	٣٠٦
أولاً: أعداء الدعوة الإسلامية وسلاحهم..........................	٣٠٦
ثانياً: الإستراتيجية الغربية في الحرب النفسية..........................	٣٠٨
١- دراسة الحركات الإسلامية ورصدها..........................	٣١١
٢- السيطرة على الإعلام	٣١٤
٣- تغيير الوعي الثقافي والسياسي	٣١٦
٤- العولمة .. والهيمنة على العالم	٣٢٠
٥- استهداف الإسلام بدعوة الحرب على الإرهاب	٣٢٤
٦- دعم التوجهات الحداثية والعلمانية	٣٢٧
٧- إظهار الحركات الهدامة والتعتيم على الفكر الإسلامي الصحيح.	٣٣٢
المبحث الثاني: مبادئ الحرب النفسية في الإسلام..........................	٣٣٧
أولاً: أسس الحرب النفسية في الإسلام..........................	٣٣٧
(١) أعداد القوة البشرية والمادية الرهبة للعدو..........................	٣٣٧
(٢) مدد الله للمؤمنين بقذف الرعب في قلوب أعدائهم..........................	٣٤٣
(٣) استخدام أسلحة الحرب النفسية بشكل متقن..........................	٣٤٤
أ- الدعاية..........................	٣٤٤
١- الشعارات والهتافات والرجز..........................	٣٤٥

الموضوع	الصفحة

٢- الدعاية بالأعمال الرمزية.................................... ٣٤٧
ب- العمل على الفرقة بين الأعداء.................................... ٣٤٩
ج- الشائعات.................................... ٣٥٠
ثانياً: مقاومة الحرب النفسية المعادية – وطرقها.................................... ٣٥٣
١- الإيمان الصادق بالله.................................... ٣٥٣
٢- الوعي بأهداف العدو وأساليبه في الحرب النفسية.................................... ٣٥٦
٣- كتمان الأسرار ومنع ترويج الشائعات.................................... ٣٥٨
٤- التصدي للقوى المضادة المستترة.................................... ٣٦٠
٥- مواجهة الشائعات والدعاية بالحقائق الواضحة.................................... ٣٦١
خاتمة.................................... ٣٦٥
مراجع البحث.................................... ٣٦٩
فهرس تفصيلي للبحث.................................... ٣٨١

المؤلف الدكتور فهمي النجار

*** المؤهلات:**

- مواليد دير الزور – سورية ١٩٣٨م .
- أهلية التعليم العامة – حلب ١٩٦١م .
- ليسانس الآداب – قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية – جامعة دمشق ١٩٦٨م.
- ماجستير الإعلام – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض ١٤٠٣هـ.

دكتوراه الفلسفة – جامعة بهاولبور – باكستان ١٩٩٤م.

*** الخبرة والعمل:**

- التدريس مدة ١٧ عاماً – دير الزور – سورية – من عام ١٩٦١ – ١٩٧٦م.
- الإشراف الاجتماعي والثقافي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض.
- مركز البحوث – عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- رئيس مركز البحوث – وكالة الناقد الدولية للإعلام .
- باحث متعاون في مركز الدراسات المتخصصة – الرياض .
- التعاون مع بعض المؤسسات الثقافية – الرياض .

*** المؤلفات :**

- زاد الطالب من أوضح المسالك – أربعة أجزاء (ط ٥).
- الإعلام والبيت المسلم (ط ٢) .
- قواعد الإملاء في عشرة دروس سهلة (ط ٣) .
- الدراسات النفسية عند الإمام ابن تيمية – ١ – العقل (ط ١).
- فلسفة العلامة محمد إقبال وعلاقاته الثقافية بالعالم العربي (مخطوط).
- الحرب النفسية – (أضواء إسلامية) – (ط ١).
- مذاهب أدبية وفلسفية واجتماعية ودينية (٥٨ مذهباً) نشرت ضمن موسوعة الأديان والمذاهب المعاصرة – الندوة العالمية للشباب الإسلامي – الرياض.
- دراسات ومقالات لغوية ونفسية وتربوية وتراجم (٢٨ دراسة) ومقال نشرت في المجلات الثقافية والأدبية.

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

دار الفضيلة للنشر والتوزيع

الرياض ١١٥٤٣ - ص. ب ٥١١٤٢

تليفاكس ٢٣٣٣٠٦٣